فجر الصحافة في مصر

دراسة في إعلام الحملة الفرنسية

الدكتور أحمد حسين الصاوي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

● الغلاف للفنان بهجت عثمان

محتويات الكتاب

الى مصرنا العظيمة ، الخالدة منذ فجر التاريخ
الى ابد الدهر ، اهدى هـــذا الـكتاب •

تقديم

متى بدأ ظهور الصحافة العربية في مصر ؟ لقد حاول أكثر من مؤرخ وباحث أن يجيب عن هذا السؤال . وزعم عدد منهم أن حكومة الحملة الفرنسية أصدرت أول صحيفة عربية ، بينما أنكر غيرهم من الثقات هـذا القول ، مؤكدين أن « الوقائع المصرية » التى أصـدرتها حكومة محمد على مؤسـس دولة مصر الحديثة كانت هى الصحيفة الأولى . وتحفظ بعض الباحثين فأضاف الى ذلك ان « الوقائع » سبقت الى الوجود بصحيفة أخرى صغيرة مهدت لظهورها ونشرت على نطاق ضيق ، وهى « جرنال الخديوى » .

غير أن هؤلاء المؤرخين والباحثين قد سلموا مع ذلك بأن مصر ، قبل أن تكون لها صحافتها العربية ، كانت مهدا لصحف أخرى . فان حكومة الحملة أصدرت صحيفتين فرنسيتين ، احداهما لجنودها وهى « لوكورييه دى ليجبت » ، والثانية لعلمائها وهى « لاديكاد اجبسيين » . وقد حفظ التاريخ أعداد هاتين الصحيفتين ، كما سجلتهما وثائق الحملة وكتابات مؤرخيها .

واذا كان ظهور الصحافة العربية فى عهد محمد على ثمرة طبيعية لانشـاء مطبعة بولاق ، فان اصـدار الصحيفتين الفرنسيتين قبـل ذلك كان غاية مقصودة استهدفها الجنرال بونابرت من تزويد حملته بجهـاز طباعى كبير .

ولكن لم يكن اصدار صحيفة لجنود الحملة وأخرى لعلمائها هو الغاية الوحيدة أو الرئيسة لذلك التدبير غير المألوف فى الغزوات ، وما بذله قائد الحملة فى سبيله من جهد وما أضفاه عليه من عناية .

فقد كان الغرض الأول الذى حرص من أجله بونابرت على أن يزود حملته على مصر بالمطابع هو أن تكون أداة يخاطب عن طريقها الشعب المصرى . ومن هنا حرصه كذلك على أن يصطحب مجموعة مختارة من دارسى العربية الذين يستطيعون الترجمة بين قيادة الحملة والمصريين .

ولقد قصت علينا المراجع التاريخية بالفعل نبأ تلك الصحائف التى طبعتهـــا سلطات الحملة بالعربية ، وجعلتهـــا أداة أو وســـيلة تذيع منها على ابناء البلاد الخبر والراى ، وتعلن الأوامر والقرارات . بل ان بعض المراجع الفرنسية قد تضمن نصوص عدد من تلك الصحائف فى أصولها الفرنسية التى ترجمت منها الى العربية ، ومنها عرفنا انها كانت تسمى « بيانات » أو « منشورات » (Proclamation) . ومن هذه المراجع ينفرد السفر الكبير « مراسلات نابليون الأول » بأنه يضم بين دفتيه اصول كل ما اذاعه بونابرت على المصريين من تلك المنشورات .

غير ان مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتى ، وقد عاصر أحـــداث الحملة ، ينفرد ـــ من ناحية اخرى ـــ بأنه سجل أكبر عدد من النصوص العربية لهذه المنشورات التى كان يطلق عليهـــا احيانا « مناشير » وأحيانا « فرمانات » ، فضلا عن انه لخص مضمون بعض ما فاته أن يسجله كاملا منها . وقد فعل معاصر آخر للحملة ، هو نقولا الترك ، مثل ما فعله الجبرتى ،فسجل بدوره نصوص عدد من المنشورات العربية وان كان فى ذلك أقل دقة وموضوعية من الجبرتى . وعن تاريخ الجبرتى بالذات نقل معظم المؤرخين العرب نصـــوص ما سجله من المنشورات العربية . وقليل منهم من اهتم بأن يرجع الى الأصــول الفرنسية فى مناقشته لبعض ما تضمنته هذه المنشورات . ولعل أبرز هؤلاء عبد الرحمن الرافعى واحمد حافظ عوض .

على ان احدا من هؤلاء جميعا لم يذهب فى ذكره للمنشورات الى أبعد من الاستشهاد بها على وقائع تاريخية معينة ، أو الاستدلال على وجهة نظر سياسية او اجتماعية . اى انه لم يكن من حظ هذه المنشورات ان جعلت هى ذاتها موضوعا للدراسة ، حتى فى كتابات من تعرضوا لموضوع الطباعة أو الصحافة فى عهد الحملة ، مثل الدكتور ابراهيم عبده والدكتور امين واصف .

ويلاحظ من ناحية أخرى ان معظم هـــؤلاء المؤرخين كانوا اكثر اهتماما بما أذاعه بونابرت ، منهم بما اذاعه خليفتاه كليبر ومنو ، من هذه المنشورات . ولا شك ان ذلك راجع أولا الى دور هذا القـــائد

الأساسى فى الحملة وما اقترن باسـمه من وقائعها ، منـذ التخطيط لها حتى عاد الى فرنسا بعد أن استخلف في قيادتها كليبر ، وثانيا الى شخصيته وما حفلت به حياته بعد الحملة من أحداث ضخام ، شغلت المؤرخين والباحثين وما تزال .

ويلفت النظر كذلك ان بعض المؤرخين الذين تناولوا ذلك العهد ، كان يلحق ببحثه ثبتا بالمراجع يضمنه قسما عن « الوثائق المعاصرة » ، ولكنه لا يذكر بين هذه الوثائق المنشورات التى كانت تذيعها سـلطات الحملة على النـاس وتضمنها أوامرها وقراراتها ، كمـا تعبر بوساطتها عن آرائها وسياستها .

ولقد أثار اهتمامى الخاص بهذه المنشورات ما طالعته من نصوصها فى تاريخ الجبرتى أولا ، ثم فى غيره من مراجع عهد الحملة الفرنسية الذى لم يجاوز ثلاث سنوات كان لها أعمق الآثار فى تاريخ مصر الحديث . وكنت كلما أطلت النظر فى مضمون هذه المنشورات وقارنت بين أصولها الفرنسية وصيغها العربية ايقنت بأنها ظاهرة اعلامية فريدة تستحق أن يفرد لها بحث خاص يقومها ويحـدد أبعادها ويوضح جوانبها ويضعهـا فى مكانها التاريخى الصحيح ، وان ذلك سوف يقدم لنا مفهوما جديدا لنشأة الصحافة العربية فى مصر .

ان دخول المطبعة الى مصر لأول مرة على يد الحملة الفرنسية كان حدثا حضاريا خطيرا . وقد اتخذت منها سلطات الحملة اداة تصطنع عن طريقها وسائل « اتصال » متشعبة الأغراض . وكان « النشر » عن طريق هذه المطبعة فى حد ذاته تحقيقا لمبدأ اعلامى جديد على الحياة المصرية التى لم تعرف قبله سوى وسائل الاعلام البدائية ، مثل منابر المساجد و « المنادى » الذى يجوب الطرق . ومن هنا كان لابد ، لـكى يقوم البحث على أساس سليم ، من الرجوع الى المنشورات نفسـها فى طبعاتها الأصيلة ، ثم الاطلاع كذلك على ما أصدرته الحملة من مطبوعات عربية وفرنسية أخرى ، فضلا عن اعداد صحيفتيها « لوكوربيه » و « لاديكاد » ، وذلك لاستجلاء معالم السياسة الاعلامية للحملة ، حتى يمكن فى ضوئها تحقيق رؤية أوضح لطبيعة المنشورات وقيمتها .

أما من حيث المنشورات فان التنقيب فى المكتبات العامة والخاصة فى مصر لم يسفر الا عن العثور على عدد قليل من طبعاتها الفرنسية ، مع منشـورين عربيين اثنين ، مما ضمته دار الوثائق القومية الى محفوظاتها من مكتبة قصر عابدين .

غير ان الظروف أتاحت لى أن اقوم برحلة دراسية الى باريس فى صيف عام ١٩٧١ . وهناك وفقت بعد مشقة الى العثور على مجموعة هائلة من المنشورات العربية ونظائرها الفرنسية ، فضلا عن بعض مسوداتها المخطوطة ، فى عدد من دور المحفوظات الرسمية ، وأخصها قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية والمكتبة القومية ، فقمت بتصويرها جميعا . وأتبعت ذلك برحلة الى لندن ، حيث عثرت فى مكتبة المتحف البريطانى على عدد آخر من المنشورات ، فحصلت كذلك على صورها .

ولا شك ان طبيعة المنشورات ، من حيث انها صحائف متفرقة تصدر فى غير انتظام ، كانت وراء قلة العناية بجمعها وحفظها من ناحية ، وضياع بعضها من ناحية أخرى . ولولا اهتمام سلطات الحملة بضم ما توافر لديها من هذه المنشورات الى وثائقها المختلفة التى حرصت على الخروج بها من مصر ، ولولا اهتمام السلطات الفرنسية بعد ذلك بجمع ما تناثر فى حوزة الأفراد من هذه المنشورات وغيرها وضمه الى مكتبات الدولة ومتاحفها ، لما أمكن أن أعثر منها الا على النزر اليسير الذى لا يغنى فتيلا .

واما من حيث المطبوعات الأخرى فقد كان الأمر اقل عسرا ، اذ تمكنت بعد شىء من الجهد من العثور على عدد من أهم هذه المطبوعات فى دار الكتب المصرية والمكتبة القومية بباريس . وقمت بعد الاطلاع عليها بتصوير ما احتاج اليه البحث من صفحاتها .

وأما صحيفتا الحملة الفرنسيتان فقد كان أمرهما أيسر كثيرا ، اذ أن كلا من دار الكتب المصرية والمكتبة القومية بباريس تحتفظ بمجموعتين كاملتين من صحيفة « لوكورييه » فضلا عما تناثر من أعدادها فى بعض المكتبات الأخرى . وكذلك فان احدى دور النشر اللبنانية أعادت مؤخرا — بالتصوير — نشر المجلدات الثلاثة لصحيفة « لاديكاد » ، فوفرت بهذا على الباحث جهد الاطلاع على المجموعة الأصلية حيثما وجدت ، فى القاهرة أو باريس أو لندن أو غيرها .

وهكذا تجمعت بين يدى مختلف عناصر البحث ومصادره الأساسية ، فعكفت على دراستها واستكناه دلالاتها . وكان من الطبيعى أن يتم ذلك فى اطار من خلفية عريضة لتاريخ الحملة الفرنسية ذاتها ، أعان على توافرها تنوع المراجع لهذا التاريخ وتعددها فى مكتباتنا المختلفة ، بالفرنسية والانجليزية والعربية .

ولقد أسفر البحث ، بهذه المقومات ، عن عدة نتائج :

● فقد أجاب بوضوح عن السؤال الذى استهل به هـذا الحديث ، اذ حدد البداية الفعلية للصحافة العربية فى مصر ، بظهور تلك المنشورات المطبوعة التى أصدرتها سلطات الحملة لتؤدى وظيفة الصحيفة الرسمية للدولة .

● وأوضح أن هذه المنشورات لم تكن ظاهرة متفردة أو منعزلة ، وانما كانت جزءا من خطة اعلامية متكاملة ، تعددت أطرافها وقنواتها . فالى جانب الاتصال المباشر ـ بوسيلة حديثة ـ بين حكومة الحملة وأفراد الشعب المصرى ، استهدفت تلك الخطة كذلك أن يطلع جنود الحملة وأبناء الجاليات الأجنبية على مضمون الرسائل الاعلامية التى يتلقاها المصريون . وذلك اما باصدار طبعة فرنسية منفصلة من المنشورات العربية ، واما بأن تصدر هذه المنشورات مزدوجة اللغة . وتضمنت هذه الخطة كذلك استخدام المطابع فى اصدار « الأوامر اليومية » للجنود ، فضلا عن صحيفتهم الخاصة « لوكوربيه » . أما علماء الحملة الذين كانوا من أركانها الأساسية ، فقد صدرت لهم دورية « لاديكاد » .

ثم ان الدراسة التحليلية لمنشورات الحملة العربية قد كشفت عن عدة حقائق لا تقتصر على مجال الصحافة أو الاعلام وحده ، وانما تجاوزه الى المجال التاريخى البحت :

● فهى من ناحية قد أبرزت كل ما يتصل بسياسة اصدار المنشورات ، ومضمونها ولغتها ، وتحريرها ، واخراجها ، ودور المصريين وغيرهم فى هذا الصدد .

● وهى من ناحية أخرى ، شأنها فى ذلك شأن الصحف بعامة ، قد عكست صورة صادقة لعصرها ، فأوضحت سياسة كل من قواد الحملة الثلاثة تجاه المصريين ، وألقت الضوء على نشاط الادارة الفرنسية ومشروعاتها ، وجلت من الحقائق مالم تتضمنه المراجع التاريخية عن ذلك العهد .

وعلى هذا الأساس ينقسم الكتاب الى ستة أبواب . يتحدث الأول منها عن الحملة والجهاز الطباعى الكبير الذى اصطحبته معها ، وكان دعامة أساسية من دعاماتها . أما الباب الثانى فيتناول الخطة الاعلامية للحملة ، وهو يضم أربعة فصول يختص كل منها بأعلام فئة

من الفئات التي استهدفتهـــا تلك الخطة ، وهى : الشـــعب المصرى • وجنود الحملة ، وعلماؤها ، والمستوطنون الأجانب .

ويتركز الحديث فى الأبواب الأربعة الباقية على المنشـــورات العربية : فيوضح الباب الثالث مهمة هذه المنشورات من حيث هى وسيلة اعلام حـديثة كاملة المقومات • ويناقش الباب الرابع الدور الدعائى لها • وهو ينقسم الى اربعة فصول تتناول على الترتيب : الفكرة الاسلامية ، والفكرة الوطنية ، ومحاولات الوعد والوعيد ، ثم معركة الدعاية بين الحملة وأعدائها . اما الباب الخـــامس فيحلل الوظيفة الاخبـــارية للمنشورات . ثم يتناول الباب السادس والأخير ، فى فصـــلين ، الخصائص الفنية للمنشورات من ناحيتى التحرير والاخراج .

وفى اطار هذا المنهج الذى قسم البحث على اســـاسه تقسيما موضوعيا ، يتدرج عرض المادة فيه من التعميم الى التخصيص ، عولج كل موضـــوع حسب الترتيب الزمنى الذى يتبع تعـــاقب قواد الحملة الثلاثة : بونابرت ، وكليبر ، ومنو .

ولا شك انى افدت فى مرحلة التمهيد لكتابة البحث ، وفى أثناء اعداده ، قبل الاستعانة بالوثائق الأصلية ، من كل ما كتب عن الحملة الفرنســـية فى مصر بوجه عام ، ومن الدراسات التى اتصلت من قريب او بعيد بنشاط الحملة الاعلامى بوجه خاص .

ومن واجبى ، وقد وفقت الى اتمام البحث وعرضـــه فى هـــذه الصـــورة أن أنوه بفضل من هيأوا لى بعونهم سـلوك دربه الشـــاق • وأخص بالذكر رجال القنصلية الفرنسية والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، الذين أتاحوا لى الاطلاع على بعض المراجع النادرة ، كما زودونى بعديد من التوصيات القيمة عند ارتحالى الى فرنسا . واذكر كذلك الخـدمات الثمينة التى قدمها لى المســـئولون فى متاحف باريس ومكتباتها ودور المحفوظات بها ، وفى المتحف البريطانى بلندن ، وفى دار الكتب المصرية ، ودار الوثائق القومية بالقاهرة .

ولا يفوتنى كذلك أن أشكر المسئولين فى الهيئة المصرية للكتاب ، وفى مطابعها الثقافية ، على ما أولوه للكتاب من رعاية ، وما بذلوه فى طبعه واخراجه من عناية .

وانى اذ أقدم ثمرة ذلك الجهـد الى المعنيين بالدراسات الاعـلامية والتاريخية ، لأرجو ان أكون قد اضفت به جديدا الى مكتبتنا العربية فى هذين المجالين ، وجلوت صورة لجانب من جوانب عهد كانت له - على قصره - آثار بعيدة فى حياة مصر الحديثة ٠

وبالله التوفيق ؟

يونيو ١٩٧٤

د ٠ احمد حسين الصاوى
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

الباب الأول

الحملة الفرنسية والمطبعة

أجمع المؤرخون ــ وبحق ــ على أن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة الجنرال بونابرت قرب نهاية القرن الثامن عشر ، هى الحد الفاصل ونقطة التحول الفعلية الواضحة بين مصر العصور الوسطى ومصر الحديثة ٠

ومع قصر عهد الحكم الفرنسى لمصر ، الذى لم يزد كثيرا على ثلاث سنوات (١) ، ومع أن الحملة قد فشلت فى تحقيق أهدافها الاستعمارية التى حلم بها رجال مثل مجالون(٢) ودى شوازيل(٣) وتاليران(٤) ، وتحمس لها بونابرت نفسه ووضع خطتها ، وأيدتها حكومة الادارة (الديركتوار) ، فلا ريب أن الحملة كانت لها فى حد ذاتها نتائج أخرى بعيدة المدى قوية الأثر فى حياة مصر نفسها ٠

---

(١) من ٢ يوليو ١٧٩٨ حتى ١٨ أكتوبر ١٨٠١ ٠

(٢) شارل مجالون (Charles Magallon) ٠ وهو تاجر فرنسى أقام بمصر أكثر من عشرين عاما ، وكان يشرف على مصالح مواطنيه فى القاهرة بعد انتقال القنصلية الفرنسية الى الاسكندرية عام ١٧٧٧ ، ثم أصبح قنصلا عاما لبلاده عام ١٧٩٣ . وقد ردد مجالون فى رسائله الى المسئولين فى فرنسا الشكوى من سوء معاملة المماليك للتجار الفرنسيين ، وعدد مزايا الاستيلاء على مصر والسيطرة على البحر الأحمر ، وأكد أهمية موقع البلاد الجغرافى وتجارتها ومنتجاتها .

(٣) دوق دى شوازيل (Choiseul) وزير خارجية فرنسا (١٧٥٧ ــ ١٧٧٠) ٠ بذل جهدا كبيرا فى احياء البحرية الفرنسية وتقويتها ، وفى اعادة بناء صرح الامبراطورية الفرنسية التى انهارت فى صلح باريس عام ١٧٦٣ ٠ وكان ممن فكروا فى انشاء مستعمرة فرنسية بمصر ٠

(٤) شارل موريس دى تاليران ــ بيريجور (Talleyrand-Berigord) ٠ هاجر من فرنسا فى أثناء الثورة وعاش طويلا فى انجلترا والولايات الأمريكية ، ثم عاد الى وطنه عام ١٧٩٦ ٠ انضم لعضوية المجمع العلمى الفرنسى عام ١٧٩٧ ، وهناك قدم بحثين حبذ فيهما انشاء مستعمرة فرنسية فى مصر ٠ تولى وزارة الخارجية فى حكومة الادارة فى العام نفسه ، فواتته الفرصة لتحقيق فكرته .

لقد أراد القائد الفرنسى الشاب ، ومن ورائه حكومة الادارة ، أن يجعل من حملته أداة فعالة لتحقيق فكرة انشاء مستعمرة فرنسية فى مصر ، تكون نواة لامبراطورية فرنسية جديدة فى الشرق ، بعد أن فقدت فرنسا معظم مستعمراتها القديمة ، وبخاصة فى نصف الكرة الغربى (١) • ومن هنا كان تزويد الحملة بكل ما يساعدها على تحقيق هذا الأمل الكبير •

فالى جانب جيش كبير جيد التسليح يتكون من نحو خمسين ألف جندى وبحار ، ويحمله أسطول من نحو اربعمائة سفينة ، صحب الحملة نخبة كبيرة من علماء فرنسا وباحثيها وخبرائها فى مختلف مجالات التخصص ، عدا مئات من الاداريين والعاملين المدنيين •

غير أنه مما يلفت النظر حقا فى مرحلة الاعداد لهذه الحملة أن يعمل بونابرت على تزويدها بجهاز طباعى كبير ، وأن يشرف بنفسه ، وفى اهتمام شديد ، على استكمال هذا الجهاز لكل ما يلزمه من رجال ومعدات• ووثائق العصر ومراجعه تحفل بالشواهد على العناية الخاصة التى أولاها بونابرت لمطابع الحملة ، منذ مرحلة الاعداد لها ، وفى أثناء تحركها الى الشواطىء المصرية ، ثم طيلة المدة التى قضاها على رأسها بمصر • وكان لكل ما يتصل بالطباعة العربية بالذات النصيب الأوفى من هذه العناية •

اتخذت حكومة الادارة فى ٢٦ فنتوز من السنة السادسة للجمهورية (٢) (١٦ مارس عام ١٧٩٨) قرارا بتعبئة كل المعدات الطباعية

---

(١) كانت فكرة انشاء مستعمرة جديدة فى « الشرق » تراود كثيرا من الفرنسيين ، منذ ان أسفرت حروب فرنسا الاستعمارية والأوربية الطويلة قبل الثورة عن فقد الشطر الأكبر من المستعمرات الفرنسية ، فى صلحى أوترخت عام ١٧١٣ وباريس عام ١٧٦٣ • وبخاصة فى أمريكا الشمالية . ومنذ الفترة السابقة على انفجار الثورة الفرنسية سادت الأفكار التى تنتقد النظام الاستعمارى القديم ، وتدعو فى الوقت نفسه الى « استعمار جديد » دعامته العمل الحر وعدم استخدام الرقيق .

ولم تلبث أنظار الفرنسيين أن اتجهت بشكل نهائى نحو «الشرق» بعد أن تبين لهم فى السنوات القليلة التى سبقت ارسال حملة بونابرت على مصر أن ممتلكاتهم فى جزر الهند الغربية توشك أن تفلت من أيديهم نتيجة لانتشار الأفكار التحررية وازدياد النفوذ الأمريكى الناشىء بين سكانها •

(٢) يبدأ التقويم الجمهورى (للثورة الفرنسية) فى ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٢ ، غداة اليوم الذى قررت فيه الجمعية الوطنية الغاء الملكية فى فرنسا . وفيه تنقسم السنة الى اثنى عشر شهرا فى كل منها ثلاثون يوما ، وهى :

Vendémiaire, Brumaire, Frimaire, Nivose, Pluviôse, Ventôse, Germinal, Floréal, Prairial, Messidor, Thermidor, Fructidor

ويلحق بنهاية الشهر الثانى عشر تكملة (complément) ، وهى أيام « نسىء » مدتها خمسة أيام للسنة البسيطة وستة للكبيسة .

التى يحتاج اليها بونابرت فى حملته المزمعة على مصر ، وكذلك كل حروف الطباعة العربية واليونانية التى توجد بمطبعة الدولة ، فضلا عما يكفى من الحروف الفرنسية (١) · ولكن لما انقضت عشرة أيام على هذا القرار دون تنفيذ ضجر بونابرت ، فكتب يشكو في لهجة حادة الى وزير الداخلية بطء الاجراءات ، ويقول له «ان مدير المطبعة والمواطن لانجليس(٢) أظهرا أسوأ النوايا» ، ويرجوه أن يصدر أمره بشحن جميع الحروف العربية ، دون قوالبها (أمهاتها) التى توجد بتلك المطبعة · ثم يطلب من الوزير كذلك اصدار أمره بشحن الحروف اليونانية التى كانت مطبعة الدولة وقتئذ تستخدمها في طبع أعمال زينوفون (Xénophon) (٣) ، ويقول ساخرا «انه ليس هناك ضير فى أن ينتظر زينوفون ثلاثة أشهر حتى يتم سبك حروف جديدة ، ما دامت الأمهات ستبقى بالمطبعة » · وأخيرا يطلب منه شحن حروف فرنسية من الأحجام المعتادة تكفى لاستخدامها على ثلاث طابعات » (٤) ·

ويبدو ان بونابرت كان يخشى ألا تفى الطابعات والحروف التى طلبها من حكومة باريس بالغرض . وبخاصة فيما يتصل بالطباعة العربية، فكتب الى العالم مونج (٥) فى ٥ مارس ١٧٩٨ ـ وكان فى روما بوصفه عضوا بلجنة فحص التحف والآثار المرافقة للجيش الفرنسى ـ يطلب اليه

---

(١) Canivet, R.G., « L'Imprimerie de l'Expédition Française », **Bulletin de l'Institut Egyptien**, 5ème série, Tome III, 1909, p. 2.

(٢) (Langlès) · وهو مستشرق فرنسى (١٧٦٣ ـ ١٨٢٤) ، ساهم فى العمل بمدرسة اللغات الشرقية بباريس · وكان يجيد عدة لغات شرقية ، منها العربية والفارسية والتركية ، وله مؤلفات وتراجم قيمة · كان وقت الاعداد للحملة يعمل أمينا بالمكتبة القومية بباريس ، وقد رفض فى اصرار مصاحبة الحملة الى مصر. ولما كان بونابرت يحتاج الى مستشرق قدير يصاحب حملتها ، فقد ضايقه هذا الرفض ، ولكنه فى النهاية اختار فانتور (Vanture) بدلا من لانجليس ، بالاضافة الى مستشرقين آخرين مثل مارسيل (Marcel) ·

(٣) مؤرخ وفيلسوف وقائد اثينى من تلاميذ سقراط (نحو ٤٢٧ ـ ٣٥٥ق٠م٠) ·

(٤) **Correspondance de Napoléon** 1er, publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III, Paris, 1858-70, Vol. IV, doc. 2452.

وقد أورد كانيفيه (Canivet, op. cit., p. 3.) نص هذه الرسالة كاملا ·

(٥) هو جاسبار مونج (Gaspard Monge) أكبر علماء الرياضيات بفرنسا فى عصره ، وأحد مؤسسى مدرسة الهندسة بباريس ، وعضو المجمع العلمى الفرنسى · درس عليه بونابرت فى المدرسة الحربية ، وكان موضع اجلاله · وقد =

أن يعد للحملة مجموعات من حروف الطبـــاعة العربية وعددا من صفافى الحروف والطابعين والمترجمين وغيرهم ، كما دعاه للانضمام الى الحملة (١)٠ وقد رد مونج فى ١٥ مارس بأنه سوف يستولى من مطابع « جمعية نشر الدعوة الدينية » بروما على ثلاث طابعات مع معــــداتها ، وانه سيضم لها أطقم حروف لاتينية وعربية وسريانية ٠ وكذلك أعلن انه اختـــار بعض المترجمين والفنيين والعمال (٢) ٠

وقد تبادل بونابرت بعد ذلك عددا من الرســائل مع مونج لاقناعه بمصــاحبة الحملة ، بعد أن اعتـــذر بتقدمه فى السن وبكثرة واجباته فى باريس ٠ وكان بونابرت لايفتأ فى هذه الرسائل يذكره بالمعدات المطبعية٠ ففى ١٣ جرمينال عام ٦ ج (٢ أبريل ١٧٩٨) كتب القائد الفرنسى الشاب الى العالم الكهل يقول : «اننى أعتمد على المطبعة العربية لجمعية نشر الدعوة الدينية وعليك ٠٠ فهل أصعد فى نهر التيبر لأصحبك ؟» (٣) وبعد ثلاثة أيام كتب بونابرت اليه مرة أخرى يقول : «اننى أوصيك بالمطبعة العربية بخاصة» (٤) ٠

والى جانب ذلك كله أصـــدر بونابرت أمرا الى كافاريللى (٥) فى

= صحبه فى حملته على مصر حيث اختير رئيسا للمجمع العلمى ٠ ولما عاد الى فرنسا بذل جهدا كبيرا فى جمع بحوث علماء الحملة الفرنسية على مصر ٠ وفى عهد الامبراطورية منحه نابليون لقب « كونت » وعينه بمجلس الشيوخ (١٧٤٦ — ١٨١٨) ٠

(١) Christopher Herold, Bonaparte in Egypt, London, 1963, p. 29.
ولهذا الكتاب ترجمة عربية بقلم الأستاذ فؤاد اندراوس ، بعنوان « بونابرت فى مصر » ، القاهرة ، ١٩٦٧ ٠

(٢) Charles-Roux, F., Bonaparte, Gouverneur d'Egypte, Paris, 1936. pp. 12-3.
وجمعية نشر الدعوة الدينية (Congrégation de la Propagande) أنشأها المجمع المقدس بالفاتيكان ، وكانت مهمتها ترجمة الكتاب المقدس وطبعه بكل اللغات .

(٣) مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، وثيقة رقم ٢٤٧١ ٠

(٤) مراسلات نابليون ، جـ ٤ ، وثيقة رقم ٢٤٧٩ ٠

(٥) هو الجنرال ماكسيمليان كافاريللى دىفالجا (Maximilien Caffarelli de Falga) من أسرة فرنسية نبيلة ٠ حارب فى الحملة الايطالية وفقد احدى ســاقيه ٠ عهد اليه بونابرت قبل ابحار حملته على مصر بالاشراف على اعداد الأدوات والكتب التى كانت الحملة فى حاجة اليها ، ثم اختاره رئيسا لفرقة المهندسين فى الجيش وعضوا بالمجمع العلمى =

٢١ فلوريال عام ٦ ج (١٠ مايو سنة ١٧٩٨) ، أى قبل اقلاع الحملة بتسعة أيام ، بأن يشترى أدوات ومعدات لمطابع الحملة ، وقد كلفه ذلك أكثر من عشرة آلاف فرنك (١) ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الوقت .

أصدر بونابرت قبل قيام الحملة القرارات التنظيمية الخاصة بموظفى المطابع وعمالها . وقد حرص على أن يختار للاشراف عليها شخصية ممتازة، جمع صاحبها بين الخبرة الطباعية والصحفية وبين اجادة اللغة العربية بالذات ، مما يجعل لهذا الاختيار دلالته الخاصة ، هو المستشرق العلامة مارسيل الذى ساهم فى نشاط الحملة الطباعى والاعلامى والعلمى بنصيب كبير (٢) .

واهتم بونابرت كذلك بأن يكون من بين من عينهم للعمل بمطابع الحملة بعض أبناء الأقطار « الشرقية » (٣) ، وممن درسوا اللغة العربية

= المصرى . وقد أشار اليه الجبرتى كثيرا فى يومياته عن عهد الحملة الفرنسية ، وكان يقول ان العامة تسميه أبا خشبة بسبب ساقه الخشبية . قال عنه مرة « ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى الأزبكية كفرلى المسمى بأبى خشبة وهو يمشى بها بدون معين ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة .. » : **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ ، جـ ٣ ، ص ٣٠ . أنظر :

Canivet, « L'Expédition d'Egypte », **La Revue Internationale d'Egypte**, 1906, p. 9.

(١) **Ibid.**, p. 3.

(٢) هو جان جوزيف مارسيل (J.J. Marcel) تتلمذ على مونج بمدرسة المعلمين العليا بباريس ، ثم درس بمدرسة اللغات الشرقية على لانجليس وفانتور وسلفستر دى ساسى (Silvestre de Sacy) واجاد العربية والتركية والفارسية وغيرها . رأس فى صدر شبابه تحرير صحيفة مدارس المعلمين (Le Journal des Ecoles Normales) وقد جمع بيده حروف المنشور العربى الاول لبونابرت على البارجه «لوريان» ، واختير عضوا بالمجمع العلمى المصرى . والى جانب اشرافه على مطابع الحملة نشر فى مصر عدة بحوث ، منها كتب فى تعليم العربية الفصحى والعامية ونماذج مختلفه من الاداب العربية . وبعد عودته الى فرنسا اشترك فى تحرير العمل الضخم «وصف مصر» وكتاب «التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية على مصر» . وفى أواخر أيامه عين مارسيل مديرا عاما لمطابع الدولة ومنح وسام فرقة الشرف . راجع المقال الذى كتب فى تأبينه :

M. Belin, « Notice Nécrologique et Littéraire sur M.J.J. Marcel, « **Journal Asiatique** », 5e Série, Tome III, 1854.

(٣) الياس فتح الله من مدينة دبار بكر (الكردية) ، مترجم ورئيس العاملين بالقسم العربى للمطابع ، ويوسف مسابكى من دمشق . انظر : جرجى زيدان ، **تاريخ آداب اللغة العربية** ، القاهرة ١٩٥٧ ، جـ ٤ ، ص ٤٦ .

بروما أو بمدرسة اللغات الشرقية بباريس (١) ٠

ولم يكتف بونابرت بأن تسافر حملته مجهزة — مع أسلحتها وعلمائها — بهذه العدة الطباعية الرسمية الضخمة التى جمع وحداتها وأدواتها من باريس وروما ، والتى اختار للاشراف عليها والعمل بها نخبة من الرجال ، وانما رحب كذلك بأن يصحب الحملة طابع مستقل بمعداته الخاصة ، هو مارك اوريل الذى كان لبونابرت به معرفة سابقة . بل وشجعه بأن منحه لقب «طابع جيش الشرق»(٢) ٠ وبالفعل ساهمت مطبعة مارك أوريل بجهد ملحوظ فى النشاط الاعلامى للحملة ، كما سنرى ٠

وبلغ من اهتمام بونابرت بمطابع الحملة الرسمية أن أمر بنقلها على البارجة لوريان (L'Orient) التى عقد لها لواء قيادة الحملة ، والتى أبحر عليها بونابرت نفسه ٠ ولا شك انه كان يبغى من وراء ذلك أن تبقى المطابع قريبة منه ، بحيث تستطيع أن تمارس نشاطها فى أى وقت يشاء قبل النزول الى الشواطىء المصرية ٠ وقد حدث بالفعل أن كتب بونابرت منشوره الأول الى الشعب المصرى ، وترجم المنشور الى العربية وطبع فى البحر ، بل وبدأ توزيعه من هناك ، قبل أن تطأ أقدام الفرنسيين الأراضى المصرية (٣) ٠ وكذلك قامت هذه المطابع ، ومطبعة مارك أوريل (٤) ، فى أثناء الرحلة بطبع بعض المنشورات الفرنسية التى وزعت على جنود الحملة قبل وصولها الى الاسكندرية ببضعة أيام ٠

---

(١) مثل دلابورت (De Laporte) الفرنسى وجوفانى رينو (G. Rino) وكاميللوريجا (C. Riga) الايطاليين ٠ انظر : Canivet, op. cit., p. 4.

(٢) هو جوزيف ايمانويل مارك أوريل (J. Emmanuel Marc Aurel) ابن بيير مارك أوريل الذى كان طابعا وناشرا وصاحب مكتبة بمدينة فالنس على نهر الرون (Valence-sur-Rhône) ٠ وقد تعرف بونابرت بهما فى أثناء عمله ضابطا بثكنات هذه المدينة ٠ وفى عام ١٧٩٣ عين بونابرت صديقه الشاب جوزيف طابعا لحملة طولون انظر :

Geisse, A., « Histoire de l'Imprimerie en Egypt », **Bulletin de l'Institut Egyptien**, 5e série, Tome I, 1907, p. 142 ; Charles-Roux, op. cit., pp. 138-40.

(٣) يذكر كريستوفر هيرولد (op. cit., p. 60) انه بينما كان الأسطول الفرنسى لا يزال أمام الاسكندرية ، ارسل قائد سفينة عثمانية أحد ضباطه بهدية الى البارجة « لوريان » ليستوضح جلية الأمر ، وهناك أعطوه نسخة من المنشور العربى الأول الموجه الى أهل مصر ٠ ولما كان الضابط لا يعرف العربية ، فقد ترجم له المستشرق فانتور عبارات المنشور الى التركية ، فطلب مزيدا من النسخ لتوزيعها . ثم قفل راجعا بخطاب من بونابرت الى قائده .

(٤) كانت هذه المطبعة على ظهر الفرقاطة « جوستيس » (Justice) كما ذكر عدد من المؤرخين .

بعد اتمام احتلال الاسكندرية ، وقبل الزحف منها الى القاهرة، كان بونابرت حريصا على أن تعد مطـــابع الحملة بحيث تؤدى عملها فى أسرع وقت • ومن أجل ذلك أصدر أمرا يوميا من ثلاث مواد فى ١٩ مسيدور عام ٦ ج (٧ يوليو ١٧٩٨) ، وهو اليوم الذى غادر فى مسائه الاسكندرية مع أركان حربه ليلحق بالفرق الزاحفة الى القاهرة • وينص هذا الامر على أن قيادة الجيس ستترك بالاسكندرية ضابطا مسئولا يشرف على انزال المطابع الى البر ، وأن هذه المطابع سوف تقام فى منزل قنصل البندقية ، بحيث تستطيع أن تطبع فى خلال ثمـــان وأربعين ســاعة بالفرنسية أو العربية كل ما قد ترسله اليها القيادة العامة ، فى أثناء الزحف على القاهرة وبعـــده • وينص الامر كذلك على انه بمجرد تهيئة المطبعة العربية للعمل تقوم بطبع أربعة آلاف نسخة أخرى من المنشور العربى الاول ، الذى سبق طبعه فى عرض البحر(١) •

تابع بونابرت اهتمامه بمطابع الحملة من القاهرة • فما أن استتب له الامر هناك حتى أخذ يبعث برسائله ، منذ ٢٧ يوليو ١٧٩٨ ، الى كل من كليبر (Kléber) قائد حامية الاسكندرية ، ومنو (Menou) حاكم رشيد ، وبرتييه (Berthier) رئيس أركان حرب جيش الحملة (وكان بالاسكندرية) ، يطلب العمل على نقل مطابع الحملة الى القاهرة • وكانت هذه المطابع عندئذ تؤدى عملها فى اصدار المطبوعات الفرنســية والعربية باشراف مارسيل ، بينما كانت مطبعة مارك اوريل الخــاصة قــد نقلت بالفعل الى القاهرة وأخذت تمـــارس نشـــاطها فى خدمة الحملة بنشر المطبوعات الفرنسية وحدها ، اذ لم تكن هذه المطبعة تملك حروفا عربية •

ومن لهجة رسائل بونابرت فى هذا الصدد يتضح مدى تلهفه على أن تكون المطابع الرسمية للحملة ، وبخاصة القسم العربى منها ، قريبة منه فى القاهرة(٢) •

ومن المؤكد ان عدة مطبوعات عربية قــد صــدرت فى تلك الايام من الاسكندرية • فهناك منشورات محلية صــدرت فى الاشـــهر الاولى لعهد الحمــلة ذيلت بالعبــارة العربية « فى اســـكندرية من مطبعة الشرقية والفرانساوية » ، أو العبارة الفرنسية :

« de l'Imprimerie Orientale et Française d'Alexandrie »

---

(١) Charles-Roux, op. cit., p. 140.

(٢) راجع : **مراسلات نابليون** ، جـ ٤ ، الوثائق ٢٨٥٣ ، ٢٨٦٤ ، ٣١١٣ ، جـ ٥ ، وثيقة ٣٦٦٩ • انظر كذلك : Charles-Roux, op. cit., pp. 143-4.

وتضـــم قائمة مطبـوعات الحملة التى أوردها « جيس » كذلك (١) عناوين بعض الكتيبات التى صدرت فى ذلك الوقت بالاســكندرية خاصة بمن يتعلمون العربية من الفرنسيين ٠

وتشير بعض مكاتبات بونابرت من القـاهرة وقتئذ الى اعتماده على مطابع الحملة بالاسكندرية فى اصدار بعض ما يريد من منشورات تتصل بسياسة الحكومة المركزية للحملة ٠ فقد أرسل الى كليبر فى الثغر العدد الأول من صحيفة « لوكوربيه دى ليجبت » الفرنسية (٢) فى يوم صدوره (٢٩ أغسطس ١٧٩٨) ، ومعه كتــاب طلب منه فيه أن يترجم الى العربية المقال المنشور بالصحيفة عن الاحتفالات التى أقيمت فى القاهرة بمناسبة المولد النبوى ، ويـــوزع الترجمة فى بلاد المشرق ، وأن يرســل له منها أربعمائة نسخة (٣) ٠

وفى ٢٧ فروكتيدور عام ٦ج (١٣ سبتمبر ١٧٩٨) كتب بونابرت الى كليبر كذلك يقول : «تجد ٠٠٠ مرفقا بهذا نسخة من الكتاب الذى وجهه مشايخ القاهرة وكبراؤها الى شريف مكة ، فأرجو أن تطبعه وترسل لى منه ستمائة نســخة ، كما تعمل على ارسال أربعمائة نســخة أخرى لتوزع فى شرق البحر المتوسط » (٤) ٠

---

(1) Op. cit, pp. 146-50.

(٢) هى أول صحيفة تصدر فى مصر ٠ وقد أصدرتها قيادة الحملة الفرنســية بعد استقرارها فى القاهرة بنحو شهر ، وسيأتى الكلام عنها فى موضعه .

(٣) أشار معظم مؤرخى الحملة الفرنسية الى هذا الكتاب نقلا عن ((**مراسلات نابليون** » (ج ٤ ، وثيقة ٣١٧٦) ولكن لم يذكر أحد منهم ما اذا كان المنشور المطلوب قد طبع ووزع بالفعل ٠ وكذلك لم يعثر المؤلف ، ضمن ما عثر عليــه من مطبــوعات الحملة ، على هذا المنشور ٠ ويلاحظ أيضا أن الجبرتى لم يشر اليه ٠

(٤) أشار الجبرتى فى تاريخه (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ص ٢١) الى هــذا الكتاب وذكر مضمونه بايجاز وقال انهم «بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق» ٠ وكذلك أشارت مصادر فرنسية عدة الى الموضوع ، وفى مقدمتها صحيفة «لوكوربيه» (العدد الثانى، ٢ نسىء عام ٦ ج : ١٨ سبتمبر ١٧٩٨) ٠ غير أن هذه المصادر ذكرت أن تاريخ كتاب المشايخ هو ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول سبتمبر ١٧٩٨) بينما ذكره الجبرتى ضمن حوادث يوم ١٨ ربيع الثانى (٢٩ سبتمبر) ٠ ولاشك فى صحة التاريخ الذى ذكرته المصادر الفرنسية لاتفاقه تماما مع تاريخ تنصيب أمير الحج الجديد ، وقد كان ذلك الموضوع من أهم ما تضمنه كتاب العلماء (انظر الجبرتى ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ص ١٦) ولكن يبدو أن الجبرتى لم يعلم بأمر كتاب العلماء وبالتالى لم يشر اليه الا بعد أن كان قد أرسل فعلا الى الاسكندرية ، حيث طبع وأعيد الى القاهرة على شكل منشور . فالفارق الزمنى بين التاريخين يمكن أن يفسر هــذا الاختلاف ٠ وسنتعرض لهــذا المنشــور مرة أخرى فيما بعد .

ولا شك ان ارسال أصول المنشورات العربية من القيادة العامة فى القاهرة لطبعها فى الاسكندرية ، ثم توزيعها من هناك ، كان أمرا غير عملى. هذا الى ان بونابرت لم يكن راضيا عن جهود مارك أوريل ، بسبب كثرة الأخطاء الطباعية فى الصحيفتين الفرنسيين ، وبخاصة فى « لادبكاد اجبسيين » (١) .

لم يشأ بونابرت أن يظل نشاط الحملة فى مجال النشر موزعا بين مطبعة مارك اوريل الخاصة ومطابعها الرسمية ، بعد أن تم نقل معظم وحدات هذه الاخيرة الى القاهرة ، بل أراد أن يتركز ذلك النشاط فى المطابع الرسمية وحدها ، وأن تكون مطبوعاتها تحت رقابة مباشرة من بعض معاونيه الأكفاء .

وكانت المطابع الرسمية ومعداتها قد وصلت الى القاهرة تباعا عن طريق النيل فى خلال شهر أكتوبر ١٧٩٨ (٢) . وبعد وصول مديرها مارسيل وعمالها مع الحروف المختلفة ، بدأ اعدادها للعمل . وظهر لهذه المطابع — كما سنرى — انتاج فرنسى وعربى منذ أوائل شهر نوفمبر التالى . وليس صحيحا ما ذكره الدكتور ابراهيم عبده (٣) من أن المطبعة الرسمية «لم تستطع تأدية وظيفتها (فى القاهرة) الا فى شهر يناير من سنة ١٧٩٩» . ويبدو ان بعض أدوات المطبعة تأخر ارساله من الاسكندرية ، مما حدا ببونابرت الى أن يكتب لمنو بتاريخ ٢٤ نوفمبر ليدبر فى الاسكندرية عددا من الجمال كى تنقل بعض الصناديق التى كانت ما تزال تنتظر شحنها فى النيل من رشيد (٤) .

وعلى أية حال ، فقد ساعد بونابرت على اتخاذ خطوته الحاسمة فى هذا الشأن انه لم يكن راضيا — كما ذكرنا — عن مستوى الطباعة فى الصحيفتين الفرنسيتين ، مما جعله يأمر بسحب امتياز طبع «لاديكاد» ثم «لوكورييه» من مطبعة صديقه (٥) ، وبتكليف مارسيل بأن يتولى أمرهما فى

---

(١) هى الدورية التى أصدرتها الحملة لعلمائها وسيأتى الكلام عنها فى حينه .

(٢) Charles-Roux, op. cit. p. 144.

(٣) تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسيه ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٤٠ .

(٤) مراسلات نابليون ، جـ ٥ وثيقة ٣٦٦٩ .

(٥) كان من أبرز الاخطاء المطبعية فى «لوكورييه» وقتئذ ان اسمها نفسه كتب بحرف «r» واحد بدلا من اثنين (Courier) .

مطابعه الرسمية (١) ومن هنا أصدر أمره المشهور فى ٢٥ نيفوز عام ٧ ج
(١٤ يناير ١٧٩٩) بتنظيم مطابع الحملة (٢) ٠

ويلفت النظر فى هـــذا الامر انه يتكون من ست مواد ، أربع منها تتعلق بالقسم العربى من المطابع٠وهى تنص على سبك خمسة صناديق(٣) جديدة للحروف العربية ، وعلى الحاق عدد من العمال «الشرقيين» بالمطبعة، فضــلا عن عدد آخر من الـــصبيان ليتعلموا صف الحروف ٠ غير ان أهم ما تضمنه هذا الامر هو تعيين المستشرق فانتور مراقبا للمطبعة العربية ، بحيث تخضع لاشرافه المباشر ولا يطبع فيها شىء الا بموافقته ، بينما عهد الى بوريين (Bourrienne) بمثل هذه المسئولية فى المطبعة الفرنسية ٠

***

ينضح من كل هذا ان بونابرت ــ فى حملته على مصر ــ كان ينظر الى المطبعة نظرة خاصة ، ويهتم بأمرها اهتــماما غير مألوف فى مثل هذه الحملات ٠ فمنذ اختراع المطبعة ــ وهو لا شك حدث حضــارى خطير ــ لم نســمع عن حمــلة حربية أو استعمارية واحدة أولت المطبعة كل هذا الاهتمام أو جعلت لها هذه الاهميـــة ٠ لقد انطلقت من مختلف الدول الاوربية عبر تاريخها الحديث عدة حملات وموجات استعمارية متعاقبة الى آسيا وافريقيا والامريكتين ٠ ولكن لم يسجل التاريخ لاحداها انها جعلت

---

(١) كتب بونابرت فـى هــذا الشــأن الى ديجنت (Désgenettes) كبير أطباء الحملة الذى كلف بالاشراف على طبع الصحيفة واخراجها فى أول الأمر : بما أن المواطن مارك أوريل لا يستطيع أن يطبع « لاديكاد » جيدا فيمكنك أن تعهد بها الى المواطن مارسيل ليطبعها فى المطبعة الرســمية ٠ وارجو أن توجه عنــايتك الى ضرورة ظهور الصحيفة بانتظام كل عشرة أيام ٠ انظر :

Périvier, A., Napoléon Journaliste, Paris, 1918, pp. 88-9.

وبعد أن وجد مارك أوريل مطبعته بلا عمل عرض على قيادة الحملة أن يبيعها آلات المطبعة وأدواتها جميعا ٠ وبالفعل تألفت لجنة لتثمينها ، ولكن عملية البيع لم تتم ولم يسافر مارك اوريل عائدا الى فرنسا الا فى عهد كليبر ثانى قواد الحملة ٠ انظر

Désgenettes, N.R.D., Souvenirs d'un médecin de l'Expédition d'Egypte, Paris, 1893, Tome 3, p. 17.

(٢) راجع النص الكامل للأمر معربا فى : ابراهيم عبـــده ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ٤٣ ــ ٤٤ **نقلا عن بعض المصادر الفرنسية المعروفة** ٠

(٣) يطلق مصطلح « الصندوق » على ما يشبه علبة كبيرة تصنع دون غطاء ، من الخشب التين او المعدن ٠ ويقسم الصندوق الى عيون مختلفــة الاتســـاع ، حتى تخصص العيون المتسعة لأكبر عدد من الحروف الكثيرة الاستخدام ، والعيون الاقل اتساعا للحروف الأقل استخداما ٠ وهذا الصندوق هو العدة الاساســية لعامل الجمع اليدوى فى المطابع ٠

المطبعة جزءا أساسيا من عدتها ، وجهازا رئيسيا يعمل فى خدمة أغراضها، كما فعلت الحملة الفرنسية ٠

ولكن ، لماذا فعل بونابرت ذلك ؟ وما هى الفكرة التى جعلته يهيىء للمطبعة فى حملته على مصر هذه المكانة ؟

من فحص انجازات مطابع الحملة ، ودراسة الاشارات المتناثرة فى رسائل بونابرت ومذكراته ومذكرات بعض أعوانه ، فضلا عما كتبه مؤرخو شخصيته الفذة من معاصريه وغيرهم ، نستطيع أن نقرر ان بونابرت عندما جهز حملته بهذا الجهاز الحضارى الخطير الاثر ، وعندما استمر ـ رغم مشاغله وما واجهته حملته من متاعب ـ يواليه دائما بعنايته ، كان يبغى تحقيق خطة اعلامية متعددة الجوانب ٠

ونستطيع أن نؤكد ان الأمر لم يكن أبدا مجرد اجراء «روتينى» عادى يوفر به قائد حملة عسكرية لجيشه أداة «ادارية» يستعين بها على اذاعة أوامر القيادة وقراراتها على الجنود ، كما هو الشأن فى الجيوش الحديثة :

ـ لقد دبر بونابرت حملته مستهدفا منها أن تكون «غزوا» أو «فتحا» لهذه البلاد ٠ وكان يحلم بأن ينشىء فى مصر مستعمرة فرنسية جديدة ذات طابع فريد ، تمتزج فيه حضارتها «الشرقية» العريقة بالحضارة الاوربية الحديثة عامة ومبادىء الثورة الفرنسية بوجه خاص ٠ ولتحقيق هذه السياسة كان لا بد من اعلام دعائى مدروس منظم ٠ والدعاية تعتمد ، أول ما تعتمد ، على النشر أو الاذاعة ٠ وليس أقوى من الكلمة المطبوعة فى ذلك الوقت وسيلة لنشر هذه الدعاية واذاعة رسائلها ٠ وكان لا بد ـ بطبيعة الحال ـ أن تكون هذه الوسيلة الدعائية بلغة من توجه اليهم ٠ ومن جهة أخرى فان جهاز الحكم الفرنسى يحتاج الى أداة حديثة تيسر نقل أوامر المسئولين وملاحظاتهم ، وتساعد بالتالى على دعم الادارة الجديدة وتثبيت سلطتها ٠ وليس أصلح من المطبعة فى ذلك الوقت لأداء هذه المهمة ٠ ومن هنا أصبح من الضرورى توفير المطبعة العربية والاهتمام بها وبكل ما يساعدها على تحقيق رسالتها من أدوات وحروف ، ومن محررين ومترجمين وفنيين وعمال ٠

ـ وكان المفروض أن يستقر الغزاة الفرنسيون فى مصر مستعمرين مقيمين ٠ فالحملة ، كما سبق القول، كانت محاولة لفتح استعمارى جديد، تحوطها أحلام المجد الزاهية ، وتصاحبها مشروعات بعيدة المدى ٠ ومصر اقليم يبعد عن فرنسا كثيرا ، ويختلف عن أوربا اختلافا كبيرا فى البيئة

والتقاليد وسائر مقومات الحياة . وفى هذه «المستعمرة» الجديدة ، سوف يقيم الجنود فى مناطق متفرقة تمتد على جانبى واد يبلغ طوله مئات الكيلومترات ، وسوف يصيبهم - ولا شك - الملل ، وسوف يشعرون بالحنين الى وطنهم . ولذلك يحتاج هؤلاء الجنود الى وسيلة اعلام ترفع روحهم المعنوية ، وتربط بينهم ، وتسليهم وتخفف من آلام غربتهم ، وتعرفهم بمعالم بيئتهم الجديدة . هذا فضلا عن الحاجة التقليدية الى نشر قرارات القيادة وأوامرها بين جنود الحملة أينما كانوا فى مختلف أرجاء البلاد . ومن هنا كان لا بد للحملة من مطبعة فرنسية تفى بهذه الاحتياجات .

- ولقد صحب «جيش الشرق» الى مصر عددكبير من العلماء والباحثين والفنيين ، الذين كونوا ما سمى بلجنة العلوم والفنون(١) . وكان هذا الفريق يمثل ركنا أساسيا من أركان حملة بونابرت ، ومنه أسس القائد الفرنسى الشاب بمجرد استقراره فى القاهرة المجمع العلمى المصرى (l'Institut d'Egypte) على غرار المجمع الفرنسى(٢) . وكان الهدف من استعانة قائد الحملة بهذه المجموعة الكبيرة من العلماء هو القيام بالدراسات التى تجلو صورة مصر ، وتكشف كل ما يتصل بها من حقائق ، وتقدم الى الهيئة الحاكمة من المعلومات الدقيقة المرتبة ما يساعدها على الاستقرار وارساء الأساس لبناء المستعمرة المنشودة . والمطبعة الفرنسية هنا ضرورة لتكون أداة يفيد منها علماء المجمع فى تسجيل نشاطهم ونشر بعض مايقومون به من بحوث ودراسات .

وقد دعم هذه الخطة الاعلامية المتعددة الجوانب ، التى كانت وراء

---

(١) بلغ عددهم أكثر من مائة وسبعين عالما وباحثا وفنانا وخبيرا متخصصا فى مختلف ميادين العلوم النظرية والتطبيقية . وهو عمل لم يسبق له نظير .

(٢) تنص لائحة المجمع (التى تتكون من ٢٦ مادة) فى مادتها الأولى ، على انه انشىء تحقيقا لهذه الأغراض : ١ - النهوض بالعلوم فى مصر ونشرها ٢ - بحث ودراسة ونشر المعلومات الطبيعية والصناعية والتاريخية عن مصر ٣ - ابداء الرأى فى مختلف المسائل التى تطلب فيها الحكومة المشورة . وقد انصرف علماء المجمع وباحثوه الى عملهم فى تفان واخلاص . وأثمرت جهودهم الجماعية السفر الخالد « وصف مصر » ، وهو يضم عشرة مجلدات من النصوص وأربعة عشر مجلدا من اللوحات ، تتضمن دراسات تفصيلية دقيقة فى الآثار والمساحه والجيولوجيا والحيوان والنبات والزراعة والجغرافيا وغيرها . وقد كان من بين أعضاء المجمع عدد من نوابغ المتخصصين فى ميادينهم النظرية والتطبيقية ببلادهم ، مثل الرياضى مونج (Monge) رئيس المجمع ، والمهندس ليبير (Lepère) ، والطبيب ديجنت (Désgenettes) .

تزويد الحملة بجهاز طباعى كبير ، ميل بونابرت الشخصى للصحافة ، وايمانه بأهميتها ، واهتمامه بأمرها . وقد نوه بذلك عدد من المؤرخين ، فقال فيل (Weill) (١) مؤرخ الصحافة الفرنسية : « كان نابليون يؤمن بقوة الصحافة ، وكان هذا الايمان يشغله دائما » . وكتب شارل رو (٢) ان نابليون بونابرت « أحب الصحافة دائما ، بشرط أن تكون رسمية » . أما بريفييه (Périvier) الذى خصص كتابا للحديث عن هذا الجانب فى حياة القائد الفرنسى ، فقال (٣) « اننا نجد شخصية الصحفى كامنة فى أعطاف قائد الحملة الفرنسية على مصر » .

وقد ظهر اهتمام بونابرت بالصحافة واضحا قبل الحملة المصرية، وخلال الفترة القصيرة التى تولى فيها قيادتها ، ثم بعد أن عاد الى فرنسا وأصبح قنصلا أول فامبراطورا (١٧٩٩ — ١٨١٥) .

فقد كان يكتب وهو بعد ضابط صغير بعض المقالات من حين لآخر فى صحف باريس(٤) . وفى أثناء وجوده على رأس الحملة الايطالية (١٧٩٦ — ١٧٩٨) أنشأ صحيفتين هما « La France vue de l'Armée d'Italie » (شكل ٢) (٥) و « Le Courrier de l'Armée » (شكل ٣) (٦) ، كما طبع عددا من المنشورات الموجهة الى الايطاليين . ولقد كان جوليان (Julien) رئيس تحرير صحيفة « لوكوريه دى لارميه » يكتب كثيرا من مقالاته بايعاز مباشر من بونابرت ، بل وأحيانا بناء على توجيهات محددة تتصل بأفكار المقالات ونقاطها (٧) . والى جانب ذلك كان بونابرت

---

(1) Weill, Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique, Paris, 1934, p. 129.

(٢) Op. cit., p. 144.

(٣) Op. cit., p. 79.

(٤) Ibid., p. 12.

(٥) كان المعتقد انه لم يتيسر للمؤرخين العثور على نسخ من هذه الصحيفة ، فقد أكد بريفييه ذلك فى كتابه « نابليون صحفيا » قائلا : « ان مادة هذه الصحيفة كان يمكن أن تحظى باهتمام بالغ ، فلا شك أنها كانت تحتوى على بذور الأفكار والخطط السياسية للقائد الذى أصبح فيما بعد قنصلا أول ثم امبراطورا لفرنسا . ولكن لسوء الحظ لم يمكن العثور على اعدادها ، ولم يستطع آتان (Hatin) مؤرخ الصحافة الفرنسية ان يجد منها واحدا » (ص ٦٧ — ٦٨) . غير أن المؤلف — لحسن الحظ — قد وفق الى العثور على بضع نسخ نادرة من هذه الصحيفة ضمن مجموعة أخرى من الصحف القديمة فى المكتبة القومية بباريس .

(٦) من محفوظات المكتبة القومية بباريس . ولهذه الصحيفة اسم بديل هو « Le Patriote Français à Milan ».

(٧) Périvier, op. cit., p. 67 ; Charles-Roux, op. cit., p. 144.

يبعث احيانا بعض المقالات من مقر قيادته فى ايطاليا لتنشر فى صحف باريس ، ردا على ما كانت تنشره صحف الملكيين هناك (١) .

وفى اثناء وجود بونابرت على رأس حملته بمصر ، كان شديد الاهتمام بصحيفتيها الفرنسيتين . وكثيرا ما كان يبدى بعض الملاحظات بشأنهما ، وبخاصة اذا ساءه شيء من اخطاء التحرير أو الطباعة . وقد سبق أن أشرنا الى سحبه لطبع هاتين الصحيفتين من مارك أوريل لهذا السبب .

ولشد ما كان بونابرت يدرك أهمية النبأ المطبوع ، ويعتبر الصحف من الأشياء الضرورية التى لا غنى للانسان عنها . ولذلك فقد عانى فى مصر كثيرا بسبب حرمانه ورجاله من قراءة الصحف الخارجية لمتابعة احداث فرنسا وغيرها . وليس ادل على ذلك من انه بمجرد أن وطئت قدماه أرض فرنسا عائدا من مصر ، أى فى اليوم الذى رسا فيه بميناء فريجوس (Fréjus) الصغير ، كتب الى قائد ميناء طولون كتابا يطلب اليه فيه أن يرسل « بأقصى سرعة ممكنة » الى الجيش فى مصر سفينة تحمل اعداد صحيفة « لومونيتور » وغيرها ، التى صدرت خلال الأشهر الستة السابقة « لأن الجيش يفتقر الى أنباء أوربا منذ أكثر من ستة أشهر » (٢) .

وبعد ان أصبح بونابرت قنصلا أول (١٨ برومير سنة ٨ ج = ٩ نوفمبر سنه ١٧٩٩) توثقت صلته بالصحافة . ومع أنه لم يكن من انصار حرية الكلمة ، ولذا بطش بعدد كبير من الصحف الفرنسية فى المرسوم الذى اصدره بتاريخ ١٧ يناير ١٨٠٠ وفرض على ما بقى منها رقابة صارمة (٣) ، فالذى يهمنا فى هذا الصدد هو انه جعل من صحيفة « لومونيتور » لسان حكومته « .. ووسيلة الاتصال بينه وبين الرأى العام داخل فرنسا وخارجها » (٤) .

ولقد كان القنصل الأول بونابرت فى الواقع مديرا للمونيتور ورئيسا لتحريرها ، يشرف على كل شيء فيها بنفسه ، ويراقب التحرير

---

(١) اميل بوافان (Emil Boivin) **تاريخ الصحافة** ، ترجمة محمد اسماعيل محمد ، سلسلة الالف كتاب ، ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) Périvier, op. cit., p. 90.

(٣) كان فى فرنسا أكثر من ٧٠ صحيفة لم يبق منها بمقتضى هذا المرسوم سوى ١٣ .

(٤) Ibid., p. 23 ; Ledré, Charles, **Histoire de la Presse**, Paris, 1958, p. 160.

والتوزيع والادارة وينتقد ما يقدم اليه من موضوعات ، ويملى التعقيبات ويصحح الأصول ، وما الى ذلك (١) ٠

وقد ذكرت صحيفة « لوناسيونال » (Le National) الباريسية بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٣٠ ، أن بونابرت نشر عدة مقالات فى صحيفة « لومونيتور » بين عامى ١٨٠٠ و ١٨٠٣ ، للرد على هجوم الصحف الأجنبية « كانت غاية فى براعة المنطق وعلو البلاغة وجمال الأسلوب » (٢) ٠

ولم تحل مهام الأمبراطورية دون اهتمام نابليون بالصحافة . وكان من أهم الصحف التى اعتنى الأمبراطور بأمرها الى جانب « لومونيتور » صحيفة « لو جورنال دى دبا » (Le Journal des Débats) التى عاونه فيها نخبة من الكتاب منهم الكاتب المعروف شاتوبريان (Chateaubriand) (٣) ٠

ولا ننس من ناحية أخرى أن الصحف التى تعمد سيدنى سميث (Sydney Smith) قائد الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط أن يرسلها الى بونابرت فى أثناء حصاره لعكا ، هى التى عجلت بقرار عودته الى فرنسا ، بعد أن تبين منها سوء الأحوال فى بلاده واشتعال الحرب بينها وبين أعدائها من جديد . وكذلك كانت الصحف التى قرأها فى منفاه الأول بجزيرة « البا » (Elba) سببا فى عودته التى بدأ بها عهد الأيام المائة (٤) ٠

ومن كل هذا يتضح كم كان بونابرت حفيا بأمر الاعلام ووسائله وأدواته عندما أعد العدة لغزو مصر . فقد كان فى كل أطوار حياته رجل اعلام ، يؤمن ـ على طريقته ـ بالصحافة ، ويشارك فيها بالعمل والتوجيه ، ويعتمد عليها ويستخدمها لتحقيق أهدافه ، ولا ينى عن الاهتمام بأمرها ايا ما كانت شواغله ٠ وهذا الجانب من شخصية بونابرت، الذى برز اسمه فى التاريخ مرتبطا ، قبل أية صفة أخرى ، بفتوحه

(١) اميل بوافان ، المرجع السابق ، ص ٥٦ ٠

(٢) المرجع السابق ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ ٠

(٤) Ledré, op. cit., pp. 157-8.

ومعاركه العسكرية ، ثم بانجازاته التشريعية والاصلاحية وربما بنزواته وشطحاته كذلك ، لهو أمر جدير حقا بامعان النظر .

وفى ضوء هذه الحقائق ينبغى أن ننظر الى السياسة الاعلامية للحملة الفرنسية فى مصر نظرة جديدة ، وان نقومها تقويما منصفا ، ونتتبع اثرها فى حياة البلاد ، التى استشرفت بمجىء الحملة الفرنسية - أيا ما كانت أهدافها الحقيقية ومدى فشلها فى تحقيق هذه هذه الأهداف - مرحلة جديدة من تاريخها الطويل الحافل . فمن المسلمات التاريخية انه بالرغم من عدم نجاح الحملة الفرنسية فى تحقيق مخططها الطموح ، فقد كانت لها آثار متعددة الجوانب متفاوتة العمق فى مستقبل مصر ، اصطلح على اجمالها فى القول بأن مصر بدأت بالحملة الفرنسية تدخل التاريخ الحديث .

غير أن تفصيل هذا الاجمال قد احتاج الى عدة جهود علمية جادة متنوعة التخصص مختلفة المنهج ، وما زال يحتاج الى مزيد من هذه الجهود .

البـاب الثـانى

سياسة الحملة الإعلاميّة وإنجازاتها

أوضحنا فى الباب السابق مدى عناية قائد الحملة بأمر المطبعة . بحيث نستطيع القول ان الجهاز الطباعى الذى زود به بونابرت حملته كان يمثل ركنا أساسيا من أركانها الى جانب الجيش من ناحية ، وفريق العلماء والخبراء من ناحيـة أخرى . وهو أمر تميزت به هـذه الحملة دون غيرها من الحملات المشابهة .

ثم استعرضنا جانبا من حياة هذا القائد يؤكد انه كان بطبعه يقدر الصحافة تقديرا خاصا ، ويسهم فى نشاطها ، ويتصل بمجالها اتصالا مباشرا . وكانت الصحافة هى الوسيلة الوحيدة للاعلام الحديث فى ذلك الوقت .

فكيف كانت سياسة هذا القائد الاعلامية فى مصر ؟ وما الذى استطاع أن يحققه هو وخليفتاه من هذه السياسة ؟ وما هى الآثار المباشرة وغير المباشرة التى ترتبت على ما تحقق من انجازات اعلامية ؟

لقد اصطلح الاعلاميون على أن لعملية الاعلام أركانا أربعة لا بد من توافرها لكى تتم ، هى المصدر الذى ينشر أو يذيع ، والرسـالة التى يراد ابلاغها ، والوسيلة التى تستخدم لنقل هذه الرسالة ، ثم المتلقى أو الجمهور الذى توجه اليه الرسالة .

وفى موضوع بحثنا كانت قيادة الحملة بأجهزتها المختلفة هى مصدر الاعلام ، وكانت جماهيره تشمل أساسا ثلاثة عناصر هى : الشعب المصرى ، وجنود جيش الحملة والملتحقين به من موظفين وصناع ومن اليهم ، وفريق العلماء والخبراء . وقد يتسع نطاق هذه الجماهير لتشمل عناصر أخرى اقل أهمية ، مثل سكان البلاد من غير المصريين .

وأما وسـائل الاعلام التى اصطنعتها الحملة فاختلفت باختلاف الجماهير أساسا . كذلك اختلفت الرسائل الاعلامية باختلاف متلقيها .

غير ان السياسة الاعلامية للحملة حرصت - فى الوقت نفسه - على ألا تكون هذه الجماهير المختلفة قطاعات مستقلة ينفرد كل منها باعلامه الخاص ، منعزلا تماما عن سائر القطاعات . وانمـا عملت على ان تحقق بينها لونا من التداخل أو التقارب الاعـلامى . فكانت الرسائل ذات الطابع المشترك توجه الى أكثر من جمهور ، وذلك باذاعتها بأكثر من لغة ، ومن خلال أكثر من وسيلة . وكان يحـدث أحيانا ان تذاع الرسالة مفصلة لجمهورها ، ويكتفى بايجازها أو بمجرد الاشارة اليها لغيره ، كما سنرى .

الفصل الأول

الإعلام للمصريين

لا شك أن الشعب المصرى كان يمثل لقائد الحملة أهم العناصر التى ينبغى عليه أن يقيم بينه وبينها جسرا اعلاميا · وقد سبق أن لمسنا مدى حرصه البالغ على توفير الأدوات التى تمكنه من اقامة ذلك الجسر ·

ولقد كانت وسيلة الاعلام الرئيسـية التى استخدمها بونابرت فى مخاطبة المصريين ، والتى تبعه فيها خليفتاه من بعده ، هى المنشورات العربية المطبوعة ، التى ستفرد لها دراسة خاصة موسعة فى هذا البحث ·

وكانت هذه الوسيلة جديدة تماما على المصريين ، فلم يعرفوا قبلها من وسائل الاعلام الا الوسائل الشفهية التى كانت شائعة قبل اختراع المطبعة، مثل المنادى فى الطرق ، والاذاعة عن طريق ممثلى السلطات أو رجال الدين من منابر المساجد وفى غيرها من أماكن العبادة ، وبخاصة فى أوقات الصلوات الجامعة · وكان على المصريين أن ينتظروا ثلاثة قرون ونصف قرن بعد اختراع المطبعة ، لكى يشاهدوا ـ مع مقدم الحملة الفرنسية ـ نماذج بلغتهم من انتاج هذا الجهاز الحضارى الخطير ·

والواقع أن الحملة لم تقض تماما على تلك الوسائل التقليدية القديمة، وانما استعانت بها كذلك ، وبخاصة فى القرى · ولقد سجل ذلك فى أكثر من موضع مؤرخنا المصرى المعاصر للحملة ، عبد الرحمن الجبرتى · فكان كثيرا مايقول « ونادوا بذلك فى الطرقات » أو « نبهوا أيضا بالمناداة بأن··»

غير أن الجديد هو تلك « الأوراق المطبوعة » التي كان الفرنسيون كلما أرادوا اعلام المصريين بشيء أصدروا منها « نسخا كثيرة » و « أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخا في مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد » (١) • ولا شك أن ذلك في حد ذاته يمثل نقطة تحول واضحة في نظام الاعلام بمصر ، تفصل بين نهاية عهد قديم وبداية عهد جديد •

ومن ناحية أخرى ، فقد حددت هذه البداية النهج الاعلامي الذي عرفته مصر لعشرات السنين فيما بعد ، منذ أنشأ محمد علي صحفه ، مما جعل نشأة الصحافة في مصر تختلف عن نشأتها في أوربا اختلافا جذريا • فقد بدأت مقدمات الصحافة بأوربا منذ القرن الثالث عشر ، أي قبل اختراع المطبعة ، على شكل نشرات اخبارية مخطوطة • وانتشر هذا النوع في انجلترا وفي الدويلات الايطالية والألمانية بوجه خاص ، وواكبه نوع آخر من الاعلام الشفهي بواسطة رواة احترفوا اذاعة الأخبار في الأسواق الكبيرة في مواعيد معينة • ثم أحدث اختراع المطبعة ، في منتصف القرن الخامس عشر ، وانتشارها ثورة في الاعلام المكتوب ، اذ أتاح المجال لقيام صناعة جديدة بكل مقوماتها من منتجين وعاملين ومستهلكين وبضاعة ، وتلك هي الصحافة الحديثة •

والمهم في ذلك أن الصحافة نشأت في أوربا على أيدي أفراد احترفوا جمع الأخبار ثم روايتها أو نسخها ، وبعد استخدام المطبعة اتسع نطاق عملهم • وساعد على نمو الصحف وتطورها عدة عوامل ، منها تقدم وسائل المواصلات ، وانتشار التعليم ، وذيوع أفكار التحرر والديموقراطية •

وصحيح أن الصحافة كانت في بدء ظهورها تخدم طوائف معينة من الجماهير تتمثل في طبقات النبلاء والتجار ومن اليهم • وصحيح كذلك أن الحكومات في بعض الدول تدخلت بالتشريع وبغيره لتحد من حرية الصحافة وتخضعها لارادتها أو لأهوائها ، ولكن الصحافة مع ذلك ظلت في تلك البلاد مهنة حرة بوجه عام ، وان تفاوت نصيبها فيما تتمتع به من حرية القول وما يقيد حركتها من نصوص القوانين •

غير أن الصحافة نشأت في مصر ـ بتلك المنشورات المطبوعة ـ نشأة فريدة • فهي لم تظهر على يد فرد أو جماعة من أفراد الشعب ، وانما تم ذلك على يد حاكم اتخذها وسيلة تنقل ما يريد من رسائل الى الجماهير •

---

(١) الجبرتي : عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٩ •

ولما انقطعت صلة مصر بهذا النوع من الاعلام المطبوع طيلة أكثر من ربع قرن ، ثم استأنفتها على يد محمد علي ، كان ذلك بطريقة مماثلة تماما ، وان تطورت صورة الوسيلة الى حد ما . فقد أصدر محمد علي ، بعد أن أسس مطبعة بولاق ، صحيفة « الوقائع المصرية » (١) لتكون لسانا لحكومته، يخاطب عن طريقه أفراد الشعب . وأصدرت حكومة محمد علي وابراهيم بعد « الوقائع » صحفا أخرى ، كانت كلها ألسنة للأجهزة الحكومية المختلفة.

وظل الحال كذلك حتى عهد اسماعيل ، عندما بدأت الصحف الأهلية في الظهور (٢) ، نتيجة لعدة عوامل نوجز أهمها في النقاط الثلاث التالية :

١ ـ تطور الوعي المصري وبدء تكون رأي عـــام ، بسبب انتشار التعليم ، والاحتكاك بالثقافة الغربية ، ورد الفعل ازاء استبداد اسماعيل وسفهه ، وما أدى اليه ذلك من التدخل الأجنبي .

٢ ـ تأثير دعوة المصلح الثائر جمال الدين الأفغاني ، الذي كان من أهم أسلحة كفاحه تشجيع تلاميذه على انشاء الصحف والكتابة فيها .

٣ ـ وجود عدد من مثقفي السوريين الذين هاجروا الى مصر فرارا من عنت السلطات العثمانية ، والتماسا لحرية نســـبية أتاحتها ظروف مصر الخاصـــة .

هذا اللون من الصحافة التي يصدرها الحاكم أو يوجهها أو تنشأ في

---

(١) صدر العدد الأول من «الوقائع المصرية» في ٣ ديسمبر ١٨٢٨ . وكان محمد علي يصدر قبلها «جرنال الخـــديوي» الذي يعتبره بعض المؤرخـــين صـــحيفة سبقت «الوقائع» (انظر : ابراهيم عبده، **تاريخ الوقائع المصرية** ، القاهرة، ١٩٤٩ ، ص ٢٩ ـ ٣٤)، ولكننا لا ينبغي أن نقوم هذا «الجرنال» بأكثر مما يستحقه ، فلم يكن في الحقيقة سوى نشرة تتضمن خلاصة بالتقريرات الاحصائية الواردة من مختلف أقاليم مصر ، ترفع الى الباشا وعدد محدود من كبار موظفي حكومته . ولم يكن لفظ « جرنال » في مصطلح ذلك العصر يعني أكثر من « تقرير مكتوب » .

(٢) أول الصحف غير الحكومية التي ظهرت في عهـــد اسماعيل كانت « وادي النيل » ، التي أصدرها عبد الله أبو السعود تلميذ رفاعة الطهطاوي بالقاهرة عام ١٨٦٧ . ولكن هذه الصحيفة لا يمكن اعتبارها صحيفة « أهلية » كاملة . فقد كان اسماعيل هو الذي أوعز الى صاحبها باصدارها بعد انشاء مجلس شورى النواب ، وأمده بالعون المادي حتى تخدم الصحيفة أغراضه وتؤيد سياسته . أما أول الصحف الأهلية الحرة في رأيي ، فهي « نزهة الأفكار » التي أصدرها ابراهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال بالقاهرة عام ١٨٦٩ . وقد أغلقتها حكومة اسماعيل بعد عددها الثـاني لجرأتها في النقد وتطرفها في آرائها التحررية .

كنفه بصورة ما ، هو أبسط أشكال الاعلام الذى ينطبق عليه ويحكمه مايسمى بالنظرية الفاشية أو نظرية السلطة المطلقة (١) (Authoritarian Theory).
وقد تكون نشأة الصحافة على هذه الصورة فى مصر أمرا اقتضته ظروفهـا الخاصـة وقتئذ • فلم يكن المجتمع المصرى قد بلغ من النضج أو الوعى ما يسمح بأن تنشأ الصحافة فيه نشأة ذاتية ، فيظهر من بين أفراده من يبدأ أولى المحاولات فى هذا الحقل الاعلامى •

وكذلك لم تكن هناك أية عوامل اقتصادية أو اجتماعية تهيئ لظهور الصحافة ، أو تجعل وظيفة الاعلام ضرورة تدعو اليها الحاجة • فقد حدث فى جمهورية البندقية فى القرن الثالث عشر وما بعده مثلا ، أن أدى نمو طبقة التجار وثراؤها وتمتع أفرادها بشىء من فراغ الوقت ، الى ظهور طائفة من الناس احترفوا نسخ الأخبار وتوزيعها على أولئك التجار ، لارضاء حاجتهم الى معرفة كل ما يتصل بتجارتهم من أنباء ومعلومات من ناحية ، ولازجاء وقت فراغهم من ناحية أخرى •

وكان بونابرت قائدا لحملة استعمارية ، غزا مصر وفى جعبته كثير من المشروعات والأحلام التى كان يعتقد أن الأقدار اختارته لتحقيقها ، ولم تكن وسيلة الاعلام التى هيأها للمصريين الا أداة يريد أساسا أن يتالف بهـا وقت فراغهم من ناحية أخرى •

وقد كان لبونابرت تجربة سابقة مشابهة فى مثل هذا النـوع من الاعلام ، عندما كان يقود حملته الايطـالية • فقد أصدر هناك كثيرا من المنشورات الى الشعب الايطالى .(شكل ٤) (٢) • وهذه المنشورات ، وان اختلفت عن المنشورات العربية الموجهة الى الشعب المصرى فى كثـير من التفصيلات ، فانها تماثلها من حيث شكلها العام والفكرة فى اصدارها •

هذا الى أن بونابرت كان بطبعه حاكما أوتوقراطيا • وقد رأينا كيف

---

(١) تذهب المدرسة الأمريكية فى فلسفة الاعلام الى أن له نظريات أو مفهومات أربعة : حكمت نظمه على طول تاريخه ، وهى : نظرية السلطة المطلقة (Authoritarian) ونظرية الحرية (Libertarian) والنظرية السوفيتية (Soviet) ونظرية المسئولية الاجتماعية (Social Responsibility) • ويتبع معظم الاعلاميين فى العالم الآن هذا التقسيم • انظر :
Sibert, Peterson and Schramm, Four Theories of the Press, Univer. of Illinois Press, 1963.

(٢) من محفوظات دار الوثائق القومية بباريس • وهـذا المنشور ، الذى صدر بالفرنسية والايطالية ، مؤرخ ٢٣ فلوريال سنة ٥ (١٢ مايو ١٧٩٧) •

حمى نظرية السلطة المطلقة فى الصحافة ، عندما كان قنصلا أول ، ثم عندما أصبح امبراطورا لفرنسا ٠

اما محمد على فكان حاكما يؤمن ــ كبونابرت ــ بالاستئثار بالسلطة وسيلة لبناء الدولة ، وتحقيق الاشراف الجدى على ما وضع من خطط للنهوض بها ٠ وأيا ما كان حكم المؤرخين على نظام محمد على ، فقد كان ابرز سمات هـــذا النظـــام أنه يمثـــل نوعـــا من الحكومة الأبويـــة (Patriarchal) التى كان فيها محمد على الزارع الوحيد والصانع الوحيد والتاجر الوحيد٠ ويمكننا أن نضيف الى هذا أنه كان أيضا الصحفى الوحيد ٠

وقد لا يكون محمد على اقتفى أثر بونابرت فى سياسته الاعلامية اقتفاء مباشرا ٠ ولكن لا شك فى أنه تاثر بما فعل بونابرت بشكل عام ٠

ان العهــد بين الرجلين قريب ، ومحمــد على كان ضابطا فى الجيش التركى الذى أعاد مصر الى حظيرة الخلافة العثمانية ، ثم أصبح واليا على البلاد بعد جلاء الفرنسيين بأربع سنوات فحسب ٠ ولا شك أنه لمس بنفسه كثيرا من آثار الحملة الفرنسية وانجازاتها ٠ واذا لم يكن محمد على قد رأى ما أصدره الفرنسيون من صحف ومنشورات ، وهو ما نشك فيه كثيرا ، فلابد أنه على الأقل قد سمع بأمرها ٠ هذا الى أن محمد على كان شــديد الاعجاب بشخصية نابليون بونابرت ، فضلا عن ايمانه بالحضارة الغربية بعامة وحضارة فرنسا بوجه خاص ٠ ولا ننس استعانة هذا الحاكم فى بناء دولته الحديثة بكثير من الخبراء الأجانب وعلى رأسهم الفرنسيون ، ومنهم بعض رجال حملة بونابرت (١) ٠

ومع أن الفرنسيين لم يبقوا بمصر زمنا يكفى لكى ينفعل المصريون بتجربتهم الاعلامية ، الى الحد الذى يجعلهم ينشئون من أنفسهم صحفا أو نشرات مشـــابهة لما أصــدرته الحملة ٠ ومع أن المصريين لم يهضموا الحكم الفرنسى وقاوموه مقاومة عنيفة ، وكان ذلك من الأسباب الرئيسة لفشــل الحملة فى تحقيق مخططاتها ٠ ومع أن المجتمع المصرى لم يكن قد تطــور فى الفترة التى تلت الحكم الفرنسى بما يؤهله لظهور وسيلة اعلامية مطبوعة أو منسوخة على يد بعض أبنائه ٠ مع ذلك كله فان تجربة الحملة الاعلامية مع المصريين لم تمر دون أثر على من أعقب الفرنسيين فى حكم البلاد ٠

---

(١) مثل جومار (Jomard) عضو المجمع العلمى ، الذى استعان به محمــد على فى مشروعاته التعليمية ، ومثل الأب روفائيل الذى عمل فى الترجمة وكان أحــد المشرفين على انشاء مطبعة بولاق ، كما سيأتى ذكره .

فقد أثبت الجبرتي فى تاريخه أن الولاة الذين عينوا بعد جلاء الفرنسيين استخدموا أحيانا طريقة المنشورات التي تلصق بالطرق أو الأسواق وسيلة للاعلام ، وان كانت منسوخة لا مطبوعة ، لأن الفرنسيين جلوا عن مصر بمطابعهم (١) .

يقول الجبرتي مثلا فى حوادث شهر شوال ١٢١٦ (يوافق فبراير ١٨٠٢) : « وفيه **كتبت فرمانات وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق** مضمونها .. فانسرت القلوب بتلك الفرمانات واستبشروا بالعدل » (٢) .

ويقول كذلك عن تنبيت خسرو باشا فى ولاية مصر : « وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه (رجب ١٢١٧ ، ويوافق نوفمبر ١٨٠٢) حضر رجل من طرف الدولة .. وعلى يده فرمان .. وملخصه أننا اخترناك لولاية مصر .. وأطلقنا لك التصرف فى الأموال .. وفى يوم السبت ثالث عشرينه **كتبت أوراق بمعنى ذلك وألصقت بالطرق** .. » (٣) .

وفى عهد ولاية احمد باشا خورشيد ، الذى أعقبه محمد على فى الحكم، يسجل الجبرتي مرة أخرى اتباع هذا التقليد نفسه ، فيقول : « وفى يوم الخميس رابع عشره (صفر ١٢١٩ ، الموافق مايو ١٨٠٤) **كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق** بطلب ميرى سنة تاريخه المعجلة بالكامل وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها .. » (٤) .

وهناك فارق آخر بين نشأة الصحافة فى مصر على تلك الصورة ونشأتها فى أوربا ، غير ما أوضحنا من ظهورها على يد الحاكم وبتوجيهه

---

(١) لا مجال مطلقا للقول بأن مطابع الحملة بقيت فى القاهرة حتى اشتراها محمد على وجعل منها نواة مطبعة بولاق ، كما وهم فيليب دى طرازى (**تاريخ الصحافة العربية** ، ج ١ ، بيروت ، ١٩١٣ ، ص ٤٩) ، وتابعه فى وهمه بعض المؤرخين . فالثابت أن الفرنسيين اهتموا بأن ينقلوا معهم فى خروجهم من مصر كل معداتهم وأجهزتهم وآثارهم العلمية ، واشترطوا ذلك فى مفاوضاتهم الخاصة بالجلاء مع الانجليز . وقد أثبتت الوثائق أن بونابرت (وكان قنصلا أول فى ذلك الوقت) اهتم اهتماما خاصا باعادة مطابع الحملة وكتبها ومخطوطاتها ، وان برتييه (Berthier), وزير حربيته قد أصدر أمره بذلك الى الجنرال بليار قائمقام (نائب) آخر قواد الحملة فى مصر ، وان هذا الأمر قد تم تنفيذه . انظر :
Canviet, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », pp. 14-5.

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٣) **المرجع السابق** ، ص ٢٣١ .

(٤) **المرجع السابق** ، ص ٢٩٦ .

واشرافه . ذلك أن مصر عرفت الصحافة والطباعة معا فى وقت واحد ، بينما عرفت أوربا الصحف المنسوخة أو الخطية قبل اختراع المطبعة بأمد طويل . بل ان المطبعة لم تستخدم فى اصدار الصحف الا بعد اختراعها بنحو قرن ونصف قرن من الزمان .

ولقد كانت المطابع التى استخدمتها الحملة الفرنسية شيئا جديدا تماما على المصريين ، وكان ادخال المطبعة العربية بالذات حدثا تاريخيا بالغ الأهمية . ويقول شارل رو ان المطبعة كانت أكثر الأشياء التى تقبلها المصريون وأحسنوا الاهتمام بها ، من بين الأشياء الكثيرة التى أدخلتها جيوش بونابرت الى مصر (١) .

ونشرت صحيفة «لوكوربيه» فى أواخر أيام الحملة بمصر (٢) موضوعا عن أثر مطابع الحملة على نفوس زوارها من المصريين وغيرهم من الشرقيين ، بمناسبة زيارة الشيخ البكرى لها قبل أيام قليلة . وجاء فى هذا الموضوع أن بعض علماء الازهر من أعضاء الديوان وغيرهم زاروا المطابع أكثر من مرة ، وكانوا يتابعون باهتمام ما يشاهدونه من عمليات الطباعة المختلفة .

وأشارت الصحيفة الى اعجاب الشيخ محمد الفاسى بالذات بتقدم العمل فى هذه المطابع وارتفاع مستواه عما رآه من قبل فى مطابع الآستانة ، عاصمة الخلافة العثمانية . وأشارت كذلك الى اعجاب زوارها السوريين الذين سبق أن رأوا مطابع الموارنة فى لبنان .

وذكرت الصحيفة بالتفصيل زيارة الشيخ البكرى وأسئلته واستيضاحاته الكثيرة التى دلت على اهتمامه الكبير بهذه الصناعة الفذة .

وقالت الصحيفة كذلك ان الشيخ المهدى سكرتير الديوان كان يبدى اهتماما كبيرا بأمر المطابع ، وان ذلك كان سبب اتصال الود بينه وبين المستشرق مارسيل مديرها .

ولم تكن مصر أول بلد عربى ، أو أول اقليم من أقاليم الدولة العثمانية يعرف الطباعة . فقد سبقتها فى ذلك لبنان ، التى أنشئت بها أول مطبعة فى « دير قزحيا » عام ١٦١٠ (٣) ، ولكنها لم تعمر طويلا ، ولم تنتج سوى

---

(١) Op. cit., p. 152.

(٢) العدد ١٠٢ الصادر يوم ٢٤ بلوفيوز سنة ٩ (١٣ فبراير ١٨٠١) . انظر كذلك المرجع السابق .

(٣) خليل صابات ، تاريخ الطباعة فى الشرق العربى ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤ – ٧ .

كتاب ديني واحد باللغة السريانية . ثم كانت مدينة حلب السورية أول مدينة فى الشرق العربى تستخدم الطباعة العربية ، بعد أن أنشأ بها البطريرك اثناسيوس دباس أول مطبعة عام ١٧٠٦ (١) ، وكانت كتبها هى الأخرى دينية .

وكذلك سبقت حاضرة الدولة العثمانية مصر فى هذا المضمار ، اذ أنشئت أول مطبعة بالآستانة عام ١٧٢٨ (٢) ، وكانت تقوم بطبع الكتب العربية والتركية (٣) .

ويلاحظ من ناحية أخرى أن أوربا عرفت الطباعة العربية قبل أن يعرفها الشرق بزمن طويل . فقد قامت بايطاليا عدة مطابع تشتغل بالنشر العربى الدينى ، منذ أوائل القرن السادس عشر . ثم تحول الاهتمام فى أوربا الى طبع الكتب غير الدينية ، وانتشرت المطابع العربية فى بعض المدن الأوربية الكبرى ، ومن أشهرها مطبعة ليدن (Leiden) بهولندا التى أنشئت فى أواخر القرن السادس عشر . وكذلك عرفت باريس ولندن وغيرهما الطباعة العربية فى القرن السابع عشر (٤) .

ولم تكن المنشورات الاعلامية العربية هى الانتاج الوحيد الذى أصدرته مطابع الحملة للمصريين . فقد أنتجت هذه المطابع ، الى جانب المنشورات ، بعض المطبوعات العربية الخاصة التى وجهت الى صفوة المصريين ، من أعضاء الديوان وغيرهم من مثقفى العصر . ولعل أهم هذه المطبوعات ثلاثة :

١ ـ كتيب يقع فى خمس وعشرين صفحة بعنوان « تنبيه فيما يخص داء الجدرى » ، بقلم ديجنت كبير أطباء جيش الحملة (شكل ٥) (٥) . وقد طبع هذا الكتيب طبعتين ، أولاهما فى شهر شعبان ١٢١٤ (ديسمبر ١٧٩٩)، عندما كان وباء الجدرى متفشيا فى البلاد ، وصدرت الطبعة الثانية بعد عام ، وهى موجهة الى « أرباب الديوان بمصر القاهرة » . وقد أشار الجبرتى الى هذه الطبعة فى حوادث شهر شعبان ١٢١٥ بقوله ان « رئيس الأطباء الفرنساوى » أرسل منها نسخة الى كل عضو من أعضاء الديوان « على

---

(١) **المرجع السابق** ، ص ٩٣ ـ ٥ .

(٢) **المرجع السابق** ، ص ٢٤ .

(٣) يلاحظ ان اللغة التركية كانت حتى الثورة الكمالية فى العشرينات من القرن الحالى تكتب بحروف عربية .

(٤) أبو الفتوح رضوان ، **تاريخ مطبعة بولاق** ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٦ ـ ٨ .

(٥) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا ما أشار اليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال » (١) ٠

٢ ــ مجموعة المستندات الخاصة باجراءات محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ثانى قواد الحملة ٠ وقد صدرت بعنوان « مجمع التحريرات المتعلقة الى ما جرى باعلام ومحاكمة سليمان الحلبى قاتل صارى عسكر العام كليبر » ، وذلك ضمن كتاب يشتمل ، مع هذا الجزء العربى ، على جزء مماثل بالفرنسية وآخر بالتركية (شكل ٦) (٢) ٠

٣ ــ أجرومية للعربية الدارجة لاستعمال الفرنسيين والعرب ، بقلم جان جوزيف مارسيل ٠ ولم يستكمل طبعه (٣) ٠

***

قدر لمصر أن تحرم من المطبعة نحو عشرين عاما ، بعد أن جلا الفرنسيون بمعداتهم عن البلاد فى عام ١٨٠١ ٠ وقد أدى ذلك بالتالى الى انقطاع أثرها فى حياتهم طيلة تلك المدة ، حتى بعثها محمد على الى الحياة من جديد ، عندما أنشأ مطبعة بولاق فى أواخر عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) (٤) ، بعد أن

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٤١ ٠ انظر كذلك : «**لاديكاد**» ، المجلد الثالث ٠

(٢) من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ويقع الجزء العربى فى ١٩٠ صفحة ، ويلاحظ ان بعض هذه المستندات طبعت كذلك فى منشورات مستقلة لاعلام الجماهير ، ومنها المنشور الذى يسجل آخر جلسات المحاكمة التى صدرت فيها الاحكام ، وسوف نشير اليه فيما بعد ٠ هذا وكان مصرع كليبر يوم ١٤ يونيو ١٨٠٠ ٠

(٣) اورد « جسى » قائمة بمطبوعات الحملة فى بحثه الذى سبقت الاشارة اليه ٠ ولكن المؤلف لم يستطع ، رغم البحث الدقيق فى مكتبات القاهرة وباريس ولندن ، أن يعثر من المطبوعات العربية الصادرة للمصريين ــ الى جانب المنشورات ــ الا على المطبوعين اللذين ذكرا آنفا ٠ ومن ناحية أخرى هناك عدة مطبوعات فرنسية اشار اليها عدد من مؤرخى الحملة وأمكن العثور على بعضها فى القاهرة وباريس ، دون ان تتضمنها قائمة «جيس» ٠ وعلى أية حال ، فمن المشكوك فيه كثيرا ان يكون أحد من جمهور المصريين قد أفاد حقا من هذا الكتاب ٠

(٤) اثبت التاريخ الهجرى لانشاء المطبعة على اللوحة التذكارية التى أقيمت بهذه المناسبة فوق مدخلها ، وتضمنت بضعة أبيات من الشعر باللغة التركية . ولم تكن هذه المطبعة وحدها فى خدمة حكومة محمد على ، بل انشئت الى جانبها عدة مطابع أخرى صغيرة زادت على الزمن حتى بلغت سبعا ، وكان معظمها ملحقا بوحدات الجيش أو بالمدارس المتخصصة .

(انظر : ابراهيم عبده ، **تاريخ الوقائع المصرية** ، ص ٢٤ ، ٢٨) ٠
ويقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى كتابه « **تاريخ التعليم فى عصر محمد** =

وفر لها من الرجال والمعدات ما يكفل لها النجاح والاستقرار (١) . وساعده على ذلك مشروعاته الاصلاحية لبناء مصر الحديثة ، التي جعلت من المطبعة أداة لازمة لتنفيذ تلك المشروعات ، وجهازا أساسيا من أجهزة الدولة . هذا الى أن محمد على كان يؤمن بصفة خاصة بأن الحاكم الذى يبغى ترقية بلده والعمل على تقدمه لابد أن ينشىء به مطبعة (٢) .

ومع أن عمل المطبعة اقتصر طيلة ثماني سنوات على تزويد الجيش والمدارس بما احتاجت اليه من مختلف المطبوعات ، فقد كانت هي التي مكنت الوالى بعد ذلك من نشر صحيفة « الوقائع المصرية » وغيرها ، كما مر ذكره . ولقد كانت الطباعة ولا شك « من أقوى الأدوات في تثبيت دعائم الادارة المركزة النافذة السلطان التى تقترن باسم محمد على » (٣) .

أحدثت مطابع محمد على انقلابا فى الحياة الثقافية للبلاد . فقد تجاوزت النطاق الاعلامى الذى اقتصر عليه معظم الانتاج العربى لمطابع الحملة الفرنسية فى حياتها القصيرة ، وركزت اهتمامها على الكتب المؤلفة

= **على** ، القاهرة ، ١٩٣٨ » ، معتمدا فى ذلك على بعض وثائق العصر : « كان ثمة عدا مطابع الحكومة مطبعة افرنكية بالقاهرة يملكها اجنبى ، وكانت الحكومة تطبع بها أحيانا الكتب الفرنسية التى يحتاج اليها التلاميذ .. وكان للحكومة كذلك مطابع حجر فى الاسكندرية ورشيد وبعض المديريات » (ص ٤٧٩) .

(١) كان من أعضاء بعثات حكومة محمد على الى أوربا بعض من تخصصوا فى الطباعة . ومن هؤلاء « نقولا مسابكى البيروتى » الذى ارسل الى ميلان مع ثلاثة صبيان آخرين عام ١٨١٥ لتعلم فن سبك الحروف وصنع أمهاتها ودراسة فن الطباعة ، وقد تقلد نقولا ادارة مطبعة بولاق فيما بعد . ومن هؤلاء كذلك عثمان نور الدين عضو البعثة الأولى الى فرنسا (١٨١٨ — ١٨٢٠) . وتابع محمد على هذه الخطة بعد انشاء مطبعة بولاق ، فكان من أعضاء البعثة الثالثة الى فرنسا عام ١٨٢٦ (التى ضمت رفاعة الطهطاوى) عضوان لدراسة الطبع بأنواعه والحفر . (انظر : احمد عزت عبد الكريم ، **المرجع السابق** ، ص ٤٣٤ — ٥ ، ابراهيم عبده ، **تاريخ الوقائع** ، ص ٢٠ — ٢١ ، خليل صابات ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٣٨ — ٤٠) . وكذلك أحضر محمد على من ايطاليا ثم من فرنسا كل ما احتاج اليه انشاء المطبعة وتوسيعها من احدث الآلات والمعدات .

(انظر : محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل ، **بناء دولة ، مصر محمد على** ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ١٢٠) .

(٢) نقلا عن جيس : القسم الثانى من البحث السابق ذكره ، **الدورية للصحافة** ، مجلد ١٩٠٨ .

(٣) محمد شفيق غربال ، تقديم كتاب « **تاريخ مطبعة بولاق** » ، السابق ذكره ، صفحة هـ .

والمعربة التي اعتمدت عليها النهضة التعليمية . وكانت هذه المطابع ـ دون مبالغة ـ « هي أساس البعث الفكرى الذى قامت عليه نهضة مصر في العصر الحديث » (١) .

وكان طبيعيا بعد نجاح هذه المطابع واستقرارها واتصال آثارها اتصالا مباشرا بحياة المصريين ، أن يفكر بعض الأفراد والجماعات في غزو الميدان الطباعي ، كما غزوا غيره من الميادين التي أتاحتها لهم الحياة الجديدة للبلاد .

وقد حدث ذلك على نطاق ضيق أيام الوالى سعيد باشا ، ثم اتسع النطاق أيام خلفه اسماعيل . وما ان قارب عهد اسماعيل على نهايته حتى تحولت الطباعة على يد أفراد من المصريين والسوريين الى أداة من أدوات النهوض القومي والحياة الفكرية . وارتبط ذلك ارتباطا قويا بنشأة الصحافة الأهلية الحرة .

واذا كانت المطبعة هي الأداة التي مكنت قيادة الحملة الفرنسية في القاهرة من اصدار منشوراتها الاعلامية للمصريين ، ومكنت كذلك كليبر ـ عندما كانت في حوزته ـ وهو بعد قائد للاسكندرية ، من اصدار منشورات مماثلة لجمهور الثغر ، ، فقد أثبت البحث كذلك أن الجنرال منو كان يصدر ، وهو حاكم لاقليم « رشيد وسكندرية والبحيرة » ، منشورات أخرى مخطوطة خاصة باقليمه (٢) . وسوف نتعرض لهذه المنشورات في موضع آخر من الكتاب .

وقد يكون حكام محليون آخرون غير منو فعلوا ذلك بأقاليمهم ، ولكن منشوراتهم ضاعت مع ما ضاع من وثائق غيرها لم تكن ، على ما يبدو ، في نظر رجال الحملة أو مؤرخيها أو جامعى تراثها ، بالأهمية التي تنظر بها اليها الآن .

---

(١) أبوالفتوح رضوان ، **المرجع السابق** ، المقدمة ، صفحة ش .

(٢) عثر الباحث على عشرات من نسخ مكررة لبعض هذه المنشورات في قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وهى من حجم كبير يسهل معه تعليقها وقراءتها مثل المنشورات المطبوعة .

الفصل الثانى

الإعلام لجنود الحملة

كان من أسباب اصطحاب الحملة الفرنسية على مصر لجهازها الطباعى الكبير ، كما ذكرنا ، أن يكون أداة لاصدار وسائل اتصال لجنود جيش الشرق ٠

وكانت وسيلة الاتصال الرئيسة التى أصدرتها الحملة لجنودها هى صحيفة « لوكورييه دى ليجبت » (Le Courrier de l'Egypte) التى ظهر العدد الأول منها فى ١٢ فروكتيدور سنة ٦ (٢٩ أغسطس ١٧٩٨) ، أى بعد شهر واحد من دخول الفرنسيين الى القاهرة .(١) (شكل ٧) (٢) ٠

وقد طبعت « لوكورييه » فى بادىء الأمر بمطبعة مارك أوريل ، التى استقرت بالقاهرة ، بينما كانت مطابع الحملة الرسمية مازالت بالاسكندرية٠ ثم ما لبثت الصحيفة ، ابتداء من العدد ٣١ (بتاريخ ١٩ مسيدور سنة ٧ = ٧ يوليو ١٧٩٩) أن بدأت تطبع بالمطابع الرسمية ، وكانت هذه قد نقلت

(١) دخل بونابرت القاهرة مع عدد قليل من جنوده يوم ٢٤ يوليو ، وبقى الجزء الاكبر من جيشه فى معسكر الجيزة ، بعد معركة امبابة ٠

(٢) من محفوظات دار الكتب المصرية ٠ ويوجد بالدار مجموعتان من هذه الصحيفة ٠ احداهما كاملة ، والثانية ينقصها العدد ٢٤ الذى أستعيض عنه بنصه منسوخا بخط اليد ٠

قبل ذلك الى القاهرة (١) . وما لبث مارك أوريل نفسه أن باع مطبعته لحكومة الحملة ، ثم عاد الى فرنسا .

ومن الخطأ أن نعتبر مارك أوريل مالك هذه الصحيفة أو ناشرها ، كما فعل بعض المؤرخين (٢) ، اعتمادا على ما جاء بالصحيفة فى أعدادها الأولى ، خاصا بثمن البيع والاشتراك وما الى ذلك .

فلم يدع مارك أوريل لنفسه مطلقا صفة المالك أو الناشر ، بل كان لا يصف نفسه ، فى كل ما أخرج من مطبوعات ، بأكثر من «طابع الجيش» . وقد منحه بونابرت نفسه لقب « طابع جيش الشرق » ، عندما اصطحبه مع حملته ، كما سبق ذكره . وانما كانت « لوكوريبه » صحيفة شبه رسمية تصدر لجنود الحملة باشراف مباشر من قيادتها . وكان قواد الحملة هم الذين يعينون المسئولين عن تحرير الصحيفة . فقد أصدر بونابرت أولا أمرا بتعيين برسفال جرانميزون (Perceval Grandmaison) وهو من الأدباء الذين صحبوا الحملة ، لتولى هذه المسئولية . ولما اعتذر عين بدله العالم الرياضى فورييه (Fourier) الذى وصل من رشيد بعد أسبوعين من صدور هذا الأمر شغل مكانه خلالهما المهندس كوستاز (Costaz) (٣) .

ولما خلف كليبر بونابرت فى قيادة الحملة عين لرئاسة تحريرها ديجنت كبير أطباء الجيش ، فباشر مهمته فعلا ابتداء من العدد السابع والثلاثين الصادر فى ٢٩ فروكتيدور سنة ٧ (١٥ سبتمبر ١٧٩٩) (٤) .

وكان بونابرت كبير الاهتمام بأمر الصحيفة وما تنشره . وقد شمل اهتمامه كل التفصيلات ، بما فى ذلك الأخطاء المطبعية ، التى كان ضيقه بها من الأسباب التى دعته الى أن يطلب سرعة ارسال مطابع الحملة الرسمية من الاسكندرية ، لتتولى اصدارها بدلا من مطبعة مارك أوريل .

---

(١) كانت اعداد الصحيفة حتى العدد ٣٠ (بتاريخ ١٩ جرمينال سنة ٧ = ٨ ابريل ١٧٩٩) تذيل بعبارة « طبعت بالقاهرة » بمطبعة مارك اوريل ، طابع الجيش الفرنسى . وابتداء من العدد ٣١ صارت تذيل بعبارة « طبعت بمطابع الحملة الرسمية بالقاهرة » . ويلاحظ ان هناك فجوة زمنية بين تاريخى صدور العددين تبلغ ثلاثة اشهر ، بينما كانت الاعداد قبل ذلك وبعده تصدر فى العادة متتابعة كل بضعة ايام .

(٢) انظر : ابو الفتوح رضوان ، مرجع سبق ذكره ص ٢١ ، وكذلك
Wassef, Amin, L'Information et la Presse Officielle en Egypte jusqu'à la fin de l'Occupation Française, Paris, 1952, pp. 111-14.
بل ان كريستوفر هيرولد يعتبره ناشر صحيفة لاديكاد كذلك (op. cit., p. 166).

(٣) Charles-Roux, op. cit., p. 145.

(٤) Canviet, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », p. 15.

والطابع الرسمي للصحيفة واضح فى الأعداد التى طبعها مارك أوريل وضوحه فى الأعداد التى طبعت بعد ذلك ٠ فكانت تنشر الأوامر والقرارات الحكومية دون أى تعليق ، وتؤيد سياسة الجمهورية الفرنسية ، وتنفذ مخططات الحملة الاعلامية دون مناقشة ٠

ثم ان لبونابرت تجربة سابقة ٠ فقد أصدر لجنود حملته على ايطاليا ــ كما قلنا ــ صحيفتين أخريين ، استخدمهما لتحقيق أهدافه ٠ وليس من المعقول أن يكل أمر اصدار الصحيفة الجديدة لذلك الطابع الشاب الذى صحب الحملة ٠

ولقد كان مارك أوريل يطبع ، الى جانب « لوكوربيه » صحيفة « لاديكاد اجبسيين » ، التى سيأتى الحديث عنها ، فضلا عن المنشورات والأوامر الفرنسية التى كانت تصدرها قيادة الحملة من وقت لآخر ٠ وعندما سحب منه هذا الاختصاص وعهد به الى مطابع الحملة الرسمية ، لم يكن ذلك أكثر من تغيير للأداة التى تصدر كل هذه المطبوعات ، وليس لجهة النشر أو صاحب الامتياز ٠

وانما الأصح أن يقال أن مارك أوريل كان بالنسبة لصحيفة «لوكوربيه» ولغيرها من المطبوعات التى كان يخرجها مجرد « ملتزم طبع ونشر » ٠

ولم يكن ظهور « لوكوربيه » منتظما تماما ٠ فقد صدرت الأعداد الستة الأولى كل أربعة أيام ، ثم صدرت الصحيفة كل خمسة أيام حتى العدد ١٢ الذى طبع يوم ٣٠ فندميير سنة ٧ (٢١ أكتوبر ١٧٩٨) ٠ وبعد ذلك كان بين كل عدد وآخر فترة تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام ، باستثناء تلك الفجوة التى أشرنا اليها عندما ذكرنا انتقال الصحيفة من مطبعة مارك أوريل الى مطبعة الحملة الرسمية ٠ وقد صدر آخر عدد منها ، وهو المرقم ١١٦ ، يوم ٢٠ بريريال سنة ٩ (٩ يونيو ١٨٠١) (١) ٠

ويدل استقراء مواد هذه الصحيفة على أن المسئولين عن تنفيذ السياسة التى وضعت لتحريرها بذلوا جهدهم لكى يجعلوا منها وسيلة اعلام ناجحة لجنود جيش الشرق ، الذين قادهم ذلك الجنرال الشاب الى مغامرة غزو مصر ٠ فقد كانت هذه الصحيفة :

---

(١) يبدو انه لم يكن مقدرا أن هذا هو العدد الأخير ٠ فقد نشر به مقال عن عادات المصريين المعاصرين وتقاليدهم ، وجاء بآخره ان باقى الموضوع سينشر بالعدد التالى ٠

١ ــ تحاول أن تخفف من وحشة اغتراب الجنود ، بنشر ما أمكن الحصول عليه من أنباء وطنهم ·

٢ ــ وتعمل على رفع روحهم المعنوية ، فتعرض على صدر صفحاتها أنباء الانتصارات الفرنسية فى مختلف الجبهات (١) ·

٣ ــ وتطلعهم على ما يدور فى بيئتهم الجديدة ، فتزودهم بأخبار القاهرة والأقاليم ، وتقفهم على أنباء الديوان ، والأحكام التى تصدر ضد الثوار المصريين (٢) ، وتترجم لهم أهم البيانات التى نشرت بالعربية ، وكذلك الرسائل المتبادلة بين قواد الحملة وكبار المصريين أو الحكام العرب (٣) ·

٤ ــ وتربط بينهم وبين قيادتهم ، كما تربط بين وحداتهم بعضها وبعض ، فتنشر الأوامر والقرارات العسكرية ، حتى ما سبق منها نشره منفصلا ، وتنشر أنباء الفرق المعسكرة فى شتى الجهات ، وتسجل بوجه عام حياة الجنود اليومية ·

٥ ــ وتعرفهم بهذا البلد الغريب الذى ساقتهم المقادير اليه ، فتقص عليهم من تاريخه ، وتحكى لهم بعض أحداثه ، وتفصل لهم القول فى تقاليد شعبه وعاداته ·

٦ ــ وتحاول أن تزيل من نفوسهم ما قد يلم بها من مشاعر اليأس أو الضيق أو خيبة الأمل ، بسبب ظروف حياتهم فى مصر ، فتقنعهم بجمال هذا البلد وثراء امكاناته ، وتؤكد لهم ذلك بأن تنشر مثلا ترجمة كاملة لرسالة عمرو بن العاص المشهورة الى عمر بن الخطاب التى يقول فيها « مصر

---

(١) مثل انتصار الفرنسيين فى موقعة أبو قير البرية على القوات العثمانية ، الذى اشادت الصحيفة به وقالت انه ازال عن البلاد خطر تهديدها بغزو جديد (العدد ٣٥ : ١٩ ترميدوا سنة ٧ = ٦ اغسطس ١٧٩٩) ·

(٢) مثل خبر الحكم بالاعدام على ستة من شيوخ الأزهر ، لأنهم كانوا ممن تزعموا ثورة القاهرة الأولى (العدد ١٥ : ٢٠ برومير سنة ٧ = ١٠ نوفمبر ١٧٩٨) وقد اشار الجبرتى الى هذه الواقعة (عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ٢٧ ــ ٩) ، ولكنه اخطأ فى عدد من أعدموا ، فذكر أسماء خمسة وأغفل السادس ·

(٣) مثل رسالة بونابرت الى شريف مكة (العدد ٢٤ : ٢٧ نيفوز سنة ٧ = ١٦ يناير ١٧٩٩) ، ومثل رسالة أعضاء الديوان الى بونابرت لتهنئته بمنصب القنصل الأول (العدد ٩١ : ١٥ فريمير سنة ٩ = ٦ ديسمبر ١٨٠٠) ولم يشر الجبرتى الى هذه الرسالة بالرغم من أنه كان فى ذلك الوقت عضوا بالديوان ! ·

تربة غبراء وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها عشر ٠٠ » ، وكذلك رد الخليفة على رسالة قائده (١) ٠

٧ ــ ولا تنسى الجانب التثقيفي من مهمتها ، فتنشر بين حين وآخر مقتطفات من جهود المجمع العلمى ، وأخبار الرحلات الدراسية التى يقوم بها أعضاؤه فى الأقاليم المصرية ، فضلا عن بعض المقالات الأدبية والقصائد الشعرية ٠

٨ ــ ولا تغفل تسلية قرائها ، فتنشر لهم من الطرائف ما يذهب عنهم الملل ويروح عنهم ويزجى وقت فراغهم ٠ ومن ذلك وصفها لبعض الاحتفالات التى كان يقيمها المصريون فى مختلف المناسبات ، كالموالد ، ويحضرها كبار الفرنسيين (٢) ٠

٩ ــ ثم تقـدم لهؤلاء القراء خدمة اعلامية خاصـــة ، فتنشر لهم من الاعلانات ما يساعدهم فى الحصول على احتياجاتهم من السلع ، أو يرشدهم الى ما أعدته القيادة لهم من وسائل اللهو والتسلية (٣) ٠

وتختلف « لوكوريبه » عن سميتها الايطالية فى أنها كانت أقل منها اهتماما ببحث ما يتصل بسياسة حكومة باريس ٠ ولعل ذلك كان راجعا الى قلة الأنبـــاء التى كانت تصل من فرنسا ، بسبب الحصار الذى فرضه الأسطول البريطانى على الشواطىء المصرية (٤) ٠

ولكن الصحيفة المصرية ، مع ذلك ، كانت تتفق مع زميلتها الايطالية ، ومع كل الصحف التى أشرف بونابرت على اصدارها ، فى أن موادها كانت تخضع لرقابة واختيار دقيقين ، منه تم من خليفتيه (٥) ٠

ولم يقتصر توزيع هذه الصحيفة على جنود جيش الشرق وحدهم ، اذ ثبت أنها كانت تصــل الى أوربا ، رغم حصــار الأسطول البريطانى ٠

---

(١) العدد ٢٠ (١٨ فريمير سنة ٧ = ٨ ديسمبر ١٧٩٨) ٠ وقد ترجم الرسالتين المستشرق فانتور ٠

(٢) مثل وصف المأدبة التى أقامها الشيخ الســادات بمناسبة مولد الســيدة زينب (العدد ٢/٢٢ نيفوز سنة ٧ = ٢٢ ديسمبر ١٧٩٨) ٠

(٣) حفلت أعداد « لوكوريبــه » بكثير من الاعلانات عن محـــلات بيع الخمور والقبعات والتبغ ، وعن الحفلات التمثيلية والراقصة ٠

(٤) Périvier, op. cit., pp. 80, 83.

(٥) ابراهيم عبده ، **تاريخ الطباعة والصحافة** ٠٠ ص ٧٣ ، انظر كذلك : Wassef, op. cit., p. 129.

وعمات أكثر من دليل على ذلك ، وان كانت هذه الحقيقة تبدو للوهلة الأولى غريبة أو مبالغا فيها ٠

فقد كان بونابرت حريصا على أن يبعث الى قيادة الأسطول البريطانى امام الاسكندرية باعداد هذه الصحيفة مع زميلتها « لاديكاد اجبسيين » (١)٠ وكذلك وصلت الصحيفة الى أوربا عن طريق التهريب ٠ فبعد أن انقطع الاتصال بين جيش الحمله وأوربا نتيجة لموقعة أبو قير البحرية ، فـــكر المستشرق فانتور فى أن يفيد من معرفته الواسعة بأقاليم الشـــمال الافريقى . فاستعان بالحجاج المغاربة وبحاكم مدينة طرابلس لاقامة خط اتصال بين مصر وفرنسا ، عبر درنة وبنغـــازى وطرابلس ، ليرسل عن طريقه البريد بين حين وآخر (٢) ٠

والى جانب « لوكوريبه » أصـــدرت مطابع الحملة وسيلة أخرى للاتصال السريع بالجنود تتمثل فى تلك المنشورات الفرنسية التى كانت تتضمن ما يراد توجيهه الى الجنـود من نداءات وبيانات وأوامر ٠ وكانت هذه تصدر ــ مثل المنشورات العربية ــ كلما اقتضى الأمر ذلك ، أى دون ما توقيت معين ٠

وأول ما صدر من هذه الوسيلة الاعلامية هو ذلك المنشـور الذى طبع ووزع على جنود الحملة فى البحر ، يوم ٢٨ يونيو ١٧٩٨ ، أى قبـل الوصول الى الشواطىء المصرية بثلاثة أيام ٠ وفيه حاول بونابرت أن يثير حماس جنوده وخيالهم ازاء الغزو المرتقب ، كما دعاهم الى احترام عقائد المصريين وتقاليدهم وحذرهم من اساءة التصرف معهم ٠

وهذه المنشورات نوعان :

١ ــ منشورات طبعت للجنود وحدهم ، ومعظمها كان يتضمن أوامر يومية (Ordres du jour) مما جرى العرف العسكرى على اصداره للجيوش بين وقت وآخر ٠ وقد تنوعت موضوعات هذه الأوامر اليومية ، ولكنها لم تخرج كلها عما يتصل بالحياة العسكرية لمن وجهت اليهم ، من حيث هم جنود جيش معين يقوم بمهمة معينة (الاشكال ٨ ، ٩ ، ١٠).

---

(١) أشار الى هذه الحقيقة الدكتور ابراهيم عبده فى مرجعه المتقدم ذكره ، ص ٨٨ ، نقلا عن « Munier, La Presse en Egypte » ٠ وقد أكدها الدكتور أمين واصف (op. cit., p. 215). بأن نقل نصا من احدى رسائل بونابرت ، يتضمن أمرا صريحا بارسال الصحف الى الاميرال الانجليزى ٠

(٢) Wassef, op. cit., pp. 214-15.

٢ ــ منشورات تتضمن رسائل اعلامية ذات طابع مشترك بين جمهورى المصريين والفرنسيين ، بل وسكان مصر من غير أهلها كذلك ٠ وهذه كانت تصدر اما فى طبعتين منفصلتين ، احداهما بالعربية للمصريين والثانية بالفرنسية للجنود وغيرهم ، واما فى طبعة واحدة تضم اللغتين معا ٠ وأحيانا أخرى كان يصدر مع هذه الطبعة المزدوجة اللغة طبعة ثانية بالفرنسية وحدها ٠ وتضم مجموعة المنشورات المصورة بهذا البحث عدة نماذج على ذلك كله (أنظر بالذات الاشكال ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦) ٠

وشمل النشاط الطباعى للحملة ، الموجه فى المقام الأول الى جنودها، كذلك ، عددا من المطبوعات ، بعضها ذو طابع اعلامى صريح ، وبعضها الآخر يغلب عليه الجانب التثقيفى أو التعليمى (١) ٠ فمن النوع الأول :

١ ــ تقارير قواد الحملة الفرنسية ، مثل التقرير المفصل الذى كتبه بونابرت عن خط سيره حتى احتلال الاسكندرية (٢) ، والتقرير المماثل الذى كتبه عقب احتلال القاهرة عن المعارك التى خاضتها قواته (شكل ١١) (٣) ، ومثل تقرير الجنرال داماس (Damas) عن الأحداث التى وقعت بالبلاد منذ توقيع اتفاقية العريش (٢٤ يناير ١٨٠٠) حتى آخر شهر بريريال سنة ٨ (١٩ يونيو ١٨٠٠) » ٠

٢ ــ بيان بالأحداث التى وقعت فى أوربا خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام السابع للجمهورية (أى التى تقع بين ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ و ١٩ يناير ١٧٩٩) ٠ وقد جاء فى مقدمته انه صدر لأن الاخبار التى

---

(١) لم تكن قائمة « جيس » ــ التى سبقت الاشارة اليها ــ دقيقة أو شاملة ، اذ اغفلت كثيرا مما اصدرته مطابع الحملة كالمنشورات ٠ ومن هنا اعتمد الباحث فيما أثبته من هذه المطبوعات على ما أكدت صدوره عدة وثائق ومصادر أخرى ، فضلا عما أطلع عليه منها فى دور المحفوظات والمكتبات المختلفة ٠

(٢) بتاريخ ١٨ مسيدور سنة ٦ (٦ يوليو ١٧٩٨) ٠ وتوجد نسخة منه بدار الوثائق القومية بالقلعة ٠

(٣) من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة ، وتوجد نسخة أخرى منه بالمكتبة القومية بباريس ، وهو بتاريخ ٦ ترميدور سنة ٦ (٢٤ يوليو ١٧٩٨) ٠ وقد طبع هذا التقرير وسابقه بمطبعة مارك اوريل ٠ ويبدو انهما من أول ما أخرجته هذه المطبعة بمجرد استقرار الحملة بالقاهرة ٠

(٤) يقع هذا التقرير فى ٦١ صفحة ٠ وتوجد نسخة منه بقسم الوثائق التارخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠ وداماس هو رئيس أركان حرب جيش الحملة فى ذلك الوقت ٠ ويلاحظ أن كليبر قتل فى ١٤ يونيو ، أى قبل نهاية هذه المدة بخمسة أيام٠

تضمنها آخر بريد وصل من فرنسا لم تتح معرفتها لغالبية جنود الجيش والملحقين به • وقد صدر فى ١٢ ترميدور سنة ٧ (٣٠ يوليو ١٧٩٩) •

٣ ــ نصوص خطب القادة فى المناسبات المختلفة ، مثل الخطاب الذى القاه كليبر بمناسبة الاحتفال برأس السنة الجمهورية (أول فندمير سنة ٨ = ٢٣ سبتمبر ١٧٩٩) (١) •

٤ ــ دستور الجمهورية الفرنسية الجديد ، سنة ٨ جمهورية •

٥ ــ النص الفرنسى لمجموعة المستندات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبى ، قاتل الجنرال كليبر وشركائه (شكل ١٢) (٢) وقد صدرت هذه المجموعة ــ كما ذكرنا ــ فى كتاب واحد باللغات الثلاث : العربية والفرنسية والتركية •

ومن النوع الثانى :

١ ــ تمريناب فى المطالعة العربية (شكل ١٣) (٣) • وهو كتيب يتضمن مختارات من القرآن الكريم ، لاستعمال دارسى العربية الفصحى ، جمعها المستشرق مارسيل • وقد طبع فى الاسكندرية قبل نقل مطابع الحملة الى القاهرة •

٢ ــ اجرومية للعربية الدارجة • وهو كتاب كبير ظهر منه جزء واحد فى ١٦٨ صفحة • وقد ألفه كذلك المستشرق مارسيل (٤) •

---

(١) محفوظ كذلك بقسم الوثائق التاريخيه بوزارة الحربية الفرنسيه .

(٢) من المطبوع المحفوظ بدار الكتب المصرية . وتقع هذه المستندات الفرنسية فى ٤٨ صفحة .

(٣) يقع فى ١٢ صفحة . وكان ثانى مطبوع ــ غير المنشورات ــ تخرجه مطابع الحملة بعد اقامتها فى الاسكندرية • وسنشير الى المطبوع الذى سبقه فى الفصل التالى • وهذه النسخة من محفوظات مكتبة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .

(٤) سبقت الاشارة اليه . انظر ص ٤٤ .

الفصل الثالث

الإعلام المتخصص

كان فريق العلماء والباحثين الذين صحبوا جيش الشرق الى مصر يمثلون ، كما سبق أن أوضحنا ، ركنا أساسيا من أركان الحملة الفرنسية ٠ وكانت جهودهم التى ضمنوها عملهم الجماعى الخالد « وصف مصر » وغيره من الأعمال الفردية ، هى أبقى آثار الحملة ، التى فشلت فى تحقيق أهدافها العسكرية والاستعمارية ٠

وكان لابد لهؤلاء العلماء الذين كونوا « المجمع العلمى المصرى » من دورية خاصة ، تتخذ وسيلة لنشر بحوثهم ، وسجلا لمناقشات مجمعهم ، وتتسع كذلك لما قد يسهم به غير أعضاء المجمع من مواد ترقى الى مستوى النشر بها ٠ وغنى عن القول أن « لوكوربيه » لم تكن ــ بحكم طبيعتها ــ لتتسع لمثل هذا النوع من النشر المتخصص ٠ ومن هنا لم تحظ أخبار نشاط المجمع من صفحاتها الا بنصيب ضئيل ، لا يتجاوز بضعة أسطر بين حين وآخر ٠

وقد تقرر انشاء هذه الدورية فى أول اجتماع للمجمع العلمى ، واختير لها اسم « لاديكاد اجبسيين » (La Décade Egyptienne) (١) ،

---

(١) أى « العشرية المصرية » ، نسبة الى الوحدة الزمنية التى تبلغ عشرة أيام ، أى ثلث شهر فى التقويم الفرنسى للجمهورية ٠ والاسم مشتق أصلا من اليونانية ٠ وقد أطلق على هذه الدورية لأنه كان المفروض أن تصدر كل عشرة أيام٠ بالرغم من أن موعد =

بعد منافشة طويلة ، واضيفت تحته عبارة « صحيفة للآداب وللاقتصاد السياسى » (شكل ١٤) ٠

وعهد المجمع الى ديجنت بالاشراف على طبع « لاديكاد » ، ثم حل محله العالم الرياضى فورييه عندما صحب ديجنت حملة بونابرت على سوريا (فى أوائل ١٧٩٩) ٠ غير أنه من الواضح ، وان لم تشر المراجع الى ذلك ، أن عددا من أعضاء المجمع كان يتولى مسئولية « تحرير » هذه الدورية ، من حيث اختيار الموضوعات وترتيبها وتبويبها واختصارها احيانا ... الخ ٠ فقد تصدر كلا من المجلدين الثانى والثالث كلمة ورد فيها ذكر « محررى » الصحيفة ٠

وكان فى مقدمة هؤلاء المحررين ، ولا شك ، عضو المجمع تاليان (Tallien) الذى كتب مقدمة طويلة قيمة للمجلد الأول (١) ٠ وقد نوه تاليان فى هذه المقدمة بالحاجة الى الدوريات التى تتخصص فى الآداب والعلوم والفنون ، بعد أن زاد عدد الصحف السياسية والحزبية ، نتيجة للحرية التى أتاحها الحكم الجديد فى فرنسا ٠

وقال ان نجاح الحملة الفرنسية فى غزو مصر لا ينبغى أن تقتصر نتائجه على النواحى السياسية والتجارية وحدها ، بل ان هذا النجاح لايكتمل دون أن يكون للعلوم والفنون فيه نصيب ٠

وأكد تاليان أن صفحات « لاديكاد » سوف تقتصر على المواد العلمية

= صدورها تغير الى مرة كل شهر ، ثم طالت الفترة بين كل عدد وآخر الى أكثر من شهر ، فقد احتفظت باسمها الأول ٠ وقد اقترح لها هذا الاسم كافاريللى ، على غرار دورية كان يصدرها المجمع الفرنسى فى باريس باسم « La Décade Philosophique » انظر : Charles-Roux, op. cit., p. 149.

(١) هو جان لامبيرتاليان (Jean Lambert Tallien) ، من شباب الثورة الفرنسية المعروفين . بدأ حياته بتعلم الطباعة ، وفى عام ١٧٩١ أصبح مشرفا على مطبعة صحيفة « لومونيتور » ٠ وقد ابتدع وتبنى فكرة صحيفة الحائط المطبوعة (Journal-affiche) ٠ وبعد القبض على الملك لويس السادس عشر ، أخذ يصدر صحيفة حائط تعلق فى كل انحاء باريس مرتين فى الاسبوع اسمها :
Ami des Citoyens, Journal Fraternel

وهذه الصحيفة التى كان يمولها اليعاقبة جعلته معروفا لقادة الثورة ، ومالبث أن علا ذكره وانتخب عضوا بالجمعية التأسيسية ٠ وقد ضمه بونابرت الى حملته على مصر ، ولكن منو أبعده الى فرنسا ٠ وذكرت دائرة المعارف البريطانية انه « حرر » صحيفه « لاديكاد » انظر : Encyclopaedia Britannica, Vol. 21, Tallien.

والأدبية والقانونية والفنية ونحوها ، وانه لامكان فيهـــا للموضوعات السياسية على الاطلاق ٠

وأشار تاليان كذلك الى أن سـيطرة الفرنسيين على الاقاليم المصرية كافة سوف تتيح لعلمائهم أن يبحثوا ويدرســـوا على الطبيعة كثيرا من الموضوعات التى تتصل بالآثار والمناخ والزراعة والمحصولات وما اليها ، دون أن يواجهوا من العقبات والصعاب ماواجه بعض الرحالة الذين حاولوا أن يجوسوا خلال البلاد ٠ وقال ان هذه الطمأنينة سوف تساعدهم على أن يخرجوا من دراســـاتهم بنتائج قيمة ، وأن يصححوا اخطـــاء المحاولات السابقة ٠

وذكر تاليان أن الغرض من اصدار هذه الدورية هو التعريف بمصر ، لا للفرنسيين الموجودين بها عندئذ فحسب ، وانما لفرنسا وأوربا بأسرها كذلك ٠

ولقد جاءت موضوعات « لاديكاد » بالفعل مصداقا للخطة التى بسطها تاليان فى مقدمته الى حد بعيـــد ٠ وكانت أنموذجا فريدا للاعلام العلمى الذى يحـــاول أن يقـــدم صورة واضحة الملامح لبيئة معينة بكل ما يتصل بطبيعتها وناسها ، من خـــلال مجموعة الابحاث والتقريرات والمشروعات الجـــادة ، التى تناولت مختلف الجوانب فى هـــذه البيئة بالدراســـة والتمحيص ٠

ان المجلدات الثلاثة التى تضم ما صدر من أعداد هـــذه الدورية ، تحتوى على عدد كبير من الموضوعات التى كتبها علماء الحملة وباحثوها ، والتى تحفل بالمعلومات والبيانات والاحصاءات المفيدة الممتعة عن مصر ٠

فقد قدم العلماء فى هذه الموضوعات أول دراسات تفصيلية من نوعها عن جغرافية مصر ومناخها ، وظواهرها الجـــوية ، وآثارها ، (١) وطبيعة أرضها ، ورمالها ، ومياه نيلها وبحيراتها وبحريها ٠ وكتبـــوا فى الزراعة والمحصولات والأسماك والمعادن والنباتات المصرية ٠

ودرسوا ما ينتشر فى البلاد من أمراض وأوبئة ٠ وشرحوا حساب الزمن عند المصريين ، وما يستخدمونه من مقاييس وموازين ومكاييل ٠

---

(١) مثل الدراسة الخاصة بتحديد الموقع الجغرافى لأهرام الجيزة ، وقياس ارتفاع الهرم الأكبر : الكراسة الثانية من المجلد الثالث ٠

وحققوا مواقع أهم المدن المصرية القائمة (١) والمندثرة (٢) • وقدموا دراسات حقلية متكاملة لبعض المناطق فى القاهرة والاقاليم ، واحصاءات مصنفة مقارنة (٣) • وعرضوا مشروعات مفصلة ، ادارية وصناعية واجتماعية (٤) •

صحيح أن بعض ما نشرته « لاديكاد » من موضوعات لم يكن يتصل بمصر اتصالا مباشرا ، مثل ترجمة بعض آيات القرآن الكريم ، وترجمة قصيدة أو رسالة (٥) • ولكن هذه الموضوعات ، بما يصحبها من شروح وتعليقات ، توضح بعض المعالم التى تتصل بحياة المصريين ، مثل الدين والأدب وأسلوب التفكير •

وصحيح كذلك أن بعض الموضوعات كان مجرد انتاج أدبى أو دراسة لا علاقة لها بمصر من قريب أو بعيد (٦) • ولكن عدد هذه

---

(١) مثل الاسكندرية : العدد السادس من المجلد الأول ، والقاهرة : العدد الخامس من المجلد الثانى •

(٢) مثل مدينة ايليثيا (Eleithias) باقليم طيبة القديم : الكراسة الثانية من المجلد الثالث (موقعها الحالى قرية الكاب شمالى مدينة ادفو) •

(٣) مثل الاحصاء المصنف لوفيات مدينة القاهرة فى عام ٨ جمهورية (١٧٩٩ — ١٨٠٠ م) الذى نشره ديجنت فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث ، مقارنا نتائجه باحصاء العام الذى سبقه •

(٤) مثل مشروع انشاء ادارة شئون الزراعة ، الذى قدمه نكتو (Nectoux) ونشر بالعدد الرابع من المجلد الأول ، والتقرير الخاص بصناعة الحديد والصلب الذى كتبه ليون لوفافاسير (Léon Le Vavasseur) بالعدد الخامس من المجلد الاول : ومشروع انشاء ملجأ للعجزة الذى قدمه ستة من أعضاء المجمع ونشر بالعدد الاول من المجلد الثانى •

(٥) نشرت الترجمة الفرنسية لفاتحة الكتاب مسبوقة بمقدمة طويلة ، مع النص العربى : فى العدد الرابع من المجلد الاول • ونشرت قصيدة نقولا الترك فى مدح بونابرت ، مع ترجمتها الفرنسية ، مسبوقة بمقدمة كذلك ، فى العدد الثالث من المجلد الاول • ومع تهافت القصيدة وتفاهة معانيها وركاكة ألفاظها ، فان مقدمة ترجمتها الفرنسية تستعرض فى دراسة موجزة جادة تاريخ الشعر العربى وخصائصه • والموضوعان بقلم المستشرق مارسيل • وكذلك نشر نص الرسالة التى بعث بها أعضاء ديوان القاهرة الى ديجنت بمناسبة اهدائه اياهم كتيبه عن مرض الجدرى ، مع ترجمة الرسالة بالفرنسية ، فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث •

(٦) مثل بعض القصائد التى نشرت بالعددين الأول والسابع من المجلد الأول ، ومثل الدراسة الخاصة بالبحر الاسود التى نشرت مسلسلة بالاعداد الأول والثانى والثالث من المجلد الثانى •

الموضوعات كان قليلا جدا ، بحيث لا يؤثر فى الطابع المصرى الغالب على سائر الموضوعات •

ولم تغفل « لاديكاد » الجانب الاخبارى البحت ، وان كان محدودا بنطاق المجمع ونشاطه ، فكانت تنشر فى كل عدد ملخصا بما دار فى جلساته • وكذلك كان ينشر بين حين وآخر باب عن المطبوعات الجديدة بعنوان « Bibliographie » ، يتضمن أنباء النشر العلمى لاعضاء المجمع أو غيرهم ، خارج نطاق الصحيفة ، مع التعليق المناسب أحيانا •

وهكذا كانت « لاديكاد » بحق سجلا اعلاميا لمعالم مصر من ناحية ، ولجهود أعضاء المجمع العلمى المصرى من ناحية أخرى •

وقد ساعدت حروف الطباعة المختلفة اللغات بمطابع الحملة على أن يكتمل لهذه الدورية مقومات النشر الأكاديمى الدقيق • فقد استخدمت الحروف العربية والفارسية واليونانية والقبطية والعبرية والسريانية وغيرها ، لتوضيح اسماء الاعلام والنصوص فى كثير من موضوعاتها (شكل ١٥) •

وكانت « لاديكاد » تظهر فى أعداد متتالية ، ثم تضم كل مجموعة منها فى مجلد • وبلغ عدد مجلداتها ثلاثة ، أهدى كل منها الى أحد قادة الحملة على التوالى : بونابرت ، وكليبر ، ومنو • وينتهى كل مجلد بقائمة بالملاحظات والتصويبات ، ثم بفهرس بموضوعاته •

وقد انتهى المجلد الثالث فى شهر فنتوز سنة ١٠ (مارس ١٨٠١) • ويقول بعض المؤرخين ان هناك ثلاثة أعداد صدرت بعد هذا التاريخ ، ولكنها لم تضم الى المجلد الثالث (١) •

وتختلف « لاديكاد » عن زميلتها « لوكوربيه » فى أمر جوهرى • فقد صدرت « لوكوربيه » أساسا لجنود الحملة ، تحمل اليهم الخبر والرأى والتوجيه ومواد التسلية والاعلان ، من خلال مخطط اعلامى مدروس ، وضعته قيادة الحملة بما يتفق وأهدافها وأشرفت على تنفيذه • أى أن هذه

---

(١) انظر : Wassef, op. cit., pp. 190-91. • وربما كان ذلك صحيحا ، ولكن المجموعات الموجودة بدار الكتب المصرية والمكتبة القومية الفرنسية والمتحف البريطانى لا تضم تلك الأعداد . وقد أعادت بعض دور النشر مؤخرا طبع هذه الدورية بطريقة « الأوفست » بعد تصويرها ، وأصدرتها فى ثلاثة مجلدات كذلك . وهذا ولا شك عمل جليل يحفظ للتاريخ ذلك التراث الاعلامى القيم . انظر طبعة مكتبة ببلوس ببيروت ، ١٩٧٢ •

الصحيفة بعبارة أخرى كانت ـ كما سبق القول ـ صحيفة حكومية تصدرها قيادة جيش الشرق لجنودها • فمصدر الاعلام هنا هو رأس الحملة ، وجمهوره هو قاعدتها العريضة •

أما « لاديكاد » فقد صدرت بقرار من المجمع العلمى المصرى ، لتكون فى المقام الأول سجلا لنشاط أعضائه • فمصدر الاعلام هنا هو المجمع نفسه ، وجمهوره يكون من أعضاء لجنة العلوم والفنون ، ومثقفى الحملة وقوادها ، ثم من الدوائر الثقافية فى أوربا •

وصحيح أن بونابرت هو صاحب فكرة جمع هذا الحشد الكبير من العلماء والباحثين ، ليكونوا ركنا أساسيا من أركان حملة على مصر •

وصحيح أنه هو الذى أنشأ المجمع العلمى (١) ، بل وكان نائبا لرئيسه وعضوا بلجنة الرياضيات به •

وصحيح أنه حضر الجلسة الأولى التى عقدها المجمع (٢) ، وشارك فى المناقشة التى دارت خلالها بشأن اصدار صحيفة دورية له • والراجح انه هو الذى أوحى بهذه الفكرة • فقد رأينا مدى ايمان بونابرت بالاعلام بوجه عام ، وتتبعنا حرصه على توفير ما يلزم لتنفيذ سياسته الاعلامية فى مصر من رجال وأدوات • وفضلا عن ذلك فقد لمسنا مدى اهتمام القائد الشاب بأمر « لاديكاد » بالذات ، اذ ذكرنا كيف انه سحب امتياز طبع هذه الصحيفة مع زميلتها « لوكوربيه » من صديقه مارك أوريل وعهد بهما الى مارسيل مدير مطابع الحملة الرسمية ، وكان ذلك بعد أن ضايقته كثرة الأخطاء الطباعية فى « لاديكاد » بوجه خاص (٣) • ومما يدل على مواصلة اهتمام بونابرت بأمر هذه الصحيفة انه خصها بالذكر فى المادة الثانية من آخر أمر رسمى أصدره فى مصر ، قبل تحركه ليقود حملة سوريا • فقد كان نص تلك المادة : « على المطبعة الرسمية أن تبذل أقصى جهدها فى طبع « لاديكاد » (٤) •

---

(١) أصدر أمره بذلك فى ٦ فريكيتدور سنة ٦ (٢٠ اغسطس ١٧٩٨) •

(٢) يوم ٦ فريكيتدور سنة ٦ (٢٣ أغسطس ١٧٩٨) • انظر « لا ديكاد » : العدد الأول ـ المجلد الأول •

(٣) انظر ص ٢٥ ـ ٦ •

(٤) صدر هذا الأمر فى ٩ فبراير ١٧٩٩ • وغادر بونابرت القاهرة فى اليوم التالى ليلحق بقواته التى كانت قد بدأت تحركها قبل ذلك بعدة أيام • انظر :
Périvier, op. cit., p. 90.

ولكن « لاديكاد » ، مع كل ذلك ، لم تكن تعكس أثر السلطة الحاكمة أو تردد صدى سياستها فى وضوح ، كما فعلت « لوكورييه » •

ولعل السبب فى هذا أن « لاديكاد » التزمت منذ عددها الأول بخطتها التى بسطها تاليان فى مقدمته ، أى بأن تقتصر موضوعاتها على المواد العلمية والأدبية والفنية ، وأن تبعد تماما عن كل ماله علاقة بالسياسة •

ولا شك أن ذلك ، بالاضافة الى دسامة موضوعات « لاديكاد » وتنوعها وجدتها ، قد أكسبها مكانة فى التاريخ لم تبلغها « لوكورييه » أو أشباهها •

ولم يقتصر نشاط علماء الحملة فى مجال النشر على هذه الدورية • فقد أخرجت لهم مطابع الحملة عددا من المطبوعات التى اكتفت « لاديكاد » بالاشارة الى بعضها أحيانا ، وتناولتها بالتعليق أحيانا أخرى ، فى الباب الذى كانت تقدم به لقرائها المطبوعات الجديدة ، التى يصدرها علماء الحملة أو يتلقونها •

ولم تكن هذه المطبوعات موجهة الى سائر العلماء والمثقفين من رجال الحملة وحدهم ، وانما اتسع جمهور بعضها أحيانا ليشمل جنود جيش الشرق ، وليضم كذلك المصريين وساكنى مصر من الأجانب أحيانا أخرى ، حسب طبيعة ما تتناوله من موضوعات ، واللغة التى طبعت بها • ومن أهمها :

١ ـ كتيب يتضمن قائمة مفصلة بحروف الطباعة العربية والتركية والفارسية التى تستعملها « المطبعة الشرقية والفرنسية » بالاسكندرية • وقد أعده مارسيل مدير مطابع الحملة (شكل ١٦) (١) •

٢ ـ كتيب عنوانه « وصف الرمد فى مصر وطرق علاجه » ، بقلم انطونيو سافاريزى (Antonio Savaresi) الطبيب بجيش الشرق •

---

(١) كان هذا هو أول مطبوع ـ غير المنشورات ـ يصدر فى مصر • وقد أخرجته مطابع الحملة بمجرد اقامتها بالاسكندرية ، ويقع فى ١٦ صفحة من القطع الصغير • ويمثل الشكل الصفحتين الأولى والأخيرة من الكتيب ، وهو من محفوظات دار الكتب المصرية •

وقد طبع بالايطالية ، ونشرت « لاديكاد » ترجمته الفرنسية مجزأة فى أكثر من موضوع بالمجلد الثانى (شكل ١٧) (١) .

٣ ـ كتاب بعنوان « أمثال لقمان الحكيم » • وقد طبع بالعربية مع ترجمة فرنسية ، مسبوقة بمقدمة شارحة عن هذا الحكيم ونشأة الأمثال فى الشرق ، بقلم المستشرق مارسيل • ونشرت « لاديكاد » هذه المقدمة ، معتذرة من عدم نشر النصوص نفسها بضيق الحيز ، فى العدد السادس من المجلد الثانى (شكل ١٨) (٢) .

٤ ـ الطبعة الفرنسية من الكتيب الخاص بوباء الجدرى ، الذى كتبه ديجنت وسبقت الاشارة الى طبعتيه العربيتين (٣) • وقد ظهرت هذه الطبعه مع الطبعه العربية الأولى ، واشارت «لاديكاد» اليها ، فى العدد السابع من المجلد الثالث • وكذلك نشرت «لاديكاد» ـ بالعربية ـ نص الرسالة التى بعث بها أعضاء الديوان الى ديجنت لشكره على اهدائهم الطبعة الثانية من هذا الكتيب ، التى أكدت الصحيفة أنها صدرت بالعربية وحدها ، مع ترجمة الرسالة الى الفرنسية ، فى الكراسة الثانية من المجلد الثالث (شكل ١٩) •

٤ ـ حوليات (Annuaires) الجمهورية الفرنسية ، للاعوام السابع والثامن والتاسع • وتتضمن كل حولية عددا من البيانات والاحصاءات عن فرنسا ومصر ، وجداول مقارنة المقاييس والموازين الفرنسية والمصرية ، وكذلك مقارنة بين التقويم الهجرى والتقويم الفرنسى الجديد • وقد قامت بتصنيف هذه الحوليات لجنة خاصة من المجمع العلمى • واشارت «لاديكاد» فى العدد الخامس من المجلد الثانى ، الى ظهور الحوليتين الأوليين معا ، اذ أن الحولية الأولى لم يمكن صدورها فى موعدها ، فلم تكن مطابع الحملة وقتئذ قد نقلت بعد الى القاهرة (شكل ٢٠) (٤) .

---

(١) تشير قائمة «جيس» الى صدور طبعة عربية من هذا الكتيب ، غير ان «لاديكاد» لم تذكر ذلك، مع انها أشارت فى المجلد المذكور الى صدور الطبعة الايطالية . وكذلك لم يعثر المؤلف على اى دليل يؤيد ماذهب اليه «جيس» • وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس •

(٢) لم يستطع المؤلف العثور على هذا الكتاب كذلك .

(٣) انظر ص ٤٣ . هذا ولم يتيسر العثور على الطبعه الفرنسيه .

(٤) يمثل هذا الشكل الصفحة الأولى من حولية العام الثامن • وهى من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وتوجد هناك ملحقه باحد مجلدى صحيفة « لوكورييه دى ليجبت » وتقع فى ١٠٨ صفحات .

الفصل الرابع

الإعلام لغير المصريين من السكان

أشارت بعض المصادر الفرنسية القديمة ، التى تناولت مطابع الحملة الفرنسية أو أرخت لمديرها المستشرق مارسيل ، الى أن هذه المطابع أخرجت ، الى جانب المطبوعات الفرنسية والعربية ، مطبوعات أخرى باللغتين اليونانية والتركية ، أغلبها ترجمات لبعض المنشورات التى صدرت بالعربية أو الفرنسية ، موجهة الى اليونانيين والأتراك من سكان مصر (١) ٠

وقد ردد بعض من كتبوا عن الحملة الفرنسية من المحدثين هذه الأقوال دون تعليق (٢) ٠ وزاد البعض الآخر من هؤلاء ، فقال انه رأى بعض مطبوعات الحملة باليونانية ، ولكنه لم يشفع قوله بأية اشارة توثقه أو توضح مصدره (٣) ٠

---

(١) انظر مثلا : Taillefer, « Notice Historique et Bibliographique sur M.J.J. Marcel », Revue de l'Orient, de l'Algérie et des colonies, Tome XVI, Paris, 1854, p. 318.

(٢) ابراهيم عبده ، تاريخ الطباعة والصحافة ، ص ٢٦ ، ٣٥ ، ٥٤ ، خليل صابات ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٠ ؛

(٣) Wassef, op. cit., pp. 86-7.

ومع أن المؤلف ، فى بحثه عن نماذج مطبوعات الحملة ، وبخاصة المنشورات ، لم يعثر على مطبوع يونانى واحد . فهناك من المراجع ما يشير الى صدور بعض المنشورات اليونانية . فقد نشرت صحيفة «لو كورييه» (١) نص بيان موجز أصدره الجنرال منو الى اليونانيين الذين كانوا يقيمون بمصر من قبل قدوم الحملة الفرنسية ، يدعوهم فيه الى استئناف أعمالهم التجارية ، ويطمئنهم الى انهم سوف يتمتعون بالأمن والحماية .. ويؤكد لهم أن عهد الظلم والاضطهاد قد زال .. الخ . وذيلت الصحيفة هذا البيان بعبارة تقول انه صدر فى منشور طبع بالفرنسية واليونانية « Cette proclamation a été imprimée en français et en grec »

صحيح أن مطابع الحملة كانت مزودة بحروف يونانية ، ولكن هل صدرت حقا منشورات باللغة اليونانية ؟ وهل تمثل هذه المنشورات جانبا له وزنه من مطبوعات الحملة ؟ أم أن تلك الحروف اقتصر استخدامها على جمع بعض الكلمات فيما نشر بصحيفة « لاديكاد » من بحوث ؟

ان عددا كبيرا من المنشورات التى تتضمن تعليمات أو اخطارات عامة ، والتى تحتوى من البيانات والتنظيمات ما يهم السلطات الفرنسية أن تبلغه الى الجاليات الأجنبية ، وما يفيد هذه الجاليات كذلك أن تطلع عليه ، كان يصدر اما فى نسخ مستقلة بالفرنسية الى جانب النسخ العربية ، واما فى نسخ باللغتين معا . هذا سواء أكانت تلك المنشورات موجهة الى سكان مصر جميعا ، أم الى أهالى منطقة معينة كالقاهرة أو الاسكندرية .

وسنكتفى هنا بالاشارة الى نماذج قليلة من هذه المنشورات ، اذ أن الفصول القادمة من البحث سوف تتعرض — بالضرورة — لعدد كبير من المنشورات مزدوجة اللغة .

وأول هذه النماذج المنشور الذى يتضمن قائمة بأسعار العملات المتداولة ، والذى صدر بالاسكندرية ، بعد أيام قليلة من احتلال الفرنسيين للمدينة (٢) ، بقرار من لجنة مشتركة ضمت ممثلين للسلطة الفرنسية وعددا من كبار التجار المصريين . وقد جاء فى مقدمة القرار انه

---

(١) العدد ٩٢ ، بتاريخ ٢١ فريمير سنة ٩ (١٢ ديسمبر ١٨٠٠) .
(٢) فى ١٨ مسيدور سنة ٦ (٦ يوليو ١٧٩٨) .

اتفق على طبعه بالفرنسية والعربية (الطبعة الفرنسية شكل ٢١) (١) ٠

ومنها المنشــور الخاص بالتقسيم الادارى لمصر ، الذى أصدره كليبر فى أوائل عهد قيادته للحملة ٠ (شكل ٢٢) (٢) ٠

وهناك مثلا المنشور الذى صدر بالفرنسية والعربية معا ، ليذيع امر منو بتحديد مقادير عدد من الضرائب فى كل أنحاء البلاد (٣) وقد تضمنت هذه الضرائب فرض « عوايد على القبط وأهل بر الشــام وعلى الأروام واليهود والافرنج :

(شكل ٢٣) « sur les nations copte, syrienne et damasquine, grecque et juive ».

ثم هناك المنشور الذى يعلن عن بيع بالمزاد العلنى لكميات من الأرز والحلبــة والترمس بمخــازن الحمــلة ، الذى أصــــدره بالعربية والفرنســـــية رينييــه (Reynier) فى عهـــــد منــــو كذلك (شكل ٢٤) (٤) ٠

ويلاحظ على مثل هذه المنشورات أمران :

١ ـ انها لا تدخل فى نطاق المنشورات الموجهة الى جنـــود الحملة وحدهم ٠ فلا علاقة للجنود ـ مثلا ـ بمزاد تباع فيه أرادب الارز والحلبة، ولا يهمهم كثيرا أمر العوائد المفروضة على المدن وطوائف السكان ٠ وحتى اذا كان بعض ما تتضمنه هذه المنشورات ذا قيمة اعلامية لهم ، فقد كان يغنيهم عنه عادة ما تنشره لهم صـــــحيفة « لوكوريية » والمنشورات التى تصدر خصيصا لهم ٠

---

(١) لم نعثر على النسخة العربية ٠ ولكن منشورا عربيا آخر صــدر بعــد ذلك بعامين (فى ٢٢ ترميدور سنة ٨ = ١٠ أغسطس ١٨٠٠ ، وسنشير اليه فيما بعد) بعنوان « هذه تعريفة النقود » ، أشار فى بدايته الى سبق صدور ذلك المنشور الاقدم بعبارة « وكنــا عملنا التعريفــة وطبعنــاه بالعربى والفرنســاوى فى ١٧ يوم من شهر مسيدور سنة ٦ للمشيخة الفرنساوية » . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

(٢) فى ٢٨ فروكتيدور سنة ٧ (١٤ سبتمبر ١٧٩٩) ٠

(٣) فى ٢٠ فندمير سنة ٩ (١٢ أكتوبر ١٨٠٠) ٠

(٤) فى ٢٥ فندمير سنة ٩ (١٧ أكتوبر ١٨٠٠) ٠ وكان رينييه يتولى منصب « مدير ادارة الايرادات العينية والممتلكات الحكومية » (Directeur des Revenus en nature, et du mobilier national). وهــذه النسخة من محفوظات المكتبــة القومية بباريس ٠

٢ ـ ان أصولها تتضمن فى العادة نصا على أن تنشر بالفرنسية والعربية فقط ، مع ان مضمونها يهم سكان مصر جميعا من مختلف الجنسيات . وحتى اذا تضمنت ذكر اليونانيين (الاروام) صراحة ، باعتبارهم من الطوائف التى يهم اعلامها بأمر ما ، فان اليونانية لا يرد ذكرها باعتبارها احدى اللغات التى سيطبع بهـا المنشور . وذلك واضح مثلا من المنشور الخاص بالضرائب الذى أشرنا اليه آنفا . ولو كان أى من هذه المنشورات قد طبع بلغة أخرى لورد فيه ذكر ذلك ضمن عبارة « أمر النشر » التقليدية التى يذيل بها نص المنشور .

وفوق ذلك ، فان المنشور الذى يتضمن أمر بونابرت بتجنيد ثلاث سرايا من أبناء الجالية اليونانية بمصر ، صدر باللغة الفرنسية وحدها (شكل ٢٥)(١) ، دون ما أشارة الى طبعه باليونانية كذلك .

ومعنى هذا أن هناك شكا كبيرا فىصدور منشورات باللغة اليونانية الى المتكلمين بهـا من سكان مصر ، حتى اذا كانت تتضمن ما يهمهم من الامور .

واذا كان ما ذكرته «لوكورييه» بشأن صدور منشور بهذه اللغة قد حدث بالفعل ، وكانت أمثال هذا المنشور قد ضاعت مع غيرها من مطبوعات الحملة ، رغم مابذله الباحث من جهد في البحث عنهـا بالقاهرة وباريس ولندن ، فمن المؤكد أن ذلك كان أمرا نادر الحدوث . ومن الراجح فى هذه الحالة أن المنشور الذى أشارت اليه «لوكورييه» كان من الظواهر الطباعية النادرة فى ذلك العهد .

* * *

أما عن اللغة التركية ، فقد أشارت بعض المصادر الى أن عددا من المنشورات لم تصدر بالفرنسية والعربية وحدهما ، وانما صدرت كذلك بالتركية .

فقد ذكر جيبس ، فى قائمته التى ضمنها مطبوعات الحملة ، مجموعة المستندات الخاصة باجراءات محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ، باللغات الفرنسية والعربية والتركية .

---

(١) بتاريخ ٧ برومير سنة ٧ (٢٨ أكتوبر ١٧٩٨) . وكانت كل سرية مكونة من مائة رجل ، وذلك للقيام ببعض مهمات الحراسة فى مدن القاهرة ودمياط ورشيد . وهذه النسخة من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة .

ومن قبله اشار الجبرتى الى ذلك فى حديثه عن مصرع كليبر . فقد قال بعد ذكر الحادث وما تبعه من اجراءات سريعة (١) : « وألفوا فى شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية » .

وقد تأيد بالفعل ما أشار اليه كل من الجبرتى وجيس ، فهناك — كما ذكرنا — مطبوع يتضمن مستندات محاكمة سليمان الحلبى وشركائه باللغة التركية (شكل ٢٦) ، الى جانب نصوصها العربية والفرنسية (٢) .

وكذلك فان المنشور المستقل الذى سجل آخر جلسات المحاكمة التى صدر فيها الحكم ، نص فى صراحة على أن «هذه الشريعة والفتوة (الفتوى) لازم ينطبعوا باللغة التركية والعربية والفرنساوية من كل لغة قدر خمسماية نسخة لكى يرتسلوا ويتعلقوا فى المحلات اللازمة » . وهذا فى حد ذاته دليل على صدور طبعة تركية من ذلك المستند بالذات .

ولعل ذلك راجع الى طبيعة تلك الوثائق التى تتعلق بحادث ميز من أبرز الحوادث فى تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر ، وما ترتب عليه من اجراءات التحقيق والمحاكمة ، وما يتصل به من ملابسات سياسية .

فقد ثبت من اعترافات سليمان الحلبى التى أذاع نصوصها الفرنسيون ، الى جانب أنه اعتبر قتل كليبر جهادا فى سبيل الله ، ان بعض المسئولين العثمانيين فى حلب حرضوه على قتله . ومن هنا اتخذ هذا الحادث طابعا سياسيا ، وأصبح بذلك جزءا من الصراع الكبير بين الفرنسيين والعثمانيين حول مصر .

ولما كان الفرنسيون قد حرصوا على أن يوفروا لهذه المحاكمة كل مظاهر الضمانات التى تكفل اجراءات قضائية سليمة ، الأمر الذى لفت نظر الجبرتى وأشاد به (٣) ، فقد حرصوا كذلك على أن ينشروا كل مادار

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ص ١١٦ .

(٢) أنظر ص ٤٤ ، ٥٤ . وتقع هذه المستندات التركية ى ٨٨ صفحه .

(٣) قال الجبرتى فى هذا الصدد (**المرجع السابق** ، س ١١٦ — ١٧) : « وألفوا فى شان ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها .. وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها .. ثم رأيت كثرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تجارى على كبيرهم وبعسوبهم رجل آفاقى أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من =

فيها بالتركية ، الى جانب العربية والفرنسية • وذلك لكى يتخـذوا منها اداة دعائية فى وجه العثمـانيين الذين كانوا يحشدون قواتهم لاسترداد مصر ، فى بلاد الشام وفى البحر المتوسط • ولا شك انه كان من اليسير أن تصل هذه المطبـوعات أو مضمونهـا اليهم ، ولو بتدبير من السلطات الفرنسية ذاتها •

ويلاحظ انه لم ترد اشاره صريحة مماثلة فى وثائق الحملة ، تدل على طبع منشور أو مستند معين آخر باللغة التركية • بل ان وثيقة مهمة مثل اتفـاقية العريش التى ابرمت فى عهد كليبر بين قيـادة الحملة والعثمانيين للجلاء عن مصر(١) ، وان كانت لم يقدر لها أن تنفذ ، طبعت بالعربية والفرنسية وحدهما • وخلا نص هذه الاتفاقية من أية اشارة الى طبعها بالتركية ، بالرغم من ملاءمة ذلك لطبيعتها • فقد جاء فى ختـامها انها « منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوى الى الوكلا العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغة التركية » • ومعنى ذلك أن لهذه الاتفاقية «أصلا» باللغة التركية ، ولكنه لم يطبع •

وكذلك فان اتفاقية الجلاء الاخيرة التى عقـدها بليار (Belliard) قائمقام (نائب) منو بالقاهرة(٢) ، نشرت بالعربية والفرنسية ، دون أدنى اشارة الى طبعها بالتركية أيضا •

غير أن أحد مؤرخى الحملة المعروفين(٣) يقـول ان منشور بونابرت الأول الى المصريين طبع بالفرنسـية والعربية والتركية . ويردد هذا القول عنه أحد المؤرخين المحدثين(٤) • مع أن هذا المؤرخ نفسه يذكر فىصفحات

اخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأمرهم بل رتبوا حكومة ومحـاكمة وأحضروا القـاتل وكرروا عليـه السؤال والاستفهام .. ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم .. » .

(١) وقعت فى ٢٤ يناير ١٨٠٠ ، واذيع نصها فى منشور طبع بالعربية والفرنسية ، محرر بتاريخ ٨ بلوفيوز سنة ٨ (٢٨ يناير ١٨٠٠) • وسرعان ما نقضت هذه الاتفاقية •

(٢) وقعت فى ٢٧ يونيو ١٨٠١ . وقد اذيع نصها الفرنسى كاملا فى طبعة مستقلة ؛ كما نشرت بعض موادها بالعربية والفرنسية فى طبعة أخرى . وكان بليار قد عين حاكما للقاهرة وقائدا لحاميتها يوم ٢١ يونيو ١٨٠٠ ، عقب تولى منو قيادة الحملة .
وسوف تستكمل دراسة هذين المنشورين فى مواضع تالية من الكتاب .

(٣) Lacroix, Désiré, Bonaparte en Egypte, Paris, 1899, p. 80.

(٤) Herold, op. cit., p. 68.

سابقة قصة الضابط التركى الذى زار بارجة القيادة «لوريان» قبل نزول الفرنسيين الى الشاطىء ، وأعطى نسخة عربية من المنشور • وعندما اعتذر بأنه لا يقرأ العربية ، ترجم له المستشرق فانتور — مشافهة — نص المنشور الى التركية (١) •

فمتى طبع هذا المنشور بالتركية ، اذا كان بونابرت بمجرد النزول الى الاسكندرية ، وقبل نقل المطابع ، قد أمر — كما قيل — بأن يعلن باللغات الثلاث ؟

وحتى اذا كان الفرنسيون قد تمكنوا من طبع ترجمة للمنشور بالتركية في البحر ، بعد زيارة ذلك الضابط التركى وقبل النزول الى المدينة ، وهو احتمال ضعيف ، فلا شك أن ذلك كان أيضا بسبب طبيعة هذا المنشور الخاصة • فهو أول خطاب من قائد الحملة الى شعب مصر • وكانت مصر من الناحية الرسمية ايالة عثمانية ، يمثل سيادة الدولة بها جهاز تركى على رأسه الوالى • كما كانت أمورها من الناحية الفعلية فى أيدى آلاف المماليك ، الذين يتكلمون التركية •

هذا فضلا عن أن بونابرت أراد أن يؤكد فى المنشور صداقة الفرنسيين للسلطان العثمانى ، وأنهم ما قدموا الى مصر لينتزعوها من حوزته ، وانما قصدوا بحملتهم أن يخلصوا مصر من شرور المماليك الذين عصوا السلطان واستبدوا فيها بالأمر دونه • فقد جاء بهذا المنشور أن «الفرانساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا المحبين الاخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعدا أعدايه أدام الله ملكه ، وبالمقلوب (يقصد « وعلى العكس من ذلك » ، ترجمة للأصل الفرنسى « au contraire » المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما طاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم » • وجاء به كذلك: «المادة الثالثة • كل قرية التى تطيع للعسكر الفرانساوى الواجب عليها نصب السنجاق (العلم) الفرانساوى وأيضا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاه » •

وكانت آخر عبارات المنشور : « ادام الله اجلال السلطان العثمانى ادام الله اجلال العسكر الفرانساوى لعن الله المماليك وأصلح حال الامة المصرية » •

ومن هنا فان اصدار هذا المنشور بالتركية كذلك له ما يبرره • غير

---

(١) راجع ص ٢٢ •

أنه من المستبعد ـ فيما نرى ـ أن يكون الفرنسيون قد أصدروا أية مطبوعات أخرى باللغة التركية • فلمن يصدرونها ؟

انهم سرعان ما قضوا على المماليك ، وفر من بقى من هؤلاء اما مع ابراهيم بك الى الشام ، واما مع مراد بك الى أقاصى الصعيد • وكذلك خرج من مصر مع مماليك ابراهيم معظم من كانوا يعملون بها قبل الحملة من رجال الدولة العثمانية • بل ان زعماء المماليك الذين بقوا بصعيد مصر كانوا ـ اذا دعا الأمر ـ يكاتبون السلطات الفرنسية باللغة العربية • ومن ذلك، مثلا ، رسالة مراد بك الى الجنرال منو التى ضمنها تعزيته فى مصرع سلفه الجنرال كليبر، وأكد فيها استمرار الاتفاق الذى سبق أن عقد بين الطرفين (شكل ٢٧) (١) • وقد بعث مراد بك عدة رسائل مماثلة الى جنرالات الحملة الآخرين • وهذه وغيرها من رسائل المماليك وعرائضهم العربية محفوظة بقسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية ، مع ترجمتها الفرنسية ، شأنها فى ذلك شأن سائر الرسائل التى كان يبعث بها الى قيادة الحملة مختلف الافراد والطوائف من المصريين وغيرهم •

وعلى ذلك فيمكن الجزم بأن العربية والفرنسية كانتا لغتى الاعلام الرئيسيتين للحملة الفرنسية فى مصر ، وان اليونانية والتركية ، اذا كانتا قد استخدمتا ، فان ذلك لم يحدث الا قليلا جدا ، بل نادرا ، وفى مناسبات معينة اقتضت هذا الاستخدام •

وذلك بالطبع لا يتعارض مع ما سبق ان ذكرناه من استخدام بعض علماء الحملة فيما نشروه من بحوث بصحيفة « لاديكاد اجبسيين » لألفاظ وعبارات بلغات مختلفة غير الفرنسية ، تطلبت موضوعات البحوث استخدامها • ولا يتعارض كذلك مع ما أشرنا اليه من طبع أحد الكتيبات العلمية بالايطالية ، التى كانت اللغة الأولى لمؤلفه (٢) •

---

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ، وهى بتاريخ ١٥ صفر ١٢١٥ (يوافق ٨ يوليو ١٨٠٠) • وكان هذا الاتفاق يقضى بأن يحكم مراد بك الصعيد الأقصى جنوبى بلدة بلصفورة (بمحافظة سوهاج الآن) باسم الجمهورية الفرنسية ، وأن يمنح خراج اقليم جرجا •

(٢) انظر ص ٦١ ــ ٢ •

الباب الثالث

المنشورات العربية وسيلة إعلام

كثيرون ممن أرخوا للحملة الفرنسية فيمصر ، من أجانب ومصريين، أهملوا ذكر المنشورات العربية التى أصدرتها سلطـــات الحملة ، بل ان بعض من أرخوا للصحافة في مصر أغفلوا أمر هذه المنشورات اغفالا تاما ، مثل فيليب دى طرازى(١) ٠

وهناك مؤرخون آخرون ، قدامى ومحدثون ، تنـــاولوا فى كتاباتهم هذه المنشورات ٠ وقد تفاوت ماكتبوه عنها بين الاشارات العابرة والفقرات الموجزة ٠

وهناك أيضا ، غير هؤلاء وأولئك ، من ســجلوا نصـــوصا كاملة أو مجتزأة لعدد من المنشورات العربية أو ترجمتها (أصولها) الفرنســـية ٠ ولكن معظمهم تعرض لهــذه النصــوص من حيث صلتها بموضوع معين ، وقليل جدا منهم من التفت الى «ظاهرة» اصدار المنشورات نفسها ٠

لقد كان الجبرتى ، مؤرخنا المعـــاصر للحملة ، هو أول من ســجل نصوص عدد كبير من هذه المنشورات ، فى مناســبات صدورها ٠ وكلما تناول بالسرد أو التعليق مضمون أحدها ، كان لا يفوته أن يسجل كذلك عملية نشره واذاعته ٠ فيقول مثلا : «٠٠٠ وكتبـــوا نسخا من ذلك كثيرة أرسلوا منها الى الأعيان ولصــقوا منها نسخا فى مفـارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد» ، أو «٠٠٠ كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالاسواق مضمـــونها ٠٠٠» ، أو «٠٠٠ وكتبـــوا بذلك طومارا(٢) كبيرا بصموا منه نسخا كثيرة ٠٠ وألصقوا منها بالاسواق على العادة » ٠

---

(١) فى كتابه « **تاريخ الصحافة العربية** » الذى سبقت الاشارة اليه ٠ وقد أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبع أجزاء الكتاب الأربعة بالأوفست ــ بعد تصويرها ــ عام ١٩٧١ ٠

(٢) « الطومار » و « الطامور » : الصحيفة ٠

وسجل نقولا الترك ، وقد عاصر الحملة الفرنسية كذلك ، نصوص عدد من تلك المنشورات ، ولكنه لم يكن فى ذلك دقيقا • كما ان كتاباته عن الحملة بوجه عام اتسمت بالخفة والسطحية ، والافتقار الشديد الى الصدق والموضوعية (١) •

وعن الجبرتى نقل كثير من المؤرخين المحدثين ، وبخاصة من كتبوا بالعربية ، ما أرادوا الاستدلال به أو التعليق عليه من نصوص تلك المنشورات •

وممن خص هذه المنشورات بالذكر من المؤرخين الفرنسيين لاكروا (٢) ، الذى أورد نصوصا فرنسية دقيقة وكاملة لعدد من المنشورات العربية فى مناسباتها •

وفى دراسة ألبير جيس لمطابع الحملة فى مصر ، قال عن المنشورات بوجه عام انها « كانت كثيرة متواترة ، وكانت تطبع طبعتين ، واحدة للصق والأخرى من حجم أصغر للتوزيع » • وقال أيضا انه تمكن من رؤية عدد من المنشورات التى أصدرها قواد الحملة الثلاثة للأهالى ، « ولكن الجزء الأكبر من هذه المنشورات ضاع أو تمزق » • وكذلك وصف جيس فى دراسته أحد المنشورات التى طبعت بالعربية والفرنسية ، فذكر طوله وعرضه وعدد سطوره (٣) •

واكتفى شارل رو بأن أشار الى المنشورات العربية ضمن غيرها من المطبوعات المشابهة : كالأوامر اليومية والنشرات الادارية التى كانت تصدرها قيادة الجيش أو الادارة المالية للحملة (٤) •

أما مؤرخونا وباحثونا المحدثون ، فقد كان فى مقدمة من اهتم منهم

---

(١) كان الترك يعمل فى خدمة الأمير بشير اللبنانى ، ثم أوفده هذا الى مصر ايام الحملة لمراقبة الاحوال • فاتصل بالفرنسيين اتصالا وثيقا • وكتب الترك عن الحملة يوميات صدرت مع ترجمتها العربية فى طبعتين : احداهما فى باريس عام ١٩٣٩ بواسطة المستشرق ديجرانج (Desgranges) بعنوان « **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية** » ، والثانية فى القاهرة عام ١٩٥٠ على يد جاستون فييت (G. Wiet) بعنوان « **مذكرات نقولا الترك** » • وقد بالغ هذا المؤرخ كثيرا فى تمجيد الفرنسيين ، كما تحامل بشدة على مسلمى مصر وسوريا •

(٢) فى مرجعه السابق ذكره •

(٣) Op. cit., pp. 151, 154.

(٤) Op. cit., p. 153.

بالمنشورات العربية الأستاذ عبد الرحمن الرافعي (١) ، الذى أورد نصوص عدد منها ، نقلا عن الجبرتي ، أو ترجمة عن أصولها الفرنسية من بعض الكتب والمراجع أو من صحيفة «لوكوريه» • وفعل مثل ذلك أيضا الاستاذ أحمد حافظ عوض (٢) •

واستند الدكتور عبد العزيز الشناوى كذلك الى نصـوص عدد من هذه المنشورات ، نقلا عن الجبرتي أو نقولا الترك أو المصادر الفرنسية ، فى دراسته الأخيرة عن موقف الأزهر ورجاله من الحملة الفرنسية (٣) •

ومن ناحية أخرى ، أشار بعض مؤرخينا الى هذه المنشورات ، من حيث استخدامها وسيلة دعائية ، حاول الفرنسـيون عن طريقها توثيق صلة المصريين بهم • فقال الدكتور محمد فؤاد شكرى مثلا «••• جريا على سياسته (فى الاستعانة بنفوذ علماء الدين لتنفيذ خططه) لم يلبث بونابرت أن استخدم الديوان والعلماء فى اصدار المنشورات لتسكين خواطر الأهالى وحضهم على التزام الهدوء والسكينة ، ثم لنقل الاخبار الهـامة التى رأى اذاعتها على المصريين فى أثناء الحملة السورية » (٤) •

وقال الاستاذ محمود الشرقاوى : «أظهر نابليون كل ماعنده وعند رجاله من بلاغة وبيان لكى يؤثر فى المصريين عن طريق منشوراته العربية• ولكنهم قاوموه أعنف المقاومة وأشدها •• » (٥) •

أما الدكتور ابراهيم عبده فقال فى تأريخه للطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية ان «أفضل المطابع التى خدمت القائد العام من الناحية السياسية فى مصر هى مطبعته العربية . فبواسطتها اذاع على السكان بين الفينة والفينة تلك النداءات التى كانت تساعد من غير شـك على توجيه الوطنيين توجيها خاصا » (٦) •

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، الجزءان الأول والثانى ، القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٤٨ •

(٢) فتح مصر الحديث او نابليون بونابرت فى مصر ، القاهرة ، ١٩٢٥ •

(٣) صور من دور الأزهر فى مقـاومة الاحتـلال الفرنسى لمصر فى أواخر القرن الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •

(٤) الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧٢ •

(٥) مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الثالث : شعب مصر وكفاحه ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٣٦ - ٧ •

(٦) مرجع سبق ذكره ، ص ٥٦ - ٧ •

ثم قال ، عندما كان يدلل على عدم صدور صحيفة عربية أيام الحملة، انه « لم يكن من المستبعد أن يكون (بونابرت) قد فكر فى انشاء صحيفة عربية تذيع أغراضه ونواياه • وقد رأيناه شديد العناية باذاعة النداءات العربية بين الحين والحين ، وهذه كانت تقوم مقام الصحف على غير ميعاد• بيد ان ظروف الجنرال بونابرت لم تسمح له بأن يحور هذه النداءات بحيث تنصل وتتسع لأغراض أخرى وتصبح صحيفة يقرؤها الناس فى ميعاد معلوم ، وكذلك لم يوات العمر الجنرال كليبر حتى يفكر فى مثل هذا التفكير •• » (١) •

وأما الدكتور لويس عوض فكان أكثر نفاذا الى حقيقة المنشورات العربية للحملة ، وأقرب الى تقويم دورها • لقد تحدث عنها من حيث صلتها بالمبادىء الدستورية ، التى اعتبر أن سلطات الحملة الفرنسية حاولت اقرارها فى مصر • فقد قال انه لمعرفة الأوضاع الدستورية فى تلك الفترة «ينبغى تتبع الملصقات الكثيرة التى كانت أجهزة الحكم تنشر بها البيانات والمراسيم والقوانين والقرارات وعامة ما تنظم به العلاقة بين الحاكم والمحكوم » • ثم قسم هذه «الملصقات» الى ثلاثة أنواع : فهى اما موجهة من السلطات الفرنسية الى الشعب ، أو منها الى أحد الديوانين(٢) ، أو من أحد الديوانين الى الشعب • ولكنه لم يتعد فى حديثه القصير عن المنشورات بعد ذلك نطاق صلتها بما سماه بالأوضاع الدستورية (٣) •

* * *

هذه النماذج تمثل أبرز الزوايا التى نظر منها المؤرخون والباحثون الى المنشورات العربية التى أصدرتها الحملة الفرنسية فى مصر •

ومع التفاوت الكبير فى اتجاهات هذه الزوايا ، وفى مدى نفاذ النظر منها ودقته ، ومع تعدد أساليب التناول واختلاف حصيلته كما وكيفا ، تكونت من تلك الكتابات والاشارات المتناثرة حزمة ضوء هادىء ، لفت نظر الباحث الى أهمية تلك الظاهرة الفريدة فى تاريخ مصر الحديث ، وضرورة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٩ •

(٢) يقصد الديوان العمومى والديوان الخصوصى ، وهما يمثلان الشكل الثانى من أشكال نظام التمثيل الشعبى الذى وضعه بونابرت لمصر • وسيأتى تفصيل ذلك فيما بعد •

(٣) تاريخ الفكر المصرى الحديث، الجزء الثانى : الفكر السياسى والاجتماعى، القاهرة، ١٩٦٩ ص ٨٣ ــ ٥ •

أن نوفي حقها من البحث ، وأن يبـذل في دراستها وتحقيقها مزيد من الجهد ٠

وقد سبق أن أشرنا (١) الى الاهمية التاريخية التى يمثلها اصـدار الحملة الفرنسية للمنشورات العربية المطبوعة . وقلنا ان ظهور هذه المنشورات كان نقطة تحول كبرى في نظام الاعلام بمصر ، حددت النهج الاعلامي الذى عرفته مصر بعد الحملة لسنوات طويلة ٠

ومعنى هذا انه كان لتلك المنشورات في مجمـوعها قسمات معينة تمثل كيانا متميزا لوسيلة اعلامية ذات مقومات واضحة ٠ فما هو هـذا الكيان المتميز ؟ وهل يمكن اعتبار تلك المنشورات صـحيفة أو ما يشبه الصحيفة ؟ ان تحديد سمات المنشورات العربية ، أيا كانت درجة نضجها واكتمال مقـوماتها ، أمر ضرورى لابراز صـورتها واستجلاء حقيقتها ، وبالتالى لتأكيد ما ذكرناه من أهميتها ٠

وهذا التحديد يقتضى تحليـلا لمضمون تلك المنشـورات ، سواء ما استطعنا الحصول على صوره منها أو ما نقلته المصادر المعاصرة للحملة من نصوصها ، وفي مقدمة هذه المصادر تاريخ الجبرتى ٠ وذلك من حيث دلالة ما يحمله ذلك المضمون من رسـائل اعلامية ، ومن حيث لغة هذه الرسـائل وأسـلوب تحريرها ٠ ويقتضى كذلك دراسة للخصـائص التيبوغرافية للمنشورات ، أى من حيث الطبـاعة والاخراج وما يتصل بهما ٠ هذا فضلا عن بحث بعض الجـوانب الاخرى المتعلقة بظهورها أو بامتداد أثرها ٠

***

وقبل هذا لا بد من جلاء نقطة أساسـية ، وهى الخـاصة باصدار صحيفة عربية في عهد الحملة الفرنسية ٠

لقـد ظن بعض المؤرخين أن قادة الحملة أصـدروا في مصر بالفعل صحيفة عربية كاملة المقومات . فقال فيليب طرازى أن هـذه الصحيفة كانت تسمى «الحوادث اليومية» ، وكان يحررها اسـماعيل الخشاب ، وقد أنشأها بونابرت ٠ وقال ان هذه الصـحيفة كانت تصدرها «البعثة العلمية» ، الى جانب «لاديكاد» و «لوكورييه» ٠ واعتبر طرازى أن هـذه

(١) راجع ص ٣٦ ـ ٤١ ٠

الصحيفة هي « جده الصحف في لغة الناطقين بالضاد » (١) ٠

وزعم مؤرخون آخرون أن الصحيفه كانت نسمي «التنبيه» (٢) ، وان منشئهـا هو الجنرال منو ، ثالث قواد الحملة وآخرهم ٠ وأول هؤلاء المؤرخين هو جيس الذى ذكر «التنبيه» ضمن قائمنه المشهورة لمطبوعات الحملة في مصر (٣) ٠ وقد نقل عنه شارل رو دون تحفظ أو تعليق (٤) ٠ ومن المحدثين الذين قالوا بذلك جرجى زيدان (٥) وأبو الفتوح رضوان(٦)

وقد تصدى عدد من المؤرخين والباحثين ، من قدامى ومحدثين كذلك، لنفي صدور هذه الصحيفة ، وان تفاوتت درجة النفى بين القطع الحاسم ، وبين الترجيح الهادىء الذى لا يوصد الباب تماما في وجه الاحتمال المضاد أيا كان ضعفه ٠ ومن هؤلاء ريجو (٧) وأوجين آتان (Eugène Hatin) (٨) ثم عبد الرحمن الرافعى (٩) وابراهيم عبده (١٠) وأمين واصف (١١) ٠

واكتفى آخرون بموقف سلبى بحت ، فأغفلوا الاشارة تماما الى أية صحيفة عربية ضمن ما ذكروه من مطبوعات الحملة ٠ ومن هؤلاء كانيفيه (١٢) وديهران (١٣) ٠

فما هي الحقيقة وراء هذا كله ؟

لا شك أولا فى أن طرازى قد أخطأ خطأ كبيرا عندما فسر وظيفة اسماعيل الخشاب فى ديوان القاهرة بأنها تحرير لصحيفة عربية اسمها «الحوادث اليومية» ٠ لقد وصف الجبرتى عمل صديقه الخشاب فى

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٤٥ ٠

(٢) ترجمة للكلمة الفرنسية ٠ « L'Avertissement »

(٣) Op. cit., p. 149.

(٤) Op. cit., p. 153.

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ ٤ القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٥١ ــ ٢ ٠

(٦) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ ٠

(٧) Rigault, Georges, Le Général Abdallah Menou et la dernière phase de l'Expédition d'Egypte, Paris, 1911, p. 161.

(٨) انظر : Wassef, op. cit., p. 245.

(٩) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ص ١٤٥ ، جـ ٢ ص ٢٢٨ ــ ٩ ٠

(١٠) مرجع سبق ذكره ، ص ٩٣ ــ ٧ ٠

(١١) Op. cit., p. 245.

(١٢) « L'Imprimerie de l'Expédition Française ».

(١٣) Deherain, Henri, Dans Hanotaux, Histoire de la Nation Egyptienne, Tome V, p. 367.

الديوان وهو يترجم له ضمن وفيات عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م ، في عهد محمد علي) بقوله : «ومات البليغ النجيب ٠٠ السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب ٠ تولع المترجم بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ٠٠ ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم فى كتابة التاريخ **لحوادث الديوان وما يقع فيه** من ذلك اليوم لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء **بضبط الحوادث اليومية** فى جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق فى ملخص يرفع فى سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها فى جميع الجيش حتى لمن يكون منهم فى غير المصر من قرى الأرياف فتجد أخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم فلما رتبوا ذلك الديوان كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر فى المجلس من أمر أو نهى أو خطاب أو خطأ او صواب » (١) ٠

وواضح من هذا النص أن عمل الخشاب فى الديوان ، كما وصفه الجبرتى ، كان «سكرتير الجلسات» بالمعنى الحديث ٠ وعلى ذلك فلا علاقة بين عمل الخشاب فى الديوان وبين تحرير الصحف ٠ ولم تكن «الحوادث اليومية» فى الحقيقة سوى وقائع جلسات الديوان التى تسجل فى مضابطه ٠ ثم ان الخشاب ــ كما سنرى ــ ألحق بالعمل فى الديوان الأخير الذى أقامه منو فى صورة جديدة ، بدلا من الديوانين اللذين قاما قبله(٢)، أى انه لم تكن له صلة بالديوان أيام بونابرت ، الذى يقول طرازى انه مؤسس تلك الصحيفة المزعومة ٠

ويلاحظ أيضا أن الجبرتى أشار فى النص نفسه الى عناية الفرنسيين «بضبط الحوادث اليومية» ، لانهم كانوا « يجمعون المتفرق فى ملخص » ويوزعونه «فى جميع الجيش ٠٠ الخ» وواضح انه يعنى بذلك صحيفة «لوكوربيه» أو المنشورات الفرنسية ــ اذ ليس من المعقول أن يوزع ذلك الملخص على جنود الحملة باللغة العربية ٠ ومع ذلك فهو لا يذكر فى هذه المناسبة شيئا عن صدور صحيفة عربية ، مع أن الاستطراد هنا الى ذكر مثل تلك الحقيقة ــ اذا وجدت ــ أمر منطقى ٠

---

(١) مرجع سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ ٠

(٢) يتضح ذلك من المنشور الذى أذاع انشاء هذا الديوان والذى سنعرض له بعد قليل ٠ ويقول الجبرتى عن هذه الحقيقة فى بقية ترجمته للخشاب « ٠٠ فلم يزل متقيدا فى تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الاقليم ٠٠ » ٠ كما ان مؤرخنا قد أكد ما ورد فى ذلك المنشور عند حديثه عن تكوين الديوان الجديد وسرده لأسماء اعضائه والعاملين به (ج ٣ ، ص ١٣٧ ــ ٨) ٠

ومن ناحية أخرى فليس من المعقول ، كما قال الدكتـــور ابراهيم عبده (١) ، أن يغفل الجبرتى ذكر تحرير صديقه الخشاب لأول صحيفة عربية ، اذا كان ذلك قد حدث ، مع أنه ذكر عن أعمـاله المختلفة وشعره وحبابه كثيرا من التفصيلات .

اما الذين قالوا بصدور صحيفة «التنبيه» ، فقد كانت حججهم اقل تهافتا . وكان رأيهم يستند الى ظـــل من حقيقة . لقد اعتمد هؤلاء على مرسوم أصدره الجنرال منو بالفعل فى ٥ فريمير سنة ٩ (٢٦ نوفمبر ١٨٠٠) . وأشارت اليه صحيفة «لوكوربيه» فى عـــددها الصـــادر يوم ١٥ فريمير (٦ ديسمبر) (٢) ، ويقضى هذا المرسوم بانشاء صحيفة عربية تسمى «التنبيه» (l'Avertissement) .

وقد أصدر منو هذا المرسوم بعد أن فكر فى أن انشاء صحيفة عربية منتظمة سوف يساعد على تحسين العلاقات بين المصريين والفرنسيين ، وعلى ازالة ما قد يشعر به الشعب المصرى من سوء الظن وعدم الثقة نحو سلطات الحملة . ونحن نرى صدى ذلك التفكير واضحا فى نص بعض مـــواد المرسوم .

وقد تجاوب مع القائد الفرنسى فى هذا التفـــكير ، وكتب له محبذا مشروعه ، ديجنت كبير أطبـــاء الحملة (٣) ، الذى كان فى الوقت نفســه مسئولا عن صحيفة « لاديكاد » (٤) .

ويلاحظ فى هذا الصدد أمران :

أولهما أن منو كان أكثر من سلفيه محاولة للتقرب من المصريين . فقد شهر اســلامه ، وتزوج من مصرية مسلمة ، وكان حريصا فى كل أوامره وقراراته ومنشوراته الفرنســية والعربية على التوقيع باســـمه الجديد «عبـد الله جاك منـو» . وكذلك كان يكثر من التودد الى المصريين وزيارة العلماء والمساجد .

---

(١) تاريخ الطباعة والصحافة .. ، ص ٩٧ .

(٢) ذكر جيس فى مقاله الذى تقدمت الاشارة اليه هذا التاريخ باعتباره تاريخ صدور المرسوم ولكنه لم يحدد تاريخ صدور « التنبيه » نفسها ! .

(٣) Rigault, op. cit., p. 161.

(٤) راجع ص ٥٦ . ويقول ريجو ان منو وديجنت كليهما قد فكرا فى وقت واحـد فى هذا المشروع . وينقل عن رسالة كبير الأطباء الى قائد الحملة فى هذا الشـــأن قوله « ان هذه الفكرة قد شغلته كثيرا » .

وثانى الأمرين أن ظروف الحملة فى أيامه كانت أسوأ من ظروفها فى أيام بونابرت وكليبر • فالاضطرابات الداخلية كثيرة ، وتحالف الانجليز والاتراك ضد الفرنسيين يزداد توطدا ، وحصارهم لمصر من الشمال والشرق يزداد أحكاما • وهم ، مع من بقى من المماليك ، لا يكفون عن تأليب المصريين على الحكم الفرنسى وتشجيعهم على مناوأته •

ومن هنا فقد تهيأ المناخ المناسب تماما للتفكير فى انشاء تلك الصحيفة •

وأهم ما تضمنه مرسوم انشاء « التنبيه » (١) :

١ ــ ان الهدف من الصحيفة هو التعريف بأعمال الحكومة الفرنسية، وتبصير الاهالى حتى لا يسيئوا الظن بالفرنسيين ، أو يقعوا فريسة للقلق الذى قد يعمل البعض على بثه فى نفوسهم ، ثم تمكين الثقة والترابط بين المصريين والفرنسيين •

٢ ــ ان الذى سوف يتولى تحريرها هو السيد اسماعيل الخشاب . أمين محفوظات الديوان (Archiviste du divan) ، ومحرر الحوليات العامة (rédacteur des annales publiques) به (٢) •

---

(١) نشرت نص المرسوم ، عدا « لوكوريبه » ، صحيفة « Le Moniteur Universel » التى كانت تصدر فى باريس ، بتاريخ ١٥ نيموز سنة ٩ (٥ يناير ١٨٠١) • وكذلك اوردت نصه عدة مصادر تاريخية أخرى فى مقدمتها :
Rousseau, M.F., **Kléber et Menou en Egypte**, Paris, 1900, pp. 373-5.

(٢) مما كتبه الجبرتى عن صديقه الخشاب فى مناسبات متفرقة ، ومن بعض ما وصفته به الوثائق الفرنسية المعاصرة ، نلمح قسمة واضحة من قسماته ، فقد كان « اسماعيل بن سعد الوهبى الشهير بالخشاب » ــ بمستوى عصره ــ أديبا مطلعا موهوبا فى الكتابة . ومن هنا كان أهم ما تولاه من أعمال يتصل بالانشاء أو التحرير فى صور مختلفة . فعندما أخذ الجبرتى يعاون أستاذه مرتضى الزبيدى (صاحب « تاج العروس ») فى وضع كتاب من أعلام القرن الثانى عشر الهجرى ، استعان بصديقه الخشاب ليحقق له المعلومات التى تتصل بكثير من أولئك الاعلام ، من الصكوك ، وحجج الملكية بالمحكمة ، حيث كان يعمل شاهدا عدلا . وبالفعل أعد الخشاب مع صديقه عددا من الطيارات (البطاقات) والكراريس . ولعل هذا العمل هو الذى أوحى للخشاب بكتابة مؤلفه « تاريخ حوادث وقعت فى مصر من سنة ١١٢٠ الى دخول الفرنسيس » (مخطوط رقم ٢١٠٧ تاريخ ، المكتبة التيمورية ، دار الكتب المصرية) .

وعندما أنشأ منو ديوان القاهرة الجديد (فى اكتوبر ١٨٠٠) ، تولى الخشاب به عدة أعمال كتابية وتوثيقية . فقد وصف فى المنشور الذى اذاع مرسوم الانشاء ، وكان من الموقعين عليه ، بأنه «كاتب الخزانة السرية» أى أمين المحفوظات • وقد =

٣ ـ ان موادها سوف تتضمن : أعمال الحكومة الفرنسية ، وأعمال الديوان ، والاخبار الخارجية التى قد يهم المصريين معرفتها ، ثم نبذا علمية وفنية ٠

٤ ـ انها سوف توزع على نطاق واسع بالقاهرة والاقاليم ٠ وسوف تعمل سلطات الحملة كذلك على ارسال بعض أعدادها الى اليمن والشام وداخل افريقيا ، عن طريق القوافل ٠

٥ ـ ان العلماء أعضاء الديوان سوف يراقبون موادها لاجازتها قبل الطبع ، حتى لا ينشر بها شىء يسىء الى الدين أو التقاليد(١) ٠

٦ ـ انه سوف يشرف على اصدارها فورييه رئيس ادارة العدل (الريس على سياسة الاحكام الشرعية)(٢) ٠

وقد اعتمد من قالوا بصدور صحيفة «التنبيه» فعلا على هذا المرسوم وحده ، دون أن يتحققوا من وجود أعداد الصحيفة نفسها أو يذكروا أية تفصيلات عنها ، كما فعل بعضهم بالنسبة للصحيفتين الفرنسيتين «لوكورييه» و «لاديكاد» ٠

= عناه ذلك المرسوم أيضا بقوله انه سيكون ضمن هيئة موظفى الديوان « شخص متشرع ومؤرخ ينوط (يناط) به أن يضم كامل المواقع السنوية بالاقليم » ٠ ومن الواضح أن هذا الاختصاص هو الذى أطلق عليه الجبرتى « كاتب سلسلة التاريخ » (**عجائب الآثار** جـ ٣ ، ص ١٣٧ ، ١٥٤) ٠

وبعد رحيل الفرنسيين عين الخشاب محررا فى ديوان الوالى ، حيث كتبت « بترصيفه » و « انشائه » عدة فرمانات وحجج باللغة العربية ، واستمر يمارس هذا العمل كذلك فى السنوات الأولى من حكم محمد على (الجبرتى ، **المرجع السابق** ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ ، ٢٠٥ ، جـ ٤ ، ص ٥٦) ٠

وعلى ذلك فقد كان الخشاب من أصلح الشخصيات لتولى مهمة تحرير اول صحيفة عربية ، سواء أكانت تلك الصحيفة قد صدرت بالفعل ، أم ان الظروف لم تتح لصاحب مشروعها أن ينفذه ٠

(١) يلفت النظر فى مرسوم انشاء « التنبيه » دور الديوان البارز فى مشروع هذه الصحيفة ٠ وكان لذلك اربعة ملامح واضحة : (١) اختيار الخشاب ، أمين محفوظات الديوان ، لتحرير الصحيفة ، (٢) تأكيد حق العلماء أعضاء الديوان فى اجازة نشر مواد الصحيفة أو منعه ، (٣) النص على ضرورة توقيع المترجم الأول للديوان على الأصول العربية باعتمادها ، (٤) النص على ايداع الأصول المعتمدة لمواد الصحيفة فى محفوظات الديوان بعد اعداد نسخة منها للمطبعة ٠

(٢) كان فورييه (Fourier) كذلك عضوا بالمجمع العلمى ، ووكيل (قوميسير) ديوان القاهرة الذى أنشاه منو ٠

واما من نفوا صدورها فكانت أهم حججهم :

١ ــ أن ريجو ، الذى كتب دراسة تاريخية قيمة لفترة حكم منو ، أورد قصة المرسوم ورسالة ديجنت الى منو ، ثم عقب على ذلك بقوله ان الصحيفة لم تصدر وان مرسوم انشائها ظل حبرا على ورق •

٢ ــ انه لا يوجد أثر لعدد واحد من أعداد هذه الصحيفة، وبخاصة فى مكتبات القاهرة وباريس ولنـدن ، بالرغم من وجــود أعداد كل من «لوكوربيه» و «لاديكاد» كاملة • ولا شك أن الفرنسيين الذين اعتنوا الى حد كبير بحفظ تراث الحملة ومطبوعاتها ، كانوا جديرين أن يحتفظوا بما صدر من هذه الصحيفة ، لأهميتها التاريخية القصوى •

٣ ــ ان من قالوا بصدور الصحيفة ، وأبرزهم جيس ، لم يعتمدوا الا على مرسوم انشائها ، دون أن يكلفوا أنفسـهم عنـاء البحث • أى أنهم بعبارة أخرى اكتفوا بأن حولوا صيغة المستقبل فى مرسوم القائد الفرنسى الى صيغة الماضى • وحسبوا أن الامر وضع بالفعل موضع التنفيذ ، مع أن المنطق التاريخى يناقض بعض ما قرروه بشأنها • فقد قال جيس مثلا ان السلطات الفرنسية كانت ، فضلا عن اهتمامها بتوزيع الصحيفة فى القاهرة والاقاليم ، تعمل على توزيعها فى اليمن وسوريا وداخل افريقيا • وليس هذا ، ببساطة ، سوى تجسيد لفقرة المرسوم التى تقول «ان نسخا كثيرة من هذه الصحيفة سوف توزع على القوافل المختلفة التى تصل الى القاهرة ، وأنه سوف لا تهمل أية فرصة لارســالها عبر الطرق التجارية التى تصل مصر باليمن وسوريا وداخــل افريقيا » • ومـع أن حكومة الحملة قد نجحت بالفعل فى تأمين تجارة مصر مـع بلاد الجزيرة العربية بالذات ، فقد كانت أحوال مصر فى أيام منو مضطربة ، ولا تسمح ظروف حصار أعدائها لها بأن تتصل كما اعتادت بالبلاد الاخرى المجاورة •

ولا ريب أن هذه حجج قوية ، بالرغم من أنهــا فى مجملها جدلية ستنتاجية تعتمد على القرائن أكثر من اعتمادها على براهين يقينية .

ويرجح جانب هذه الحجج أن الجبرتى ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، لم يشر ــ كما قلنا ــ الى تلك الصحيفة بكلمة ، حتى عندما ترجم لصديقه الخشاب . هذا مع أن كتابه حفل بذكر كثير من المنشورات العربية والمناسبات التى صدرت فيها • وكان ينقل نصوص هذه المنشورات مهما بلغ بعضها من الطول ، مثل المنشورات الخــاصة بالتحقيق مع سليمان الحلبى قاتل كليبر وشركائه ، ومحاكمتهم •

ولكننا مع كل ذلك لا نقطع تماما بعدم صدور صحيفة « التنبيه » ، وان كنا نرجحه • فمن الجائز أن تكون اعدادها قد فقدت مع كثير غيرها مما يعد من مطبوعات الحملة ، وبخاصة المنشورات • وقد رأينا مثلا كيف انه لم يمكن العثور على منشور واحد باللغة اليونانية ، رغم الشواهد التى تشير الى صدور بعض منشورات بهذه اللغة •

ومن ناحية أخرى ، فقد عثرنا فى محفوظات وزارة الحربية الفرنسية على منشور عربى يحمل فى رأسه الاسم المقترح لهذه الصحيفة بالذات (شكل ٢٨) • ومع أن تاريخ المنشـــور هو ٤ فروكتيدور ســـنة ٧ (٢١ أغسطس ١٧٩٩)(١) ، أى أنه صدر قبل يوم واحد من مغـادرة بونابرت للاسكندرية عائدا الى فرنسا ، فيلفت النظر فيه أمران :

١ ــ انه المنشور الوحيد الذى عثر عليه يحمل اسما محددا واضحا• هذا بينما خلت المنشورات الاخرى ، عربية وفرنســـية ، من أى اسم • وكانت تبدأ بعنوان أو مقـــدمة ، أو تبدأ بالنص المراد اذاعته مباشرة ، كما سنرى •

٢ ــ صحيح أن كلمة « تنبيه » وما يشـــتق منهـــا استخدمت فى المطبوعات العربية للحملة عدة مرات • فقد وردت مثـــلا فى بداية نص منشـــور صدر فى عهد كليبر (٢) : « تنبيه بموجب أمر من حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية •• » • واستخدمت كذلك أحيانا فى بعض العبارات الواردة فى سياق المنشورات • ففى منشور مطول يتضمن أمرا « لترتيب دواوين الجمرك » صـــدر فى عهد منو (٣) ، جاء بالمادة الرابعة

---

(١) يتضح من صورة المنشور انه ابتدأ بعبارة « انه من أول يوم من شـــهر فركيتدور سنة ٧ للمشيخة الفرنساوية فصاعدا سيبتدى مزاد الأقلام الآتى ذكرها • » ومعنى ذلك انه أعد على أن يذاع فى ذلك اليوم أو قبله بقليل • ولكن العبارة المطبوعة صححت باليد الى « انه من عشرة أيام من شهر فركتيدور •• » ، ثم أثبت على يمين الرأس بخط اليد كذلك تاريخ « ٤ فركتيدور سنة ٧ » وتحتـه بين قوســين « ٢١ اغسطس ١٧٩٩ » • وواضح أن هذا هو التاريخ الحقيقى لصدور المنشور الذى تأخر طبعه أو توزيعه لسبب ما • وعلى يســـار الرأس كتب اســم « دوجـا »(Dugua) ولعل هذه النسخة التى صدرت من المنشور كانت خاصة بذلك الجنرال • وهى من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية بباريس •

(٢) المنشور غير مؤرخ • ولكن يبدو من استقراء مضمونه انه صدر فى النصف الاول من شهر بريريال سنة ٨ (أواخر مايو ١٨٠٠) •

(٣) بتاريخ ١٦ فروكتيدور سنة ٨ (٣ سبتمبر ١٨٠٠) وسوف نشير الى هذين المنشورين فى مواضع أخرى لاحقة من هذا البحث •

عشره : « وقت دخول المراكب الموسوقة بضايع فى مينا من الديار المصرية مدبرين الكارنتينا .. ملزومين .. انهم يعطوا الى الريس **تنبيه** ويكون محرر فى **التنبيه** من عند صارى عسكر .. وثانى يوم .. مدبرين الجنـــوس .. يحرروا الى الريس **التنبيه** الذى أوصـــله مدبرين الكارنتينا .. » واستخدمت هذه الكلمة كذلك فى عنوان الطبعة العربية من الكتيب الذى أصدره ديجنت كبير أطباء الحملة ، والذى سبقت الاشارة اليه : « هذا **تنبيه** فيما يخص داء الجدرى المتسلط الآن » . وقد كانت الكلمة فى كل من هذه الاستخدامات ترجمة للكلمة الفرنسية «Avis» . ولكن الكلمـــة تميزت فى ذلك المنشـــور الفريد بأنها ابرزت بطريقة تشد الانتباه . فهى تحتل وحدها راس المنشور ، غير مسبوقة او متبوعة بأية الفاظ أخرى . وهى كذلك مطبوعة من قالب محفور عن اصل كتب بخط اليد الكبير ، وليست من حروف مجموعة . ثم انها مقترنة بأداة التعريف ، بينما كانت الألفاظ التى تبدأ بها بعض عناوين المنشورات لتحدد صفتها أو مضمونها تستخدم عادة دون تعريفها بهذه الاداة ، مثل : **امر** من حضرة صارى عسكر ، **ايجار** قلم سوق الرز ، **صورة** مكتوب ، **صورة** نصيحة ، **بيان** المبيع ... الخ .

ويثير هذا تساؤلا ملحا • فهل كان ذلك المنشور تجربة قصـــد منها منح المنشورات العربية شخصية الصحيفة المنتظمة ذات الاســم الثابت ، ثم انقطعت هذه التجربة لســـبب ما ، ولم تتح الظروف استئنافها فى عهد كليبر حتى أراد منو اعادتها وأصدر من أجلها ذلك المرســوم ؟

ان مضمون المنشور قد يكون ذا صلة مبـــاشرة بالمدلول اللغوى للفظ « التنبيه » بمعنى الاعـــلان أو لفت النظر . فهو خاص بمزاد لاستئجار عدد من الوكالات والحصول على « التزامات » بعض الأعمال . وقد استخدم الفعل « نبه » نفسه فى نص المنشور : « أول دفعة التى يقدمها الطالب • وهنا **أنبه** أن الطالب لا يمكنه أن يدفع أقل من هــذا الرقم المسطر » . وفى هذه الحالة لا يكون لاستخدام لفظ « التنبيه » أية دلالة منفصلة عن مضمون المنشور .

ومن ناحية اخرى ، قد يكون استخدام لفظ « التنبيه » فعلا بقصد اتخاذه اسما ثابتا لوسيلة اعلامية مطبوعة هى المنشورات العربية . ويدعو الى التفكير فى هذا الاحتمال وجود أداة التعريف فى الكلمة ، والطريقة التى ابرزت بها فى راس المنشور .

وعلى اية حال ، فسواء وضع مرسوم منو بانشاء صحيفة «التنبيه» موضع التنفيذ ، ولكن التاريخ لم يحفظ لنا عددا من اعدادها ، أو أن هذا المرسوم ظل مجرد حبر على ورق ، وهو الأرجح . وسواء اكان ذلك المنشور تجربة مبتورة تشى بسبق التفكير فى انشاء الصحيفة العربية الأولى . أم ان ظهور لفظ « التنبيه » فى رأسه على تلك الصورة كان امرا غير مقصود . فالذى نستطيع أن نقرره أن مشروع منو بانشاء صحيفة عربية ، الذى رسم فيه سياستها وحدد ملامحها ، لم يكن مبادرة جديدة تماما نبعت من فكرة طارئة خطرت للقائد الفرنسى وبعض رجال الحملة . وانما كان مرسوم منو مجرد مرحلة تطورية ، اراد بها آخر قواد الحملة أن ينظم عملية اصدار المنشورات العربية للمصريين ، بحيث تكتمل مقومات الصحيفة شكلا وموضوعا ، فينتظم صدورها ، وتحمل اسما ثابتا ، وتكون ذات سياسة واضحة محددة .

وسنرى كيف ان تلك المنشورات بخصائصها المختلفة لم تكن بالفعل الا صحيفة لا ينقصها سوى عملية تقنين وتنظيم ، تحدد لها من السمات ما تبدأ به طورا جديدا من حياتها ، تغدو فيه مخلوقا اعلاميا كامل التكوين .

الباب الرابع

الدور الدعائي للمنشورات العربية

كان للفرنسيين سياستهم التى وضعها بونابرت لحكم البلاد ، حتى تحقق الحملة أهدافها الاستعمارية التى قدمت من أجلها • وكان لابد لهذه السياسة من لسان يعبر عنها ويحاول اجتذاب المحكومين اليها ، ويساعد بالتالى على نجاحها •

ومما يناسب هذه السياسة كذلك أن يعمــل الفرنسيون على اشاعة جو من الألفة والثقة فى علاقة المصريين بهم ونظرتهم اليهم • ويمكن أن يتحقق ذلك ، الى جانب الفعل ، بالكلمة تنقل الى المحكومين بعض أخبار الحاكمين ونشاطاتهم فى داخل البلاد وخارجها •

ثم ان الفرنسيين أرادوا أن يغيروا الشــكل الحكومى للبلاد ، وان يحدثوا ثورة فى نظمها التشريعية والادارية والمالية • وهذا كله يحتاج الى عملية « نشر » حتى يعرف المصريون معالم هذه التنظيمات الجديدة ليعملوا بها ويجتنبوا نتائج مخالفتها •

ومن هنا يمكن القول ان المنشورات العربية صدرت لتكون وسيلة الاعلام الرئيسة التى تصـــــل بين السلطات الفرنسية والمصريين ، لــكى تعمل على تحقيق غرضين أساسيين :

١ ــ أن تكون أداة دعاية للحكم الفرنسى الجديد ، **تتسع لأساليب** شتى تشترك جميعها فى العمل على تثبيت أركان هذا الحكم .

٢ ــ أن تكون أداة أعلام بحت تضطلع فى هذا المجال بمهمة مزدوجة فهى من ناحيــة لسان رسمى يحقق مبــدأ قانونيا تقليديا ، هو اتاحة الفرصة للأفراد لكى يعرفوا حقوقهم وواجباتهم ، وأن يتبينوا حـــــدود مخالفة القانون ونتائجها • وهى من ناحية أخرى وســـيلة نشر تطلع المحكومين بين حين وآخر على كل ما يهم الحاكم أن يعرفوه عن نشاطه ،

حتى يدعم مركزه ، وحتى تضيق الفجوة القديمة التى كانت تفصل بين أبناء البلاد وحكامهم السابقين ·

وقد برز الغرض الدعائى سافرا فى عدد من المنشورات ، وامتزج بالاعلام البحت امتزاجا شـديدا ، بل طغى عليه فى منشورات أخرى · هذا الى أن النشر الرسمى نفسه لم يخل أحيانا من مقدمات أو تعقيبـات دعائية ·

ولقد كان رضاء المصريين عن الحكم الفرنسى الجديد مطلبا أساسيا للحكام الجدد · فتحقيقه يعنى تحقيق العامل الرئيس لنجاح الحملة فى تجسيد أملها بانشاء مستعمرة فى مصر ·

ولذلك خطط قائد الحملة منـذ البداية لاستمالة المصريين الى هـذا الحـكم · وارتكزت خطته على سياسة ذات ثلاث شعب : تستهدف أولاها ارضاء المشاعر الدينية للمصريين ، وتعمل الثانية على اذكاء مشـاعرهم الوطنية ، أما الثالثة فتلوح لهم بذهب المعز وسيفه · أى أن هذه السياسة كانت اسلامية من ناحية ، وطنية من ناحية أخرى ، ترغيبية ترهيبية من ناحية ثالثة ·

ولم يقتصر مجال النشاط الدعائى للحملة على مصر · فقد مارست قيادتها هـذا النشاط كذلك فى الأراضى السورية ، عندما غزتهـا أيام بونابرت ·

ومن جهة أخرى فان اعداء الحملة كانوا لها بالمرصاد ، فأقضـوا مضجعها بدعايتهم المضادة فى مصر وخارجها ·

وكانت حصيلة هذا وذاك معركة حامية سلاحها المنشورات المطبوعة، تلك الوسيلة التى ابتدعتها الحملة الفرنسية ، واتخذت منها أداة أعـلام ودعاية ، وكانت من أبرز المعالم التى تميز بها عهدهـا القصـير فى مصر ·

الفصل الأول

السياسة الإسلامية

كان المصريون يختلفون عن حكامهم الجدد فى اللغة والجنس والعقيدة السائدة • ولم يكن الاختلاف فى اللغة ليمثل عقبة ذات بال أمام استقرار الحكم الفرنسى • فقد خضع المصريون قبل الحملة قرونا طويلة لحكام يتحدثون ويتعاملون بالتركية • ثم أن الفرنسيين حرصوا من ناحية أخرى على أن يخاطبوا المصريين بلغتهم العربية بواسطة المترجمين ، وعلى صفحات ما أصدروه من منشورات •

وكذلك لم يكن الاختلاف فى الجنس عائقا ذا خطر • فقد كان حكام مصر ، منذ ما قبل الحملة بقرون ، ينتمون الى عدة جنسيات غير عربية •

أما الاختلاف فى العقيدة مع معظم الاهالى ، فقد كان هو العقبة الرئيسة التى تحول دون تقبل المصريين لحكم غزاتهم الفرنسيين ، بل التى كانت خليقة بأن تثير عدام العالم الاسلامى كله لفرنسا •

ومن هنا اتخذ بونابرت سياسة « اسلامية » ، تقوم على أساس احترام المشاعر الدينية للقطاع الاكبر من المصريين • وكانت لهذه السياسة عدة مظاهر ، من أبرزها :

١ ــ اهتمامه بالاحتفالات الدينية كالمولد النبوى وسفر كسوة الكعبة واشتراكه فى بعض الاحتفالات بنفسه •

٢ ـ حرصه فى تعليماته وأوامره الى رجاله على اظهار احترام العقيدة الاسلامية وشعائرها وتقاليدها ٠

٣ ـ محاولته انشاء صلات ودية مع الحكام المسلمين فى الأقطار المجاورة ، مثل حاكم طرابلس الغرب ، وشريف مكة ، وأمام مسقط ، وسلطان دارفور ٠

وقد لعبت المنشورات العربية دورا رئيسيا فى بسط هذه السياسة والدعوة لها ، فى عهد بونابرت أولا ، ثم فى عهد خليفته من بعده ، مع تفاوت فى درجة الاهتمام ٠

لقد وضع بونابرت وهو فى الطريق الى مصر أساس هذه السياسة، بما حاول أن يبرزه للمصريين فى منشوره العربى الأول ، (شكل٢٩) (١) ، ثم تابعها فى اهتمام خاص بعد ذلك ٠

بل انه قبل أن يطبع هذا المنشور أصدر منشورا فرنسيا لجنود الحملة فى البحر ، يسفر بوضوح عن ملامح تلك السياسة ٠ فقد أمر الجنود فى هذا المنشور باحترام الدين الاسلامى ورجاله وشعائره وأماكن

---

(١) اورد الجبرتى نص هذا المنشور (عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤ ـ ٥). ٠ غير أن هذا النص الذى نقل عنه كل من تناول عهد الحملة الفرنسية من المؤرخين والباحثين العرب ، به عدة اختلافات عن نص المنشور الأصلى ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، وتوجد نسخة ثانية فى المتحف الحربى الفرنسى وثالثا فى المتحف البريطانى بلندن ٠ ولم يعثر الباحث على أية نسخ اخرى من هذا المنشور النادر فى القاهرة أو لندن أو باريس ٠ أما الأصل الفرنسى للمنشور فقد تضمنته ، مع معظم أصول المنشورات العربية الأخرى لبونابرت ، مجلدات الكتاب المعروف « مراسلات نابليون » ومن هذه الأصول نقل عدد كبير من الباحثين ٠ (انظر : مراسلات ٠٠ ج ٤ ، وثيقة ٢٧٢٣) ٠

هذا وقد قارن الدكتور مارسدن جونز (Marsden Jones) بين نص الجبرتى والنص الأصلى للمنشور ، فى بحث بعنوان « The First Proclamation and Al-Jabarti » قدمه الى الندوة التى عقدتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عن الجبرتى بالقاهرة (١٦ ـ ٢٣ ابريل ١٩٧٤) ، معتمدا فى ذلك على صورة من المنشور قدمها له المؤلف ٠ وتاريخ المنشور ١٣ مسيدور سنة ٦ (يوافق اول يوليو ١٧٩٨) ٠

عبادته (١) • وكذلك أصدر قائد الحملة منشورا فرنسيا آخر عقب احتلال الاسكندرية ، يتضمن أمرا عسكريا الى قادة جيشه بأن يعملوا على احترام الدين الاسلامى واطلاق حرية العبادة كاملة للمصريين • وأمر بونابرت بابلاغ هذه التعليمات الى جميع الضباط والجنود ، مع التشدد فى عقاب من يخالفها • (٢)

وكذلك أفرج بونابرت ، فى حركة دعائية بارعة ، عن الأسرى المسلمين الذين كانوا فى قبضة فرسان مالطة المسيحيين ، واصطحب عددا منهم الى الاسكندرية • وهناك أطلقهم ليوزعوا منشوره العربى الأول فى مختلف أنحاء البلاد ، وليكونوا تزكية حية لسياسته الاسلامية التى عبر عنها هذا المنشور •

راح بونابرت ، فى منشوره العربى ذاك ، يضرب على وتر المشاعر الدينية للمسلمين • فهو يبدؤه بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه »

ثم حاول أن يزعم لهم أنه « أكثر من المماليك يعبد الله سبحانه وتعالى ويحترم نبيه والقرآن العظيم » (٣).

بل ذهب بونابرت الى أبعد من ذلك ، فادعى أن « الفرنساوية هم أيضا مسلمين خالصين (كذا) (٤) ، وانهم اثباتا لذلك « قد نزلوا فى

---

(١) بدأت مطابع الحملة عملها فى البحر، وسفنها تقترب من الشواطىء المصرية . وكان أول ما أخرجته هذا المنشور ومعه أمران يوميان لجنود الحملة . وقد كتبها بونابرت على ظهر بارجة القيادة « لوريان » يومى ٣ و ٤ مسيدور سنة ٦ (٢١ و ٢٢ يونيو ١٧٩٨) ، وطبعت كلها يوم ١٠ مسيدور (٢٨ يونيو) ، وقام برتييه (Berthier) رئيس أركان جيش الحملة بتوزيعها على قواد الوحدات لاذاعتها بين الجنود • وقد عثر المؤلف على نسخة من أحد الأمرين فى دار الوثائق القومية بالقلعة (شكل ٣٠) ، أما المنشور فلم يعثر عليه ، ولكن نصه الكامل مذكور فى أكثر من مصدر • انظر مثلا : Charles-Roux, op. cit., pp. 22-4. ، وكذلك : Lacroix, op. cit., pp. 63-4.

(٢) انظر : الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٣ •

(٣) فى الأصل الفرنسى « واننى أحترم الله ورسوله والقرآن أكثر من المماليك » : « Je respecte, plus que les Mameluks, Dieu, Son prophète on Al Coran ». انظر : Lacroix, op. cit., p. 80.

(٤) فى هذه العبارة تحريف واضح للاصل الفرنسى الذى يصف الفرنسيين بأنهم أصدقاء للمسلمين الصادقين « amis des vrais musulmans » (**المرجع السابق**) . ولاشك فى أن هذا التحريف مقصود . فهو ادعاء حاول بونابرت أن يتملق به عواطف المصريين الدينية . ولكنه لم يستطع بالطبع أن يواجه به الفرنسيين أنفسهم .

رومية الكبرا (كذا) وضربوا فيها كرسى البـــابا الذى كان يحث دايما النصارا (كذا) على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواللييريه (١) الذين كانوا يزعموا أن الله تعـــالى يطلب منهم مقـــاتلة المســلمين .. » .

ونلمح مظاهر هذه السياسة فى كثير من المنشورات التى أصدرها بونابرت بنفسه بعد ذلك أو صدرت فى عهده على لسان غيره (٢) . فمن الشائع أن يبدأ المنشور بالبسملة ، تتلوها عبارة مثل « لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه » ، أو « لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؛ أو « الحمد لله وحده » .

وينتهز بونابرت كل فرصة تسمح بها طبيعة موضـــوعات بعض ما كان يصدره باسمه من منشورات ، أو يوعز ـ فى ذكاء ـ الى علمـــاء ديوان القاهرة باصداره ، ليؤكد أنه حريص على احترام الاسلام والحفاظ على أحكامه وشعائره .

ففى منشور صدر بعنوان « صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة » ، ووقعه أعضاء ديوان القاهرة لتحذير المصريين من الاستجابة الى محاولات المماليك تحريك الفتن (شكل ٣١) (٣) ، أكد العلماء « أن الطايفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوايف الافرنجية دايما يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم » .

---

(١) « الكواللـــيريه » تعريب للفـــظ « Chevaliers » الفرنسى ، بمعنى « فرسان » . والمقصود فرسان القديس يوحنا الاورشليمى . وهم طائفة دينية تكونت فى الأصل فى مدينة القدس فى أعقاب الحرب الصليبية الاولى (أوائل القرن الثـانى عشر) . وبعد أن تتالت عليهم احداث مختلفة استقروا فى جزيرة مالطة فى أوائل القرن السادس عشر . وقد اتخذت حكومة الثورة الفرنسية عدة اجراءات ضد اتباع هـذه الطائفة وأملاكها فى فرنسا . ثم قررت حكومة الادارة (الديركتوار) احتلال جزيرة مالطة نفسها بواسطة الحملة الفرنسية بقيادة بونابرت ، وهى فى الطريق الى مصر .

(٢) كانت بعض المنشورات تصدر عن غير بونابرت ، وخليفتيه كليبر ومنو ، من كبار رجال الحملة المسئولين . وكذلك صدر عدد من المنشورات على لسان أعضـاء الديوان وغيرهم من طوائف المصريين . وسنتعرض لهذه النقطة بالتفصيل فيما بعد .

(٣) المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتى نصه فى حوادث يوم ٨ جمادى الثانية سنة ١٢١٣ (١٧ نوفمبر ١٧٩٨) : عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٣١ . وربمـــا يكون المنشور قد صدر قبل ذلك وتأخر الجبرتى فى تسجيله كما كان يفعل كثيرا . وهـــذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

ونصح العلماء مواطنيهم بالهدوء والانصراف الى اعمالهم واداء التزاماتهم ، «لأن حضرة صارى عسكر الكبير امير الجيوش بونابرته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام » .

ونرجح أن هذا هو أول منشور عربى « يطبع » فى القاهرة (١) ، اذ سبقته بعض منشورات خطية ، عندما لم تكن مطابع الحملة الرسمية قد استقرت بعد فى العاصمة .

وفى منشور صادر « من محفل الديوان الخصوصى بمصر المحروسة » ، بتوقيع الشيخ عبد الله الشرقاوى « ريس الديوان » والشيخ محمد المهدى « كاتم سر الديوان » (٢) ، ان بونابرت استجاب لما طلبه منه العلماء من استئناف الاحتفالات الدينية المعتادة بشهر رمضان « وأمر باقامة شعاير الاسلام فى مساجدها العظام .. وامرنا الا ننقص شيئا من شعايرها ونظامها .. الخ » .

وفى المنشور الذى صدر على لسان الزعماء المصريين ، خليل البكرى « نقيب السادة الأشراف » وعبد الله الشرقاوى « ريس الديوان » ومحمد المهدى « كاتم سر الديوان » ، بمناسبة استيلاء القوات الفرنسية على يافا (٣) ، ملحظان يستحقان التسجيل فى هذا الصدد ، وهما :

١ ــ أن الكتاب الذى بعث به قائد القوات الفرنسية المحاصرة ليافا الى حاكم المدينة لتسليمها يبدأ بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله وحده لا شريك له » .

٢ ــ ان حبس رسول الفرنسيين الى حاكم المدينة اعتبر أمرا مخالفا للقوانين الحربية « والشريعة المطهرة المحمدية » .

وفى منشور صدر على لسان «محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر » ، بمناسبة عودة بونابرت من حملة الشام (٤) ، وصف أعضاء

---

(١) يلاحظ انه ذيل بعبارة « بمطبع (كذا) مصر المحروسة » .

(٢) فى ١٦ بلوفيوز سنة ٧ (٤ فبراير ١٧٩٩) . وسنتعرض لهذا المنشور مرة اخرى فيما بعد .

(٣) المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتى قصة وصول الأصل الفرنسى للمنشور مع بعض الرسل ، ثم قراءته على أعضاء الديوان « بعد تعريبه » يوم الخميس ١٤ شوال سنة ١٢١٣ (يوافق ٢٠ مارس ١٧٩٩) ، واثبت بعد ذلك نصه كاملا : ج ٣ ، ص ٤٩ ــ ٥١ . وسنتعرض لهذا المنشور كذلك فيما بعد .

(٤) لم نعثر على نسخة من هذا المنشور ، وان عثرنا على طبعته الفرنسية فى دار الوثائق القومية بالقلعة (شكل ٣٢) . وقد أورد الجبرتى نصه (ج ٣ ، ص ٧٠ ــ =

الديوان العائد الفرنسي بأنه « محب الملة المحمديه » ؛ ودعوا له بقولهم « شرح الله صدره للاسلام » . ثم ذكروا أن بونابرت لما دخل غزة « أمر باقامة الشعائر الاسلامية واكرام العلماء » . وختموا المنشـــور بقولهم « ولما حضر صارى عسكر الى مصر أخبر أهل الديوان .. أنه يحب دين الاسلام ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم باتقان وأمر باقامة شعائر المساجد .. وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجدا عظيما بمصر لا نظير له في الأقطار وأنه يدخل دين النبى المختـــار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام » ! .

واصدر بونابرت منشورا موجها الى « محفل الديوان » (١) يبرر فيه عزله لقاضى القضاة التركى ورغبته فى أن يحل محله أحد العلماء المصريين . جاء فيه : « فاستحسنت ان يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقــلائهم **لأجل موافقة القــرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين** .. » . وقد قصد بالجزء الأخير من العبارة حسب ما جاء فى الأصل الفرنسى ، « اتباعا لتعاليم القرآن الصحيحة » .

والمنشـــــور الذى أذاعه بونابرت على المصريين من معســـــكر الرحمانية (٢) ، بينما كان يتأهب لمعركة أبوقير البرية (شكل ٣٣) (٣) ، حافل بالشواهد على هذه السياسة .

= ٧٢) ، كما أثبته نقولا الترك (**مذكرات** ، ص ٥٠ ـ ٥٤ ، ذكر **تملك** ص ١٠٤ ـ ١٠) . وكـــذلك كان هو المنشـــور الوحيد الذى نشر الأستاذ أحمد حافظ عوض صـــورته ، وأثبت منهـا نصه ، نقــلا عن كتـــاب « Bonaparte et l'Islam » بقلم C. Cherfils, Paris, 1914. وقد قارن بين هذا المنشور ونصى الجبرتى والترك ، وعلق على ذلك بقوله « ان الاعتماد عليهما بغير تحقيق ولا تدقيق اساءة للتاريخ (**مرجع سبق ذكره** ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣) .

(١) لم نعثر كذلك على نسخة من هذا المنشور . وقد ذكره الجبرتى بنصـه (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٧٣) . أما الرافعى فنشر مع هـــذا النص ترجمة أخرى دقيقة لأصله الفرنسى (**مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ، ص ٣٨٧ ـ ٩) . وتاريخ المنشور يوافق يوم ٢٧ يونيو ١٧٩٩ .

(٢) بمحافظة البحيرة ، على الطريق بين الاسكندرية والقـــاهرة . وقد سبق أن مر بها جيش الحملة ، قبل ذلك ، فى زحفه لاحتلال البلاد .

(٣) تاريخ المنشور ١٧ صفر ١٢١٤ (٢١ يوليـــو ١٧٩٩) . وقد اخطأ الجبرتى (**المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٧٥ ـ ٦) فى هـــذا التاريخ ، فذكر انه ١٥ صفر . وكذلك لم يكن دقيقا فى نقل نص المنشور ، فأسقط بعض عباراته وألفاظه واضـــاف اخرى ، كما بدل بعض كلماته . وقد يكون ذلك او بعضه من فعل الناسخين قبل طبع الكتاب . وهـذه النسخة من محفوظات قسم الوثائق التاريخيـة بوزارة الحربيـة الفرنسية بباريس .

فهو مثلا يكفر الروس الذين ادعى أنهم كانوا ضمن قوات الحملة العثمانية التى نزلت الى الساحل المصرى لمحاربة الفرنسيين (١) ، ويذهب فى ذلك الى حد مهاجمة عقيدة التثليث المسيحية نفسها : « وفى هذه العمارة خلق كبير من الموسقوا (الروس) الافرنج الذين كراهيتهم ظاهرة لكل من كان موحدا لله وعداوتهم واضحة لمن كان يومن برسول الله يكرهون الاسلام ولا يحترمون القرآن وهم نظرا لكفرهم فى معتقدهم يجعلون الآلهه ثلاثة وأن الله ثالث تلك الثلاثة تعالى الله عن الشركاء ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة وأن كثرة الآلهة لا تنفع لأنه باطل بل أن الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده هو الرحمن الرحيم المساعد المعين القوى للعادلين الموحدين ٠٠ » ٠

وهو يؤكد فى مقابل ذلك اعتقاد الفرنسيين فى وحدانية الله وايمانهم بكتبه المنزلة : « ٠٠ لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثل قوتنا لأنهم ما قدروا يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف أنه العزيز القادر ٠٠ هذا ما فى الآيات وفى الكتب المنزلات » ٠

وتمشيا مع هذه السياسة فقد حرص بونابرت ، منذ منشوره الأول ، على أن يؤكد صداقة الفرنسيين للدولة العثمانية ولسلطانها خليفة المسلمين ، وعداءهم لأعدائه ، وأنهم سوف يعاونونه للقضاء على هؤلاء الأعداء ٠ ولم يعدل عن هذه النغمة الا بعد أن تحالف السلطان مع الانجليز ضد فرنسا ، واتخذ الموقف بين الجانبين شكلا جديدا بعد الحملة السورية ٠

فهو يقول فى ذلك المنشور أن « الفرانساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمانلى وأعدا أعدايه (أى وأعداء أعدائه) أدام الله ملكه » ٠

وكذلك ينبه أهالى القرى التى يمر بها الجيش الفرنسى الى ضرورة « نصب السنجاق (العلم) الفرنساوى وأيضا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاه » ٠

ثم يطلب فى ختام المنشور من المصريين أن يهتفوا « أدام الله اجلال السلطان العثمانلى أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى » ٠

---

(١) لم يكن مع الجيش العثمانى الذى نزل فى أبو قير أية قوات روسية أو انجليزية ، وانما ساعد الانجليز ــ فحسب ــ بسفنهم فى نقل القوات العثمانية ، وبهيئة استشارية تعاون أركان حرب القائد التركى .

وفى منشور «صورة نصيحة من علما الاسلام» السابق ذكره (١)، جاء على لسان موقعيه « ان الطايفة الفرنساوية أحباب مولانا السلطان دايمون بنصرته وأصدقا له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه ·· »

وجاء كذلك فى هذا المنشور أن الروس (الموسقو) كفرة يضمرون الشر للمسلمين ويتطلعون الى احتلال عاصمة الخلافة « اسلامبول المحروسة » ، والاستيلاء على مسجد أياصوفيا « وبقية المساجد الاسلاميه يعلموها كنايس للعبادة الفاسدة ·· **والطايفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان على اخذ بلادهم ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية ·· »**

ويبالغ بونابرت أحيانا مبالغة غريبة فى احاطة نفسه بهالة دينيه ضخمة · انه يذهب الى حد تصوير نفسه للمصريين فى صورة « المهدى » او مبعوث العناية الالهية ، البطل الملهم الذى قدر فى الأزل أنه سوف يحكم مصر ليخلصها من ظلم المماليك ، ويصد عنها عدوان الكفرة ، وأنه سوف يكون حامى حمى الاسلام ومحطم أعدائه ·

فقد أصدر بونابرت منشورا الى سكان القاهرة (شكل ٣٤) (٢) ، بعد نحو شهرين من ثورتها الأولى ، أعلن به تشكيل ديوان العاصمة فى صورته الجديدة (٣) · وفى هذا المنشور مقدمة طويلة (٤) ندد فيها القائد الفرنسى بالثورة ، وأشاد بعدله ورحمته ، وقال « وأعلموا أيضا أمتكم

---

(١) انظر ص ٩٤ ·

(٢) بتاريخ ١٨ رجب ١٢١٣ (٢٦ ديسمبر ١٧٩٨) ، وعدد النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ·

(٣) كان الاعداد لهذا التنظيم الجديد قد بدأ قبل ثورة القاهرة · وقد ذكر الجبرتى ان ممثلى الاقاليم حضروا الى القاهرة يوم ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٢١٣ (٥ أكتوبر ١٧٩٨) « ليحضروا الديوان الشارعين فيه لترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه » · ثم ذكر بايجاز أهم الموضوعات التى دارت فيها مناقشات هذه « الجمعية العمومية » حتى اندلاع الثورة (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٢٢ – ٣) ·

انظر كذلك : الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، ج ١ ، ص ١٠٤ – ١٧ ، ج ٢ ، ص ١٤ – ٢٠ ·

(٤) يبدو أنه صدر بهذه المقدمه وحدها – قبل ذلك ببضعة أيام – منشور مستقل (لم نعثر عليه) ، ثم أعيد طبعها مع التنظيم الجديد للديوان فى هذا المنشور · فقد ورد الأصل الفرنسى للمقدمة فى : **مراسلات نابليون** (ج ٤ : وثيقة ٣٧٨٥) ، باعتبارها نص منشور تاريخه ١ نيفوز سنة ٧ (٢١ ديسمبر ١٧٩٨) ·

ان الله قدر فى الأزل هلاك أعدائ (أعداء) الاسلام وتكسير الصلبان على يدى وقدر فى الأزل بعد ذلك أن أجى من المغرب الى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها وأجرا الامر الذى أمرت به ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وارادته وقضايه » .

ثم يستطرد فى حديث غيبى لعل مثله يقنع المصريين « وأعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل وأشار فى آيات أخر الى أمور تقع فى المستقبل وكلام الله فى كتابه صدق وحق لا يتخلف » .

وفى المنشور الذى وجهه بونابرت الى أعضاء الديوان بمناسبة عزله لقاضى القضاة التركى قال : « .. وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنافقين المخالفين أخرج من حقهم **لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة لأجل ما أعاقبهم** .. » .

وفى المنشور الذى أذاعه من معسكر الرحمانية قبيل معركة أبو قير البرية ، قال ان الله « قد سبق فى علمه القديم وقضاءه العظيم وتقديره المستقيم أنه أعطانى هذا الاقليم العظيم وقدر وحكم بحضورى الى مصر لأجل تغييرى الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم .. » .

ومادام احتلال مصر على يد الفرنسيين بقيادة بونابرت قدرا مقدورا سبق به علم الله . وما دام انتصار الفرنسيين بقيادة بطلهم الملهم حتما مقضيا ، فليس أمام المصريين سوى الرضى بقضاء الله والامتثال لارادته ، والا حقت عليهم لعنته . ولينعموا بما يتيحه لهم الحكم الجديد من أمن ورخاء .

وقد تردد هذا المعنى ، مع تفاوت فى درجة ما يصحبه من تهديد ووعيد ، فى كثير من منشورات عهد بونابرت . ففى المقدمة الطويلة للمنشور الذى أذاع به تشكيل الديوان الجديد بعد ثورة القاهرة الأولى ، قال : « .. الذى يعادينى ويخاصمنى .. لا ينجو من بين يدى الله لمعارضته لمقادر الله سبحانه وتعالى » ، « .. الذى يفعل ذلك (أى يعارض بونابرت) يكون معارضا لأحكام الله ومنافقا وعليه اللعنة والنقمة من الله .. » .

وفى المنشور الذى وجهه الديوان « الخصوصى » الى المصريين بعد

بتكوينه (شكل ٣٥) (١) قال موقعاه (الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى) لمواطنيهما : « .. فاشتغلوا بامر دينكم وأسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضى بقضاء الله وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة » .

وفى المنشور الذى وقعه زعماء الديوان أيضا بمناسبة استيلاء الفرنسيين على يافا ، جاء بالعنوان بعد البسملة « سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذو البطش الشديد » . وجاء فى الختام « فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يوتيه من يشاء .. » .

وفى منشور تضمن نص رسالة بعث بها غالب بن مساعد شريف مكة الى الجنرال بوسيلج (Poussielgue) (شكل ٣٦) (٢) ، ردا على رسالته اليه ، جاء فى المقدمة : « وحاصل مكتوب الشريف للوزير لأجل ما يعتبر به الكبير والصغير ويسلموا الى مولاهم فى ساير المقادير فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وهو اللطيف الخبير » .

وفى المنشور الذى صدر على لسان أعضاء الديوان فى مناسبة عودة بونابرت من حملة الشام ، وجهوا النصح الى مواطنيهم بقولهم : « فالويل كل الويل لمن عاداه (أى بونابرت) والخير كل الخير لمن والاه فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامتثلوا لأحكام الله ولا تسعوا فى سفك دمائكم .. » .

***

وليس من العسير أن نلحظ سذاجة منطق بونابرت والتهافت الواضح فى حججه التى كان يسوقها ليؤكد بها موقفه وموقف الفرنسيين

(١) مؤرخ ٩ شعبان سنة ١٢١٣ (١٦ يناير ١٧٩٩) . وقد اشار الجبرتى **عجائب الآثار** ، (جـ ٣ ، ص ٤٢ - ٣) الى اذاعة هذا المنشور فى حوادث يوم ٢١ شعبان (٢٨ يناير) . وربما يكون طبع المنشور قد تاخر بعد أن كتب فى التاريخ الأول . أو يكون الجبرتى نفسه تاخر فى ملاحظة توزيعه ، أو فى تدوين خبره ، وكثيرا ما كان يفعل ذلك . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) المنشور غير مؤرخ ، ولكن ختامه يدل على انه صدر فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٢١٣ (النصف الثانى من مايو ١٧٩٩) . وقد ذكر الجبرتى نصه فى حوادث شهر ذى الحجه أيضا (**المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٥٩ - ٦٠) ، دون تحديد اليوم . هذا وكان شريف مكة يتبادل الرسائل مع بونابرت نفسه كذلك .

من الاسلام ، وبخاصة ماردده في منشوره الأول ، مستهدفا بذلك اجتذاب المصريين الى تأييد حكمه . ولكن لا شك في أنه كان من أركان سياسة بونابرت في مصر احترام شعائر أهل البلاد المسلمين وتقاليدهم ، وكانت هناك مظاهر عملية عدة لهذه السياسة .

وكان بونابرت في الوقت نفسه حريصا على عدم اثارة الباب العالي — خليفة المسلمين — أو العالم الاسلامي بعامة ، ضده . ويتضح ذلك من رسائله الى المسئولين العثمانيين ، حتى من قبل أن يدخل مصر ، وكذلك من محاولاته اقامة علاقات ودية مع حكام المسلمين في البلاد المجاورة لمصر (١) .

ومهما يكن من أمر فقد أثار بونابرت سخرية المصريين ، بل الفرنسيين كذلك ، بادعاءاته الاسلامية التي بسطها في منشوراته وبمبالغته في تلك الادعاءات .

فكان الجبرتي ، مؤرخنا المعاصر للحملة ، كثيرا ما يردد أن الفرنسيين لا يؤمنون بدين ، وانهم يكذبون في ادعائهم انهم يحترمون الاسلام..الخ، وذلك كلما أثبت نصا لأحد منشورات بونابرت التي يتضح فيها هذا الاتجاه . فهو يقول مثلا في التعليق على بعض عبارات المنشور الأول (٢) : « وقوله ، فأما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم على انقضاء دولتهم ، هذا تحكم على الغيب وما بعد الكفر عيب . وقوله : اني ما قدمت اليكم الا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين ، هذه أول كذبة ابتدرها وفرية ابتكرها .. وقوله : ان جميع الناس متساويين عند الله ، هذا كذب وجهل وحماقة . كيف وقد فضل الله بعضهم على بعض وشهد بذلك أهل السموات والأرض » .

---

(١) انظر : محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** .. ص ١٦٣ — ٤ ، وكذلك :
Charles-Roux, op. cit., pp. 85-9; Wassef, op. cit., p. 41.
وينقل بورين سكرتير بونابرت في مذكراته نص رسالة كتبها القائد الفرنسي الى الوالي التركي على مصر قبيل نزول الحملة الى الأرض المصرية (بتاريخ ١٢ مسيدور سنة ٦ = ٣٠ يونيو ١٧٩٨) . وقد جاء فيها : « انك تعلم دون شك انني ما جئت لكي أقوم بعمل ضد القرآن أو ضد السلطان . وانك لتعلم أيضا ان الأمة الفرنسية هي حليفة السلطان الوحيدة في أوربا » . انظر :
Bourrienne, L.A., Fauvelet de, **Mémoires sur Napoléon**, (1795-1814), Paris, 1828-30, Tome II, p. 95.

(٢) **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** . القاهرة ، ١٩٦١ ، جـ ١ ، ص ٦١ — ٢ .

بل ان الجبرتى لم يصدق ان تكون كل مورعى ذلك المنشور من اسارى مالطة المسلمين . وانما اعتقد أن منهم جواسيس « من كفار مالطة مدربين برى الاسارى » ويعرفون العربية (١) ٠

ويقول مورخنا كذلك تعقيبا على المنشور الذى أصدره بونابرت بعد انتهاء ثورة القاهرة الاولى . وكرر فيه بعض مزاعمه « الاسلامية » : « ٠٠٠ وقد اوردت ذلك للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل فضلا عن النقل » (٢) ٠

وعلق جوبير (Jaubert) المندوب البحرى المصاحب لجيش الشرق ، فى رسالة له الى وزير البحرية الفرنسية . على النص الفرنسى (المخفف) للمنشور الاول بقوله : « لعلكم أيها الباريسيون تضحكون حين تقرءون هذا المنشور الذى أصدره قائدنا ٠ ولكنه هو لم يعبأ بكل سخريتنا من المنشور » ٠ والغريب أن بونابرت نفسه اعترف ، وهو يعلق على هـذا المنشور فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة . بانه كان « قطعة من الدجل ، ولكنه دجل من أعلى مستوى » (٣) ٠

ولم تخل كتابات المؤرخين المحدثين كذلك ، من مصريين وغيرهم ، من تعليقات مماثلة ٠ فقد قال كريستوفر هيرولد مثلا (٤) : « وكان الاسلام ٠٠ هو العقبة الكبرى التى تحول دون قيام جو الثقة المتبادلة (الذى كان ينشده بونابرت) ٠ لقد كان بونابرت يستطيع أن يعلن أكثر من مرة كل يوم انه ليس مسيحيا . وان رجاله كذلك ليسوا مسيحيين ٠ وكان يمكنه أن يكرر أن الفرنسيين سجنوا البابا وأغلقوا الكنائس ، وانهم يحترمون الاسـلام ٠٠٠ ولكن فى نظر المسلمين فان الفـارق بين المسيحيين ، والربوبيين . وعباد العقل أو الكائن الأعظم . والملحدين ، واليهود ، وغيرهم ٠٠٠ ليس بذى أهمية ٠ الكل غير مسلمين ، فهم فى الكفر سواء » ٠

وقال محمود الشرقاوى (٥) : « ٠٠ أظهر نابليون كل ما فى قدرته من الحيل . واستنفد كل ما عنده وعند رجاله من بلاغة وبيان لكى يؤثر

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٧ ، **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٤ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ ٠

(٣) Herold, op. cit., p. 70. (نقلا عن بعض المصادر الفرنسية القديمة) ٠

(٤) Ibid., p. 142.

(٥) مرجع سبق ذكره ، ج ٣ ، ص ٣٦ ــ ٧ ٠

في المصريين عن طريق منشوراته العربية ··· يقول لهم انه محب للاسلام وصديق دولة آل عثمان ، وانه عازم على اقامة مسجد عظيم لا نظير له في الأقطار والدخول في دين النبي المختار ·· وقال انه خرب كرسي البابا لانه كان يحرض على حرب المسلمين ··· قال نابليون ذلك وفعله يترضى به ويتملق عواطف المسلمين حتى لا يقاوموه ، ولكنهم قاوموه أعنف المقاومة وأشدها ، لم يكفوا عن ذلك يوما أو بعض يوم ··· » ·

***

وفي عهد كليبر خفت هذا الصوت الدعائي « الاسلامي » الى درجة ملحوظة · ويرجع ذلك دون شك الى الاختلاف بين تفكير هذا القائد وتفكير سلفه بشكل واضح · فقد كان وراء سياسة بونابرت الاسلامية دوافع أو أحلام استعمارية معينة ، لم تكن طبيعة كليبر الواقعية تجعله من المتحمسين لها كثيرا · ولعل ذلك يرجع أيضا الى الظروف التي تولى فيها كليبر قيادة الحملة بعد رحيل بونابرت المفاجيء ، وعدم رضائه عن هذا الرحيل ·

لقد كانت معظم المنشورات التي صدرت في عهد كليبر تتعلق بأمور ادارية أو تنظيمية ، وليس فيها من الدعاية التي تعتمد على تلك القاعدة الاسلامية الا النادر ·

ولعل المنشور الوحيد الذي أصدره كليبر ، وردد فيه بعض ما عرضنا له من أساليب الدعاية « الاسلامية » في منشورات سلفه ، هو أول منشور وجهه الى شعب مصر بعد أن تولى قيادة الحملة (شكل٣٧) (١) ·

لقد بدأ المنشور بالبسملة ، وهو أمر نادر الحدوث في منشورات هذا القائد · ثم ان كليبر وصف في بداية المنشور بأنه « محب أهل الملة المحمدية » · وفيه يخاطب المصريين بقوله : « علمنا ان غاية مرادكم ونهاية راحتكم اقامة دينكم دين الاسلام الدين القويم والمحافظة على أحكام الشريعة المحمدية واكرام الملة الاسلامية فاعلموا ان الدين المحمدي هو الدين المكرم المعتبر الاكرام المعظم عندنا بأحسن الاكرام والتعظيم واعلموا اننا نحب تعظيم دينكم ونريد اكرامه أكثر مما كان في زمن المماليك ··· » ·

---

(١) صدر في ٢٠ فروكتيدور سنة ٧ (٦ سبتمبر ١٧٩٩) · ومع ان كليبر كان قد خلف بونابرت في قيادة الحملة قبل هذا التاريخ بأكثر من شهر ، فان بعض عبارات المنشور تقطع بأنه أول ما أصدره كليبر من منشورات بعد توليه القيادة ، اذ جاء به : « اعلموا .. ان لم يحصل منا خطاب لكم الا في هذا الوقت .. » وتوجد النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ·

ثم يختم المنشور بهذه العبارة : « وهذا مما في نفوسنا من تعظيم دينكم واحترام ملتكم التي أمرت بكل خير ونهت عن كل شر ... » .

وان مقارنة سريعة بين هذا الكلام وبين ما قاله بونابرت في منشوره العربي الأول . لتوضح الى حد كبير موقف كل من القائدين من خطـة الدعاية « الاسلامية » .

***

أما في عهد منو ، فقد كان الخط الاسلامي في السياسة الدعائية التي اتبعها حكومة الحملة من خلال المنشورات العربية أكثر وضوحا منه في عهد سلفه كليبر .

ومع أن الاساليب التي لجأ اليها منو في هذا الصدد تحمل سمات واضحة من أساليب بونابرت ، المخطط الاول لذلك الاتجاه ، فقد امتاز منو عن قائده بانه اعتنق الاسلام بالفعل ، واتخذ اسم « عبد الله » فوق اسمه القديم « جاك منو » ، وأصهر الى أسرة مصرية بمدينة رشيد (١) .

وأيا ما كان القول في الدوافع الحقيقية التي أدت بمنو الى اعتناق الاســـلام ، وسواء أكان ذلك في حد ذاته جزءا من السـياسة الدعائية الاسلامية ، أم كان لأسباب أخرى ، فقد كان هذا القائد يضمن منشوراته ما يلقى في روع قارئها أنه مسلم حقيقة .

لقد رأينا أن ما عبر عنه بونابرت في منشـــوراته من اتجـــاهات اسلامية كان موضع تعليقات لاذعة من المصريين وغيرهم . أما منو فلم يثر - بما ردده في منشوراته - ما أثاره بونابرت قبله من ردود فعل غير مواتية ، وان سخر بعض معاصريه الفرنسيين من اعتناقه الاسلام وزواجه من سيدة مسلمة .

ان منو لم يلجأ في هذا الاتجاه الى الادعاء أو المبالغة أو التمويه ، ولم يدر حول المعاني كما فعل قائده الأول ، ولكنه كان يخاطب المصريين بلسان المسلم الصـــادق ، وفي بساطة وتلقـائية . وما دام قد اعتنق

---

(١) تزوج منو من السيدة زبيدة بنت السيد محمد البواب من أعيان رشيد . وقد اكشف على بك بهجت عضو المجمع العلمي المصري (وهو امتداد لمجمع الحمـــلة الفرنسية) وثائق هذا الزواج في محفوظات رشيد ، وترجمها وعلق عليها بمحاضرتين بالفرنسية نشرتا بمجلة المجمع . انظر : الرافعي ، **مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ، ص ٢١٣ - ١٥ ، ٣٩٩ - ٤٠٣ ، وكذلك : Rigault, op. cit., p. 43.

الاسلام ، أو تظاهر باعتناقه « رسميا » ، فلم تعد به حاجة الى الافتعال فى التعبير .

لقد حرص منو ، فى منشوراته الموجهة الى المصريين ، على أن يذكر اسمه بالكامل « عبد الله جاك منو » ، سواء أكان ذلك فى بداية المنشور أم عند التوقيع عليه فى نهايته (١) .

وحرص كذلك على أن يبدأ المنشورات بالبسملة وعبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » . وأحيانا كان يزيد على هذه العبارة « صلى الله عليه وسلم » . وكانت ترجمة هذه العبارات تتصدر كذلك مادة النص الفرنسى للمنشور ، اذا طبع باللغتين معا ، بل تتصدر أيضا الطبعة الفرنسية منه اذا كانت منفصلة (شكل ٣٨) .

واستخدم منو عبارة « الحمد لله الذى يعطى ملكه من يشاء من عباده » ، بعد البسملة ، فى صدر المنشورات المتضمنة لصيغ الفرمانات الجديدة ، التى أصدرها ليعين بمقتضاها بعض أصحاب الوظائف العامة .

أما المنشور الذى يتضمن فرمان تعيين مشايخ البلاد (العمد) ، فزاد على ما سبق عبارة « والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادى لطريق اسعاده » .

وكثيرا ما كانت هذه العبارات وأمثالها ، مما يتصدر منشورات منو ، تطبع بحروف العناوين الكبيرة ، ابرازا لها وتمييزا عن سائر النص (شكل ٣٩) .

واعتاد منو أن يستعمل عبارات ذات طابع اسلامى ، ترد فى سياق منشوراته بطريقة طبيعية ، مثل : « قدام الله ورسوله » ، خوفا من الله ورسوله » (٢) ، « هذا الرجل المرفوض من الله ورسوله » (٣) ، « شهر رمضان الشريف .. سنة .. من الهجرة النبوية » (٤) .

---

(١) مما يذكر فى هذا الصدد أنه كان لمنو خاتم عربى يبصم به أصول الوثائق ، ونسخ المنشورات ، التى كانت تحفظ بملفات القيادة العامة ، والتى يوجد الكثير منها فى قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية . ويتضمن الخاتم هذا الدعاء : « الهى أنت رحمانى رجائى منك غفرانى ولا تعاقب بعصيانى وكمل كل نقصانى » .

(٢) منشور ٦ برومير سنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) .

(٣) منشور ٢٠ فريمير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) .

(٤) منشور ٨ نيفوز سنة ٩ (٢٩ ديسمبر ١٨٠٠) .

وكثيرا ما كان يختم منشوراته بعبارات مثل : « والصلاة والسلام على من اتبع الصدق والاستقامة » (١) . أو « والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة » (٢) . أو « وعزة الله وحرمة رسوله » . « فأقسمه لكم باسم الله الحى باسم الله الذى يرى ويهدى كل شىء ويعرف ما فى الضماير وسراير قلوبنا » (٣) ، أو « فأقسمت باسم الله الحى القيوم وبحرمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم » (٤) . أو « فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم » (٥) .

ويبدأ منو احد منشوراته (٦) . بعد البسملة وعبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » بمقدمه يتخذ فيها من القرآن الكريم مرجعا يستند اليه . قبل أن يعلن خبر اعدام بعض قطاع الطريق ؛ فيقول : « يا أهالى بر مصر القرآن عظيم الشـــأن الذى هو الكتاب المفضـــل بالحق نهى عن السرقة . . . »

ويتخذ فى منشـــور آخر (٧) موقف الحاكم المسلم ، الحريص على اقامة حدود الله ؛ مهما تاثرت بسبب ذلك مشاعره الخاصة . فيقول بعد أن أعلن اعدام أحد ثوار الأقاليم الذى زعم انه لص وقاتل : « انى أنا باعمق الحزن كلمـــا لزم بالتعـــذيب وأنا مجبور عليه ولكن الحق الذى جـــاء من الله تعالى هو وظيفتى وأمرنى به والســـلام على من اتبع الهدى » .

ويردد منو ما سبق أن أدعاه بونابرت من أن الفرنسيين مؤيدون دائما بنصر الله . فيقول فى بداية منشور أصدره (٨) ليحـذر المصريين

---

(١) منشور ٦ فنتوز سنة ٩ (٢٥ فبراير ١٨٠١) .

(٢) من منشور نقله الجبرتي (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ ــ ٧) ، فى حوادث ١٤ شوال سنة ١٢١٥ (٢٨ فبراير سنة ١٨٠١) ، ولم نعثر على نسخة منه .

(٣) منشور ٦ برومير سنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) .

(٤) منشور ١٥ فريمير سنة ٩ (٦ ديسمبر ١٨٠٠) .

(٥) منشور ١٤ فنتوز سنة ٩ (٥ مارس ١٨٠١) . وقد نقله الجبرتى (جـ ٣ ، ص ١٤٨) . فى حوادث ٢٠ شوال سنة ١٢١٥ .

(٦) بتاريخ ٢٩ برومير سنة ٩ (٢٠ نوفمبر ١٨٠٠) .

(٧) بتاريخ ٢٠ فريمير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) .

(٨) راجع هامش (٥) . وكانت حملة انجليزية بقيادة السير رالف ابروكرومبى (R. Abercromby) قد اقتربت من شاطىء أبو قير ومعها قوة بحرية عثمانية وتحركت فى الوقت نفسه قوة عثمانية برية بقيادة الصدر الأعظم يوســف ضيا نحو حدود مصر الشرقية .

من التمرد ، بمناسبة تحرك الانجليز والعثمانيين تجاه مصر ، وان كان تعبيره عن هذا المعنى ليس « اسلاميا » تماما : « ان الله هو هادى الجنود ويعطى النصرة الى من يشاء والسيف المشتعل فى يد ملاكه يسابق دايما الفرنساوية ويضمحل أعداؤهم ... »

ويكرر هذا المعنى ، مؤكدا كذلك أن الله يشمل بونابرت (الذى أصبح قنصلا أول لفرنسا) بعنايته ، فيقول فى صدر منشور آخر (١) ، مقدما لنبأ انتصار فرنسا على النمسا : « .. ان كلما أراد الله لا بد يصير وهو هو الذى يرا (يرى) ويهدى كل شى وانما أراد أن الفرنساوية يكونوا دايما مظفرين فالفرنساوية غلبوا أعدايهم أينما وجدوهم وأراد أن القنصل بونابرته الشهير .. يفوق فى كل ما أجاد ... » .

ويقول فى المنشور نفسه ، بعد أن اذاع نبأ وصول بعض السفن الفرنسية الى الاسكندرية : « ... ان الله الذى كرم الفرنساوية بعواطف حسن نظره وحمايته أجاز أن المراكب المذكورة وصلوا بمدة عشرة ايام من بلاد فرنسا الى اسكندرية فاذا أراد الله شيئا هيأ أسبابه » .

ولم تقتصر مظاهر هذه السياسة على المنشورات التى أصدرها منو بتوقيعه ، بل اننا نلمحها كذلك فى بعض المنشورات التى كان يوجهها الى الشعب المصرى غير منو من المسئولين الفرنسيين فى مناسبات معينة .

فعندما تحرج مركز الحملة فى أواخر أيامها ، أصدر الجنرال بليار حاكم القاهرة وقائد حاميتها منشورا ينوه فيه بحسن سلوك المواطنين فى تلك الأيام العصيبة ، وينذر بشديد الانتقام كل من يناوىء الفرنسيين (٢) . وقد بدأ هذا المنشور بعبارة « الحمد لله وحده » مطبوعة بحروف كبيرة تتوسط وحدها أول سطور العنوان .

---

(١) بتاريخ ١٩ بلوفيوز سنة ٩ (٨ فبراير ١٨٠١) . والمنشور موجه « الى كافة المشايخ والعلما الكرام فى محفل الديوان المنيف بمحروسة مصر » .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن من استقراء مضمونه يتضح انه صدر بعد موقعة كانوب (Canope) جنوبى أبو قير (٢١ مارس ١٨٠١) ، التى هزم فيها منو وارتد الى الاسكندرية ليتحصن بها ، بينما واصلت القوات الانجليزية زحفها نحو القاهرة ، تدعمها القوات العثمانية وفرسان المماليك من الشرق ، وقبل أن يعلن بليار الصلح فى يونيو ١٨٠١ . وتؤكد ذلك الصفة التى أضافها بليار الى وظيفته فى عنوان المنشور « .. قايمقام مصر .. وحاكم العرضى وعساكره المنصورة » فالعرضى ، وهى كلمة منقولة عن الأصل التركى « أوردو » أو « أوردى » تعنى الجيش أو الفيلق ، وتؤدى كذلك معنى المعسكر الذى ينصب من أجل معركة معينة . ويؤكده =

وجاء كذلك في هذا المنشور عبارات مثل : « والله تعالى يساعدني » . و « والله تعالى يرشدكم » ، كما ختم بعبارة « فكونوا صابرين لحكمه منتظرين أمره معتمدين عليه جل جلاله ... » .

وبعد أن وقع بليار اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر مع قواد الحملة الانجليزية العثمانية اصدر منشورا اذاع به على المصريين هذا النبأ وضمنه من مواد الاتفاقية ما يهم الشعب معرفته (١) . وقد بدأ هذا المنشور بعبارة : « ثم انه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عساكر الفرنساوية وعساكر .. » ، وختمه بقوله : « .. ان الله تعالى جل جلاله هو الذي يفعل كل شيء .. »

= كذلك ان المنشور يحمل في أسفله عبارة « طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بقلعة مصر المحروسة » . ولم تنقل مطابع الحملة الى القلعة الا في أواخر شهر مارس ١٨٠١ ، بعد معركة كانوب بالذات . ويتضح ذلك من العبارة التي ذيل بها العدد ١٠٩ من صحيفه «لوكوربيه» ، بتاريخ ١٠ جرمينال سنة ٩ (٣١ مارس ١٨٠١) ، والاعداد التالية له : « طبعت بمطابع الحملة الرسمية بالقلعة .. » وسنتناول هذا المنشور مرة أخرى فيما بعد .

(١) مؤرخ ١٨ صفر ١٢١٦ (يوافق ٢٨ يونيو ١٨٠١) . وقد أشار اليه الجبرتي في حوادث يوم ٢٠ صفر (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ـ ٣) .

الفصل الثانى

السياسة الوطنية

لم تتح الظروف السياسية للمصريين من قبل الحكم الفرنسي بقرون أن تنمو شخصيتهم القومية . وصحيح أنه حدثت فى مصر بعض الانتفاضات الشعبية التى سجلها المؤرخون المعاصرون قبل الحكم العثمانى وفى أثنائه (١) ، ولكنها لم تكن من القوة أو الاتساع بحيث تؤدى الى بلورة الشعور القومى . ولقد كان الحكم التركى المملوكى بالذات يقوم على نظام لا يجعل للمصريين أدنى نصيب فى حكم بلادهم أو ادارتها ، ويسلبهم حقهم فى أن يكون لهم رأى فى أى شأن من الشئون العامة .

ولذلك رأى قائد الحملة أن تكون بعض وسائله لاجتذاب المصريين الى تأييد الحكم الفرنسى تنمية احساسهم بمصريتهم الى حد ما ، عن طريق ما انشأه من دواوين فى القاهرة والأقاليم ، وعن طريق تمصير

---

(١) سجل المقريزى وابن تغرى بردى والقلقشندى وابن اياس والجبرتى عددا من هذه الانتفاضات الشعبية ، سواء ضد الحكم الأجنبى أو ضد النظام الاقطاعى . ولعل من أهم هذه الحركات وأقربها الى عهد الحملة الفرنسية ، الثورة التى قامت فى الصعيد بزعامة همام شيخ قبيلة الهوارة ، الذى ظل يحكم الصعيد جنوبى المنيا، من عام ١٧٦٦ حتى عام ١٧٦٩ (الجبرتى : **عجائب الآثار** ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ – ٦) . وكذلك حركة الاحتجاج التى تزعمها علماء الأزهر عام ١٧٩٥ ، وانتهت باضطرار الوالى والمماليك الى كتابة ميثاق أو « حجة » تحدد الحقوق والواجبات بين الوالى والرعية (الجبرتى : **المرجع السابق** ، جـ ٢ ص ٢٥٨ – ٩) .

بعض الوظائف الكبيرة . وكان ينتهز كل مناسبة لاشعار قادة المصريين بأن لهم نصيبا ، ولو محدودا ، فى ادارة شئون بلادهم .

ولقد قضى التكوين الاجتماعى والفكرى للشعب المصرى فى العصر الذى آذنت الحملة الفرنسية بنهايته ، أن تتمثل قياداته فى فئات معينة على راسها علماء الازهر ومن اليهم من الزعماء الدينيين ، مثل نقيب الاشراف وكبار مشايخ الطرق الصوفية . ومن هذه الفئات كذلك كبار التجار فى المدن ، ومشايخ البلاد (العمد) فى القرى ورؤساء البدو فى مجتمعات الأعراب القبلية .

ومن هنا كانت هذه القيادات ، وفى مقدمتها علماء الأزهر ، هى محور التنظيمات التشريعية والادارية ، وغيرها من الاجراءات المعبرة عن السياسة الوطنية التى انتهجتها الحملة الفرنسية . وقد رأى بونابرت أن ذلك ضرورى ، بعد القضاء على سلطة المماليك وازاحة طبقتهم من مراكز الحكم والادارة .

وكان انشاء الدواوين أبرز مظاهر هذه السياسة . وقد بدأ بونابرت عهده بانشاء ديوان فى القاهرة ، يتألف من عدد من الزعماء الدينيين ، ودواوين على غراره فى سائر الأقاليم .

وتعرض تكوين هذه الدواوين لعدة تطورات فى أيام بونابرت نفسه ، ثم فى أيام منو .

وقد تفاوتت آراء المؤرخين فى الحكم على هذه المجالس التى مثلت شعب مصر ، سواء على المستوى القومى أو المحلى . وأيا ما كان الرأى فى تقويم هذه المجالس التمثيلية للشعب المصرى ، فهناك أمران لا شك فيهما : أولهما أن هذه المجالس أنشئت لتكون واسطة حيوية بين حكومة الحملة والشعب ، يتعرف ممثلوه عن طريقها على اتجاهات الحكومة ، وينقلون اليها بدورهم تطلعات الجماهير وردود الفعل لديها ، وبذلك لا يبقى ثمة مجال للدسائس أو لسوء الفهم . وثانيهما أنها أتاحت للمصريين فرصة ليست لها سابقة للتدريب على ممارسة شىء من مسئولية الحكم ، وان كانت اختصاصاتها محدودة وسلطتها مقيدة .

وكانت المنشورات مرآة صادقة لسياسة الفرنسيين الوطنية ، تحدد أبعادها ، وتجلو صورتها ، وتعمل على اقناع المصريين بها . بل ان الفرنسيين كثيرا ما اتخذوا من اصدار المنشورات فى حد ذاته مظهرا من مظاهر هذه السياسة ، وذلك بجعلها على لسان ممثلى الشعب .

ومن اليسير ان نلمس المظاهر الدعائيه لهذه السياسة . شأنها في ذلك شان السياسة الاسلامية ، من منشور بونابرت الاول . بل ان هذا المنشور في الحقيقة يتضمن المبـــادئ الأساسية لسـياسة بونابرت الوطنية .

فهو يوغر صدور المصريين ضد حكامهم المماليك الذين افسدوا بحكمهم هذه البلاد ، كنانة الله في ارضه : « وحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة من المماليك المجلوبين من جبال الأبازا والكرجستان(١) ليفسدوا في الاقليم الأحسن الذي يوجد في كرة الأرض كلها . . » .

ثم ان المماليك لا يمتازون عن المصريين بعقل أو فضيلة أو معرفة . بحيث يحتكرون دونهم أطايب العيش ومتع الحياة : « ان جميع الناس متساويين عند الله وان الشي الذي يفرقهم من بعضهم بعضا فهو العقل والفضايل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضـايل والمعرفة التي تميزهم عن الآخرين وتستوجب أنهم يمتلكوا وحدهم كلما يحلو به حيات الدنيا » (أى كل ما تحلو به الحياة الدنيا) . وهو بذلك يهاجم اقطاع المماليك وما اقترن به من حقوق اغتصابية .

على أن أهم ما تضمنه المنشور في هذا الصدد هو العباره التاليه التي تؤكد أن المماليك ليس لهم أى سند شرعي في حكم البلاد ، وان الباب مفتوح امام المصريين لتولى أكبر المنـاصب ، وان كبـــارهم سيشتركون في ادارة شئون البلاد : « ان كانت الأرض المصرية التزام للمماليك فيلورون الحجت (أى فليظهروا الحجة) التي كتبها الله لهم فلكن رب العالمين هو رؤوفا وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحدا من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلا والفضلا والعلما بينهم سيدبروا الأمور (٢) وبذلك يصلح حال الأمة كلها » . أى انه لا امتياز الا للعقل والفضائل والعلم وحدها .

ويذكر المنشور المصريين بثروة بلادهم ورخائها القديم الذى أزاله المماليك ، محاولا بذلك ايقاظ مشاعرهم الوطنية ، في قوله : « سابقا في الأراضي المصرية كانت المدن المعظمة والخليجات الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الا الطمع وظلم المماليك » .

---

(١) الابازا (أو الابازة) من شعوب القوقاز ، والكرجستان هى جورجيا . رز الأصل الفرنسي « achetés dans la Georgie et le Caucase » .

(٢) العبارة في الأصل الفرنسي أكثر تحديدا ، فهي تقول « gouverneront ... » أى « سيتولون الحكم » . وهذا من الاختلافات الأساسية بين النصين .

ويلفت النظر ، الى جانب ذلك ، فى هذا المنشور أمران :

١ ـ انه يحرص على تذكير المصريين بكيانهم القومى المتميز . فهو يوجه الخطاب اليهم ، باعتبارهم أبنـــاء وطن معين له كيانه الخاص ، وله أمجاده وحضارته القديمة : « ... يعرف أهالى مصر جميعهم ... » ، « يا أيها المصريين .. » ، « .. لا يستثنى احدا من أهالى مصر .. » . وآخر عبارة فى المنشور هى « ... واصلح حال الأمة المصرية » . أى أن المصريين ، بمضمون هذه العبارات ، ليسوا مجرد أفراد يعيشون فى « دار الاسلام » الكبيرة ، أو مجرد رعايا للسلطان العثمانى خليفة المسلمين . وهذا امر لم يكن مالوفا لهم قبل الحملة الفرنسية . وبغض النظر عن المطامع الاستعمارية للحملة ، فالواقع أن بونابرت فى هذا المنشور ، كما يقول الرافعى (١) ، « قد استثار الروح القومية المصرية ولم يسبق لفاتح قبل هذا العصر أن يشيد بمكانة مصر وعظمتها ويوجه خطابه الى المصريين وبعدهم بأن يكونوا أصحاب الحل والعقد » .

٢ ـ انه يبدأ بعبارة « من طرف الجمهور الفرنســـاوى (اى الجمهوريه الفرنسية) المبنى على اســـاس الحرية والتسوية (اى المساواة) وكلمتا « الحرية » و « المساواة » هما ـ كما تعلم ـ شـــعار الثورة الفرنسية (٢) . ولا شك أن استخدام هذا الشعار فى رأس المنشور العربى الأول ، وهو ما لم يتضمنه أصله الفرنسى ، له دلالته . ففيه ايحاء للمصريين بالمبادىء الوطنية والديموقراطية التى تعد بها الحملة الفرنسية . وسوف نلحظ استخدام هذا الشعار فى الأغلبية الساحقة من المنشورات العربية التى صدرت فى عهد الحملة .

* وفى اليوم التالى لانتصار جيش الحملة على المماليك فى موقعة امبابة (الأهرام ، أى فى يوم ٢٢ يوليـــو ١٧٩٨ ، أرســـل بعض علماء الأزهر الى بونابرت ، وهو بعد فى معسكر الجيزة لم يعبر النيـــل الى القاهرة ، رسالة يستفسرون فيها عن نواياه ، ويطلبون تصريحا يطمئن الأهالى . فأصدر بونابرت، فى اليوم نفسه ، منشورا ثانيا يؤكد به منشوره الأول . وقد امر الجنرال ديبوى (Dupuy) الذى عينه بونابرت قائدا لمنطقة القـــاهرة بتعليق نســـخ هذا المنشـــور بمجرد وصوله

---

(١) مرجع سبق ذكره ، حـ ١ ، ص ٨٨ .

(٢) Liberté, Egalité.

الى القلعة (١) .

ومع انه من المؤكد ان هذا المنشور لم يطبع ، فلم تكن مطابع الحملة ـ التي تحتوي على الحروف العربية ـ قد بدأت عملها بعد في القاهرة ، فانه قد أذيع على الأهالي ، وأحدث بالفعل أثره في تهدئة خواطرهم ، اذ نقول الجبرتي : « فلما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس .. » .

وأهم ما ورد في هذا المنشور ، بعد ترديد بعض ما جاء في المنشور الأول من عبارات ومعان ، قول القائد الفرنسي : « .. لابد ان المشايخ والجربجية (٢) يأتون الينا لنرتب .. ديوانا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » (٣) .

وبالفعل أصدر بونابرت بعد ثلاثة أيام (في ٢٥ يوليو) مرسوما بتأليف أول ديوان مصري (٤) ، وكان يتكون من تسعة من علماء الأزهر ، ثم اختار هؤلاء امينا (كاتم سر) للديوان من العلماء أيضا . وبعد يومين أصدر بونابرت مرسوما آخر يقضي بانشاء دواوين اقليمية ، يتألف كل منها من سبعة أعضاء ، ويتعاون مع السلطات الفرنسية المحلية في

---

(١) ذكر لاكروا ذلك بالتفصيل ، واورد الأصل الفرنسي للمنشور (نقلا عن : **مراسلات نابليون** ، ج ٤ ، وثيقة ٢٨١٨) . انظر :
Lacroix, op. cit., pp. 122-3.
وقد أوجز الجبرتي مضمون المنشور (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٠) ، كما نشر الرافعي (**المرجع السابق** ، ج ١ ، ص ٩١) ترجمة عن أصله الفرنسي ، وكذلك فعل أحمد حافظ عوض (**مرجع سبق ذكره** ، ص ١٤٩ ـ ٥٠) .

(٢) « الجربجية » أو « الشوربجية » تعني هنا كبار الأعيان . وكانت هذه الكلمة التركية تطلق كذلك ، في الاصطلاح المتخصص ، على الضباط حاملي رتبة « جوربجي » وهي تعادل رتبة « النقيب » الحالية .

(٣) الأصل الفرنسي أكثر دقة وتفصيلا من نص الجبرتي . فهو يقول : « بما انه من الأمور الملحة أن يعهد الى بعض الأشخاص بالاشراف على النظام العام حتى لا يعكر صفو الأمن معكر ، فستكون ديوان من سبعة أعضاء يجتمعون في الأزهر ، وسيكون اثنان منهم على اتصال دائم بقائد المنطقة ، ويتولى أربعة آخرون مهمة المحافظة على الأمن العام ومراقبة أعمال الشرطة » .

(٤) كان من أجهزة الحكم الثابتة في مصر طوال العهد العثماني « ديوان » أو مجلس حكم . ولكن عضويته كانت مقصورة على الاتراك والمماليك . والأصل الفرنسي لهذا المنشور في : **مراسلات نابليون** ، ج ٤ ، وثيقة ٢٨٢٧ . وكذلك أورده لاكروا (**المرجع السابق** ، ص ١٢٧ ـ ٨) .

السهر على مصالح الاقليم (١) ·

⁕ وبعد ثورة القـــاهرة الأولى - التى اندلعت فى ٢١ اكتوبر ١٧٩٨ ، تعطل عمل الديوان شـــهرين ، ثم أعاده بونابرت فى صـــورة جديدة ، استئنافا لسياسته الوطنية . وقد أصدر بهذه المناسبة منشورا ضمنه ، بعـد مقدمة سبقت الاشارة اليها (٢) ، مواد التنظيم الجـديد · واهم معالم هذا التنظيم :

١ ـ أن الديوان الجديد يكون من هيئتين : ديوان عمومى من ستين عضوا عينتهم السلطة الفرنسية بالفعل وذكر المنشور أسماءهم . وديوان خصوصى (ديمومى) من أربعة عشر عضوا ينتخبهم اعضـــاء الديوان العمومى من بينهم . ولهذا الديوان كذلك وكيلان (قوميسيران) معينان ، أحدهما فرنسى (هو جاوبييه : Gloutier) والثانى مسلم متمصر (هو الامير ذو الفقار كتخدا (٣) بونابرت) ·

٢ ـ أن مهمة الديوان العمـومى الرئيســـة تنتهى بانتخاب أعضاء الديوان الخصوصى . ولا يجتمع بعد ذلك الا بدعوة ·

٣ ـ ان الديوان العمومى يمثل قاعدة عريضة جدا من أهالى القاهرة . فهو يضم ممثلين عن علماء الأزهر ومشايخ الطرق الصوفية والتجار وأرباب الحرف والمسيحيين (من المصريين والسوريين) ، وكذلك الأجانب (٤) ، فضـــلا عن ممثلين للعسكريين القـــدامى من رؤساء الأوجاقات (٥) · ومما يلفت النظر فى تكوين هذا الديوان أن بونابرت

---

(١) نص المرسوم ، معربا عن « مراسلات نابليون » (جـ ٤ ، وثيقة ٢٨٥٨) . فى كتاب الرافعى (المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٣) .

(٢) راجع ص ٩٨ ·

(٣) ورد الاسم فى المنشور هكذا «ذلفقار كاخيا» · وكلمة «كاخيا» أو «كخيا» محرفه عن « كتخدا » ، ومعناها « وكيل » الوالى أو من اليه . وقد ذكر الدكتور عبدالعزيز الشناوى ـ دون ما سند واضح ـ ان اسم هذا الوكيل كان « زين الفقار » (مرجع سبق ذكره ، ص ١٧٢) ·

(٤) كان ممثلو الأجانب هم : فولمار (Wolmar) الطبيب السويدى المستوطن بالقـــاهرة ، وكاف (Caffe) وبودوف (Beaudeuf) التاجران الفرنسيان .

(٥) « اوجاق » أو « وجاق » كلمة تركية معناها فى الأصـــل « موقد » ، ثم استخدمت بمعنى « فرقة عسكرية » . وصيغة الجمع « أوجاقات ـ وجاقات » تستخدم وحدها أحيانا ، على سبيل الايجاز ، بمعنى رؤساء الفرق العسكرية ، بدلا من الصفة « وجاقلية » (مفردها « وجاقلى ») ·

حرص على ان يضم اليه عضوين يمثلان اهم احياء (اخطاط) القاهره التى تركزت فيها الثورة . وهما ــ حسب نص المنشور ــ شيخ الجزارين بالحسينية وشيخ العطوف (١) . ولا شك فى أنه قصد بذلك التمثيل العريض لسكان القاهرة ، وبضم ممثلين شعبين الى الفئات التقليدية ، وبالاهتمام بالاحياء التى تزعمت الثوره ، مزيدا من التأكيد لسياسته الوطنية . وقد حرص بونابرت على أن يحتفظ الديوان العمومى بهذا التمثيل الشامل لسكان القاهرة . ويتضح ذلك من الأمر الذى أصدره فيما بعد الى الوكيل الفرنسى للديوان ، بأن يبلغه بما يخلو من مقاعد الأعضاء لكى يعمل على شغلها بأعضاء جدد ، لأنه يريد للديوان أن يكون مؤلفا دائما « من هيئة تمثل تمام التمثيل سكان القاهرة ، بحيث تطمئن الحكومة وهى تخاطب الديوان الى أنها تواجه فيه الرأى العام » (٢) .

٤ ــ انه ينص على الأخذ بالأسلوب الديموقراطى فى استكمال تكوين الديوانين . فهو يحتم أن يختار أعضاء الديوان العمومى رئيسه وكاتبيه ، وكذلك أعضاء الديوان الخصوصى ، بالانتخاب المباشر : « المادة الرابعة ــ وعليهم أن يختاروا من بينهم ريس الديوان وكاتبين اتنين بالقرعة باعتبار الأكثر والأغلب اختيارا . المادة الخامسة ــ بعد ذلك يشرعوا فى تعيين أربعة عشر نفس الذين يجتمعوا فى الديوان الديمومى (الخصوصى) بالقرعة أيضا باعتبار الأكثر والأغلب اختيارا .. » (٣) .

---

(١) يتضح من رواية الجبرتى (ج٣ ، ص ٢٥ ــ ٧) أن دور هذين الحيين فى الثورة كان أكبر من غيرهما . هـذا وقد نشرت « لوكوريه » فى العـدد ٢٣ (بتاريخ ٩ نيفوز سنة ٧ = ٢٩ ديسمبر ١٧٩٨) نص المرسوم . ويلاحظ على هذا النص أن هناك اختلافات طفيفة مع المنشور المطبوع فى بعض الأسماء ، لعل مردها الى ضعف الترجمة ، كما يلاحظ أن هذه الأسماء مقسمة الى فئات توضح انتماءاتها ، بل ان التجار أنفسهم قسموا الى فئات حسب تخصصاتهم .

(٢) **مراسلات نابليون** ، ج ٥ ، وثيقة ٤٢١٨ ، بتاريخ ١٠ مسيدور سنه ٧ (٢٨ يونيو ١٧٩٩) .

(٣) يرجح الرافعى (**مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ص ١٩) ، انه حدث تدخل ما أو توجيه من السلطات الفرنسية فى اختيار أعضاء الديوان الخصوصى (الديمومى) ، لكى يكون كامل التمثيل للقاعدة العريضة التى انبثق منها . ويستدل على ذلك بوجود الأعضاء الأوربيين فى هذا الديوان ، مع انهم فى غالب الظن لم يكونوا معروفين لأعضاء الديوان العمومى . وهذا احتمال غير قوى . وحتى اذا كان ظن الرافعى صحيحا ، فالأرجح بعد ذلك النص الصريح فى المرسوم وما تلاه من نصوص مماثلة ، ان التدخل كان فى نطاق ضيق جدا لمجرد توجيه الأعضاء الى الانتخاب على أساس فئوى وبنسب =

وهو يقضى كذلك فى المادة السادسة بأنه « بعد ما يستحسن حضره السارى عسكر الكبير اشخاص الذين يتعينوا من اهل الديوان العمومى برسم الديوان الديمومى (أى بعد أن يصدق القائد العام على انتخابهم) فيشرع الأربعة عشر المعينين فى تعيين (اختيار) ريس من جملتهم وكاتب أيضا .. » .

وقد أثبت الجبرتى صــدر هذا المنشور وحده (١) ، مما يؤكد أنه طبع ــ كما سبق أن ذكرنا ــ فى منشور مستقل . ولكن الجبرتى لم ينقل نص مواد التنظيم الجديد ، ولا أسماء الأعضاء الذين اختيروا للديوان العمومى . وانما قدم للجزء الذى أثبته بقوله « .. شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفرا منهم أربعة عشر .. يقال لهم الديوان الخصوصى والديوان الديمومى .. والاربعة عشر هم ... » ، ثم ذكر أسماء ثلاثة عشر فقط . ويبدو أنه أضاف هذا الجزء الى أصول كتابه بعد ان كان أعضــاء الديوان العمومى قد اختاروا بالفعل أعضاء الديوان الخصوصى (٢) . ومن هنا أهمية المنشور المطبوع نفسه ، من حيث هو وثيقة أصلية فى هذا الموضوع .

= معينة ، وأن الأسلوب الديموقراطى قد اتبع بالفعل داخل الديوانين . ويدل على أن ذلك كان أصلا من أصول التنظيمات النيابية لذلك العهد عدة شواهد ، منها ما حدث عند انتخاب الشيخ الشرقاوى رئيسا للديوان العام الذى يمثل مختلف أقاليم مصر . والذى انعقد بناء على دعوة القائد العام قبيل ثورة القاهرة الأولى . وقد روى الجبرتى تفصيل هذه الواقعة ، فقال انه فى أول جلسة لذلك الديوان تليت خطبة الافتتاح « ثم قال الترجمان نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم .. فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوى فقال نو نو (أى لا لا) وانما يكون ذلك بالقرعة فعملوا قرعة بأوراق فطلع الأكثر على الشيخ الشرقاوى فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس .. » (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ص ٢٢ ــ ٢٣) . ومن هذه الشواهد كذلك ما جاء فى المنشور الذى أصدره أعضاء الديوان الخصوصى أنفسهم بعد تكوينه . فقد قالوا ان هذا الديوان يتألف من « أربعة عشر شخصا » **خرجوا بالقرعة** من ستين رجلا » (راجع ص ٩٩ ــ ١٠٠) .

(١) **المرجع السابق** ، ص ٣٧ ــ ٨ ، من حوادث ١٦ رجب ١٢١٣ (أى قبل تاريخ المنشور الآخر) ، مما يؤكد أن هذا الجزء تضمنه منشور مستقل ، ثم تكرر طبعه بعد ذلك مع مواد التنظيم الجديد , انظر ص ٩٨ ، هامش ٤) .

(٢) مما كتبه الجبرتى نفسه فى مقدمة « عجائب الآثار » نعرف انه كان عادة يدون الحوادث بعد وقوعها بأيام ، ومن هذه الحوادث « أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها » . ونعرف كذلك ان مؤرخنا بدأ فى تنسيق مادة كتابه فى عام ١٢٣٦ ، أى بعد خروج الفرنسيين بعشرة أعوام . ومن هنا فانه يخطىء أحيانا فى تواريخ بعض الحوادث ، أو يغفل تسجيلها أو يخلط بينها . هذا وكان أعضاء الديوان الخصوصى هم : « المشايخ » الشرقاوى والمهدى والصاوى والبكرى والفيومى (من العلماء) ، =

ونتيجة لورود ذلك النص وحـــده فى الجبرتى ، اعتمد المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى مناقشته لتكوين الديوان فى صورته الجديدة (١) على الترجمة من النص الفرنسى الذى نشر فى صحيفة « لو كورييه » ، وكذلك فعل الأستاذ أحمد حافظ عوض (٢) . وعندما أثبت ترجمة المادة السابعة من أمر التنظيم ، التى تنص على ان أعضاء الديوان الخصوصى يجتمعون يوميا « للنظر فى مصالح الناس وتوفير أسباب الســعادة والرفاهية لهم ومراعاة مصالح الجمهورية الفرنسية » ، عقب على ذلك بقوله ان عبارة « مراعاة مصالح الجمهورية الفرنسية وردت فى الأصل الفرنسى ولم تردفى بيان الجبرتى (مع أنها وردت بالفعل فى المنشور العربى المطبوع) .

وقد تابع الدكتور لويس عوض الأستاذ الرافعى فى ذلك ، وزاد عليه قوله « وربما مرد ذلك الى وجود صيغتين ، صيغة رسمية فرنسية وصيغة عربية روعى فيها ألا تخدش شعور المصريين » (٣) .

والحقيقة أنه لا تناقض هناك بين الصيغتين . فنص المادة المذكورة كما وردت فى المنشور العربى هو : « فالأربعة عشر المعينين للديوان الديموى لابد من اجتمـــاعهم كل يوم ويلقوا بالهم ونظرهم فى كل ما يتحصل منه الخير لأهالى البلد ولجمهور الفرانســـاوى والعدل والتوفيق بين الجميع » .

ونتج عن عدم اطلاع الرافعى على هذا المنشور كذلك انه اجهد نفســـه فى التعليق على تسمية « الديوان العمومى » و « الديوان الخصوصى » بقوله انها « التسمية الواردة فى الجبرتى ، اى التى كانت معروفة فى عصره ، فأبقيناها كما هى لأنها صـــارت من المصطلحات التاريخية لنظام الحـــكم فى ذلك العصر . وفى الجبرتى ان الدبوان

= **واحمد المحروقى واحمد محرم** (من التجار) ، **ولطف الله المصرى وابراهيم جر العايط** (من الأقباط) ، **ويوسف فرحات وميخائيل كحيل** (من السوريين) ، ثم الثلاثة الأوربيين الذين مر ذكرهم (**فولمار وكاف وبودوف**) . وانتخب الأعضاء الشيخ الشرقاوى رئيسا والشيخ المهدى كاتما للسر . وقد أغفل الجبرتى اسم ابراهيم جر العايط ، كما أخطأ فى أسماء الأعضاء الأجانب وحرفها جميعا . ويلاحظ ان هذا التكوين قد تعدل فيما بعد ، مع المحافظة على الفئات الممثلة ونسب التمثيل .

(١) **مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، ص ٢٧٤ ـ ٧٦ .

(٣) **مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ـ ٧٠ .

الخصوصي يسمى ايضا الديمومي . ولعلها اسمه بالفرنسية (Divan permanent) (١) .

وللسبب نفسه وقع احمد حافظ عوض في خطأ آخر . فقد اعتقد ان بونابرت « اعقب الأمر بانشاء الديوان .. بمنشور طويل قصد به اكتســـاب مودة المصريين مع الارهاب والانذار » (٢) . وهذا غير صحيح . فقد رأينا أن ذلك المنشور انما صـــدر أولا مستقلا ، ثم ظهر مرة أخرى مع الأمر بانشـــاء الديوان ؛ على شكل مقدمة أو مذكرة ايضاحية .

والى جانب هذه المنظمات النيـــابية . شملت سياسة بونابرت الوطنية انشاء هيئات أخرى عهد الى المصريين بمسئوليتها أو بالنصيب الاكبر منها . وكانت المنشورات كذلك هي وسيلة الاعلام بهذه الخطوة والتنويه بها .

فقد انشأ قائد الحملة بالقاهرة «ديوانا» سمى «محكمة القضايا» ، ويقول الجبرتي (٣) ان الفرنسيين عينوا لهذا الديوان « ستة أنفار من النصارى القبط وستة انفار من تجار المسلمين .. وجعلوا قاضيه الكبير ملطي القبطي .. وفوضوا اليهم القضايا في أمور التجـــار والعامة والمواريث والدعاوى .. » .

واذاع المسئولون مضمون هذا الاجراء في منشور خطي (٤) ؛ فقد « كتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها الى الاعيان ولصقوا منها نسخا في مفارق الطرق ورءوس العطف وأبواب المساجد » .

ويتضح مما نقله الجبرتي من محتوى هذا المنشور ، ومن تعقيبه عليه ؛ أن الديوان المذكور كان جهازا يجمع بين اختصاصات المحكمة المدنية التجـــارية وادارة الشـــهر العقاري . ويقول الرافعي (٤) انه انشئت على غرار هذا الديوان « دواوين مماثلة في بعض الأقاليم . وقد عثرنا على نسخة من المنشور الخطي الذي أصدره منو ، وهو تعد

---

(١) **المرجع نفسه** ، جـ ٢ هامش ص ١٥ . وكذلك أورد في ص ٣٨٤ – ٥ نص الجزء الأول وحده من المنشور نقلا عن الجبرتي .

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، ص ٢٧٧ .

(٣) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٩ – ٢٠ ، حوادث ١٦ ربيع الثاني ١٢١٣ (يوافق ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨)

(٤) لم تكن المنشورات العربية قد بدأ طبعها بعد في القاهرة .

(٥) **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١١٢ .

حاكم لرشيد والاسكندرية والبحيرة ، بانشاء « ديوان التجار » فى اقليمه من سبعة اعضاء من المصريين والمستوطنين برئاسة فرنسى ، مع تحديد اختصاصات هذا الديوان بما لا يكاد يخرج عن مثيله القاهرى (شكل ٤٠) (١) ٠

***

ومن الاساليب الدعائية البارعة التى لجأ اليها بونابرت لتدعيم هذه السياسة انه لم يكتف بأن تصدر المنشورات باسمه لكى تذيع أنباء اجراءاته التمصيرية ، وانما أراد أن يجعل من طريقة اصدار كثير من هذه المنشورات برهانا على انتهاجه تلك السياسة . فقد كان يستكتب العلماء اعضاء الديوان منشورات تصدر على لسانهم الى أفراد الشعب ، فيتأكد بذلك مكانهم من المسئولية القيادية . هذا بالطبع الى جانب ما يجنيه من كسب سياسى ، فما يتمتع به هؤلاء الأعضاء من مكانة فى نفوس الشعب كفيل بأن يقنع الناس بما يذيعونه عليهم فى تلك المنشورات .

وكان من المنطقى أن يتخذ بونابرت من طائفة علماء الأزهر بالذات واسطة بين سلطات الحملة وبين الشعب ٠ فلقد كان التوسط بين الشعب وحكامه دورا تقليديا لعلماء الأزهر من قبل الحملة ، وبخاصة فى العهد العثمانى ، وان اتخذ ذلك صورا مختلفة ٠ فالشعب كثيرا ما كان يستجير بهم لرفع المظالم عنه ، والحكام كانوا يلجأون اليهم أحيانا ليهدئوا ثائرة الناس أو ليحولوا دون انفجار سخطهم ٠ وهم أنفسهم – من ناحية أخرى – كانوا يتدخلون لدى الحكام ليتحدثوا باسم الشعب ويدافعوا عن مصالحه ٠

والمنبع الفرنسى للمنشورات التى صدرت على لسان العلماء واضح تماما مما تتضمنه من عبارات وما تردده من معان . ويؤكد الجبرتى ذلك ، بما لا يدع مجالا للشك ، فى اشاراته التى يقدم بها لنصوص تلك المنشورات ، كما سنرى .

---

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠ ومن تاريخ المنشور (١٩ بلوفيوز سنة ٧ = ٧ فبراير ١٧٩٩) نتبين انه صدر بعد المنشور الخاص بانشاء الديوان المماثل فى القاهرة بأكثر من أربعة أشهر ، أى ان انشاء هذه « الدواوين » بالاقاليم تأخرعنه فى القاهرة بمدة طويلة . وقد يرجع ذلك الى اضطراب أحوال العاصمة وقتئذ ، اذ اندلعت ثورتها الأولى وتعطل ديوانها شهرين ٠ ولما هدأت الأحوال وبدأت الأمور تستقر للفرنسيين ، كان طبيعيا أن يستأنفوا اجراءاتهم الادارية والتنظيمية .

* وكان اول ما أصدره العلماء اعضاء الديوان فى هذا القبيل منشورا تضمن نص كتاب أرسلوه الى السلطان العثمانى وآخر الى شريف مكة « بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمنارق » . وقد أورد الجبرتى ملخصا لهذا المنشور (١) وقال ان العلماء بدءوه بذكر دخول الفرنسيين مصر « وقتالهم مع المماليك وهروبهم (أى المماليك) وان جماعة من العلماء ذهبت اليهم بالبر الغربى فأمنوهم وكذلك الرعية دون المماليك .. » . وأكد الفرنسيون فى هذا المنشور على لسان العلماء « انهم من اخصاء السلطان العثمانى وأعداء أعدائه وان السكة والخطبة باسمه وشعائر الاسلام مقامة على ما هى عليه .. الخ » .

واعلن الفرنسيون كذلك حرصهم على سيادة السلطان الروحية على مصر ، فقالوا باسم العلماء « واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجناب المحترم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا والى مصر حالا » ، أى على تعيين وكيل الوالى التركى فى منصب أمير الحج ، بعد خروج أمير الحج السابق من مصر ، مع ابراهيم بك ، الى سوريا (٢) . وكذلك طمأنوا شريف مكة والمواطنين الى انهم « أوصلوا الحجاج المشتتين وأكرموهم » ، وانهم كذلك « مجتهدون فى اتمام مهمات الحرمين » .

* وعقب ثورة القاهرة الأولى اصدر العلماء اعضاء ديوان القاهرة المنحل (٣) منشورا تبرءوا فيه ممن أشعلوا الثورة ، ونصحوا مواطنيهم بالاخلاد الى الهدوء وعدم الاصغاء الى المحرضين على الفتن .

---

(١) قال الجبرتى فى هذا الصدد (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ص ٢١) : كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة .» .. الخ . ولكن السياق بعد ذلك ، فضلا عن المضمون الذى أوجزه الجبرتى ، يدلان على أن الكتاب واحد ، أرسلت منه نسخة الى السلطان وأخرى الى الشريف . انظر كذلك ص ٢٤ ، هامش ٤ ، من هذا البحث .

(٢) قال الجبرتى فى ذلك (**المرجع السابق** جـ ٣ ص ١٦) ، من حوادث ٢٠ ربيع الاول ١٢١٣ (يوافق ١ سبتمبر ١٧٩٨) : «.. قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على امارة الحج فحضروا الى المحكمة عند القاضى ولبس هناك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان والتزم بونابرته بتشهيل مهمات الحج .. » .

(٣) كان النشاط فى ديوان القاهرة قد فتر من قبل الثورة باكثر من شهر . ويبدو ان ذلك كان تمهيدا للاعداد للنظام التشريعى الجديد . وقد أشار الجبرتى الى هذا فى حوادث يوم ١٦ ربيع الثانى (٢٧ سبتمبر) : **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ١٦ ، ـ

وفى المنشور اشادا بموقف « صارى عسكر » الذى قبل شفاعتهم « ومنع عسكره من حرق البلد ونهبها لأنه رجل كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين وحب للفقراء والمساكين ولولاه لهلكت مصر اجمعين .. » .

وأشار الجبرتى الى هذا المنشور بقوله : « .. كتبوا (اى الفرنسيين) عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد والصقوا منها نسخا بالأسواق والشوارع » ، ثم اثبت نص النسخة الموجهة الى سكان القاهرة (أهل مصر المحروسة) .

وقد عثرنا على النسخة الموجهة الى « أهل اقليم رشيد » (شكل ٤١) (١) . ولهذه النسخة أهمية تاريخية متعددة الجوانب :

١ ـ أنها خطية ، وهى بذلك برهان مادى على أن مطابع الحملة الرسمية لم تكن بعد قد بدأت تمارس نشاطها فى القاهرة ، اذ لو كانت هذه المطابع تعمل حينئذ لأنتجت هذا المنشور بنسخه المختلفة .

٢ ـ أن مضمونها لا يكاد يختلف فى لفظه عن مضمون نص الجبرتى، بل انه يكشف كذلك سقوط عبارة من هذا النص ، اما لخطأ فى النقل من الكاتب أو الناسخ ، أو نتيجة خطأ مطبعى ، فنص الجبرتى يقول بعد الاستهلال (٢) « نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية » . وهذا كلام مضطرب ، يستقيم اذا أضيفت اليه العبارة الساقطة التى اثبتها نص نسخة رشيد : « نعرف أهل اقليم رشيد .. **انه حصل بعض فتنة وخلل بمدينة مصر من بعض الجعيدية وأشرار الناس فحركوا الشرمابين** .. » .

= بقوله « وفيه اهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ .. فاستمروا أياما يذهبون فلم يأتهم أحد فتركوا الذهاب فلم يطلبوا » . أما الديوان الكبير الذى انبثق عن « جمعية عمومية» ، وضم ممثلى القاهرة والأقاليم ، فقد مارس نشاطه فعلا طيلة الاسبوعين اللذين سبقا نشوب الثورة ، وفى خلالهما اتخذ عدة قرارات مالية وقضائية . كما درس النظام الجديد المقترح للدواوين . ولكن فى أيام الثورة ومابعدها «بطل العمل بالديوان المعتاد» كما يقول الجبرتى (**المرجع السابق** ، ص ٢٩) . وكان طبيعيا أن يستمر هذا التوقف بأمر بونابرت بعد ذلك «عقب اخماد الثورة عقابا لسكان القاهرة» ، كما يقول الرافعى (**مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ٣٠٨) .

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) جـ ٣ ، ص ٣٠ .

٣ ـ انه موقع عليهـا من نقيب الاشراف وعشره من علمـاء الازهر (١) . ومع أنهم لم يضيفوا الى توقيعاتهم أية صفات رسمية ، فان أسماءهم هى بعينها اسماء اعضاء الديوان الذى توقف عمله باندلاع ثورة القاهرة . وقد ذكرهم الجبرتى من قبل ، بالاضافة الى اسـم الشيخ محمد الأمير . وربما يكون قد اختير لعضوية الديوان فيما بعد . فقد تضمن مرسوم بونابرت الصادر فى ٢٥ يوليو ١٧٩٨ أسماء تسعة اعضاء من العلماء (منهم محمد الأمير) ؛ غير أن ثلاثة منها غايرت اسماء ثلاثة اخرى ذكرها الجبرتى .

وقد أخـذ الرافعي بقائمة الجبرتى (٢) . ولكنه خطأه في اعتبـار الشيخ محمد المهدى عاشر الأعضاء ؛ بينما هو سكرتير (كاتم سر) الديوان الذى اختاره أعضاؤه من خارج دائرتهم . ثم فسر اختلاف الأسماء الثلاثة بين النصين ، بأن أولئك الذين تضمنهم المرسوم كانوا بين غائب عن مصر ورافض لعضوية الديوان .

ووقف الدكتور لويس عوض عنـد هذه النقطـة ، فقـال (٣) ان الاختلاف فى تلك الأسماء الثلاثة بين نص الجبرتى ومرسوم بونابرت « يشير الى وجود مرسوم بونابرتى ضائع يجب مرسوم ٢٥ يوليو .. فمن غير المعقول أن يبـاشر الدمنهورى والشبراخيتى والدواخلى فى التشكيل الجديد سلطة الوزراء عرفيا وبغير سند قانونى » . وبغض النظر عن تعبير « سلطة الوزراء » الذى بالغ فيه هذا الكاتب كثيرا ، فالذى لا شك فيه أن فكرة وجود مرسوم ضائع هى التفاتة وجيهة . ومن المحتمل فى هذه الحالة أن يكون التعديل المفترض قد أعاد تعيين الشيخ الأمير ، الذى لم يكن قد مارس مهمته بعد المنشور الأول .

٤ ـ انها تثبت توجيه المنشور لأهالى مصر جميعا ؛ وليس لأهالى القاهرة وحدها كما ظن بعض المؤرخين ، حتى فى أحدث ما ظهر من بحوث عن الحملة الفرنسية . فقد أشار الدكتور عبد العزيز الشـناوى

---

(١) السيد خليل البكرى ، والمشايخ عبد الله الشرقاوى ومحمد المهدى وسليمان الفيومى ومصطفى الصاوى وموسى السرسى وأحمـد العريشى ومصـطفى الدمنهورى ويوسف الشبراخيتى ومحمد الدواخلى ومحمد الامير .

(٢) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٩٧ ـ ٨ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٤١ .

مثلا الى هذا المنشور (١) وعلق عليه بقوله : « كان هذا البيان موجها الى سكان القاهرة فقط ، خلافا لبيان اذاعه علماء الأزهر بتاريخ ٨ من جمادى الآخرة .. وكان موجها الى الشعب المصرى » (٢) .

وهذا المنشور غير مؤرخ . وقد ذكر الجبرتى انه صدر يوم اول جمادى الثانية عام ١٢١٣ (يوافق ١٠ نوفمبر ١٧٩٨) . غير ان الرافعى يصحح هذا التاريخ (٣) الى ١٤ جمادى الأولى (يوافق ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨) - اعتمادا على ما جاء بالترجمة الفرنسية للمنشور التى ظهرت بصحيفة « لوكورييه » (٤) . وهذا التاريخ ولا شك أدق وأكثر اتفاقا مع الواقع مما ذكره الجبرتى . ففيه لم تكن مطابع الحملة الرسميه - كما قلنا - قد مارست نشاطها بعد فى القاهرة ، ولذا صدر ذلك المنشور بنسخه المتعددة مخطوطا . والواضح أن الجبرتى قد تأخر فى اثبات هذا المنشور كما كان يفعل كثيرا .

وبعد أيام أصدر العلماء منشورا آخر بعنوان : صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة » . وقد قدم له الجبرتى بقوله (٥) : « ... كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ ..» . وفضلا عن ملامح السياسة الاسلامية لبونابرت الواضحة فى هذا المنشور ، والتى سبقت الاشارة اليها (٦) ، فان له عدة دلالات أخرى :

١ - انه صدر على لسان العلماء ، لا على لسان قيادة الحملة ، ردا على محاولات دعائية من جانب المماليك والعثمانيين . وفى ذلك اثبات لزعامتهم ولحقهم فى توجيه الشعب فى مثل تلك المواقف . ويبدو ، كما يقول الرافعى (٧) ، أن منشور العلماء الأول « لم يكن له الأثر المطلوب فى تهدئة الخواطر .. لأن فكرة الثورة .. كانت قد عمت الأقاليم .. وتواترت الأنباء بأن سلطان تركيا قد

---

(١) **مرجع سبق ذكره** ، هامش ص ١٤٢ .

(٢) هو البيان الذى تضمنه منشور سبق الحديث عنه فى صفحه ٩٤ ، وسنعرض له مرة أخرى بعد قليل . ورواية الجبرتى نفسها تصحح استنتاج الدكتور الشناوى . فهو يقول فى التقديم لنص المنشور : «كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد وألصقوا منها نسخا بالاسواق والشوارع» .

(٣) جـ ١ ، ص ٣١٩ .

(٤) بتاريخ ١٠ بروميير سنة ٧ (٣١ أكتوبر ١٧٩٨)

(٥) **عجائب الآثار** جـ ٣ ، ص ٣١ .

(٦) راجع ص ٩٤ .

(٧) **مرجع سبق ذكره** جـ ١ ، ص ٣٢٠ .

جاهر الفرنسيين بالعداء .. » . ومن ثم طلب بونابرت من العلماء اذاعة هذا المنشور الثانى على لسانهم . ولا شك أن اصدار هذا المنشور على لســـان العلماء يدل على تخطيط دعائى ذكى . فهم بالطبع اقدر من الفرنسيين على مواجهة دعاية المماليك واقناع المصريين بما يضادها .

٢ ـ انه يستثير كراهية المصريين للمماليك ، مذكرا بطغيانهم ومظالمهم ، ثم يحاول تفنيد دعواهم بأنهم مؤيدون من السلطان وحكومته . وفى ذلك تنديد بحكم المماليك ، وتأكيد لخلاص مصر من هــذا الحكم ولعدم شرعيته على السواء .

٣ ـ ان الجزء الأخير منه يؤكد من ناحية ان العلماء هم قادة الشعب الذين يتحدثون باسمه مع السلطات ، ويرسم من ناحية اخرى حدود علاقة الحاكم الفرنسى بالمصريين . فيقول العلماء فى هذا الجزء ان « حضرة صارى عسكر .. بونابرته **اتفق معنا** على انه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام .. الخ » .

٤ ـ ان الموقعين على هذا المنشور هم انفسهم الذين وقعوا المنشور السابق ، فيما عدا الشيخ يوسف الشبراخيتى . ولعله كان غائبا عن القاهرة لسبب ما ، أو لعله استبعد لعلة لا ندريها . والواقع اننا لا نلمح اسمه منذ ذلك الوقت فى اى تنظيم ، فلم يكن عضوا بالديوان العمومى أو الخصـــوصى ، ولا بالديوان الآخير الذى أنشأه منو .

٥ ـ انه أول منشور عربى طبع فى القاهرة . وهو بهذا يؤكد ان الانتاج العربى لمطابع الحملة الرسمية بدأ فى الظهور منذ أوائل شهر نوفمبر ١٧٩٨ . وبذلك يصحح خطأ المؤرخين الذين قرروا أن مطابع الحملة لم تبدأ عملها ـ بعد نقلها من الاسكندرية ـ الا فى شهر يناير ١٧٩٩ (١) .

❋ وأقبل شهر رمضان عام ١٢١٣ . واهتم بونابرت هو ورجاله بأن يشـــاركوا المسلمين احتفالاتهم التقليدية بحلول شهر الصوم ، كما فعلوا

---

(١) راجع ص ٢٥ .

فى مناسبات سابقة مثل المولد النبوى · وزاد فى اهتمام الفرنسيين بمجاملة المسلمين اتفاق أول أيام هذا الشهر مع اليوم الذى بدأ فيه تحرك الحملة التى جردها بونابرت لغزو بلاد الشام (٦ فبراير ١٧٩٩) ، وحرص القائد الفرنسى على تأمين ظهره فى أثناء غيابه عن مصر ·

وبدأ بونابرت بأن أقام احتفالا كبيرا برؤية (باستطلاع) الهلال ، هيأ له كل المراسم التقليدية ، وماعتاده الناس من مظاهر التكريم والابتهاج· والتفت كعادته الى كبار العلماء ليكونوا لسانه الذى يذيع به على الناس أنباء هذا الاهتمام · فاستكتب أعضاء الديوان الخصوصى منشورا وقعه الشرقاوى والمهدى (شكل ٤٢) (١) ·

وفى هذا المنشور أبرز العلماء عدة نقاط :

١ ـ فقد بدءوا خطابهم للشعب بقولهم انهم طلبوا من بونابرت أن يأمر بفتح أسواق مصر فى ليالى الشهر المبارك «حكم عادتها السابقة» · وفى هذا الاستهلال البارع تأكيد لمكانهم القيادى وحقوقهم الرسمية التى يتيحها لهم تمثيلهم للشعب فى الديوان ·

٢ ـ وقالوا ان بونابرت أجابهم «بالقبول والموافقة» · وفى هـذا اثبات لموقف ديموقراطى للحاكم الفرنسى ·

٣ ـ ثم قالوا ان بونابرت أمر «باقامة شعاير الاسلام فى مساجدها (أى مساجد القاهرة) العظام وعمرانها بالادكارى (أى بالاذكار) والجموع والقناديل والشموع وأمرنا ألا ننقص شيا من شعايرها ونظامها وأن يدور فى الليل أمراها (أى أمراؤها) وحكامها ليطمن بذلك الفقرا والمساكين وتنسر بذلك قلوب أمة سيد المرسلين ··» · وفى هذا تنويه باحترام بونابرت لمراسم الشهر الكريم وحرصه على تقاليده (٢) ·

---

(١) هذا المنشور غير مؤرخ ، وانما جاء فى رأسه بالفرنسية انه «صدر بمناسبة الاحتفال الذى أقيم بالقاهرة عشيه أول رمضان ، أى يوم ١٦ بلوفيوز سنة ٧» . وهذا اليوم يوافق ٤ فبراير ١٧٩٩ و ٢٨ شعبان ١٢١٣ . ويبدو أن هناك خطأ فى التاريخ الجمهورى ، لان يوم الاحتفال باستطلاع هلال رمضان (أى ٢٩ شعبان كما نعرف) وافق عامئذ يوم ٥ فبراير و ١٧ (لا ١٦) بلوفيوز» وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ·

(٢) الواقع أن السلطات الفرنسية ، بايعاز من بونابرت ، جاملت المسلمين فى هذا الشهر بالذات الى حد بعيد ، مما كان موضع عجب الناس · وكان من مظاهر هذه =

٤ ـ وبعد ذلك وصفوا احتفال القائد الفرنسي بهذه المناسبة في منزله ، واستقباله لموكب الرؤية العظيم الذى « لم يسبق مثاله (أى مثاله) ولم يتقدم فى الزمن السابق نظيره ومنواله » • وذكروا حسن استقباله للعلماء وكبار الموظفين ، وعطفه على الفقراء والمساكين •
وفى هذا محاولة ذكية من بونابرت يستتر بها وراء ممثلى الديوان ليتقرب الى الشعب حتى يظفر بوده ورضاه •

وقد وصف الجبرتى الاحتفالات التقليدية التى سبقت ثبوت رؤية هلال رمضان فى تلك السنة ، ولكنه لم يذكر شيئا عن احتفاء بونابرت بهذه المناسبة ، مما يبرز الفارق بين النص التاريخى للجبرتى والنص الدعائى للمنشور • قال الجبرتى (١) : « وفيه (٢٦ شعبان) أعرض (أى عرض) حسن أغا محرم المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضان فرسم له بذلك على العادة القديمة فاحتفل بذلك المحتسب احتفالا زائدا وعمل وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام •• وركب يوم الثلاثاء (٢٩ شعبان) بالابهة الكاملة زيادة عن العادة •• وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام (أى نائب القائد العام وحاكم القاهرة) وأمير الحج **وسارى عسكر بونابرته** ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضى •• » •

ولهذا المنشور أهمية خاصة • فمن الغريب أنه لم يرد ذكره مطلقا فى أى مرجع من مراجع الحملة الفرنسية • ولم يشر اليه الجبرتى الذى تابع عهد الحملة يوما بيوم ، أو نقولا الترك الذى عاش أيام الحملة كذلك وسجل أحداثها ونقل نصوص كثير من منشوراتها •

ولم يلبث بونابرت أن اجتمع فى اليوم الرابع من شهر رمضان هذا ، وهو اليوم السابق على سفره للحاق بحملته السورية ، بالمشايخ والوجاقات • وفى هذا الاجتماع أبلغهم بسفره للقضاء على البقية الباقية من المماليك الذين فروا مع ابراهيم بك : « •• تكلم معهم فى أمر خروجه للسفر وأنهم (أى الفرنسيين) قتلوا المماليك الفارين بالصعيد ، وأجلوا باقيهم الى أقصى الجنوب (أتباع مراد بك) وأنهم متوجهون الى الفرقة

= المجاملة أن الفرنسيين كانوا يقيمون ولائم الافطار والسحور ويدعون اليها كثيرا من المسلمين • ومنها كذلك التنبيه على المسيحيين بألا يجاهروا بالاكل أو الشرب أو التدخين بمرأى من المسلمين ، وترك الحرية المطلقة للناس فى اجتماعهم وتحركهم ليلا • انظر : الجبرتى ، **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٤٥ و ٤٨ ; الشناوى : **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٨٠ ـ ٨٢ •

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٣ •

الأخرى (أتباع ابراهيم بك) بناحية عزة فيقطعونهم (أى ليفضوا عليهم) ويمهدون البـــلاد الشامية لأجل ســـلوك الطريق ومشى القـــوافل والتجارات ٠٠٠ » (١) ٠ وأبلغ القائد الفرنسى المجتمعين أنه سيغيب سهرا وأن عليهم « ضبط البلد والرعية » فى مدة غيابه ، وأن ينبهوا « مشايخ الاخطاط والحارات كل كبير بضبط طائفته خوفا من الفتن مع العســكر المقيمين بمصر » ٠

ويقول الجبرتى ان المجتمعين « التزموا له بذلك وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة فى معنى ذلك والصقوها بالطرق ..» ٠ ولكنه لم يذكر نص ما كتبوه ، ولم نستطع نحن العثور على أصله ٠ غير أن نقـولا الترك نقل نص هذا المنشور (٢) الذى اكتفى الجبرتى بالاشارة اليه فى ايجاز شديد ٠

ويعلل أحد المؤرخين ايجـــاز الجبرتى (٣) بأن بونابرت لقب فى المنشور لأول مرة بلقب «سلطان» ، وأن الجبرتى «ضن أن يكون فى مصر لقب سلطان مع وجود سلطان آل عثمان خليفة المسلمين » ، ولذلك رفض تسطير المنشور ٠

وهذه ملاحظة تلفت النظر ، وقد تكون صحيحة ٠ غير أننـا نلاحظ من ناحية أخرى أنه بالرغم مما يقال عن مبالغة بعض المؤرخين الفرنسيين عندما يؤكدون أن المصريين كانوا يلقبون بونابرت «بالسلطان الكبير» (٤)، فان استخدام لقب « سلطان » مع اسم بونابرت لم يكن أمرا غير معروف فى بعض وثائق ذلك العهد ٠ فقد عثرنا على أصل خطى لمنشور أصدره ، باسم بونابرت ، بوسيلج مدير الشئون المالية ، خاصا ببعض الاجراءات ٠ وهو يبدأ بعبارة « من مشيخت السلطان بونابرتو جنرال أعنى أمير عام على جيـوش الفرنساوى » ، ويختم بعبارة « تحريرا بنزول (أى بمقر) بونابرتو سلطان عام ٠٠ » (شكل ٤٣) (٥) ٠ ويلاحظ كذلك أن تاريخ

---

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٤ ـ ٥ ، من حوادث ٤ رمضان ١٢١٣ ٠

(٢) **ذكر تملك** ... ص ٧٥ ـ ٧ ٠

(٣) أحمد حافظ عوض ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ٢٩٤ ـ ٥ ٠

(٤) مثل بينفيل ، انظر :
Bainville, Jacques, Bonaparte en Egypte, Paris, 1936, p. 53.

(٥) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠ ويلاحظ أن لغة هذا المنشور شديدة الركاكة ، وانه يستخدم ألفاظا وتعبيرات كثيرا سما =

صدور هذا المنشور قريب جدا من تاريخ المنشور سالف الذكر ، فهو محرر يوم ١٣ بلوفيوز سنة ٧ ، الذى يوافق ٢٥ شعبان ١٢١٣ وأول فبراير ١٧٩٩ ، أى قبل تاريخ اثبات ذلك المنشور فى الجبرتى بثمانية أيام ·

ومهما يكن من أمر فقد وقع ذلك المنشور باسم الديوان - كسابقه - الشيخان الشرقاوى والمهدى ، وفيه بسطا ما ذكره الجبرتى موجزا عن اجتماع بونابرت «بالمشايخ والوجافات» قبيل سفره :

١ - «هو يخبر المصريين أن « السر عسكر الكبير بونابرته » سوف « يغيب ثلاثين يوما لأجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقية المماليك المصرية حتى تحصل الراحة الكلية للأقاليم المصرية ·· » ·

٢ - ويبشرهم بأنه عن قريب سوف يأتيهم « خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك نظير ما وقع فى قطيعة أخيه مراد بيك ومن معه فى اقليم الصعيد ·· » ·

٣ - ثم يتضمن بعد ذلك بعض عبارات الوعد والوعيد التى سنتعرض لها فيما بعد ·

ويلاحظ على الأسلوب الدعائى لبونابرت فى المنشورات التى أصدرها على لسان العلماء فى أعقاب ثورة القاهرة الأولى انه تحاشى أن يشير الى عدائه مع الدولة العثمانية ، وانما ركز هجومه على المماليك الذين خرجوا من مصر مع ابراهيم بيك ، وعلى أحمد باشا الجزار والى صيدا وعكا · وظل بونابرت متمسكا بالخط الدعائى الذى حدده منذ دخل مصر ، وهو أن الفرنسيين أصدقاء للسلطان العثمانى ، وأنهم ماحضروا الى هذه البلاد الا لتخليصها من طغيان المماليك وظلمهم . وبذل القائد الفرنسى جهودا مستميتة فى سبيل الحيلولة دون أن يعلن العثمانيون عداءهم لفرنسا بسبب الحملة المصرية . ودعمت حكومة الادارة هذه الجهود بعدة محاولات دبلوماسية .

هذا بينما كان الباب العالى قد انضم الى المحالفة الدولية ضد

= كان مالوفا فى منشورات ذلك العهد · ومن مراجعة المنشورات المماثلة التى كان يصدرها احيانا بعض كبار المسئولين فى حكومة الحملة (خارج نطاق القيادة العامة) ، يتضح - بوجه عام - أن تحريرها لم يكن يلقى عناية كافية .

(١) انظر : محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ، ص ١٨٩ - ٩٦ ·

فرنسا منذ اواخر سبتمبر ١٧٩٨ ؛ بالرغم من الجهود التى بذلها بونابرت للحيلولة دون اتخاذ هذه الخطوة ، ومن المحاولات المتعددة لحكومة الادارة تدعيما لهذه الجهود •

* وحرص بونابرت طيلة غيابه عن مصر مع حملته السورية على أن يواصل العلماء قيامهم بتحرير المنشورات الى الشعب المصرى ، يضمنونها ما يبعث به اليهم من أخبار انتصارات جيشه ، ويرددون نصائحهم (أو نصائح بونابرت) التقليدية للمواطنين بالانصراف الى أعمالهم والتزام الهدوء وتجنب اثارة الفتن •• الخ •

فبعد استيلاء القوات الفرنسية على مدينة العريش ، تلقى علماء ديوان القاهرة انباء هذا الحدث من الجنرال دوجا نائب (قائمقام) القائد العام ، فى رسالة أرفق بها رسالتين بعث بهما اليه بونابرت ورئيس أركان حربه الجنرال برتييه ، تتضمنان تفصيلات تلك الأنباء •

وقد اذيعت رسالة دوجا ومعها رسالتا بونابرت وبرتييه فى منشور عثرنا على طبعته الفرنسية ، وعنوانها : « من الجنرال دوجا الى أعضاء ديوان القاهرة (شكل ٤٤) (١) وواضح أن هذه الطبعة تهدف الى اعلام جنود الجيش الفرنسى الذين لم يخرجوا مع الحملة السورية ، وأعضاء المجمع العلمى ، ثم الأجانب المقيمين فى مصر بأمرين ، هما :

١ ــ أنباء الانتصار الفرنسى فى العريش ، من ناحية ؛

٢ ــ ان هذه الأنباء أبلغت فى الوقت ذاته الى أعضاء الديوان لاذاعتها على المصريين ، من ناحية أخرى •

ويلفت النظر فى رسالة دوجا الى العلماء قوله ان القائد العام بعث اليه بثلاثة عشر بيرقا غنمتها القوات الفرنسية من المماليك ، وانه أمر بأن تعلق هذه البيارق على الجامع الأزهر ، « رمزا لانتصاره على الجزار وعلى أعداء المصريين » •

وختم دوجا رسالته قائلا انه يرفق بها التفصيلات التى تلقاها من القائد العام ورئيس أركان حربه • وطلب من العلماء أن يبادروا بالعمل على طبعها واعلام الناس بها • وطلب أن يذيعوا على الناس كذلك أن القائد

---

(١) بتاريخ ١٣ فنتوز سنة ٧ (يوافق ٣ مارس ١٧٩٩ و ٢٦ رمضان ١٢١٣) • وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس •

العـام رأى أن يتم الاحتفال بذلك الانتصار ، مع الاحتفال بختام شهر الصـوم ٠

وأصـدر العلماء بالفعل منشورا ، ذكروا فيه انتصـار الفرنسيين وسقوط قلعة المدينة ، ونوهوا بعفو « السر عسكر » عمن استسلموا من المماليك وقوات الجزار باشا ٠ ثم وجهوا النصح للمواطنين كالمعتاد ، بعد أن طمأنوهم الى تأمين طريق القوافل التجارية بين مصر و «بر الشام» (١) ٠

وهكذا نفذ كبار العلماء ما طلبه القائد العام ، فأبلغوا رسالته الى الشعب ، ورددوا بالضبط ما تضمنته من معلومات ٠ وبذلك قاموا بدور الوسيط الاعلامى ٠ ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا بهذا العمل يحققون سياسة بونابرت الدعائية فى ابراز مكانهم القيادى من الشعب ، وفى اسباغ صفة « المصرية » على حكومة الحملة وجيشها ٠

وتأكيدا لهذا الخط الدعائى اشترك العلماء فعلا فى الاحتفال برفع البيارق التى غنمها الفرنسـيون فوق الأزهر ، بعد أن تسلمها الشـيخ الشرقاوى رسميا « فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقا وعلى منارة أخرى بيرقا ثالثا ٠٠ » (٢) ٠

وقد عزز بونابرت فكرته فى اسباغ صفة المصرية على جيش الحملة السورية برسالة بعث بها فى هذه المناسبة الى نائبه الجنرال دوجا من العريش ، وطلب اليه فيها مقابلة أعضاء الديوان والاتفاق معهم على الاحتفال باستقبال البيارق « ٠٠٠ واذا كان فى الاستطاعة تنظيم هذا الاحتفـال بطريقة طبيعية فضعوها .(البيارق) فى الجامع الأزهر رمزا للانتصـار الذى أحرزه جيش مصر على جند الجزار وأعداء المصريين » (٣) ٠

وتكرر قيام العلماء بهذا الدور بعد استيلاء القوات الفرنسـية على مدينة غزة ٠ فقد أرسل الجنرال برتييه أخبار هذه الواقعة الى الجنرال دوجا وقرئت بالديوان ، ثم أصدر العلماء بها منشورا كسابقه ضمنوه

---

(١) لم ينقل الجبرتى نص هذا المنشور ، ولكنه اشار الى حادث الاستيلاء على العريش وحضور الرسل بهذه الانباء (عجائب الآثار ج ٢ ، ص ٤٥ ــ ٦) ٠ هـذا بينما أثبته نقولا الترك (ذكر تملك ٠٠ ، ص ٧٩ ــ ٨١) ، وذكر أن موقعيه كانوا : البكرى والشرقاوى والمهدى ، وقد نقله عنه أحمد حافظ عوض (مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٣ ــ ٤ ٠ ولم نستطع العثور على نسخة أصلية منه .

(٢) الجبرتى : المرجع السابق ج ٣ ، ص ٤٦ ــ ٧ ٠

(٣) مراسلات نابليون ، جـ ٥ ، وثيقة ١٩٨٧ ٠

ما بلغهم من تفصيلاتها · وختموا هذا المنشور بقولهم : « هذا ما وقع لملكهم لغزة وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفيـة ملك العـريش سابقا فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم ··· » (١) ·

وبعد أن استولى الفرنسـيون على مدينة يافا وقلعتها (٢) وردت الأنباء بتفصيلات هذا الحدث ، وأصدر بها علماء الديوان ـ كالمعتـاد ـ منشـورا الى الشعب ، طال فى هـذه المرة الى أكثر من ثمانين سـطرا (شكل ٤٥) (٣) · وهذا المنشور لا يختلف كثيرا عن سابقه ؛ فهو ملىء بتفصيلات المعارك والأسلاب ، وحافل بالطعن فى الجزار والمماليك ؛ وهو يردد فى البدء والختام دعوة المواطنين الى التسليم بقضاء الله الذى يهب ملكه من يشاء · وقد وقعه كذلك خليل البكرى نقيب الأشراف وعبد الله الشرقاوى رئيس الديوان ومحمد المهدى كاتم سره ·

ومع أن الاستيلاء على يافا قد صحبته مذبحة من أبشـع ما عرف التاريخ ، سجلت أحداثها الرهيبة أقلام عدد من شهودها العيان ، فقـد أغفل المنشور أهم التفصيلات المشينة للجيش الفرنسى ، وحول غيرها الى بطولات وأمجـاد ، ثم حرص على امتـداح سـلوك بونابرت والاشادة بانسانيته !

وقد ذكر الجبرتى نص هذا المنشور (٤) ، وقدم له بقوله : « حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر وأخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من سارى عسكرهم بالاخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس (١٤ شوال ١٢١٣) واجتمع أرباب الديوان فقرأ (؟) عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفيـة وهي عن لسان رؤساء الديوان الى الـكافة وذلك بالزامهم وأمرهم بذلك وصورتها ··· » ·

---

(١) كان الاستيلاء على غزة يوم ٢٤ فبراير ١٧٩٩ (الموافق ١٩ رمضان ١٢١٣) · وقد أورد الجبرتى نص هذا المنشور فى ختام تاريخه لحوادث شـهر رمضـان دون ماتحديد ليوم صدوره : جـ ٣ ، ص ٤٧ ــ ٨ · ولم نعثر على نسخة مطبوعة منه ·

(٢) تم ذلك فى يوم ٧ مارس ١٧٩٩ (الموافق آخر رمضان ١٢١٣) ·

(٣) من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، وهو غير مؤرخ ·

(٤) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٤٩ ــ ٥١ ، فى حوادث يوم ١٣ شوال ١٢١٣ (٢٠ مارس ١٧٩٩) ·

وسضمن عبارات الجبرتي اشارتين بالغنى الأهميه :

١ ـ أن الأنباء التي حضرت بها الرسل من القيادة العامة لحملة سوريا عربت وفرئت بالديوان في أقل من أربع وعشرين ساعة · ويدل ذلك على حرص السلطات الفرنسية على تأكيد أهمية الديوان ومكانه من المسئولية العامة ·

٢ ـ أن أقطاب الديوان أصدروا ذلك المنشور على لسانهم بأمر السلطات الفرنسية . وتؤكد العبارات بما لا يدع مجالا للشك أن أولئك الزعماء كانوا يصدرون المنشورات تنفيذا لمخطط دعائي مدروس ذي أهداف سياسية معينة ·

* واصلت قوات الحملة السورية تقدمها بعد احتلال يافا ، وبدأت حصارها لمدينة عكا (١) . وطال الحصار بعد أن توالت النكبات على الجيش الفرنسي ومال ميزان القوة الى غير جانبه ، فلم تعد قيادته تبعث الى القاهرة بأنباء معاركها كالمعتاد .

وفي الوقت نفسه كانت المقاومة في صعيد مصر تشتد في وجه القوات الفرنسية الزاحفة جنوبا لتتم احتلال البلاد ·

وتسربت الأخبار الى القاهرة · وأخذ الناس يلغطون ، وانتشر القيل والقال · وبدا أن الأمر في حاجة الى منشور جديد على لسان المشايخ ، يستأنف الحديث عن قوة الفرنسيين وانتصاراتهم ، ويحذر الناس من تصديق الأخبار الكاذبة · وفعلا أصدر العلماء المنشور المطلوب ·

ويقول الجبرتي في تقديمه لهذا المنشور (٢) : لخص الفرنساوية طوماراقرىء بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلاني والأشراف الذين معه (٣) وغير ذلك وصورتها ...» .

---

(١) يوم ١٩ مارس ١٧٩٩ ·

(٢) المرجع السابق ، جـ ، ص ٥٦ ـ ٧ · في حوادث يوم ٢٧ ذى القعدة ١٢١٣ (مايو ١٧٩٩) . ولم نعثر على نسخة مطبوعة من هذا المنشور .

(٣) الشيخ الكيلاني (أو الجيلاني) رجل مغربي « كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف » · فلما رددت أخبار الحملة الفرنسية على مصر قاد الكيلاني حركة تدعو الى الجهاد ضد الفرنسيين عن طريق التطوع لمساعدة المصريين في الدفاع عن بلادهم · =

وقد اتبع فى هذا المنشور الاسلوب الاعلامى نفسه الذى اتبع من قبل فى منشورات العلماء التى أصدروها بعد قيام الحملة السورية . فقد ابلغوا مضمونه والتعليمات الخاصة باصداره من الجنرال دوجا نائب القائد العام . وفى هذه المرة كان دوجا قد تلقى نص ما يراد ابلاغه من زميله حاكم دمياط الذى تلقاها بدوره من بونابرت .

ويتضمن المنشور نص رسالة بونابرت التى تحدث فيها عن سلامة موقف القوات الفرنسية ، وذكر عدة تفصيلات مبالغ فيها عن قوة الفرنسيين ، ثم بشر بقرب سقوط عكا » (١) .

وبعد أن فرغ العلماء من ذكر رسالة القائد العام وجهوا الخطاب الى مواطنيهم ، فكذبوا ما شاع بينهم من حديث عن الأشراف : « والحال ان الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت اخبارهم... بأن الأشراف المذكورين الذين بصحبة الكيلانى قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا ... » .

ويتضح من نص نداء العلماء فى هذه المرة كذلك انهم أصدروه بأمر السلطات الفرنسية . فقد قالوا فى مستهله : « ... أرسل الينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا .... يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا اننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والانصاف ويتركوا الكذب والخراف ... » .

= واستجاب له عدد كبير من العرب ، فعبروا البحر الى القصير ، حيث انضموا الى قوات الثوار ضد الزحف الفرنسى على الصعيد . وقد مات الكيلانى فى أثناء عمليات المقاومة هذه ، وكانت وفاته فى شهر ذى القعدة ١٢١٣ (ابريل ١٧٩٩) (الجبرتى ، **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٤٤ ، ٥٧) . وأما الاشراف فهم زعماء مكة الذين قادوا حركة جهاد كبيرة لتدعيم مقاومة المماليك والمصريين بالصعيد . وقد نجحوا فى تكوين قوة من نحو ثمانية آلاف رجل من اهالى مكة والمدينة وينبع وجدة والطائف وغيرها ، أبلوا فى مقاتلة الفرنسيين بالصعيد بلاء حسنا . وبذلك كان الفرنسيون يواجهون فى زحفهم على مصر العليا مقاومة اشتركت فيها ثلاثة عناصر هى : المصريون من فلاحين وأعراب ، والمماليك الذين انسحبوا جنوبا بعد موقعة امبابة ، وعرب الحجاز المتطوعون . انظر : الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٩٦ .

(١) هذا مع أن الفرنسيين بدءوا يرفعون الحصار عن عكا ويتقهقرون عائدين الى مصر ، بعد صدور المنشور بخمسة عشر يوما . وذلك لفشلهم الذريع فى اقتحام حصونها، ولما منوا به من خسائر فادحة فى الحصار .

واختتم «رؤساء الديوان» هذه الدورة الاعلامية التى صاحبت الحملة السورية بمنشور طويل أصدروه عقب عودة بونابرت بجيشه ، بعد أول اندحار فى حياته أمام عكا ، التى صمدت بشجاعة لحصاره أكثر من شهرين ٠

ولقد حرص القائد المندحر على أن تكون عودته مظاهرة ضخمة يستر بها فشله ويكذب ما أشيع عن وفاته من ناحية ، ومناسبة تعزز سياسته فى التقريب بين المصريين والفرنسيين من ناحية أخرى ٠ ولذلك دخل القاهرة دخول الظافرين فى موكب ضخم ، اشترك فيه رسميا كبار المصريين وذوو المكانة فيهم مع غيرهم من المسئولين ٠ ثم أقيمت الاحتفالات «مثل أيام الاعياد والمواسم» ، كما يقول الجبرتى (١) واستمرت ثلاثة أيام» .

واحتاج الأمر الى خطاب يوجهه بونابرت الى الشعب ، يدعم به هذه المظاهرة ، ويرد فيه على التساؤلات التي ثارت والشائعات التى انتشرت فى غيبته ٠ ومن ثم صدر ذلك المنشور على لسان العلماء (٢) ٠

والى جانب العبارات الدعائية التى تتصل بسياسة بونابرت الاسلامية ، والتى سبق أن أشرنا اليها ، فان محتوى هذا المنشور يدور حول النقاط التالية :

١ ـ التأكيد على أهمية مكانة الزعماء المصريين ، والتنويه فى الوقت نفسه بحسن الصلة بينهم وبين القائد الفرنسى ، فقد خصهم بذكر استقبالهم لبونابرت ، ومرافقتهم اياه فى دخوله القاهرة : «٠٠ودخل الى مصر من باب النصر ٠٠ وصحبته العلماء الأزهرية والسادات والبكرية ٠٠» ٠

(١) وصف الجبرتى بالتفصيل موكب دخول بونابرت وجيشه الى القاهرة ٠ ولم يعته أن يلاحظ ، رغم كل المظاهر ، أن الجنود الفرنسيين قد « اصفرت الوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب» .. وعلق على ذلك بأنهم «أقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيمة ليلا ونهارا وأبلى أحمد باشا (الجزار) وعسكره بلاء حسنا وشهد له الخصم ٠٠ » **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٦٩) ٠

(٢) أورد الجبرتى ـ كما ذكرنا من قبل ـ نصه ، وذكر أنه صدر يوم ١٩ محرم ١٢١٤ (٢٣ يونيو ١٧٩٩) ، أى بعد وصول بونابرت الى القاهرة بتسعة أيام (أنظر ص ٩٥ ـ ٩٦) ٠

٢ ـ محاولة انبات قيام العلاقات الطيبة والمشاعر الودية المتبادلة بين المصريين وسارى عسكر . فقد « .. خرجت سكان مصر جميعا لملاقاته .. » . ثم ان « حبه لمصر واقليمها شيء عجيب ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدبيره المصيب يحب الخير لأهل الخير والطاعة ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة.. » .

٣ ـ تكذيب ما شاع ولغط به الناس ، من ان بونابرت قد قتل فى حصار عكا وخلفه غيره فى قيادة الجيش الفرنسي . فقد بدأ المنشور بوصف وصول بونابرته الى مشارف القاهرة « سليما من العطب والاسقام.. » . وقال أن مستقبليه جميعا تحققوا من انه « .. الأمير الأول بونابرته بذاته وصفاته وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه .. والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز (المماليك) الهاربة .. » . وقد كانت هذه النقطة هى الوحيدة التى لفتت نظر الجبرتى فعلق عليها ، بعد أن أثبت نص المنشور ، بقوله : « وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام بان سارى عسكر بونابرته مات بحرب عكا وتناقله الناس وانهم ولوا خلافه فهذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار : وقد حضر سليما من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته الى آخر السياق المتقدم » .

٤ ـ الطعن على المماليك و « العربان » الذين « يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين » ويريدون كذلك « وقوع الناس فى الهلاك والضرر » .

٥ ـ مهاجمة الجزار بقسوة ، ووصفه بأقبح النعوت ، وتصويره للمصريين بصورة الطاغية السفاح الذى كان يستهدف الاستيلاء على مصر « .. لأخذ أموالها وهتك حريمها .. » . ويلاحظ فى هذا الصدد أن المنشور تحاشى تماما أن يشير الى أى عداء مع السلطان العثمانى ، وانما ركز على ان حملة سوريا كانت لمحاربة الجزار ورده ، والمماليك الهاربين ، عن غزو مصر !

٦ ـ تبرير عودة بونابرت بجيشه الى مصر . فقد أكد المنشور على لسان العلماء ، أن ذلك كان لسببين : « الأول ، انه وعدنا برجوعه الينا بعد أربعة أشهر ووعد الحر دين عليه . والسبب الثانى انه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان فلما حضر سكنت الفتنة وزالت

الاشرار مثل زوال الغيم عند شروق الشمس وسط النهار » . أى ان العودة لم تكن أبدا بسبب الفشل فى اقتحام حصـــون المدينة بعد حصارها الطويل ، وهو ما علمه المصريون يقينا وثرثروا به. ورده الجبرتى كما رأينا .

وتبقى على هذا المنشور بعد ذلك ملاحظتان :

١ ـ انه بينما اكتفى فى المنشـورات المشابهة السـابقة بتوقيع رئيس الديوان الخصـوصى وكاتم سره ، أو بتوقيعهما مع توقيع نقيب الأشراف ، فقد وقع على هذا المنشور ثمانية . ومن هؤلاء سـتة من الأعضـاء الأصليين فى الديوان ، هم : البكرى نقيب الأشراف ، والمشايخ الشرقاوى والمهدى والصاوى والفيومى ، وأحمد المحروقى كبير التجار . والاثنان الباقيان هما : يوسف باش جاويش ، وعلى كتخدا باش اختيار مستحفظان ، وهما من رؤساء الاوجاقات (١) . وأول الاثنين كان عضوا بالديوان العمومى ، أما ثانيهما فلعله حل محل عضـو آخر نظيره بذلك الديوان . ويبدو أنه كان قد حدث تغيير فى تكوين الديوان الخصوصى بحيث أصبح يضم ـ كالديوان العمومى ـ ممثلين عن الاوجاقات ، لان المنشور يبدأ بعبارة « من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر » .

ولا شك ان هذا التوسع فى قائمة الموقعين على المنشور ، بحيث أصبحت تضم ـ الى جانب الثلاثة الكبار ـ اثنين من العلماء وممثلا لطائفة التجار واثنين من رؤساء الاوجاقات ، لأمر ذو دلالة . فهو يشير الى الأهمية التى كان يعلقها بونابرت على المنشور ، الذى صدر بعد عودته من مغامرته السورية فى ظروف غير مواتية .

٢ ـ ان كلا من النص الذى أورده الجبرتى والذى نقله نقولا الترك لهذا المنشور يختلف عن النص الأصلى للمنشور فى عدة أجزاء . ويدل هذا على وقوع التحريف أحيانا فى رواية هذين المؤرخين المعاصرين للحملة ، كمـا سبق القول . ويؤكد ذلك أهمية النسخ الأصلية للمنشورات .

***

ولم يقتصر تكليف ممثلى الشعب باصدار المنشورات على المناسبات التى تتصل بالسياسة العامة لقيادة الحملة ، وانما امتد ذلك أيضـا الى

---

(١) نقلا عن النص الذى أورده نقولا الترك .

بعض الشئون الداخلية · وسنتعرض لهذه المنشورات التى يغلب عليها الطابع الاعلامى الخالص (الاخبارى) فيما بعد ·

ولا شك ان فى تكليف الديوان باصـــدار مثل هذه المنشـــورات اعترافا ، ولو شكليا ، بشخصيته وبشرعية نيابته عن الشعب · غير انه من المبـــالغة أن يؤخذ ذلك دليلا على اتســـاع سلطات الديوان وشـــمول ولايته · فالواقع ان الدواوين التى أنشأها الفرنســـيون ، بصـــورها المختلفة ، لم تكن سوى تنظيمات نيابية محدودة السلطان · وهى تمثل تجربة جديدة لتنميـــة الشخصية المصرية ، عن طريق تعويد القيـــادات الوطنية على ممارسة عقد المجالس والمشاركة الضيقة فى تحمل أعبـــاء الحكومة · وكان الفرنسيون يتخذون من هذه المنظمات واجهة دستورية يستعينون من ورائها بمكانة الأعضـــاء على تفهم آراء الشعب ومطالبه ، ووسيلة تمكن الحاكم من انجـــاز المشروعات التى يرى تنفيـــذها من غير اصطدام مع الأهالى · والهدف من ذلك ضمان التفاهم مع المصريين من جانب ، وتوطيد السيطرة الفرنسية من جانب آخر (١) · ولم يكن نفوذ أعضاء الديوان يتجاوز بعض المسائل التفصيلية التى لا تتعارض وسياسة الحـــملة ·

وتمشـــيا مع هذه الخطة التى انتهجها بونابرت لتأكيد مكانة أعضـــاء الديوان من الشعب من ناحية ، ولاستغلال هذه المكانة من ناحية أخرى ، لم يكتف بان يصدر هؤلاء الأعضاء على لسانهم بعض المنشورات التى يوحى بها هو أو من ينوب عنه ، وانما كان يصدر هو نفسه أحيانا منشورات تتضمن بعض رسائله اليهم ·

ومن ذلك المنشور الذى يحوى رسالته الى « السادات العلماء » بشأن عزل قاضى قضاة مصر التركى وتعيين خلف مصرى له ، والذى سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن سياسة بونابرت الاسلامية (٢) ·

وهذا المنشور من أخطر المنشورات التى أصدرها بونابرت · فهو وثيقة تاريخية تحمل عدة دلالات بالغة الأهمية على سياسته الوطنية :

لقد أصدره بونابرت بعد عودته من مغامرته السورية بأيام · وكان « ابراهيم أدهم بجمقشى زاده » قاضى القضاة التركى (قاضى العســـكر)

---

(١) أنظر : محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ... ، ص ١٧١ ·

(٢) راجع ص ٩٦ ·

قد خرج على الحكم الفرنسي في أثناء الحملة ، وانضم مع مصطفى بك (أمير الحج ونائب الوالي التركي) الى المعسكر العثماني (١) • ومن ثم ندب الجنرال دوجا (قائمقام سارى عسكر) « ملا زاده » ابن القاضي مكان أبيه . ليصرف الأحكام مؤقتا •

ولكن بونابرت رأى أن يحسم الأمر باتخاذ خطوة جديدة جريئة • لقد قرر تغيير النظام القضائي كلية ، بتمصير هذا المنصب الذي كان صاحبه منـذ الفتح العثماني تركيا . فقبض على ابن القاضي الهارب، وارسل رسالة الى اعضاء الديوان أخبرهم فيها بذلك وطلب منهم أن « يقترعوا ويختاروا » شيخا من العلماء « يكون من أهل مصر ومولودا بها يتولى القضاء ويقضي بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء للعلماء» (٢) . وبالفعل اختار العلماء الشيخ احمد العريشي عضـــو الديوان وأرسلوا الى بونابرت بذلك ، فأقر اختيـــارهم واحتفل رسميا بالقاضي الجديد ، ثم أفرج عن ابن القاضي المعتقل استجابة لشفاعة العلماء •

وقد سجل بونابرت هذا الحدث التاريخي في صدر منشوره ، فقال: « •• ان القاضي لم أعزله وانما هو هرب من اقليم مصر •• وخان صحبتنا •• وكنت استحسنت أن يكون ابنه عوضا عنه في محل الحكم في مدة غيبته ويحكم بدله ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام لانه صغير السن ليس هو أهلا للقضاء فعلمتم ان محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعي يحكم الشريعة واعلموا انى لا احب مصر خالية من حاكم شرعي يحكم بين المؤمنين فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيـا من علماء مصر وعقـلائهم » • وأشاد بالعـلماء ، مستثيرا احساسهم بمكانتهم ، ، فقال : « ••• والعاقل يعرف ان علماء مصر لهم عقل وتدبير وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم في سائر الأقاليم ••• » •

---

(١) طلب بونابرت ، قبل خروجه فى الحملة السورية ، أن يصحبه مصطفى بك كتخدا (وكيل) الباشا ، وقاضي العسكر ، وأربعة من علماء الازهر ، «وجماعة أيضـا من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام» ، وذلك لتعزيز مركز حملته دينيا وسياسيا . وقد خرجوا بالفعل الى الدلتا ، ولكنهم لم يكملوا رحلتهم لاسباب لا محل لذكرها . ونجح الكتخدا وقاضي العسكر في اللحاق بمعسكر العثمانيين ، بينما رجع العلماء «والوجاقلية والتجار» الى القاهرة • انظر : الجبرتي ، **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٣ – ٥٤ .

(٢) الحسرني . **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٧٢ •

ولا شك أن هذا الاجراء التمصيرى الخطير له أكثر من دلالة : فهو يكسب المصريين حقا يختصون به ، لم يكن لهم من قبل . ثم هو ، كما قال الرافعى (١) ، « خطوة كبرى فى سبيل تقدم النظام القضائى بمصر ، لان حكومة الآستانة لم تكن ترسل الى مصر سوى قضاة أكثرهم جهلاء لا يعرفون لغة البلاد وليس لهم قدم راسخة فى العلم ولا فى القضاء .. » . وفى تعيين قاضى القضاة بعد اختياره بالانتخاب من بين العلماء تكريم لهم ، وتقدير لأهمية هذا المنصب الخطير وضرورة ارتباطه بالتفقه فى العلوم الشرعية ، كما أن فى ممارسة الديوان لهذا العمل تقريرا لمبدأ ديموقراطى على قدر كبير من الأهمية .

٢ ــ وفى هذا المنشور أسفر بونابرت لأول مرة عن موقفه العدائى الصريح من الدولة العثمانية ، وأعلن قطع كل علاقة تربط مصر بها . ويتصل هذا الموقف اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت الوطنية ، كما انه كان من ناحية أخرى تداعيا منطقيا لقراره بتمصير ذلك المنصب الكبير ، الذى كان صاحبه يعين بفرمان سلطانى . فهو يقول للعلماء : « وعرفوا أهالى مصر انه انقضت وفرغت دولة العثملى من أقاليم مصر وبطلت أحكامها منها وأخبروهم أن حكم العثملى أشد تعبا من حكم الملوك (٢) وأكثر ظلما .. » .

ولتأكيد انقضاء تبعية مصر لدولة الخلافة قال بونابرت : « مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعا أن يكون لابسا من عندى وجالسا فى المحكمة ... » . ويقصد بتعبير « اللبس » هنا الحفل التقليدى الذى يقدم فيه الى القاضى الخلعة الدالة على تعيينه فى منصبه الجديد » . وقد أقيم ذلك الحفل فعلا ــ كما أسلفنا ــ فذهب العلماء « ... الى بيت سارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى فالبسه فروة مثمنة وركبوا جميعا الى المحكمة ... » (٣) .

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

(٢) يقصد «المماليك» كما جاء فى الاصل الفرنسى للمنشور ، ولعله خطأ من الجبرتى فى النقل كما كان يحدث كثيرا ، او لعله تحريف من ناقل نسخة الجبرتى الاصلية او خطأ مطبعى . انظر : **مراسلات نابليون** ، جـ ٥ ، **وثيقة ٤٢٢٤** .

(٣) هذا الاجراء الذى يرمز الى قرار تقليد السلطة كان مألوفا فى العرف الدستورى الاوربى كذلك . ولفظ « « investiture » » الذى يدل عليه يفيد فى اصله معنى «اللبس» أو «الكسو» . انظر : لويس عوض ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ، ص ٦٨ .

وقد عزز بونابرت هذا الاجراء برسالة وجهها الى حكام الاقاليم ، كلفهم فيها ان يبلغوا أعيان البلاد بما حدث ، وبأنه ينبغى أن يتلقى قضاة الأقاليم تقليد القضاء من قاضى القضاة المصرى • وكرر اعلان انهاء السيادة التركية على مصر والتنديد بالحكم العثمانى الذى هو أشد ظلما من حكم المماليك » (١) •

٣ ـ وكان مجرد تسجيل هذا الوضع الجديد وملابساته ، والاشارة الى ما دار بشأنه من اتصالات مع أعضاء الديوان ، فى منشور يطبع ويذاع على الشعب باسم بونابرت ، عملا اعلاميا دستوريا ، يؤكد به القائد الفرنسى سياسته الوطنية الديموقراطية ، ويلتمس به سندا مصريا شعر بحاجته الشديدة اليه بعد الحملة السورية •

***

تحرج موقف بونابرت فى مصر بعد فشل حملته السورية • فقد تحركت قوات العثمانيين ، بمساعدة حلفائهم الانجليز ، بحرا نحو الشواطىء المصرية ، لاسترداد البلاد من الفرنسيين • وبعد عودة بونابرت الى القاهرة بشهر (٢) ، نزل الأتراك الى شاطىء أبو قير وأخذوا يحصون مواقعهم • وفى الوقت نفسه كان الفرنسيون يواجهون بعض المتاعب الداخلية ، فقد اشتدت حركات المقاومة ضدهم فى عدد من الأقاليم المصرية • وكذلك حاولت بعض السفن الانجليزية ضرب الاسكندرية •

تحرك بونابرت بسرعة لمواجهة الحملة العثمانية ، وعسكر فى الرحمانية بعد وصول العثمانيين • ومن هناك ، وقبل أن يشتبك فى أية معركة ، واصل سياسته الجديدة التى اتضحت منذ عاد الى القاهرة • وكانت هذه السياسة تستهدف توثيق علاقته بالعنصر المصرى ، عن طريق الاتصال بزعماء الشعب ، وادارة لون من « الحوار » معهم يستهدف اشراكهم معه ـ شكليا ـ فى خططه ومشروعاته ، ثم اذاعة مضمون هذه الاتصالات على الشعب لكسبه الى جانبه (٣) •

---

(١) **مراسلات نابليون** ، ج ٥ ، وثيقة ٤٢٣٨ •

(٢) فى ١٤ يوليو ١٧٩٩ •

(٣) الواقع ان هذه السياسة قد بدت بوادرها منذ اخفاق بونابرت فى حصار عكا • فمن هناك بعث الى « محفل ديوان مصر » برسالة ، ذكر لهم فيها قرب عودته الى مصر ، وتحدث عن انتصاراته وغنائمه ، وابلغهم بعض انبائه • ولكن هذه الرسالة لم تطبع ، وانما تليت بالديوان فحسب • (انظر : الجبرتى ، **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٦٧ ـ ٨) •

ومن معسكر الرحمانية بعث بونابرت برسالة الى « ديوان مصر المحروسة » ، هي بمثابة تقرير الى ممثلى الشعب من القائد الذى ذهب لمحاربة أعداء البلاد . وقد طبعت هذه الرسالة في منشور يحمل تاريخ تحريرها (١) ، وسبق أن تعرضنا للناحية الاسلامية من مادتها (٢) .

وفى هذا المنشور بالغ بونابرت فى تقربه وتودده الى أعضاء الديوان. فقد بدأ خطابه لهم بقوله : « نخبر محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير .. » . وبعد أن وجه لهم « مزيد السلام وكثرة الأشواق ... » ، وصفهم « بالمكرمين العظام » .

ثم أشار الى أن قوات العثمانيين بدأت تنزل الى البر عند أبو قير ، وقال : « ... وأنا الآن تاركهم وقصدى انهم يتكاملوا الجميع فى البر وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع وأخلى بالحياة طايعين وآتيكم بهم محبوسين تحت اليسق (٣) لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر » .

وحاول استثارة الشعور الوطنى ضد العثمانيين الذين سيروا حملتهم للانضمام الى « المماليك والعربان ... لأجل نهب البلاد وخراب الاقليم المصرى » . ثم هاجمهم من زاوية جديدة ، هى انهم – كما سبق القول – متحالفون مع الروس (الموسقوا) أعداء الاسلام . وقد أوغل بونابرت فى تشويه صورة العثمانيين من هذه الزاوية ، محاولا بذلك زعزعة مايربط المصريين بهم من وشائج روحية . وكان ذلك ضروريا فى الوقت الذى تعددت فيه الاضطرابات الداخلية ، وأنعشت أنباء قدوم العثمانيين أمل المصريين فى الخلاص من الحكم الفرنسى (٤) .

وتأكيدا للصفة النيابية والمركز القيادى لديوان القاهرة قال

---

(١) ١٧ صفر ١٢١٤ (يوافق ٢١ يوليو ١٧٩٩) .

(٢) راجع ص ٩٦ – ٧ .

(٣) أغلب الظن أن « اليسق » محرفة عن « الأيسق » ، وهو القلادة ، بمعنى كل ما يجعل فى العنق ، سواء اكان ذلك حليا ام طوقا مثلا . والجمع «أياسق» . وقد اشارت المعاجم العربية الى شيوع استخدام صيغة الجمع والى ندرة استعمال المفرد . ويلاحظ ان هذا اللفظ ورد فى النص الذى أثبته الجبرتى للمنشور محرفا الى «السيف» . وتبع الجبرتى فى ذلك كل من نقل عنه من المؤرخين .

(٤) الى جانب بعض الانتفاضات المحلية ، بدأت قوات المماليك تتحرك نحو الحدود الشرقية ، انتظار اللانضمام الى حملة عثمانية متوقعة من بلاد الشام ، وكذلك أشار الجبرتى (**المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ٧٥) الى بعض الحوادث التى تدل على ترحيب الاهالى واستبشارهم بقدوم العثمانيين .

بونابرت لأعضائه فى آخر المنشور : « نريد منكم يا أهـل الديوان آن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والامصار » •

وربط بونابرت نفسه ربطا قدريا حتميا بمصر ومستقبلها ، فقد أعطاه الله « هذا الاقليم العظيم » ، وقدر وحكم بحضوره الى مصر « لأجل تغيير الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والرأفة مع صلاح الحـكم ••• » •

هذا وتشير المنشورات التى صدرت منذ قيام الحملة السورية حتى معركة أبو قير البرية متضمنة أخبار تحركات القوات الفرنسية ، سـواء اكانت تلك المنشورات صادرة من بونابرت الى الشعب رأسا أم على لسان العلماء ، الى اتجاه جديد فى سياسة هذا القائد الوطنية . فهو يحاول فيها ايهام المصريين بأنه يعد نفسه ، من الناحيـة الشـكلية ، مسئولا أمام ممثليهم .

وتمشيا مع هذا الاتجاه كان طبيعيا ، بعد أن انتصر بونابرت على العثمانيين فى أبو قير انتصارا حاسما رد له اعتباره بعد هزيمة حصـار عكا (١) ، أن يحاط أعضاء الديوان علما بذلك . فأصدر رئيس الديوان وكاتم سره منشورا يتضمن نص رسالة الجنرال دوجا الى أعضاء الديوان، التى يبلغهم فيها نبأ ذلك الانتصار ، ويطلب منهم ــ كالمعتاد ــ على لسان بونابرت أن يشهروا ذلك الخبر « بين الخاص والعام » ، وأن يعلنوه « فى جميع أقاليم مصر» (٢) .

واختتم بونابرت هذه السلسلة الاعلامية التى كان لأعضاء الديوان فيها دور بارز كما رأينا ، برسالة بعث بهـا اليهم بمناسبة عودته الى فرنسا ، وأصدروها فى منشور وقعوه بأسمائهم •

---

(١) بدأت المعركة يوم ٢٥ يوليو ، وانتهت بهزيمة ساحقة للعثمانيين ، وتم للفرنسيين احتلال القلعة يوم ٢ افسطس ١٧٩٩ .

(٢) اشار الجبرتى الى هذا المنشور اشارة موجزة جدا دون أن يذكر نصه . فقال، بعد أن ردد ماشاع فى القاهرة عن انتصار الفرنسيين وهزيمة العثمانيين ، انه فى يوم الخميس ٢٩ صفر (يوافق ٢ افسطس ١٧٩٩) حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحـكاية الحالة التى وقعت لم أقف على صورتها (**المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ٧٧) . ولكن نقولا الترك أورد نص هـذا المنشور (**مذكرات** .. ، ص ٥٧ ــ ٨) ، وقال انه مؤرخ ٢٢ ترميدور سنة ٧ الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٢١٤ (٩ افسطس ١٧٩٩) . ولم نعثر على نسخة منه .

وكان بونابرت قد غادر الاراضى المصرية سرا فى ٢٢ أغسطس ١٧٩٩ ، ومعه عدد قليل من خلصائه ، بعد أن استخلف فى قيادة الحملة الجنرال كليبر • وقبل سفره كتب عدة رسائل أهمها ما وجهه الى خلفه ، والى دوجا نائبه بالقاهرة ، وبوسيلج مدير الشئون المالية للحملة ، وأعضاء الديوان • وهكذا لم ينس بونابرت ، وهو يشد رحاله عائدا الى وطنه نهائيا ، أن يواصل الحفاظ على ذلك الجسر الذى أقامه على أساس اعلامى بينه وبين ممثلى الشعب المصرى لتحقيق سياسته الوطنية • ومن ثم كان الديوان احدى الجهات الاساسية التى وجه لها آخر رسائله قبل السفر •

وقد أشار الجبرتى الى رسالة بونابرت لاعضاء الديوان التى قرأها عليهم دوجا ، وأوجز مضمونها ، ولكنه لم يذكر أنها طبعت فى منشور(١) • غير أن نقولا الترك اورد نصها كاملا(٢) وأكد طبعها واذاعتها • وكذلك فعل عدد من مؤرخى الحملة الفرنسيين(٣) •

وهذا المنشور وقعه أعضاء الديوان الخصوصى ، الذين وجهوا خطابهم « لساير الاقطار المصرية والاقاليم من الجهات القبلية والبحرية وكامل رعاياها •• » • وفيه أعلنوا ان دوجا أبلغهم رسالة «صارى عسكر الكبير بونابرته ••» بأنه «سافر الى بلاد الفرنساوية لأجل حصول الراحة الكاملة الى الاقطار المصرية ••» • وقالوا ان القائد المسافر ولى بدله «على اهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعا» الجنرال كليبر • وختم أعضاء الديوان منشورهم بنصيحتهم التقليدية الى المواطنين بالتزام الهدوء وتجنب الفتن •

ولم يشأ بونابرت فى رسالته أن يسفر عن نيته المبيتة فى عدم العودة الى مصر ثانية • وانما أراد أن يؤكد استمرار صلته بهذه البلاد ،

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٨ ربيع الأول ١٢١٤ (٣١ أغسطس ١٧٩٩) •

(٢) مذكرات ••• ، ص ٦٢ ـ ٣ • وقد نقل أحمد حافظ عوض هذا النص كاملا من الترك : مرجع سبق ذكره ، ص ٤١٤ •

(٣) انظر مثلا : Charles-Roux,, op. cit., p. 365. ، فقد قال هذا المؤرخ بالنص :

« Son (Bonaparte) épitre au Divan faite pour être paraphrasée en proclamation aux indigènes, contenait... »

اى أن «رسالة بونابرت الى الديوان التى كتبت لكى تصاغ فى منشور الى المواطنين تضمنت •••» • ولم نعثر على نسخة مطبوعة من هذا المنشور •

وأن يضرب في الوقت نفسه على وتر الاحساس بالمصرية • فقد قال انه سيعود «بعد شهرين أو ثلاثة» ، وذلك بعد «تسليك البحر» بين فرنسا ومصر ، التي هي «أجمل بلاد الدنيا»(١) •

***

امتدت ظاهرة اعتبار القيادات المصرية ركنا اعلاميا أساسيا فى عملية اصدار المنشورات للشعب الى غير القاهرة •

ففى الاسكندرية كان من أوائل المنشورات العربية التى يقرؤها المصريون ، بعد المنشور الشهير الذى أعده بونابرت قبل نزوله الى الثغر منشور صادر على لسان عدد من كبار علماء المدينة وأعيانها •

صدر هذا المنشور يوم ٢٥ محرم ١٢١٣ (١٢ يوليو ١٧٩٨) ، أى بعد بدء الاحتلال الفرنسى ببضعة أيام • وقد طبع المنشور ـ اذ كانت مطبعة الحملة قد أقيمت بالاسكندرية ـ ووقعه تسعة من كبار رجال المدينة ، من بينهم اثنان من أبرز علمائها ، هما الشيخ محمد المسيرى شيخ علماء الاسكندرية ورئيس أول ديوان لها(٢) ، والشيخ ابراهيم البرجى مفتى الحنفية (شكل ٤٦)(٣) •

والمنشور موجز . وهو ، الى جانب ما تضمنه من اخبارية بحت سنشير اليها فيما بعد ، يطمئن المواطنين على استئناف الحياة العادية

---

(١) اعتمدنا فى الالمام بمضمون هذا المنشور على نصه الفرنسى . ونقلنا نماذج العبارات العربية من كل من الملخص الذى أورده الجبرتى ، والنص الناقص الذى اورده نقولا الترك •

(٢) اختير الشيخ المسيرى رئيسا لديوان الاسكندرية الذى أنشأه كليبر فى ٢١ اغسطس ١٧٩٨ • وقد اشتهر بالورع والنزاهة ، وكانت له منزلة كبيرة فى نفوس المصريين والفرنسيين على السواء . تودد اليه بونابرت فى رسائله أكثر من مرة . فقد ارسل من القاهرة رسالة الى الجنرال مارمون (Marmont) قائد المنطقة ، يطلب منه فيها أن يتوجه لمقابلة الشيخ المسيرى ويشرح له كيف احتفل قائد الحملة بالمولد النبوى فى القاهرة ، وكيف انه يجتمع مع كبار علمائها وأشرافهم •• الخ • (**مراسلات نابليون** ، ج ٤ ، وثيقة ٣١٤٧ ، فى ٢٨ أغسطس ١٧٩٨) • وكتب بونابرت الى الشيخ رسالة أخرى فى اليوم نفسه بدأها بقوله : « انك تعلم مدى التقدير الخاص الذى شعرت به نحوك منذ اللحظة الأولى التى عرفتك فيها » (**مراسلات** ، ج ٤ وثيقة ٣١٤٨) . انظر كذلك : الرافعى . مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ـ ٤٠ ، الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ص ٣٩ ـ ٤٠ •

(٣) عن نسخة وحيدة لهذا المنشور النادر ، من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

بالمدينة ، وينذر من ينسبب في الاضرار بغيره · وفى هذا الصدد يتحدث موقعو المنسور بلهجة من يحتـــل مركزا من مراكز السلطة ، ومن يملك توجيه المطالب الى الحكام باسم الشعب : « ··· وكل من حدث منه ضرر الى غيره لايلوم الا نفسه وتكون جميع الناس مأمونين على أنفسهم ومتاجرهم ولا ضرر ولا ضرار حتى حصل الطلب أن تفتح الجوامع وتقام الصلاة حكم الشريعة وتفتح الحمامات ولا يخشوا من شيء ·· » ·

* وفى الاسكندرية كذلك أصدر قائدها (قومندانها) الجنرال كليبر منسورا يتضمن رسالة موجهة الى أعضاء ديوان المدينة ، عثرنا على أصله الفرنسي المخطوط ومســـودته العربية ، دون نســـخته المطبوعة (شكل ٤٧)(١) ·

ويتميز هذا المنشور بظــاهرة فريدة غير مألوفة في منشورات عهد كليبر ، وهى توجيه الخطاب الى أعضاء الديوان بعبارات تبالغ فى تحيتهم وتمجيدهم والتأكيد على أهمية دورهم القيادى وفعاليته · فهو يبدأ بمقدمة طويلة جاء فيها : «من طرف حضرة الجنرال ·· الى المختـــارين الصلحا الكاملين افتخار العلماء المدبرين منظمين أمور أهالى الاســـكندرية بالفكر الثاقب متممين مهام البلاد بالرأى الصائب أصحاب العلوم والفضائل ملاك الفنون والخصائل أسيادنا المكرمين يعنى بهم أهل الديوان بثغر اسكندرية محبينا الصديقين وموادينا العزاز الحقيقيين زيد اقبـالهم مساواة لفضلهم وكمالهم آمين » ·

ومضمون رسالة كليبر التى صدر بها هذا المنشور له أوثق الصلة بسياسة بونابرت الوطنية · فهو يطلب منهم أن يختـــاروا ــ بنـــاء على تعليمات بونابرت ــ «ثلاثة انفار من المشايخ وثلاثة انفار من التجار وثلاثة أنفار من الفلاحين مشايخ البلد ومشايخ العربان بثغر اسكندرية ·· » · والغرض من ذلك هو أن يذهب هؤلاء المنتخبون الى القاهرة لكى «يخبروا·· السر عسكر ·· بجميع المطلوبات المتعلقة للخير العام والخاص ·· »

وباستقراء حوادث تلك الايام يتضح أن المقصود من هذه العملية هو تمثيل فئات شعب الاسكندرية فى «الجمعية العمومية» التى أمر بونابرت

---

(١) تاريخ المنشور ٢ نسيء سنة ٦ (١٨ سبتمبر ١٧٩٨) وهو من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس · ويلاحظ توقيع كليبر بخطه على كل من الاصليين · ولم يكن هذا القائد يعرف العربية ولكنه رسم اسمه بالعربية رسما هكذا «قله بر» ، ويبدو أنه كتبه من اليسار الى اليمين !

(فى ٤ سبتمبر ١٧٩٨) بتكوينها من ممثلى العاصمة والاقاليم • وكان الهدف من دعوة هؤلاء المندوبين الى الاجتماع بالقاهرة هو استشارتهم فى النظام النهائى للدواوين التى أسسها بونابرت ، وفى ادارة الحكومة ووضع نظامها الادارى والمالى والقضائى • وقد حدد لانعقاد هذه الجمعية يوم اول اكتوبر ، ثم عدل الموعد الى ٥ اكتوبر • وسميت الجمعيه «الديوان العام» تمييزا لها عن ديوان القاهرة (١) •

وتجلو هذه الفقرة من المنشور حقيقة تاريخية خفيت على المؤرخين الذين تعرضوا بالدراسة لنظام الدواوين فى عهد الحملة الفرنسية ، وهى طريقة اختيار ممثلى الاقاليم فى ذلك الديوان العام • وقد اكتفى بعضهم باغفالها ، بينما عبر البعض الآخر عن عدم التوصل الى معرفتها • ويمثل الفريق الاول الاستاذ الرافعى • أما الفريق الثانى فيمثله الدكتور لويس عوض ، الذى قال بالنص : «أما طريقة اختيار هؤلاء المندوبين فغير معروف ان كانت مجرد تعيينات فرنسية أم انها قامت على نوع من الانتخاب الفئوى أو شيء قريب من البيعة» (٢) . وكرر الكاتب هذا المعنى نفسه مرة ثانية (٣) . هذا بينما يبين المنشور فى جلاء أن اختيار أولئك المندوبين كان يتم بواسطة أعضاء الدواوين الاقليمية .

ويختتم المنشور بتأكيد أن كلا من «السر عسكر» «وكلببر» «يحب الهنا والراحة لأهالى بر مصر كلها» •

***

ومما يلفت النظر ان السياسة الوطنية التى وضعها بونابرت ، والتى كان كثير من منشوراته ـ كما رأينا ـ مرآة تعكس مظاهرها ، ووسيلة

---

(١) الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، نقلا عن عدد من المصادر الفرنسية . وقد اوجز الجبرتى كثيرا فى الحديث عن هذا التنظيم ، ولكنه اشار الى اجتماع الجمعية فى حوادث ٢٥ ربيع الثانى ١٢١٣ (٦ اكتوبر ١٧٩٨) ، ووصفه بدقة . ولا يبعد انه كان من ممثلى علماء القاهرة فيها ، وان تحرج من الاشارة الى ذلك (**عجائب الآثار** ج ٣ ، ص ٢٢) • ولم يعش هذا « الديوان العام » أكثر من أسبوعين ، اندلعت بعدهما ثورة القاهرة الأولى • ثم عدل النظام التشريعى بعد ذلك ، ، كما سبق ان اشرنا ، الى شكل جديد ، جمع فيه بين «الديوان العمومى» و «الديوان الخصوصى» أو «الديمومى» .

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، ج ١ ، ص ١٠٦ •

(٣) **المرجع السابق** ، ص ١٦٢ •

اعلامية تدعو لها وتسجل معالمها ، قد تهـافتت بشكل حاد أيام خليفته كليبر ، شأنها فى ذلك شأن السياسة الاسلامية ·

ويرجع ذلك الى موقف كليبر من مستقبل الحملة بوجه عـام ، وبخاصة بعد سفر بونابرت المفاجىء · فمن الثابت ان كليبر لم يكن يرغب فى بقاء الحملة بمصر ، وانه أصبح بعد توليه قيادتها أشد معارضة لفكرة تكوين مستعمرة فرنسية بهذه البلاد · ويتضـح ذلك من تقريره المطول المشهور الذى بعث به الى حكومة الادارة بباريس بعد شـهر من توليه القيادة ، والذى رسم فيه صورة قاتمة لمركز الحملة فى مصر (١) . وقد سعى كليبر بالفعـل الى الخروج بحملته من مصر ، ففـاوض العثمانيين والانجليز ، وانتهت المفاوضات بعقد اتفاقية العريش ، كما سنرى ·

ويمكن أن يعزى تهافت سـياسة كليبر الوطنية كذلك الى موقفه الشخصى من المصريين وزعمائهم · فلم يكن كسلفه حريصا على مودتهم أو راغبا فى التقرب اليهم ، مع أن بونابرت أوصاه قبل سفره بقوله : « ان من يكسب ثقة كبار المشايخ فى القاهرة يكسب ثقة الشعب المصرى» (٢). وقد اتضح هذا الموقف منذ مقابلته الاولى لكبار المصريين بعد وصوله الى القاهرة خلفا لبونابرت · ويصف الجبرتى هذا اللقاء بعبارات موجزة قوية الدلالة ، فيقول : «ذهب أكابر البلد من المشايخ والاعيان لمقـابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ووعدوا الى الغد فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم فقـابلوه فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته ، فانه كان بشوشا ويباسط الجلسـاء ويضـحك معهم » (٣) .

وقد لاحظ مؤرخو الحملة أن كليبر كان حريصا على أن يحيط نفسه بهالة من العظمة والجبروت ، مما ساعد على اتسـاع الفجوة بينه وبين

---

(١) محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ·· ، ص ٢٥٠ ــ ٥٥ · وتوجد نسـخة نادرة من هذا التقرير بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ملحقة باحد مجلدى صحيفة «لوكوريه دى ليجيبت » ، وهو يقع فى ٨٨ صفحة ·

(٢) من رسالة مطولة هى اشبه بتقرير ، وصف فيه بونابرت الحالة التى ترك عليها مصر وصفا دقيقا ، وشرح فيه معالم الخطة التى رأى أن يتبعها كليبر (**مراسلات نابليون** ، جـ ٥ وثيقة ٤٣٧٤) · وقد عربها وعلق عليها الرافعى : **مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ، ص ٩٧ ــ ١٠١) ·

(٣) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ (٣١ اغسطس ١٧٩٩) ·

المصريين ، على العكس من سلفه • ويكفى ان نقرأ في الجبرتى وصف مراسيه الحافله ، وماكان يضفيه عليها من مظاهر الابهة والارهاب (١) .

ومن مظاهر هذا الموقف الذى اتخذه كليبر من المصريين عدم تحمسه لفكرة انشاء الدواوين التى كانت أهم معالم سياسة بونابرت الوطنية • وكان يعتقد ان هذه الدواوين « لا فائدة منها مطلقا » ، فقد أوقف عمل ديوان القاهرة بعد انتصاره فى موقعة عين شمس على العثمانيين (٢) . وكان قبل ذلك قد أبطل الدواوين الاقليمية بمجرد التوقيع على اتفاقية العريش ، التى اتفق فيها على جلاء الفرنسيين عن مصر • وقد ظلت الدواوين المصرية معطلة ، حتى أعاد منو انشاء ديوان القاهرة أولا ، ثم دواوين الاقاليم بعد ذلك . (٣)

وبعد ان أخمد كليبر ثورة القاهرة الثانية (٤) ، عامل المصريين وزعماءهم أسوأ معاملة وأقساها ، وأهانهم اهانات بالغة ، وفرض عليهم الغرامات الفادحة • وقد لقى المصريون من ذلك عنتا شديدا ، «•• ونزل بهم من البلاء والذل مالا يوصف •• فضاق خناق الناس ، وتمنوا الموت فلم يجدوه» (٥) .

وعلق أحد مؤرخى الحملة الفرنسيين على هذا الموقف من كليبر ، فقال ان القائد الفرنسى كان فى الحقيقة لا يهتم بشعور المصريين ، أو عطفهم أو ميلهم اليه والى جيش الشرق ، مادام يستطيع ابتزاز الاموال التى يريدها لملء خزانته والانفاق منها على جيشه (٦) .

وكان المصريون من جانبهم قد اندفعوا فى التعبير عن كراهتهم للحكم الفرنسى ، وتطلعهم الى الخلاص منه ، مع انتشار أنباء الزحف العثمانى

---

(١) مثل وصف موكبه الهائل عقب توليه قيادة الحملة ، **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ٨٠ .

(٢) فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ .

(٣) Rigault, op. cit., p. 152. • وليس صحيحا ما ذكره الرافعى (**مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ص ٢٦٩) من أن دواوين الاقاليم فى عهد كليبر « قد بقى نظامها كما وضعه نابليون من قبل» .

(٤) من ٢٠ مارس الى ٢٠ ابريل ١٨٠٠ .

(٥) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٠٩ • وقد وصف الجبرتى ما لحق بعامة الناس وكبارهم ، من جراء انتقام كليبر ، عقب ثورة القاهرة الثانية التى ايدتها عدة ثورات اقليمية ، بعبارات مؤثرة للغاية (**المرجع نفسه** ، جـ ٣ ، ص ١٠٦ ــ ٩) .

(٦) Rigault, op. cit., p. 77.

المملوكي على مصر من الديار الشامية ، واللغط حول مشروعات الاتفاق على جلاء الفرنسيين عن البلاد ٠

ولذلك لانكاد نلمح أثرا لمنشور دعائى واحد أصدره كليبر ٠ يدور حول فكرة مصر والمصرية ، أو يمجد الزعامة الوطنية ، بطريق مباشر أو غير مباشر ٠ وما أبعد الفارق هنا بين هذا الموقف وبين الاتجاه الذى عبر عنه منشـــور كليبر ، الذى أصـــدره متضمنا رســـالته الى أعضـــاء ديوان الاسكندرية ، وهو بعد «قومندان» لهـــذه المدينة ، والذى تعرضنا له من قبـــل ٠

لقد سبق أن أشرنا الى المنشور الذى أصدره كليبر فى بداية عهده، وحاول فيه أن يتقرب الى الشعب متبعا أسلوب الدعاية الاسلامية (١). ولم يسجل له التاريخ بعد ذلك سوى منشور واحد وجه فيه الخطاب الى ممثلى الشعب بأسلوب معقول ، يحفـــظ لهم قدرهم ، ويؤكد مكانهم من مواطنيهم ، وهو الذى أصدره من معسكر الصالحية ، بعد أن وقع اتفاقية العريش مع العثمانيين وأذاع نصوصها على المصريين ببضعة أيام ٠

صدر هذا المنشور بالعربية والفرنسية ، ووجهه القـــائد العام الى «جميع أرباب الديوان بمصر المحروسة والى كافة دواوين الاقاليم المصرية أعزهم الله» (شكل ٤٨) (٢) ٠

وقد نوه كليبر فى هذا المنشور بعقد الصلح مع العثمانيين ، الذى بدأ السعى من أجله فى عهد سلفه ٠ وقال ان بونابرت ترك البلاد بسبب «اشغال مهمة ٠٠ وخلفنى عوضه لاجل تمام ذلك وأنا فى هذا الوقت أتمه واسلم هذا الاقليم المصرى ليد أحبابنا قديما ٠٠ »

ثم أشاد كليبر بسياسة الفرنســـيين قبل المصريين عامة ، فقال : « وقـــد عرفتم ورأيتم ترتيب قوانيننا فى الديار المصرية خليناكم واكرمنا شريعتكم ودينكم وأجريناكم على قوانين ملتـــكم وأبقينا يدكم متصرفة فى أموالكم وأملاككم ولم نكدر عليكم فى تعلقاتكم حتى لا يخطر ببـــالكم اننا ظلمناكم ٠٠ »

وأكد الجانب الوطنى من هذه السياسة ، مذكرا ومنوها بالدور الذى

---

(١) راجع ص ١٠٣ — ٤ ٠

(٢) بتاريخ ١٢ بلوفيوز سنة ٨ (يوافق اول فبراير ١٨٠٠) ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

قام به ممثلو الشعب أعضاء الدواوين ، فقال يخاطبهم: «فى مدتنا لم تعرفوا لنا مظلمة قهرية فانتم الذين توكلتم بالخصوص فى أمور الرعية القاطنين بالديار المصرية توسطتم بين الفرنساوية والرعية لأجل تمشـــية القوانين القديمة المصرية فى ســاير بلادكم من غير تغيير عوايدكم ونظامكم وهذا النظام من تدبير سلفنا وأنا رأيته من المحاسن واللوازم الضرورية وبسبب همتكم وغيرتكم فى صلاح الرعية واستقامتكم فى الافعـــال التى ألزمناكم استحقيتوا اعتباركم عند كل عاقل واستوجبتم شكركم عند كل كامل ..»

ولهذا المنشور قيمة خاصة . فقد اغفل الاشارة اليه تماما كل من الجبرتى ونقولا الترك ، وان كان بعض مؤرخي الحملة الفرنســيين قد ذكروا نصه الفرنسى(١) . ومن هنا فانه يســـد ثغرة تاريخية فى قصة «الاتصال» ، أو التخاطب ، بين قيادة الحملة الفرنسية والمصريين .

***

وفى عهد منو عاد الاتجاه الوطنى فى السياسة الدعائية للحملة الى الظهور فى المنشورات العربية . ولكنه اتخذ فى عهد هذا القـائد سمات متميزة ، تختلف الى حد ما عن سماته فى عهد بونابرت :

أولا : كان منو أكثر قصدا من قائده فى ترديد العبارات التى يخاطب بها مشاعر المصريين الوطنية ، أو يحاول أن يجتذب بها قادتهم وكبراءهم . وبالرغم من كثرة المنشورات التى أصدرها هذا القائد الى المصريين ، والتى تمتلىء بها دور المحفوظات الفرنسية ، والتى أشـــار الى بعضها المؤرخون المعاصرون للحملة كالجبرتى ، فان عددا قليلا جدا منها هو الذى نلمح فيه معالم ذلك الاتجاه . ويلاحظ من ناحية أخرى انه لم يصدر فى عهـد منو منشور واحد بتوقيع ممثلى الشعب من أعضـــاء الدواوين ، يؤكد — ولو شكليا — مكانتهم القيادية من مواطنيهم ، كما لمسنا فى أيام سلفه الاول . وانما كان منو يفضل أن تكون المنشورات الموجهة الى الشعب صادرة منه مباشرة .

وقد نجد تفسيرا لذلك فى المبادىء التى أقام عليها منو حكومته . فقد أثبت أدق من أرخوا لعهـــده(٢) انه كان « يعتبر ان مصر مستعمرة فرنسية بالفعل ، هو حاكمها وممثل حكومة باريس فيهـــا . ولما كانت

---

(١) أنظر مثلا : Rousseau, op. cit., pp. 220-21.

(٢) Rigault, op. cit., p. 111.

الاتصالات الطبيعية بين هذه المستعمرة والدولة الحاكمة غير قائمة وقتذاك، فانه جعل من نفسه رئيس دولة » • ويقول أحد كبار معاوني منو « ان أوامره اليومية (Ordres du Jour) قد حلت محل القوانين ، واتخذت أساسا لادارة جيش الحملة »(١) •

ثانيا : كان منو أكثر واقعية من بونابرت فى ذلك الاتجاه . فهو يربطه باجراءات وتنظيمات فعلية مفصلة ، أو بمواقف محددة ، ولا يكتفى فيه بمجرد المقولات النظرية •

ويتضح هذا الموقف بصفة خاصة فى منشور من أهم المنشورات التى صدرت فى عهده • وهو منشور مطول يتضمن مرسوما بترتيب النظام القضائى للبلاد (شكل ٤٩)(٢) • وقد فصل القول فى هذا المنشور حول الهيئات القضائية وتكوينها ، وأسس التقاضي ودرجاته واجراءاته • وذكر فى خلال ذلك أعادة تكوين ديوان القاهرة فى صورة جديدة ، لابراز دور هذا الديوان فى مجال السلطة القضائية أساسا ، مع اشارة موجزة جدا الى مهامه الاخرى • أى ان الامر باعادة تكوين الديوان قد ارتبط بوضع الاسس الجديدة للنظام القضائى •

ويبرز صدر المنشور هذا المعنى فى وضوح • فهو يتضمن ديباجة المرسوم التى نصها : «ان حضرة الجنرال سرى العسكر العام لما اعتبر انه من أخص المهمات الملاحظة الحكام هو الاعتناء باجرا العدل للرعايا اوليك الذين قد ايتمنا على سياستهم وأن يتحدد قيام المحاكم لمحاكمة الدعاوى المدنية التى تقع ما بين أبناء البلد ولعقاب الذنوب والجرايم التى ترتكب ضد النظام العام والجماعة فأمر بما يأتى بيانه » •

وبعد أن أعلن المرسوم فى مادتيه الاولين انقضاء العمل بالنظام القديم وضرورة حصول القضاة على مراسيم التعيين الجديدة ، جاء فى المادة الثالثة (الشرط الثالث) : « فلا بد عن اقامة ديوان بمصر (بالقاهرة) مؤتلف من جماعة العلماء •• **لكى يسهر على تقويم الحقوق** وعلى نظام

---

(١) سارتلون (Sartelon) ، فى رسالة الى وزير الحربية الفرنسية ، بتاريخ ٢٢ برومير سنة ٩ (١٣ نوفمبر ١٨٠٠) ، نقلا عن المرجع السابق •

(٢) تاريخ المرسوم ١٠ فندميير سنة ٩ (٢ أكتوبر ١٨٠٠) . أما المنشور العربى فقد صدر بتاريخ ١٧ فندمير (٩ أكتوبر) ، وهو من محفوظات المكتبة القومية بباريس ، ويبلغ عدد سطوره ٣١١ سطرا . وقد نشر ريجو نصه الفرنسى بشىء من الايجاز ، ولكنه علق على كثير من نقاطه (المرجع السابق ، ص ١٥٣ — ٩) •

الجوامع وعلى نظام الاوقاف والرزق وعلى الارشاد العام وعلى الاعتنا بمهمات الحج الشريف وأخيرا على أن تحفظ كامل العوايد الحميدة الدينية والمدنية وهولاء العلما يوجهون لاهالى بلاد مصر كلما (كل ما) ينادى به عليهم ويقدمون ما يريدون اعراضه (عرضه) للحكام » .

وتنص المادة السابعة (الشرط السابع) من المرســـوم على أن يقدم أعضاء الديوان الى الحاكم في أول جلسة يعقدونها « اسما اوليــك الذين يعتبرونهم كفوا للقيام بوظيفة القضاة ويحررون قايمة للاقتراع على أكثر الاصوات ويشرعون أولا بما يلاحظ مرتبة قاضى عســكر أعنى به القاضى الاعظم بمصر القاهرة ضامين اسما العلما الثلثة (الثلاثة) الذين منهم يختار حضرة سرى العسكر العام من يجب أن يكون قايما على هذه الوظيفة ثانيا اسما أوليك الذين يتقدمون على القيام بهذه الوظيفة فى باقى الاقاليم » .

وتمنح المادة السابعة عشرة الديوان حق عزل « القضاة والمتشرعين المفسدين .. » ، وكذلك حق الحكم «بابطال ساير القضــايا التى لا يكون رأى بهـــا كامل الظروف المعينة (أى التى لا تراعى فى أحكامها القواعد الموضوعة) والواقع التحديد بها ان كان ذلك من قبل السنن المتقدمة أو من قبل هذا المرسوم .. » .

وتفصل المادة الثامنة عشرة حــق الديوان فى نظر حالات استئناف الاحكام أو الطعن فيها .

أما المادتان الرابعة والثالثة والعشرون فهما تحــددان عدد أعضاء الديوان وأسماءهم ومواعيد اجتماعاتهم وما الى ذلك .

ان هذا المنشور وثيقة تاريخية خطيرة ، جديرة بدراسة تجلو صفحة غير معروفة من تاريخ التشريع الحديث فى مصر ، بكل دقائقها وما أحاط بها من ظروف ومقومات(١) . وهو فضلا عن ذلك يوضح عدة حقائق لها

---

(١) يتناول المرسوم الذى يتضمنه هذا المنشور ، والذى كان نتيجة لدراسة لجنة خاصة كونها منو ، عدة أمور تشريعية ذات أهمية كبيرة ، مثل التمييز بين القضــاء المدنى والقضاء الجنائى وقضاء الاحوال الشخصية ، والقضـــاء المختلط . وحــق الاستئناف والطعن ، وغير ذلك مما لم تقنن قواعده وضوابطه فى مصر الا بعد الحملة بعشرات السنين . ويلاحظ أن الجبرتى لم يشر الى هذا المنشور ، وان اكتفى بذكر تكوين الديوان وأسماء أعضائه ومكان اجتماعهم ..الخ ، ضمن حوادث شــهر جمادى الثانية ١٢١٥ ، دون تحديد اليوم (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ـ ٨) . وقد أخطأ الجبرتى فى ذلك ، رغم أنه كان من أعضاء الديوان ، فان أول شهر جمادى الثانية ١٢١٥ يوافق يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٠٠ ، بينما صدر المنشور قبل ذلك بأحد عشر يوما ، أى فى خلال شهر جمادى الاولى» .

أهميتها في التأريخ لسياسة الفرنسيين ازاء المصريين ، وبخاصه من خلال فكرة انشاء الدواوين ٠ انه يتبت ما لم يذكره مؤرخ من قبل ، وهو ان منو أنشأ ، الى جانب الديوان المكون من تسعة أعضاء ، هيئة أخرى من غير المصريين المسلمين ، تتكون من «أربعة عشر عضوا في محل كرامة (أى أعضاء شرف) فالمتقـــدمون بطايفة الافباط وأهالى بلاد ســـوريا الشام والاروام(١) اذ يتعينون من حضرة سرى العسكر العـام فيعطى لهم الاذن بالجلسة (أى بالجلوس أو بالحضور) فى الديوان والرأى بالمشورة٠٠»(٢)

وعلى ذلك فلم يكن الجبرتى دقيقا حين قال ، وتبعه في ذلك سـائر مؤرخينا ، ان الديوان الجديد كان يتكون « ٠٠ من تســعة أنفار متعممين لا غير وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شـــامى ولا غير ذلك وليس فيه خصوصى وعمومى على ما سبق شرحه(٣) بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء ٠٠ »

ويوضح المنشور كذلك الاختصاصات القضائية الجديدة التى أضيفت الى مهام أعضاء الديوان ٠ وقد أشار الرافعى الى هذه الاختصاصات بايجاز شديد ، نقلا عن بعض الوثائق الفرنسية لحكومة الحملة فى عهـــد منو ، لا عن المنشور نفسه(٤)٠ وكان ريجو هو المؤرخ الوحيد الذى فصل القول فى مضمون هذا المنشور نقلا عن أصله الفرنسى ٠

وفضلا عن أن المنشور وثيقة أصلية تقطع بعضوية الجبرتى فى هذا الديوان(٥) ، اذ أثبت اسمه ضمن أسماء الاعضـــاء التسعة ، فانه يحدد عمل شخصية أخرى ارتبط اسمها بالحديث عن السياسة الاعلامية للحملة الفرنسية ، هو اسماعيل الخشاب ، وذلك بصورة لا تدع مجالا لأى خلط أو خطأ ٠ وقد سبق أن تعرضنا لهذه النقطة عند الحـــديث عن مشروع صحيفة «التنبيه»(٦) ٠

وفوق هـذا كله فان المرســـوم الذى تضمنه المنشـــور يقرر مبدأ

---

(١) يقصد بكلمة «الاروام» الاتراك ورعايا الدولة العثمانية ، من سكان الايالات غير العربية ٠

(٢) الشرط الرابع من المرسوم ٠

(٣) اى على أيام بونابرت ٠

(٤) مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ــ ٦ ٠

(٥) ذكر الجبرتى عضويته فى الديوان بطريقة ملتوية ، فقد أشار الى نفسه بكلمة «وكاتبه» ، مما كان موضع تعليق المؤرخين ٠

(٦) راجع ص ٢٨١ ــ ٢ ٠

«مصيريا» في غاية الاهمية ، فهو ينص في «الشرط الثامن» على ضرورة منع من يتولى منصب القضاء بالجنسية المصرية : « فلا أحد من الافراد يتقدم على القيام بوظيفة قاض بمصر (أي بالقاهرة) كان ذلك أم بباقى الاقاليم ما لم يكن من أرض مصر ولـودة (أي ولادة) أو لا يكن له عشرة (كذا) سنوات قاطنا بأرض مصر» ٠

ثالثا : يتضح من هذا المنشور نفسه ان منو كان أكثر صراحة فى تحديد الخط الوطنى فى سياسته الدعائية داخل نطاق الحكم الفرنسى ٠ فقد حرص فى «الشرط الاول» من المرسوم على تأكيد أن **«كل المحاكم** الموجودة بالاقاليم المصرية وتلك التى يحكم بلزوم قيامها مع الزمان بأقاليم مصر يقضون بالعدل **وذلك على اسم المشيخة الفرنساوية ٠٠»**

وكذلك أكد المرسوم فى هذا «الشرط» وفى «الشرطين» الثانى والتاسع على أن «سارى عسكر» هو الذى يقلد القضاة سلطة وظائفهم (يلبسهم) ٠ وفى ثنايا غير ذلك من «الشروط» يخضع المرسوم كل اجراء تمصيرى ، سواء بالنسبة للنظام القضائى أو للديوان الجديد ، **لاقرار «حضرة سرى العسكر العام»** ٠

وتتردد نغمة ان مصر صارت ملكا لفرنسا فى كثير مما أصدره منو من منشورات ، بطريق مباشر أو غير مباشر ٠ ويؤكدها كذلك ما نقله الجبرتى من عبارات عن بيانات المسئولين الفرنسيين بالديوان ، وما استنتجه من معان تستتر وراء مضمون بعض تلك البيانات :

ـ فقد ذكر الجبرتى فى حوادث يوم ٢٤ رمضان ١٢١٥ (٨ فبراير ١٨٠١)(١) انه «ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين عظيمين من فرانسا فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابرته أغار على بلاد النمسه وحاربهم ٠٠ وسيأتى فى أثرهم مركبان آخران ٠٠»(٢) ثم علق على هذا الحدث بقوله : « ويستدل بذلك على ان **مصر صارت فى حكم الفرنسيس** لا يشركهم غيرهم فيها هكذا قالوا وقرأوه فى ورقة بالديوان .

ـ واورد الجبرتى كذلك فى حوادث آخر آيام شهر محرم ١٢١٦

---

(١) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٤٦ ٠

(٢) الواقع أن منو أصدر بمضمون ذلك منشورا مطبوعا ، ولكن الجبرتى لم ينقل نصه ، بل ولم يشر أصلا الى أن هناك منشورا بهذا المعنى ٠ وقد سبق أن اشرنا الى هذا المنشور عند الحديث عن سياسة منو الاسلامية (ص ١٠٧) وسنتعرض له مرة أخرى بعد قليل .

(١١ يونيو ١٨٠١) (١) نص بيان طويل جاء فيه : «اجتمع المشايخ والوكيل وحضر استوف (يقصد استيف : Estève) الخـــازندار وترجم عنه رفاييل (كبير مترجمي الديوان) بقوله انه يثني على كل من القاضي والشيخ اسماعيل الزرقاني باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث ٠٠ واعلموا ان أرض مصر **استقر ملكها للفرنساوية** فلازم من اعتقادكم ذلك واركزوه في اذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ٠٠» ٠ هذا مع أن الحكم الفرنسي في مصر كان في ذلك الوقت يلفظ أنفـــاسه الاخـــيرة ، وكانت القوات الانجليزية والعثمانية الزاحفة من الشرق والغرب قد أصبحت على مشارف القاهرة ٠

رابعا : في الوقت نفسه اتخذ منو من زواجه بسيدة مصرية سببا قويا يتقرب عن طريقه الى المصريين ٠ فكان يخاطب أبناء الشعب أو زعماءه في منشوراته أحيانا بعبارات تتسم بطابع الألفة والمودة ، التي تنتج عن علاقة شخصية وطيدة باعتباره لم يعد غريبا عنهم ٠ وقـد رأينا من قبل كيف استغل ما صحب هذا الزواج من اعتناقه الاسلام ، في دعايته التي ترتكز على فكرة السياسة الاسلامية ، التي وضع أساسها بونابرت ٠

ونلمس مظاهر هذا الموقف منذ كان منو حاكما اقليميا لرشيد (٢)٠ فقد اصدر منشورا خطيا (٣) الى أعضاء ديوان المدينة بمناسبة سفره لتولي

---

(١) **المرجع السابق** ، ص ١٧٩ ٠

(٢) جـرح منو في أثناء احتــلال الاسكندرية ، فعين بونابرت الجنرال فيـــال (Vial) بـــدلا منه على رأس الفرقة التي كان يقودها ، وجعله حاكمـــا (Gouverneur) لرشـــيد حتى لايشترك في عمليات الزحف الى القـــاهرة ٠ وفي ٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ أضاف بونابرت الى دائرة حكم منو اقليمي البحيرة والاسكندرية (Rigault, op. cit., pp. 40-41). ٠ ويلاحظ أن بونابرت أصدر هذا الامر الاخير الى منو بعد أن استدعى من الاسكندرية قائدها الاول الجنرال كليبر ليكون الى جانبه في القاهرة ٠ وقد وصل كليبر الى القاهرة بالفعل في ٢٢ اكتوبر ، واتبع بونابرت هذا الامر بتعيين الجنرال مارمون (Marmont) قائدا (قومندانا) لمدينة الاسكندرية (الرافعي ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ص ٢٤٢ ، جـ ٢ ص ١٠٨) ٠

(٣) هو واحد من منشورات خطية عدة أصدرها منو في رشيد ٠ وقد آثرنا تناولها بالدراسة في هذا الموضوع ، لا عند الحديث عن المنشورات في عهد بونابرت أو كليبر ، لما تحفل به من دلالات على سياســـة منو منذ كان حاكما محليا ، اكثر مما تتصـــل بالسياسة العامة للحملة ٠ وتضم محفوظات وزارة الحربية الفرنسية بباريس عددا لا بأس به من هذه المنشورات التي لم يتناولها أو يشر اليها من قبل احد من مؤرخي الحملة الفرنسية ٠ ومحتوى هذه المنشورات وطريقة عرض مادتها ، فضلا عن وجود نسخ كثيرة من كل منشور ، يقطع بأنها كانت بالفعل منشورات اذيعت على الناس ، لا مجرد رسائل الى أعضاء الديوان مثلا ٠

منصبه الجديد حاكما لاقليم فلسطين (شكل ٥٠)(١) . وفى هذا المنشور يتحدث الى الاعضاء حديثا شخصيا بحتـــا ، فهـــو يوصيهم خيرا بزوجته واقاربها : «... قبل السفر قصدت أن أوضح لكم وهو أننى أبقيت بهذا الطرف زوجتى وكامل أقاربها .. نعرفكم أن تخلـــوا بالكم من حريمنا ووالدنهم وأخيهم وزوجة أخيهم بكامل ما يلزم الى راحتهـــم والمذكورين أبقيناهم فى طرفكم أمانة . ونظير معروفنا السابق معكم لازم تخلوا بالكم معاهم . ومثل ما أن نيتنا كانت دائما طيبة عليكم كذلك نكون نيتكم معنا لأن أعز ما عندى فى الدنيا حريمى » .

ومن هذا القبيل كتاب مطول وجهه ، وهو قائد للحملة ، الى «حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنيف بمصر القـــاهرة»(٢) . والى جانب ما تضمنه هذا الكتاب من مسائل عامة ، فقد رد فيه على تهنئتهم له بولادة ابنه من زوجته المصرية ، اذ جاء فى أوله : «ان الذى حررتمـــوه لنـــا ملأ نفوسنا سرورا وقلبنا حبورا» ، وجاء فى آخره : «اننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك منو ..»

ومن ذلك أيضا أن منو اعتاد أن يســـبق توقيعه على المنشورات بعد

---

(١) المنشور بتاريخ ٢١ فلوريال سنة ٧ (١٠ مايو ١٧٩٩) ، وهو من محفوظات قسم الوثائق التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية . وقد عين بونابرت منو فى هـــذا المنصب الجديد فى اثناء تحركه ليلحق بقوات حملته السورية ، واحل محله فى منصبه القديم الجنرال جونيان (Julien) ، وكان ذلك فى اوائل شهر مارس ١٧٩٩ ، أى عقب زواج منو . وتباطأ منو فى تنفيذ هذا الأمر شهرين ، وقد اعترف هو بذلك فى بداية منشوره : «انه قد حضر لى ادن اننى أكون حاكما على اقليم الشام من مضى شهرين . وانا الآن مستعد على السفر الى الناحية المذكورة ..» . وعندما وصل منو الى بلدة «قطية» قرب حدود مصر الشرقية قابله بونابرت الذى كان راجعـا بعـد اخفاقه فى حصار عكا فأرسله للتفتيش على القوات الفرنسية بالعريش ، ثم عاد بعـد ذلك الى مقره القديم . وقد عرف عن منو تمسكه بالبقاء فى مدينة رشيد ، فقد سبق ان تلكأ فى تنفيذ أمرآخر لبونابرت بتعيينه قائدا للعاصمة عندما بدأ الاستعداد لتحرك الحمله السوريه . وتعلل بمختلف المعاذير ، بل انه اعتزم فى عهد كليبر أن يجعل من رشيد عاصمة للاقاليم الثلاثة التى يحكمها ، بالرغم من أن بونابرت كان قد أضـاف اليه قبل سفره منصب القائد العسكرى للمنطقة ، مما كان يقتضى اقامته بالاسكندرية. غير أن كليبر عينه قائدا للقاهرة (انظر : ريجو ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢ ، ٤٥ ؛ الرافعى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ ــ ١١) .

(٢) ذكره الجبرتى (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ ــ ٣) ، فى حوادث يوم ٢٥ شعبان ١٢١٥ (١١ يناير ١٨٠١) ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان هذا الكتاب قد طبع فى منشور ، وكذلك لم يعثر المؤلف على مايؤكد ذلك .

أن تولى قيادة الحملة بعبارة «خالص الفؤاد» • وهي عبارة توددية واضحة، لم يفكر أي من سلفيه في استخدامها هي أو ما يشبهها •

والى جانب ذلك فقد اتبع منو أسلوب بونابرت الدعائي الذى اختطه منــذ منشــوره الأول الى المصريين ، وجعله أساسا من أسس سياسته الوطنية ، وهو تذكيرهم بطغيان المماليك ، ومحاولة استثارة مشاعرهم ضد هؤلاء الذين اغتصبوا بلادهم واستأثروا بخيراتها ، وتأكيد أن الفرنسين انما حضروا الى مصر لتخليصها من حكم هؤلاء الظلمة •

وكان طبيعيا ان يفعل منو ذلك في المنشورات التى أصدرها وهو بعد حاكم اقليمي في عهد بونابرت ، حيث الأسباب التى تستلزم اتباع هذا الأسلوب مازالت قائمة • فالحملة في أول عهدها ، والمماليك يواصلون مؤامراتهم وجهودهم لمناواتها :

ـ ففي منشور خطي اصدره الى أهالي « ولاية رشيد وســكندرية والبحيرة » (شــكل ٥١) (١) أكد أن الفرنسيين » .. بيعملوا غاية اجتهادهم لأجل ان يروكم أن مجيهم بسبب خلاصكم من الحكم القاسي الذى كان ساير عليكم ... » .

وخاطبهم قائلا في استنكار : « يا أهــل مصر كيف ان لكم غــرض وترضــوا برجوع حكم المماليك ويعــود عليكم وان لم عندهم شــفقة ولا دين .. » ثم قال : « ان الله سبحانه وتعالى لم خلق خلقه لأجل انهم يطيعوا الطايفة الخاسرة الذى (كذا) كانوا جاعلين انهم اسيادكم وانتم عبيدهم .. » •

ـ وفي منشور خطي آخر (شكل ٥٢) (٢) ، اصــدره الى « كامل أهل البلاد والعزب من ولاية رشيد » ، أكد أن « مراد بيك وابراهيم بيك والانجليز لم قصدهم الا هلاككم وهم سبب لقتل ثمانية آلاف نفس في المدينة » •

---

(١) المنشور غير مؤرخ ، ولكنه يبدأ بعبارة «من مدة الاربع شهور المتوطنين فيهــا الفرنساوية ببر مصر» ، ومعنى هذا انه صدر في أوائل نوفمبر ١٧٩٨ . وهو من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) هذا المنشور أيضا غير مؤرخ ، ولكن ماتضمنه من ذكر مقتل آلاف من الاهالي في معركة مع القوات الفرنسية يرجح أنه صدر في أوائل مايو ١٧٩٩ ، بعــد ثورة «المهدى» التى كان مركزها دمنهور ، والتى انتهت بمذبحة كبيرة في تلك المدينة . ولكن منو يبالغ في عدد القتلى من الاهالي .

ــ وفى المنشور الذى ذكرنا آنفا، ان منو أصدره الى ديوان رشيد، قبل توجهه لتولى منصبه الجديد بفلسطين ، قال : « وهو (الله) تعالى الذى أرسلنا الى بلادكم لأجل انقاذكم وخلاصكم من أيادى حكامكم الظالمين الذين تبددوا ٠٠ » ٠

ثم حذر الأهالى من تصديق دعايات المماليك الذين « ٠٠ لم قصدهم سوا (كذا) فساد الرعايا والضحك والاستهزا فيما بعد» ٠ ٠

ومع انه لم يصدر فى عهد منو منشور واحد الى الشعب على لسان قادته من أعضاء الديوان ، كما كان الحال أيام بونابرت ، فقد اتبع منو سنة سلفه الأول فى الاتصال بهؤلاء القادة لاطلاعهم على بعض الأمور ، فى المناسبات التى تقتضى ذلك ، تأكيدا لصفتهم النيابية من الشعب ، وانهم الواسطة بينه وبين حكامه ٠ وفعل ذلك بوجه خاص عند ما اضطرته ظروف الحملة العسكرية الى مغادرة القاهرة ٠

واتخذ هذا « الاتصال » ــ كما رأينا ــ أحيانا شكل منشورات تأكد طبعها واذاعتها كالمعتاد ، وأحيانا أخرى شكل رسائل لم يتضح ما اذا كانت طبعت أو اكتفى بتلاوتها فى الديوان ٠

وعلى أية حال ، فقد كانت تتم اذاعة مضمون بعض الرسائل عن طريق « المناداة فى الأسواق » أو الاتصال فى شأنها بالمسئولين من «مشايخ الحارات والاخطاط » ، أو « مشايخ البلاد » ، ومن اليهم ، كما ذكر الجبرتى فى أكثر من موضع ٠

ومن المنشورات التى طبعت بالفعل المنشور الذى أصدره منو فى ١٩ بلوفيوز سنة ٩ (٨ فبراير ١٨٠١) ، والذى أشرنا من قبل الى بعض ماتضمنه (شكل ٥٣) (١) ٠ وقد وجه منو الخطاب فى هذا المنشور الى «كافة المشايخ والعلما الكرام فى محفل الديوان المنيف بمصر المحروسة» ٠ ويتضمن المنشور أمرين رأى القائد الفرنسى ضرورة ابلاغهما لممثلى الشعب ، وهما : انتصار الفرنسيين بقيادة بونابرت على النمسا ، وورود بعض السفن الفرنسية الى ثغر الاسكندرية محملة بالجنود والمعدات ٠

وأراد منو بابلاغ هذه الأنباء الى القادة المصريين ان يؤكد قوة فرنسا واستكمالها لأسباب سيادتها على مصر ، وان كان قد غلف هذا المعنى ــ

---

(١) راجع ص ١٠٧ ، ١٥٤ : وهذه الصورة المنشورة مهداة من المتحف الحربى بباريس ٠

على غير عادته – بعبارات معسولة. فقد قال في الفقره الأخيرة من المنشور: « ويا مشايخ ويا علماء الكرام فأعلمناكم بتلك الأخبار الخير لأجل بتهجوا بها معنا ولأجل ما تنيقنوا ان بونابرته هو دايما ناظر الى بر مصر محبة وصيانة لأهلها كما هو بين لكم مرارا كثيرة حين اقامته بينكم .. » .

ومن الرسائل التي لم يوضح مؤرخها الوحيد ، الجبرتي عضو الديوان ، ما اذا كانت طبعت في منشورات ، ولم نعثر نحن كذلك على ما يؤكد طبعها ، رسالة موجزة بعث بها منو من معسكره بالاسكندرية ، حيث كان يواجه زحف الحملة العثمانية الانجليزية المشتركة لاجلاء الفرنسيين عن مصر (١) . وفي هذه الرسالة اكد انه يرجو النصر على اعدائه من أجل خير مصر وأهلها : «وان ابتغيت النصرة فما هو الا لسهولة خيراتي الى بر مصر وسكان ولايتها وخير امور أهلها» .

– ومنها كذلك رسالة أخرى بعث بها القائد العام من المعسكر نفسه ، بعد أيام من رسالته السابقة (٢) . وفي هذه الرسالة أبلغ اعضاء الديوان فيعبارات ركيكة آخر أنباء القتالبين الفرنسيين وأعدائهم من العثمانين والانجليز ، وأوهمهم بقرب جلاء قوات الأعداء عن البلاد ، ثم قال لهم : « فاعلنوا واخبروا كل ذلك الى أهالي مصر .. » .

– ومن هذاالقبيل ايضا الرسالة التيأبلغها الجنرال بليار«قائمقام ساري عسكر » لأعضاء الديوان في تلك الأيام المضطربة (٣) . وفيها ان «الخصم قد قرب منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية **وأن تنصحوا أهل البلد والرعية** بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم .. » .

(ذكر الجبرتي (**المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ١٥٣) ، ان هذه الرسالة قرئت بالديوان يوم ١٩ ذي القعدة ١٢١٥ (يوافق ٢ ابريل ١٨٠١) . وكانت الحملة المشتركه قد بدأت انزال قواتها الى شواطيء أبو قير يوم ٨مارس ، وأخذت تنزل الهزيمة تلو الهزيمة بالقوات الفرنسية . وكان هناك في الوقت نفسه جيش عثماني آخر يزحف برا من جنوب سوريا صوب مصر ، بينما كانت القوات الفرنسية موزعة بين القاهرة (بقيادة بليار) ، والاسكندرية ورشيد وبلبيس والصالحية والجيزة وغيرها .

(٢) **المرجع السابق** ، ص ١٥٥ . والرسالة مؤرخة – كما ذكر الجبرتي – يوم ٣ ذي الحجة ١٢١٥ (يوافق ١٦ ابريل ١٨٠١) .

(٣) أشار اليها الجبرتي في حوادث يوم ٢٦ محرم ١٢١٦ (يوافق ٨ يونيو ١٨٠١) : **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ١٧٩ .

ــ وهناك رسالة أخرى أبلغها بليار كذلك الى الديوان فى جلسة غير عاديه (١) . حضرها مع الأعضاء «التجار ومشايخ الحارات والأغا المحافظ» . وقد قال فيها ان منو «طيب بخير» . وان الأقوات (فى معسكر الفرنسيين) كثيرة .. يأتى بها العربان اليهم .. » .

وتتضمن الرسالة كذلك أخبارا عن « وصول عمارة مراكب الفرنساوية الى بحر (الخزز (٢) وانها عن قريب تصل الاسكندرية .» .

ــ اما آخر هذه الرسائل فقد تليت ترجمتها العربية على أعضاء الديوان فى آخر جلسة عقدها قبل جلاء الفرنسيين عن مصر (٣) . وفى هذه الرسالة جامل منو أعضاء الديوان مجاملة ظاهرة ، وشكرهم على جهودهم ودعا لهم ووعدهم بنصر الفرنسيين على أعدائهم فى مصر كما انتصروا فى أوروبا . ولم ينس فى هذه الرسالة كذلك أن يوصيهم خيرا بزوجته وابنه ، وكانا قد حضرا الى القاهرة من رشيد قبل ذلك بنحو شهر .

والغريب أن منو عند ما كتب هذه الرسالة لم يكن يعلم بعد أن نائبه بليار قد وقع بالفعل ــ قبل ايام ــ اتفاقية الجلاء عن مصر (٤) . ومع ان الرسالة أصبحت بذلك غير ذات موضوع ، بعد أن أذيعت أخبار الاتفاقية ، فقد أمر جيرار (Girard) وكيل (قوميسير) الديوان بترجمتها وتلاوتها على الأعضاء فى تلك الجلسة التى دعى لحضورها مع الأعضاء كبار التجار والوجاقية وكبار المسئولين الفرنسيين .

ويبدو أن السبب فى الاكتفاء بتلاوة بعض رسائل منو الى أعضاء

---

(١) فى ٣ صفر ١٢١٦ (يوافق ١٥ يونيو ١٨٠١) : الجبرتى ، **المرجع السابق** ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ .

(٢) هكذا فى الاصل . ولاشك أنه يقصد البحر المتوسط ، لان بحر الخزر (وقد أخطأ كذلك فى هجائه) ، ويسمى أيضا بحر قزوين ، هو بحر مغلق يقع ــ حاليا ــ بين ايران وجنوب الاتحاد السوفيتى .

(٣) ذكر الجبرتى (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٨٤) أن هذه الرسالة مؤرخة يوم ١١ مسيدور سنة ٩ الموافق ١٨ صفر ١٢١٦ (٣٠ يونيو ١٨٠١) . وقد عقدت الجلسة فى ٢٤ صفر (٦ يوليو) .

(٤) وقع بليار هذه الاتفاقية فى ٢٧ يونيو ١٨٠١ ، وأذيعت شروطها على الناس بالعربية والفرنسية ، كما سنرى .

الديوان عليهم . واذاعة مضمونها على الناس بالطرق التقليدية دون طبعها فى منشورات ، هو حالة الاضطراب الى كانت تسود البلاد ، والشعور بالقلق وعدم الاستقرار الذى كانت تحسه أجهزة الحكم الفرنسى فى تلك الأيام الحافلة ، التى نحرج فيها مركز الحملة ، وآذنت الاحداث بانحسار ظلها عن البلاد .

* * *

ويتضح من هذا العرض لدور المنشورات العربية فى الدعاية للسياسة الوطنية فى عهد قواد الحملة الثلاثة ان منشورات عهد بونابرت كانت أصدق تعبيرا عن هذه السياسة ، من منشورات خليفتيه . ولاغرو فبونابرت هو المخطط الأول لهذه السياسة ، التى أراد أن يتخذ منها سبيلا يمهد لبناء المستعمرة الفرنسية الجديدة فى مصر ، ولتحقيق أحلامه فى غزو الشرق . وكان ايمانه بها عميقا ، كما يتضح من استقراء مراسلاته ومذكراته .

ولم يكن كليبر على دين سلفه فى هذا الصدد . وانما كان ــ كما رأينا ــ ضعيف الايمان بتلك السياسة ، راغبا أشد الرغبة فى تصفية موقف الحملة والعودة بفلولها الى فرنسا .

أما منو فقد كان من دعاة اتخاذ مصر مستعمرة فرنسية . ويدل ماأصدره من تشريعات ، وماقام به من تنظيمات ادارية لمختلف نواحى الحياة فى مصر ، على انه كان يعمل جهده لتثبيت أركان الحكم الفرنسى بها . ولكنه من ناحية أخرى كان ذا نزعة ديكتاتورية عنيفة ، فاتسمت تصرفاته قبل المصريين بكثير من القسوة والظلم . ولم يكن فى هذا خيرا من سلفه كليبر .

وتاريخ الجبرتى ملىء بالشواهد على ما عاناه المصريون فى عهد منو من عنت وارهاق ، نتيجة لما فرضه عليهم من اتاوات وضرائب فادحة ، ولما أصاب مصادر رزقهم من نهب وتخريب .

صحيح أن منو وجد من الضرورة ــ كما رأينا ــ اعادة تكوين ديوان القاهرة بعد تعطله مدة طويلة ، وصحيح انه وسع اختصاصات هذا الديوان نوعا ما . ولكن علاقته بممثلى الشعب كانت تفتقر الى ذلك المخطط الواضح ، الذى كان يحدد معالمها وهدفها أيام بونابرت .

لقد حرص قائد الحملة الأول على أن يشعر المصريون وقادتهم ، من خلال منشوراته العربية ، بذلك الاتجاه « الوطنى » فى سياسته ، حتى يمكنه أن يكتسب تأييدهم لحكمه · وقد رأينا كيف تنوعت أساليب اصدار المنشورات لتأكيد هذه السياسة ·

ولكن يبدو ان منو ، رغم ولائه الكبير لبونابرت واعجابه البالغ بشخصيته ، لم يكن مقتنعا تماما بسياسته الوطنية أو متفهما لها ، من ناحية ، ولم يكن كذلك قد تمثل خطته الاعلامية الذكية ازاءها كما ينبغى ، من ناحية أخرى ·

الفصل الثالث

سياسة الترغيب والترهيب

كانت هذه السياسة هي ثالثة الركائز التى قامت عليها الخطة الدعائية التى وضع بونابرت أساسها ، وحاول تحقيقها بمنشوراته العربية ، بعد السياسة الاسلامية والسياسية الوطنية .

واستهدف بونابرت من هذه السياسة أن تكون سندا يدعم السياستين الأخريين ، ويساعد على اجتذاب قلوب المصريين ، واقناعهم بالولاء للحكم الفرنسى .

وقد تعددت الأساليب الاعلامية لسياسة الترغيب والترهيب . ولكنها كانت تدور حول الاشادة بمزايا الحكم الفرنسى وازجاء الوعود لمن يؤيدونه من ناحية ، والتلويح بتهديد من يفكر فى الانتفاض عليه بأشد النكال من ناحية أخرى .

واتضحت معالم هذه السياسة ، شأنها فى ذلك شأن السياستين الأخريين ، منذ منشور بونابرت الأول . فهو يمنى فيه المصريين الذين سوف يساعدون قوات الحملة ، بل أولئك الذين سوف يكتفون بموقف الحياد بين الفريقين المتحاربين ، بأحسن الجزاء . ثم يهدد من ينضم الى جانب المماليك بأوخم العقاب : « طوبى ثم الطوبى لأهالى مصر الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح حالهم ويعلى مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مايلين لأحد من الفريقين المتحاربين فاذا يعرفونا بالأكثر

يسارعون الينا بكل قلب . لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع المماليك ويساعدوهم فى الحرب علينا فما يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر » .

ويذهب « المادة الثانية » من هذا المنشور الى أقصى مدى فى انذار من يفكر فى مقاومة الغزو الفرنسى ، فتقول : « كل قرية التى تقوم على المعسكر الفرانساوى تنحرق بالنار» . ولاشك فى أن هذا الانذار الرهيب هو كما يقول الرافعى (١) « أمر لا يتفق والقواعد الانسانية فى معاملة الشعوب » . ولم يكن ذلك على اية حال مجرد تهديد أو لغو من القول . ولكن تاريخ الحملة فى مصر يحفل بالشواهد على أن الفرنسيين قد نفذوا بالفعل هذا الانتقام في بعض القرى والأحياء التى كانت تقاوم زحفهم أو تتمرد عليهم (٢) .

❋ وفى بداية الجزء الأول من المنشور الذى أعلن به اعادة تكوين الديوان على اسس جديدة (عمومى وخصوصى) (٣) ، قال بونابرت ، « ان بعض الناس ضالين العقول خالين من المعرفة وادراك العواقب .. أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة .. » .

وفى هذا الجزء أيضا خاطب ممثلى الشعب . مهددا كل من تسول له نفسه التمرد على حكمه فقال : « .. ان الذى يعادينى ويخاصمنى انما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد ملجأ ومخلصا ينجيه منى فى هذا العالم » . ثم ختمه بقوله : « .. فطوبى للذين يسارعوا فى اتحادهم وهمتهم معى فى صفا النية وخلاص السريرة .. » .

❋ وفى منشور الجنرال دوجا نائب القائد العام ، الذى وجهه الى أعضاء ديوان القاهرة ، متضمنا أخبار استيلاء قوات الحملة السورية على

---

(١) مرجع سبق ذكره جـ ١ ، ص ٨٩ ــ ٩٠ .

(٢) مثل قرى الجمالية وميت سلسيل والشعراء والزرقا وعلقام بالوجه البحرى، فى أوائل أيام الحملة (سبتمبر ــ أكتوبر ١٧٩٨) ، وقرى سرسنا وأبو مناع وابنود بالوجه القبلى ، فى محاولة اخضاع الصعيد التى طالت حتى أواسط عام ١٧٩٩ . (أنظر تفصيلات مقاومة القرى المصرية للحملة والمعارك التى دارت بها فى المرجع نفسه ، ص ٣٢٤ ــ ٤٢٣) .

(٣) سبق الحديث عنه فى ص ٩٨ ، ١١٤ ــ ١٨ .

العريش ورسالة بونابرت بهذا الشأن (١) ، اشادة بعفو بونابرت عن أسرى المعركة واطلاق سراحهم وتأمينهم ٠

وتتضمن رسالة كل من دوجا وبونابرت فى هـذا المنشور كذلك تأكيدا للمصريين بأنهم يستطيعون أن يستأنفوا ارسال قوافلهم التجارية الى سوريا ، وتأمينا لهم على بضائعهم وأملاكهم ، فبونابرت « حريص دائما على رعاية مصالح الأهالى من سكان القاهرة وسائر المدن المصرية » ٠

* وفى صدر المنشور الذى تضمن رسالة الشريف غالب شريف مكة الى الجنرال بوسيلج «مدير الحدود العامة بمصر» (٢) تهديد غير مباشر لمن يتمرد على الحكم الفرنسى ٠ فهو يندد بمتطوعى الحجاز الذين انضموا الى المصريين فى مقاومتهم للزحف الفرنسى على الصعيد ، ويصفهم بأنهم « قطاع طريق » ، ويشير الى هلاكهم على أيدى القوات الفرنسية : «ان حضور الجماعة قطاع الطريق على القصير من غير اطلاعه (أى شريف مكة) وبغير اذنه فجزاهم ما حل بهم حيث تخطفهم الطير وقد هلكوا فى الصـعيد بعســكر الفرنسـاوية أهـل الشـجاعة والمحـاربة القـوية الأسدية ٠٠ » ٠

* وتعلو نغمة التهديد فى المنشور الذى تضمن رسالة بونابرت الى « ديوان مصر المحروسـة » من معسـكر الرحمانية قبيل موقعـة أبو قير البرية (٣) . فقد ختم رسالته تلك بقوله : « نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصـار لأجل أن يمتنع أهـل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبلاد لأن البلد الذى يحصل فيها الشر يحصل لها مزيد الضرر والقصاص انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهـلاك خوفا عليهم أن نفعل فيهـم مثل ما فعلنا فى أهـل دمنهور (٤) وغيرها من بلاد الشرور بسبب سـلوكهم المسـالك القبيحة قاصصناهم ٠٠ » ٠

***

ولم يكتف بونابرت بأن يستخدم هو فى خطابه للمصريين لغة الوعد والوعيد ، وانما انطلق بها كذلك أحيانا لسان زعمائهم من أعضاء الديوان

---

(١) انظر ص ١٢٩ ٠

(٢) انظر ص ١٠٠ ٠

(٣) انظر ص ٩٦ — ٧ ، ١٤١ — ٢ ٠

(٤) يقصد المذبحة الفظيعة التى تعرضت لها المدينة ، وانتهت بها ثورة المهدى بالبحيرة ٠ وقد أشرنا اليها من قبل ٠

فى المنشورات التى استكتبهم اياها ، واتضح ذلك بوجه خاص فى منشورات هؤلاء القادة الى الشعب فى الأوقات التى تأزمت خلالها أحوال الحملة ، كما حدث عقب ثورة القاهرة الأولى ، وفى أيام الحملة السورية ٠

* ففى المنشور الذى أصدره العلماء اعضاء الديوان بعد ثورة القاهرة الأولى ، ووجهت منه صور الى مختلف الأقاليم المصرية (١) ، قيل للمصريين : «لاتحركوا الفتن لتكونوا فى أوطانكم مطمئنين ولاتطيعوا امر المفسدين ولاتسمعوا كلام المنافقين ولاتكونوا مع الخاسرين سفهاء العقول الذين لايقرءون العواقب .. والذين حركوا الفتنة قتلوا عن آخرهم واراح الله منهم العباد والبلاد وقد نصحناكم لتسلموا من الوقوع فى البلية ..»

* وترددت هذه التهديدات مرة أخرى فى منشور العلماء الذى صدر بعد ذلك بأيام، لتحذير الشعب من الاصغاء الى دعاية المماليك(٢): « فننصحكم أيها الأقاليم المصرية انكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشىء من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٠٠ » ٠

واتبع العلماء هذا التهديد بمحاولة لاظهار بونابرت للشعب فى صورة الحاكم العادل الرحيم «٠٠ حضرة صارى عسكر الكبير ٠٠ بونابرته اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا فى دين الاسلام ٠٠ ويرفع عن الرعية ساير المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم ٠٠ » ٠

* ولما استقرت الامور فى القاهرة بعد ثورتها ، وأخذ بونابرت يستعد لحملته على بلاد الشام ، استكتب أعضاء الديوان الخصوصى المنشور الذى وجه «الى جميع أهل مصر من خاص وعام (٣)» . وتتردد فى الجزء الاكبر من المنشور نغمة ترغيب تشيد بحسن معاملة بونابرت للمصريين ، وتنوه باصلاحاته ومشروعاته :

ــ فقد « صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب

---

(١) سبق الحديث عنه فى ص ١٢٠ ــ ٢٣ ٠

(٢) انظر ص ٩٤ ــ ٥ ، ١٢٣ ــ ٢٤ ٠

(٣) أنظر ص ٩٩ ــ ١٠٠ ٠

ما حصل من اراذل اهل البلد والجعيـدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية » .

ـ وعمل على انشاء الديوان العمـومي والديوان الخصوصي ، الذى بجتمع «كل يوم لأجل قضـا حوايج الرعايا وخلاص المظلوم من ظالم القوم » .

ـ ومما يدل على عدله المطلق انه اعدم اثنين من جنوده لاعتدائهم على منزل الشيخ محمد الجوهرى (١) ، وانه اعتقـل بالقلعـة أحد محصلى الضرائب «لانه بلغه انه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة..» .

* وفى المنشور الذى أصدره ممثلو الديوان الى الشعب فى مناسبه سفر بونابرت للحاق بحملته السورية (٢)، تحدثوا عن رحمته بالمصريين وشفقته عليهم و «نية الخير» لديه تجاههم ، وانهم بفضله سوف «يحصل لهم النجاح والصلاح ويكمل فى ساير أقطارها السرور والاصلاح وتفرح أقاليمها .. » .

ثم أخذ ممثلو الديوان يعـدون مواطنيهم ويمنونهم بالمستقبل الرغد السعيد على يد بونابرت . فالبلاد فى عهده سوف «تكمل زروعها الفاخرة وأنواع تجارتها الباهرة ويحدث فيها بحسن رأيه وتدبيره التحف من أنواع الحرف .. ويجدد فيها ما اندثر من صنائع الحكماء والاولين ويرتاح فى دولته كل الفقراء والمساكين ..».

وما لبث هذا الكلام المعسول أن اقترن بمر الوعيد : «فالتزموا .. بحسن المعاملة والادب واجتنبوا فى غيبته أنواع الكذب والقبائح .. وان حصل منكم فى غيابه أدنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار ولاينفعكم الندم ولا يقر لكم قرار ..» .

* وفى المنشور الذى صـدر على لسان ممثـلى الديوان بعد استيلاء القوات الفرنسـية على يافا (٣) فقرة تتصل اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت فى ترغيب المصريين ومحاولة اجتذابهم اليه، بالتنويه بحسن صنيعه معهم.

---

(١) من شيوخ الازهر الاجلاء . ترجم له الجبرتى فى وفيات سنة ١٢١٥ هـ ترجمة ضافية ، واشـاد بخلقه وعلمه واسـتاذيته ومكانته الرفيعة (**عجائب الآثار** ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ ـ ٦) .

(٢) سبق تناوله من وجهة نظر السياسة الوطنية . انظر ص ١٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) انظر ص ١٣١ .

ويقول هذه الفقرة : «٠٠٠ فى يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا فى يافا وأعطاهم الامان وأمرهم برجوعهم الى بلادهم مكرمين ٠٠» ٠

وفى ذلك اشارة الى المصريين الذين خرجوا من ديارهم وانضموا الى الجبهة المعادية للفرنسيين ، وكان منهم عدد كبير مع حامية يافا عند محاصرتها ، وعلى رأسهم الزعيم المصرى السيد عمر مكرم نقيب الاشراف الذى عين الفرنسيون بدله السيد خليل البكرى ٠

وبهذا التصرف يبدو بونابرت فى صورة القائد الشفوق العطوف الذى يؤثرهم بكرمه وعفوه ، فيحرص على ألا يمسهم أذى ، بالرغم مما صاحب تلك المعركة الرهيبة من أهوال وفظائع ٠

* وفى ختام المنشور الذى أصدره العلماء قبيل عودة الحملة السورية ، فى محاولة للرد على ما شاع بين الاهالى من أخبار المقاومة المصرية للفرنسيين فى الصعيد(١) ، وجهوا النصح التقليدى الى مواطنيهم بالانصراف الى أعمالهم والتسليم بأحكام الله ٠٠ ثم حذروهم ألا يصغوا الى احاديث الفتنة وأن يجنبوا أنفسهم عواقبها الوخيمة : «فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف وامسكوا ادبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار والاولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب وأن يسلم لاحكام الله وقضاه فان العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب ٠٠» ٠

***

بقدر ما كان كليبر خافت الصوت فى الاعلام الدعائى الذى يرتكز على السياسة الاسلامية، وبقدر تهافت دعايته القائمة على السياسة الوطنية لضعف ايمانه بهذه السياسة ، فقد كان كذلك مقلا الى حد كبير فى استخدام المنشورات لمحاولة استرضاء المصريين بالوعد ، أو تخويفهم بالوعيد ٠

ومن النماذج النادرة التى نلمح فيها ظلا ، ولو باهتا ، لهذا الاتجاه عند كليبر ، المنشور الذى سبق أن أشرنا الى انه أصدره وهو بعد قائد

---

(١) أنظر ص ١٣٢ ــ ٣٣ ٠

لمنطقة الاسكندرية (١)، يدعو فيه أعضاء ديوان المدينة الى اختيار ممثليها في الجمعية العمومية التى أمر بونابرت بتكوينها فى القاهرة .

ففى هذا المنشور الذى لاحظنا من قبل تضمنه لكثير من عبارات المجاملة والتودد الى ممثلى شعب المدينة اكتفى كليبر فى محاولة استرضاء المصريين بعبارات عامة رددها فى بداية المنشور ونهايته . لقد قال بعد عبارات المجاملة لأعضاء الديوان : «ان حضرة السر عسكر الكبير بونابرته دايما مشغول فى تحصيل أسباب الراحة والهنا لأهالى مصر كلها .. » ثم ختم المنشور بقوله : « مثل ما هو (أى بونابرت) يحب الهنا والراحة لاهالى بر مصر كلها وانا كذلك نحب الهنا والراحة لكم .. » .

* وفى المنشور الذى أصدره الى شعب مصر فى أوائل عهد قيادته للحملة (٢) ادعى أن مصر تتمتع بالرخاء والأمن « بسبب العدل والتدبير الواقعين من سلفنا محبكم حضرة صارى العسكر بونابرته فى أيام حكمه وبسبب ذلك دام مجده وعزه وحصلت الراحة التامة للرعية فى مدته. »

وعكست آخر فقرة فى هذا المنشور وجهى سياسة الترغيب والترهيب معا فى ايجاز ووضوح « واعلموا أن أيام حكمنا نكرم الناس الطيبين ونحبهم بغاية المحبة والاكرام ويحصل لهم منا الخير والمعروف وان الناس المفسدين يحصل لهم الدمار والأدب الشديد» .

* وفى ختام المنشور الذى أصدره كليبر من معسكر الصالحية بعد توقيع اتفاقية العريش (٣) ، قال بعد أن نوه بجهود اعضاء الدواوين فى تحسين العلاقات بين المصريين وحكامهم الفرنسيين : «وبعشمى أن هذا التوافق لم ينقطع الى تمام الشروط (٤) واذا وقع بعض خلل من سفهاء العقول يلزمنى بالقهر عنى قصاصهم بالسلاح والسلام » .

***

أما منو فقدكان أكثر قادة الحملة الثلاثة اهتماما بسياسة الترغيب والترهيب ، بحيث أصبحت تمثل الركن الأساسى من أركان اعلامه

---

(١) انظر ص ٩٨ ، هامش ٣ ، ١٤٥ — ٦ .

(٢) راجع ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٣) راجع ص ١٤٩ — ٥٠ .

(٤) يقصد الى تمام تنفيذ الاتفاق (الذى عقد بالعريش) ، كما جاء فى الاصل الفرنسى :

« jusqu'à l'entière exécution du traité ».

الدعائى . وقد نمادى منو فى الأخـــذ بهذا الاتجاه حتى أن كثيرا من منشوراته المخصصة أصلا للاعلام البحت لا تخلو من عبارات وعد أو وعيد . بل انه اسرف فى الأخذ بأسلوب الارهاب فى مخاطبة المصريين ، كمــا سنرى - اسرافا شديدا .

ونلمح مظاهر هذا الاهتمام من قبل أن يتولى منو قيادة الحملة ، فى المنشورات التى أصدرها وهو حاكم اقليمى . ففى المنشور الذى أصدره الى شعب ولايته فى أوائل نوفمبر ١٧٩٨ (١) نقرأ عدة عبارات ترددبقوة، على ركاكتها واخطائها ، صوت هذه السياسة وتمتزج فيها الملاينة بالتهديد امتزاجا شديدا .

يقول منو فى هذا المنشور ، محذرا المصريين من الانسياق وراء دعاية حكامهم السابقين ، بعد أن أكد أن الفرنسيين لم يجيئوا الى مصر الا لتخليصها من حكم المماليك : «وطول الأربعة أشهر المذكورين واحنا نلاطفكم ونشفق عليكم وأنتم ظانين فينــا على قدر عفولكم وكراهتكم فينا وبتسمعوا الأخبار الكاذبة الذى بتورد عليكم وتميل عقولكم لتصديق الكلام الكذب من أتبـــاع الظلمة السابقين .. فلأى شى تتبعوا كلامهم اما علمتوا (كذا) ان بونابرته ان قال كلمة تـكون سبب هلاككم عن آخركم لكن لم مرادنا نحكم فيكم بطريق التخويف الا بالرضا والتسليم فاعلموا أننا أصحابكم ولم ترموا أنفسكم فى الهلاك مثلما فعلوا أهل مصر (القاهرة) المخدوعين وبعض أهــل الأرياف ولم لزمنــا أننا عاقبناهم العقاب الشديد الا قهرا عنا فمن هو الذى عادانا وحاربنا وسلم من الموت فبقا (كذا) بسبب غرضكم للمماليك يحصلكم (يحصل لكم) كامل الهلاك .. » .

وكرر هذا المعنى فى فقرة أخرى قائلا : « .. فاعلموا أن الفرنساوية كانوا تاركينكم طول هذه المدة لعدم ميلكم لهم وأنهم يحصل منهم عقاب شديد فى حق أصحاب العقول الضالة الذى (كذا) قصدهم القيــــام علينــا » .

وختم المنشور بأن كل من يخالف الأوامر « .. علمنــــا أنه مايل لطايفة الغز (المماليك) فلا يكون جزاه الا أخذ روحه .. » .

وكان المنشور الذى أصدره فى أوائل مايو ١٧٩٩ ، محذرا أهل اقليمه مرة أخرى من الانخداع بدعاية المماليك والانجليز (٢) ، زاخرا

---

(١) و (٢) أنظر ص ١٥٧ .

بعبارات التهديد والارهاب الصارخة . فبعــد أن أكد ان أولئك الأعداء كانوا سببا فى قتل « ثمانية آلاف نفس فى المدينــة وهم الذين مثلكم صدقوا قول الانجليز » ، استدرك معللا مقتل هذا العدد الكبير من الأهالى الثائرين ، على يد القوات الفرنسية ، بقوله ان «صارى عســكر الكبير بونابرته الذى هو دايما محب للناس الطيبين كان مقصوده عدم موت من قتل من أهل المدينة وتعب فى منعهم وردهم بكل معروف وكل لطف لكن هولاء الطايفة التعبسة من تسليط الغز فيهم لم سمعوا النصيحة فانفنو عن آخرهم من هجمة الفرنساوية عليهم كالرعد القاصف .. » .

واستطرد بعد ذلك الى الحديث عن موقفه هو فقال : « ان كما فعل صارى عسكر الكبير أفعل معكم كل معروف وكل نصيحة لأردكم بحسن لطافة لكن الى (الذى) يسلك فى الأفعال القبيحة أكون له ضد وافعل معه كما فعل المذكور فاسمعوا منى لأنى أنا محب لكم وكلمن (كل من) خاصم الفرنساوية يقتل والذى يقول لـــكم خلاف ذلك هو عـــدوكم ومراده هلاككم .. » .

وفى المنشور الذى أصدره لتوديع اعضاء ديوان «بندر رشيد» قبل سفره لتولى مهام منصبه الجديد بالشام (١) غلبت نغمــة الملاينة وخفض الجانب وانعاش الآمال فى مستقبل حافل بالرخاء والنعمة . فهو يخاطب أعضاء الديوان بقوله : «ونحن دايما شاكرين منكم لأننا من حين دخولنا الى هذا الطرف ولوقت تاريخـــه لم وقع منكم الا كل محبة ومعروف فى حق الجمهور الفرنســاوى .. » .

ثم يقول : «كل ابتدا صعب ولكن تجىء الآخــرة طيبة وعن قريب .. بعد وقوع الصلح وانفتاح البواغيز (أى الموانىء) تنظروا ما يكون فى الاقليم المصرى من معاطات (كذا) الأسباب والمتاجر والبيع والشرى (كذا) الذى لم صار مثله ولا فى الزمان السابق .. » .

ويردد بعد ذلك نغمة تحذير وتهديد ، ولكنهــا تظل ، الى جانب النغمة الأخرى ، هادئة الجرس : « فانتم دايما كونوا متحدين معنا ولم تصدقوا كلام المنافقين وأعداء الجمهور الفرنساوى .. وكلمن (كل من) يصدقهم ويسمع كلامهم يحصل على غاية الندم من حيث لا ينفعه ذلك .. »

لقد تولى منو قيادة الحملة عقب مصرع كليبر ، بوصفه أقدم قواد

---

(١) انظر ص ١٥٥ ــ ٥٦ .

الفرق فى الحملة ، بالاضافة الى أنه كان قائدا (قومندانا) لمنطقة القاهرة (١) .

وكان مقتل كليبر من الحوادث التاريخية البارزة ، نظرا لمركز المجنى عليه وظروف الحادث وما ترتب عليه من نتائج . وكان طبيعيا أن تسود الأهالى حالة من الذعر والفزع بعد هذا الحادث ، وأن يتلقاه الفرنسيون بالغضب والسخط ، وأن تتوتر تبعا لذلك العلاقات بين الجانبين توترا شديدا .

وقد لعبت المنشورات العربية فى تلك الظروف غير العادية دورا تاريخيا ، عزز به منو الاجراءات التى اتخذها لكى تسترد الحملة هيبتها ، وتجتاز تلك المحنة دون صدام خطير مع الأهالى .

لقد أجمع المؤرخون ، وبخاصة المصريين منهم ، على الاعجاب بعدالة الاجراءات التى اتخذت فى التحقيق مع المتهمين باغتيال كليبر ومحاكمتهم . فيقول الجبرتى (٢) ان الفرنسيين « الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين » لم ينساقوا وراء انفعالهم فيقتلوا القاتل ومن أرشد اليهم من شركائه ، « بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل .. بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام .. ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكم » . ويقول الجبرتى بعد ذلك فى جرأة ان عدل الفرنسيين فى هذا الموقف « بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر (يقصد العثمانيين) الذين يدعون الاسلام ويزعمون أنهم مجاهدون وقتلهم الأنفس .. بمجرد شهواتهم الحيوانية .. » .

ويقول الرافعى (٣) : « ولا جدال فى أن محاكمة المتهمين فى هذه القضية كانت عنوانا للعدالة العسكرية .. ومن الانصاف أن نقول ان القضاة الفرنسيين .. كان فى استطاعتهم أن يأخذوا كثيرا من الأبرياء بجناية القاتل ، لكنهم لم يفعلوا فكانوا نموذجا للعدل ومدعاة للاعجاب .. » .

واهتم لويس عوض (٤) بأن يبرز فى حماس « الوقفة الطويلة التى وقفها الجبرتى أمام محاكمة سليمان الحلبى قاتل كليبر واظهر فيها

---

(١) عينه كليبر فى هذا المنصب فى شهر مايو ١٧٩٩ ، وذلك عقب اخماد ثورة القاهرة الثانية . وقد قتل كليبر يوم ١٤ يونيو ١٨٠٠ .

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١١٧ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٤) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .

دهشته واعجابه من الطريقة التى يجرى بها الفرنسيون محاكماتهم » .
وكذلك نوه بالتفـات الجبرتى الى « احاطة المحاكمة بكافة ضـمانات العـدالة ، واكتشافه أن الاجراءات الجنائية لها قوانين تنظمها .. »

ولا شك أن اعجاب الجبرتى ، الذى عبر عنه فى حرارة ، كان صورة لاعجاب غيره من المصريين الذين عاصروا تلك الوقائع • وواضح أن الاعجاب بعدالة الفرنسيين فى هذه القضية يرجع الى ما علمه الناس من اجراءات التحقيق والمحاكمة. ولم يكن ذلك ليتحقق لولا حرص السلطات الفرنسية على اذاعة تفصيلات تلك الاجراءات ، فى منشـورات طبعت بالعربيـة والفرنسية والتركية •

لقـد أثبت الجبرتى نصوص المنشورات التى تضمنت التقرير الطبى ومحاضر التحقيق وما اليها ، ثم نص المنشور الذى يتضمن وصفا كاملا لجلسة المحاكمة الأخيرة ، واستغرق ذلك من كتابه سبع عشرة صفحة (١) • وعثر المؤلف على نسخة من منشور الجلسة الأخيرة التى صدر فيها الحكم دون المنشـورات الأخرى (شكل ٥٤) (٢) ، وهو بعنوان : فتـوة (الفتوى ، أى الحـكم) الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين (المعينين) بأمر صارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوى فى مصر لأجل يشرعوا (أى لمحاكمة) كل من له جرة (أى كل من تسبب) فى غدر وقتل صارى عسكر العام كليبر •

ولا شك أن اصدار منشورات مفصلة بماجريات الحادث على هـذه الصورة هو عمل اعلامى جدير بالتنويه • وسنتعرض له فيما بعد عنـد الحديث عن المادة الاخبارية فى منشورات الحملة • غير أن لهذه المنشورات من ناحية أخرى جانبها الدعائى ، فلقد حقق اعجـاب المصريين بتصرف السلطات الفرنسية فى هذه المحاكمة، نتيجة لما اطلعوا عليه من تفصيلاتها، أحد جانبى سياسة الترغيب والترهيب التى طبقها منو بدقة فى ذلك الموقف العصيب •

أما الوجه الثانى من هذه السياسة ، فقد تحقق بدوره ، بطريق غير مباشر ، من خلال ما أذيع فى تلك المنشورات . ويتمثل ذلك فى نص العقاب القاسى الذى طالب به الادعاء للقاتل وشركائه ، وبخاصـة تلك

---

(١) عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ١١٧ — ٣٣ •

(٢) بتاريخ ٢٨ بريريال سنة ٨ (يوافق ١٧ يونيو ١٨٠٠) • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

الصورة الانتقامية البشعة لعقاب سليمان الحلبى بالذات • وقد وافقت هيئة المحكمة بالفعل على العقاب المقترح ، ثم نفذ فيما بعد • وتكررت الاشارة الى هذا العقاب أكثر من مرة • ففى ختام مرافعة سارتلون (Sartelon) ممثل الادعاء طالب بأن سليمان الحلبى « يكون مدحوض بتحريق يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه وجيفته باقية فيه لماكولات الطيور » . وطالب كذلك بقطع رءوس شركاء الحلبى الأربعة (١)

وتضمن آخر منشورات هذه القضية ، الذى عرض صورة الحكم، ووصف الجلسة التي صدر فيها ، نصا أكثر توضيحا يحدد الشكل النهائى للعقوبة المقترحة ، كما استقر عليه رأى القضاة فقد جاء فى هذا المنشور أن القضاة « تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لايق لموت المذنبين .. ثم اتفقوا جميعهم أن يعذبوا المذنبين بعذاب من العذابات المعتادة بالبلد لأعظم المذنبين ويكون لايق للذنب الذى صدر وافتوا أن سليمان الحلبى تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تاكل رمته الطيور .. قدام كامل العساكر وأهل البلد الموجودين فى المشهد .. » .

أما بالنسبة لشركاء الحلبى الأربعة ، فقد حكم القضاة بأن « تقطع روسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار .. ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل أن يجرى فيه شئ» .

ان مثل هذه العبارات لكفيلة بأن تبعث القشعريرة فى نفوس الناس ، وان تردعهم عن مجرد التفكير فى التآمر على الفرنسيين أو معارضتهم •

وكان من نتائج حادث مصرع كليبر ، وما تبعه من محاكمة سريعة وتنفيذ علنى لما صدر فيها من أحكام اتسمت بالقسوة والتفنن والارهاب ، أن ساد الفزع والذعر بين سكان القاهرة بالذات ، فسافر « بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم وبعضهم بعث حريمه وأقام هو •• » • وكان طبيعيا أن يتبع كثير من الأهالى هؤلاء الأعيان فى هجرتهم من مسرح الحوادث : « فلما رآهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة وأكثروا المراكب والجمال وغير ذلك .. » (٢) .

ورأى منو أن يقف هذا التيار من الهجرة فورا ، خشية شيوع

---

(١) الجبرتى ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٣١ .

(٢) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٤ ، من حوادث شهر صفر ١٢١٥ (يوليو ١٨٠٠) •

البلبلة والاضطراب ، واتبع فى ذلك أسلوبا تهديديا قاسيا • ويقـــول الجبرتى فى هذا الصدد (١) « فلما اشيع ذلك كتب الفرنسيس أوراقا ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوما نهبت داره •• » • وكان لهذا التهـــديد أثره ، « فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على الســـفر •• » ولكن ما لبث الفرنسيون أن زادوا من مظالمهم ، « فقرروا فردة (غرامة) أخرى قدرها أربعة ملايين . . وكان الناس ما صدقوا قرب تمـام الفردة الأولى (٢) بعد ما قاسوا من الشدائد مالا يوصف ومات أكثرهم من الحبوس وتمت العقوبة وهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم الى البلاد ثم دهوا بهذه الداهية أيضا . . » (٣) .

خرج كثير من الناس هربا من هذه المغارم الجديدة • فأصدر « صارى عسكر بليار قيمقام مصر » منشورا بالعربية والفرنسية ، يتضمن أمرا شديد اللهجة من مقدمة وسبع مواد (شكل ٥٥) . (٤) .

ويقول بليار فى مقدمة أمره بلهجة منذرة (٥) ان كثيرا من سكان القاهرة غادروها ، وان المشايخ وكبار التجار بعثوا بعائلاتهم الى الريف، وان ذلك يخالف الأوامر السابقة • ثم يدفع هذه الهجرة بأنها تثير الذعر وتعطل مصالح الناس •

ويمضى نائب القائد العام فى انذار رهيب كحد السيف فى برودته وحدته معا ، موجه الى الأهالى وزعمائهم ، أو دهمـــائهم وسادتهم ، على السواء ، فيقول انه فى هذا الوقت الذى تلتزم القاهرة فيه بالعمل على أداء « الفردة » المقررة عليها ، يجب أن يبقى بها جميع سكانها • وينبغى كذلك ألا يغادر المشايخ والكبراء أماكنهم حتى يعملوا على أن يدفع كل صاحب نصيب ما فرض عليه •

---

(١) المرجع السابق .

(٢) يقصد الغرامة التى فرضها كليبر على سكان العاصمة عقابا لهم على ثورتهم الثانية •

(٣) الجبرتى ، المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ ــ ٥ ، من حوادث شهر صـــفر ١٢١٥ أيضا .

(٤) مؤرخ ١٩ ترميدور سنة ٨ (٧ أغسطس ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٥) الصيغة العربية لهذا الامر غاية فى الركاكة ، وبخاصة فى المقدمة . لذلك آثرنا هنا النقل عن الاصل الفرنسى •

وينص الأمر على منع الخروج من المدينـــة الا بتصريح من « حضرة قيمقام مصر » ، ومصادرة أموال كل من يخرج بغير هذا التصريح ، وكذلك على منح مهلة خمسة عشر يوما يعود خلالها الذين سبق أن خرجوا منـــذ أيام القتال مع العثمانيين ، والا صودرت أموالهم ، أما المشايخ والتجار وغيرهم ممن بعثوا بأهلهم خارج المدينة فعليهم ارجاعهم في مدة خمسة عشر يوما كذلك ، والا زاد نصيبهم من الغرامة بمقدار النصف ٠

ثم تفرض المادة الأخيرة من هذا الأمر على « المشايخ والعلماء » أن يرسلوا نسخا منه بمعرفتهم الى القرى التى هاجر اليها سكان القاهرة ٠

وقد اشار الجبرتى الى هذا المنشور واثره فى ايجـاز بقوله (١): « نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر .. نهبت داره واحيط بموجوده وكان من المذنبين واشتد الأمر بالناس وضاقت منافسهم ٠٠ » ٠

والظاهر أن ذلك المنشور ، على عنفه ، لم يحدث الأثر المطلوب ، وبخاصة لدى من غادروا الأراضى المصرية كلها ٠ فأصدر منو منشـورا آخر بعد نحو خمسين يوما (شكل ٥٦) (٢) ، ضمنه أمرا جديدا يغلب عليه هدوء اللهجة ونعومة الأسلوب ٠

وقد بدأ «صارى عسكر» هذا الأمر بديباجة قال فيها انه يميل الى « عبرة العفو والكرم المعطى الى كل الولاة والحكام المكرمين عن القنصـــل الأول من الجمهور الفرنساوى » ٠

ثم حث منو « جملة الأشخاص المصرية الذين خرجوا من مصر خوفا من أسلحتنا وهربوا لعدم اعطاء الفردة المأمورين بدفعها» على العودة، ووعدهم بأن يرد اليهم ما يكون قد صودر من أموالهم وأملاكهم .

واستدرك قائلا أن « هذا اللطف » الذى كرم به أولئك الأشخاص » ما يحسب الا الى اليوم الأول من شهر برومهر (برومير) الآتى (٣) ...

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ ، من حوادث شـــهر ربيع الأول ١٢١٥ (اغسطس ١٨٠٠) ٠

(٢) فى فندمير سنة ٩ (٩ أكتوبر ١٨٠٠) . وقد طبع المنشور ـ كما يفهم منه ـ بالعربية والفرنسية ، ولاشك ان ذلك كان فى طبعتين منفصلتين. وهذه النسخة العربية من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٣) هو الشهر التالى لشهر فندمير الذى صدر فيه المنشور ، وأوله كان يوافق ٢٣ أكتوبر ، أى أن المهلة التى أشار اليها الامر مدتها اسبوعان .

وبعد مرور هذه المدة كل من أهالى مصر ما يرجع الى موضعه فيكون ماله وأرزاقه كلها ميريا الى جمهور الفرنساوية » .

* ومن النماذج البارزة فى منشورات سياسة الترغيب والترهيب منشور مطول وجهه منو « الى جملة أهالى بر مصر » ، أى الى سكان مصر جميعا ، لتنظيم عملية جباية الأموال الحكومية ومنع ما كان يشوبها من استغلال ومغارم (شكل ٥٧ ، ٥٧ أ) (١) . ومن هذه الزاوية انطلق منو يتحدث الى المصريين حديثا طويلا كله من وترغيب ، ومقارنة بين عدالة الحكم الفرنسى وظلم الحكام السابقين .

وهو اذ ينبه الأهالى الى ألا يدفعوا أكثر مما هو مقرر بحكم القانون ، يذكرهم بأن ثمار جهدهم كانت تذهب من قبل ، عسفا واقتدارا ، الى جيوب الملاك وجباتهم وأتباعهم . ثم يقول : « فيا أهالى بر مصر أنا أوعدكم باسم الجمهور الفرنساوى .. ولا أنا ولا أحدا من الفرنساوية مادام بقالى شعرة فى رأسى لا يتصدوا الى أملاككم فما دام أنتم مؤيدين الرسم الموضوع قانونا .. فأنتم مأذونين بمحاظظة (!) مع صفاء خاطركم كلما لكم مقننى ...» (٢) .

ويلفت نظر المواطنين كذلك الى عدم تقديم هدايا أو « بلص » الى مشايخ البلاد أو المحصلين ومن اليهم ، وينذر كل من يحاول من هؤلاء تحصيل شىء يزيد على ما قرره القانون بأنه سوف يلقى أشد العقاب .

وتمضى عبارات المنشور على هذه الوتيرة ، فى محاولة ملحة من منو ليتألف قلوب المصريين . وهو يؤكد لهم أن واجبه وواجب كل المسئولين من عسكريين واداريين « هو أن يسمعوكم ويعينوكم ويحموكم ويجروا حقكم مدام أنتم سايرين فى خير حالكم .. » . ويقول انه أوصى رجال حكومته بتحرى الحق دون محاباة ، وبألا يطلبوا أو يقبلوا من الأهالى أية هدايا . « وكل من يخالف هذا الأمر فله عذاب عقيب (كذا) » .

---

(١) صدر بتاريخ ٦ بروميرسنة ٩ (٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) فى طبعتين ، احداهما عربية فرنسية والثانية فرنسية خالصة . وهاتان النسختان ، اللتان تمثلان الطبعتين ، من محفوظات المكتبة القومية بباريس . والغريب أنه لم يشر الى هذا المنشور ، على اهميته ، أحد من مؤرخى الحملة ، حتى الجبرتى .

(٢) عبارات هذا المنشور العربية ركيكة . ولذلك حرصنا على ألا نستشهد منها الا بالقليل الذى يمكن فهمه ، ولو بشىء من الجهد أو الشرح . والعبارة الاخيرة فى هذه الفقرة ترجمة للاصل الفرنسى :

« vous serez libres de jouir de tout ce qui vous appartient... »

وأخذ منو يذكر المصريين ببعض أنواع المظالم المالية والابتزاز ، ويمن عليهم بأن حكومته أبطلتها • ثم يتساءل في سخرية عن مصير الأموال التي أوقفها أجدادهم « طاب ثراهم » على المساجد لتعميرها وصيانتها ، وعن الأوقاف الخيرية التي خصصوها للفقراء والمساكين ، بينما المساجد متهدمة ، والفقراء « في كل الجوانب موتى من الجوع والسكك والطرق مليانين منهم •• » •

ويتضمن هذا المنشور فقرة خص فيها منو بالذكر ديوان القاهرة ومهمته • ويلفت النظر في هذه الفقرة التهديد الصريح الذي وجهه القائد العام الى أعضاء الديوان ، اذا لم يؤدوا واجبهم كما ينبغي • وهذا أمر غريب لم يعهد من قبل في منشورات بونابرت أو كليبر •

يقول منو في هذه الفقرة : « يا أهالي بر مصر قد جعلنا •• ديوانا منيفا (١) بمصر القاهرة فهو مركب (مكون) من المشايخ الأبهى والأشهى بالتقوى والحكمة فهم منصوبين لتقوية الدين وطهره ومأمورين بمحاكماتكم • انى أنا ميقن (متيقن) أنهم يجروا وضايفهم (وظائفهم) كما ينبغي بين الناس خوفا من الله ورسوله والا أعلنت لكم واليهم أن كان لم هم ثابتين في الاستقامة الواجبة لهم وان كان هم ناقصين من وجوب وضايفهم فلابد لهم منا من أعقب العذاب (كذا) » •

وختم منو هذا المنشور بعبارة وجه فيها انذارا قاسي اللهجة وتهديدا بأشد أنواع الانتقام الى كل من يناهض الحكم الفرنسي أو يعارضه • وتقول عبارات الفقرة الركيكة : « ولكن أخبركم أيضا ان كان أنتم غير صادقين لجمهور الفرنساوية وان كان أيضا أنتم منصتين لنصيحة الأشرار وتقوموا علينا بالضدوالمخالفة ففيالحال انتقامنا قريبومخوف وعزة الله وحرمة رسوله ان كل ما يوقع من الشرور ما يسقط الا على روسكم فاذكروا ما وقع بمصر القاهرة وببولاق والمحلة الكبرى وساير مدن بر مصر (التي ثارت على الفرنسيين) فان دماء آبايكم واخواتكم وأولادكم ونسايكم وأحبابكم قد جرى (كذا) مثل أمواج البحار وبيوتكم اهتدموا وأملاككم

---

(١) فى الاصل الفرنسى « tribunal suprême » ، أى «محكمة عليا» . وتعزز هذه الصفة للديوان ما أضافه منو اليه من اختصاصات قضائية . وقد سبق أن ألقينا الضوء على هذا الاجراء الخطير عند الحديث عن المنشور الذى أعلن به منو تكوين الديوان فى صورته الجديدة (ص ١٥١ ــ ٥٤) . وكان ذلك فى ٢ أكتوبر ١٨٠٠ . أى قبل صدور المنشور الذى نحن بصدده بأقل من شهر .

انتهبوا وتلفوا بالنـار ·· فليكون دايما هذا الدرس لخيركم وكونوا بعـد اليـوم عاقلين ·· » ·

وأصدر منو بعد ذلك بأقل من شهر منشـــورا آخر بالعربيـة والفرنسية (شكل ٥٨) (١) ، ضمنه انذارا الى العصاة ومحركى الفتنة بأسلوب جديد · فقد أعلن فيه أنه أمر « بقطع رأس المسمى يوســف السمان بسبب أنه جهد بتحريك الاختلال بين أهالى مصر القاهرة » ·· وكان هذا الثائر قد حرض الناس على ألا يبيعوا الفرنسيين شيئا ، لاعتقاده بقرب عودة العثمانيين ·

ومضى المنشور يحذر الأهالى من دعاة العصيان : « واياكم من الناس الطالبين لتحريك الاختلال فهم أعدايكم الذين هم مفتشين على جلبـكم للعصيان بعد ما هم عارفين يقينا أن انتقام الفرنساوية فى تقدير عصيانكم هو قريب مهيب فيضيعوا أعماركم ألوفا ألوف ·· »

ويمثل هذا الانذار ، وهو لب المنشور ، الجزء الثانى منه · أما الجزء الأول فقد أذاع فيه منو نبأ اعدام ثلاثة من اللصوص قطاع الطرق وأعلن أن « كل من يصير مثلهم بالشر فلابد له من عذاب مثيله » . وقد فعل منو ذلك لأن «دولة الجمهور الفرنساوى وقنصلها الأول بونابارته»عهد اليه بالعمـل على ما فيه راحة الأهالى واطمئنانهم ·

ويبدو أن الهدف الاعلامى من هذا الجزء من المنشور مزدوج · فهو يرمى الى مضاعفة التأثير النفسى المطلوب من التخويف فى الجزء الثانى من ناحية ، كما أنه يحاول من ناحية أخرى استرضاء المصريين باظهار منو بمظهر الحارس على أمنهم وراحتهم ·

ولم ينس منو ، امعانا فى سياسة الترغيب والترهيب ، أن يوقع المنشور بعبارة « خالص الفؤاد ·· منو » ·

* وبعداسبوعين أصدر منو منشورا هادىء النبرة (شكل ٦٠) (٢) طمأن فيه المصريين وأنذرهم ، وحضهم على الحرث والتعمير وحذرهم فى

---

(١) بتاريخ ٢٩ برومير سنة ٩ (٢٠ نوفمبر ١٨٠٠) · ولم يذكره الجبرتى أو غيره من المؤرخين المعاصرين ، وكذلك لم يشر اليه أحد من المتأخرين · وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس · وللمنشـور طبعة أخرى فرنسـية خالصة ، عثر الباحث على نسخة منها فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن (شكل ٥٩) ·

(٢) صدر بتاريخ ١٥ فريمير سنة ٩ (٦ ديسمبر ١٨٠٠) · ولم يشر الى هـذا المنشور كذلك أحد من المؤرخين · وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ·

الوقت نفسه من الشطط أو الانحراف • فجمع بذلك بين طرفى هـــذه السياسة جمعا متجانسا يلفت النظر •

لقد وجه المنشور هذا الخطاب الى « أهالى مصر القاهرة وجميع بر مصر » :

ـ « قلت لكم بمرات عديدة انما أنا لا أعاقب الا الأشرار •• قلت لكم أيضا أنا أعذب بالموت القتالين والحرامية •• » •

ـ « ان الجمهور الفرنساوى وقنصلها الأول .. أمرونى بحسن سياســـة هذه المملكة وأهاليها وذاك بالانصـــاف والعـــدل والمروءة •• فليعيشوا بالاستراحة ورفاهية البال الذين يهتدوا ويتمسكوا بالتقوى •• ولا أحدا منهم يفزع انما يفزع المفســـدون والأشرار والسراف (١) انما نحن ناظرون وتابعون خطواتهم وعارفون بتمشياتهم » •

ـ « انى أدعيكم بتفليح وتحريث أراضيكم •• واغنوا بالبركة جميع أطيان بر مصر بالهنا والعافية فلا تفزعوا قط •• » •

وعاد منو الى أسلوب الردع بالتهديد مرة أخرى فى منشوره الذى أصدره بمناسبة اعدام أحد قادة الثورة فى اقليم البحيرة ، وهو ســـليمان محمد شيخ بلد (عمدة) قرية سنهور (شكل ٦١) (٢) •

ولكى يبرر منو اجراءه العنيف ضد هذا الثائر اتهمه باللصوصية والقتل : « اعلموا أن سليمان محمد •• قد جعل نفسه من زمان مديد مذنب بأوحش وأغرب الخطايا سارقا وقاتلا فى كل الطرق والمواضع حتى أنشر (كذا) الخوف والفزع •• » •

ولم ينكر منو مع ذلك أن هذا الرجل كان « منذ سنتين » من الأسباب القوية « لعصيان أهالى مدينة دمنهور ضد الفرنساوية » ، أى عندما رددت الأقاليم صدى ثورة القاهرة الأولى فى بداية عهد الحملة ، (٣) ولكنه صوره

---

(١) فى الاصل الفرنسى :
« les méchants, les voleurs et les perturbateurs du repos public »
أى « المفسدون واللصوص ومعكرو صفو الأمن العام » •

(٢) أشرنا من قبل الى هذا المنشور فى ايجاز (ص ١٠٦) • وقد وجهه منو الى أهالى بر مصر ومصر القاهرة ، بتاريخ ٢٠ فريمير سنة ٩ (١١ ديسمبر ١٨٠٠) • وهـــذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس •

(٣) كانت منطقة دمنهور وماحولها بالذات من مراكز المقاومة ضد الحكم الفرنسى• وقد أشرنا من قبل الى حركة «المهدى» التى عنى منها الفرنسيون كثيرا هناك عام =

فى صورة الغادر الذى تظاهر بصداقة الفرنسيين ثم انقلب عليهم : « فهو أيضا هنالك استغرق نفسه فى أسود السيئات فذبح فيها مقدارا كبيرا من الفرنساوية الذين كانوا يظنون أنه محبهم ·· » · وعلى ذلك فان « هذا الرجل ·· يستحق له القتل من كل بد فلذلك أمرت بضرب عنقه وأنما كل من يفعل بفعله لابد له بمثله » ·

ثم وجه انذارا حاسما الى الشعب بأسره : « فيا أهالى بر مصر فليكون هذا الجزا للخاطى سليمان محمد المذكور عبرة لكل من يتبع هذه الطريق الشنيعة .. » .

وعاد مرة أخرى الى تبرير اجرائه القاسى بقوله انه فعل ذلك رغم انه يثير حزنه ، لأن مهمته هى تطبيق شريعه الله العادلة . ثم وقع المنشور بعبارته التوددية المعروفة « خالص الفؤاد ··· » ·

* ومن محاولات منو الدعائية لاغراء المصريين بالتعاون مع حكامهم الفرنسيين ، أو على الأقل بمسالمتهم ، أشادته بسلوك المصريين الذين يقومون للحكم الفرنسى بخدمات ما ، واعلانه مكافأتهم على صنيعهم . ومثال ذلك المنشور الذى أصدره موجها الى « المشايخ أبو كت وبركت مشايخ بلد قوة القدامى بولاية اطفيحية » (شكل ٦٢) (١) . فى هذا المنشور أعلن منومكافأةالشيخين المذكورين لأنهما قدما العون لثلاثة من الجنود الفرنسيين تحطم قاربهم على شاطىء القرية ، وقاما بحمايتهم من اعتداء الأهالى .

وقد خاطب منو الشيخين فى المنشور قائلا انه فى مقابل ما قاما به من عمل جليل « .... أرسلنا الى كل منكما فروة لاعلام محبتنا لكما وانعمت عليكما وعلى بلدكما ربع الرسوم التى عليكما أداها بسنة تاريخه .. » . ثم دعا لهمـا بالخير والنعمة وطـول العمر ، ووقع « خالص الفؤاد » .

* وعندما تأزمت أحوال الحملة الفرنسية فى أواخر أيام منو ، وبدأ أعداؤها العثمانيون والانجليز تحركهم لاجلاء الفرنسيين عن مصر ،

= ١٧٩٩ ، والتى ارتكبوا بسببها فظائع عدة · وكانت «سنهور» بلدة هذا الثائر بالذات مسرحا لمعركة عنيفة بين الثوار والفرنسيين ، فى ٣ مايو ١٧٩٩ (الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ٢ ، ص ٦٠) ·

(١) بتاريخ ١٣ تمفوز سنة ٩ (٣ يناير ١٨٠١) ، ولا يخفى تحريف الأسماء الواردة به ، ولعل اسم القرية محرف عن « القضابى » بمحافظة بنى سويف حاليا · ولم يشر الى هذا المنشور كذلك أحد من المؤرخين · وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ·

واخذ الناس على عادتهم يلغطون بما تواتر اليهم من أنبـــاء ، تتابعت منشورات القائد العام تحذر المصريين من الفتنة ، وتهددهم بســوء العواقب . فمن ذلك المنشور الذى وجهه منو محنقا الى « كامل الأهالى كبير وصغير غنى وفقير المقيمين حالا بمحروســـة مصر (أى القــاهرة) وبمملكة مصر » (شكل ٦٣) (١) .

وفى هذا المنشورنددمنو بمن يذيعون أخبارا كاذبة مضللة مثيرة للخواطر ، وهدد بأن كل من يثبت عليه قيامه باذاعة مثل تلك الأخبار « من أى طايفة وملة كان » ، سوف « يمسك وترمى رقبته بوسط واحدة طرق مصر » .

ثم وجـه النصح الى المصريين بأن يقروا فى بيــوتهم وينصرفوا الى أعمالهم ، مطمئنين الى حماية السلطات الفرنسية لهم . ونبههم كذلك الى ان هذه السلطات لن تغفل عينها عن مثيرى القلاقل والمتمردين .

وختم «خالص الفؤاد» منشوره بتحذير خفى مغلف بالود : «والسلام على من اتبع الصدق والاستقامة» .

وقد علق الجبرتى على هذا المنشور بقوله : «فعلم النــاس من ذلك الفرمان ورود شيء وحصول شيء على حد كاد المرتاب أن يقول خذنى» .

* ويبدو انه بالرغم مما تضمنه هذا المنشور من تهـديد ، وبالرغم من حرص الفرنسيين على تكتم أنباء الحملة الانجليزية العثمانية بوجه عام، فقد ذاعت أنباؤها بين المصريين وتحدثوا بها (٢) . ولذا رأى منــو من المناسب أن يصدر منشورا آخر يعترف فيه بحقيقة الموقف ، ويواصل فيه أسلوب التهديد لكل من يحاول اثارة الفتن .

وقد صدر هذا المنشور بالفعل بعد بضعة أيام من المنشور السابق

---

(١) فى ٦ فنتوز سنة ٩ (٢٥ فبراير ١٨٠١) . وكان تحرك الانجليز والعثمانيين قد بدأ بالفعل ، بحرا من ساحل **الاناضول** صوب **الاسكندرية** ، وبرا عبر بلاد الشـام صوب برزخ **السويس** . وقد نقل الجبرتى نص هذا المنشور فى حوادث ١٤ شـوال ١٢١٥ (٢٨ فبراير ١٨٠١) ، أى بعد تاريخ تحريره بثلاثة أيام ، ولكنه حرف كثيرا من كلماته . وقدم له مؤرخنا بقوله : «قرىء فرمان من سارى عسكر بالديوان والصقت منه نسخ فى مفارق الطرق والأسواق» : **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٤٦ ـ ٧ .

(٢) ذكر الجبرتى فى هـذا الصدد (**المرجع الســابق** ، ج ٣ ، ص ١٤٨) : «استفيضت الاخبار بوصول مراكب الى أبى قير ..» ، و «.. خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا الى الجهة البحرية برا وبحرا ..» .

(شكل ٦٤) (١)، وتلى على أعضاء الديوان فى اجتماع خاص(٢) . وقد بدأه منو بتأكيد قوة الفرنسيين، وان النصر حليفهم دائما . ثم اعترف بأن الانجليز اقتربوا من السواحل المصرية ، وقال انهم «ان كانوا يستجروا ويوضعوا رجلهم فى البر فيرتدوا فى الحال الى اعقابهم فى البحر » . أما العثمانيون فانهم «ان كان يقدموا ففى الحـــال يرتدوا ويبتلعوا فى غمار وعفار البادية » .

وبعد هذا التمهيد النفسى ، الذى قصد به ارهاب المصريين ، ارتفع صوت منو يهددهم بلهجة بالغة العنف : « فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر .. ان كان تسلكوا فى الطريق الخايفين الله وتبقوا مستريحين فى بيوتكم .. فحينئذ لا شىء خوف عليـكم ولكن آن كان واحد منكم يسلك للفساد واضلالكم بالعصاوة ضد دولة الجمهور الفرنساوى فاقسمت الله العظيم وبرسوله الكريم ان رأس ذى المفسد ترمى فى ذيك الساعة ..» .

ولم يكتف منو بذلك ، وانمـا أخذ يذكر المصريين ، فى وعيد ، بما أصابهم ، وبخاصة أهالى العاصمة ، من أهوال ومغارم نتيجة ثورة القاهرة الثانية وما تبعها من اضطرابات فى بعض الاقاليم : «فتذكروا كل المواقع حين محاصرة مصر الاخيرة وجرى دماء آباء ونساء وأولادكم فى كامل مملكة مصر وخصوصا بمحروسة مصر وخواصكم (أى أمتعتكم وأملاككم) انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فرداة (أى فرضت عليكم غرامات) قوية غـير المعتـاد » .

ثم ختم «خالص الفؤاد» منشوره بتحذير موجز حاسم : «.. فدخلوا (أى فضعوا) فى عقولكم وأذهانكم كلما (كل ما) قلت لكم الآن والسلام على كل من هو فى طريق الخير فالويل ثم الويل على كل من يبعد عن طريق الخير » .

وقد اعقبت تلاوة هذا المنشـــور على الاعضاء مناقشة حامية ممتعة

---

(١) فى ١٤ فنتوز سنة ٩ (يوافق ٥ مارس ١٨٠١) . وقد ذكر الجبرتى نصه مع بعض التحريف (المرجع السابق) . وسبق أن أشرنا فى ايجاز الى هذا المنشـــور عند الحديث عن السياسة الاسلامية (انظر ص ١٠٦) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) فى ٢٠ شوال ١٢١٥ (٦ مارس ١٨٠١) ، أى فى اليوم التالى لتـاريخ طبع المنشور .

دارت بينهم وبين وكيل الديوان (القوميسير) الفرنسى فورييه(١) · وحاول الاعضاء فى هذه المناقشة مراجعة ممثل السلطة الفرنسية فى فكرة الانتقام الجماعى الذى هدد به القائد العام فى منشوره · وأخذ العلماء يدللون على وجهة نظرهم بآيات من القرآن الكريم تقرر مبدأ شخصية العقوبة ، مثل «كل نفس بما كسبت رهينة» ، و «ولا تزر وازرة وزر أخرى» ·

وحاول فورييه من ناحيته أن يبرر موقف الفرنسيين بأنه لا مفر من أن تعم العقوبة كما حدث قبلا ، لان «المدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فانها لا تقرأ القرآن» · وأراد أن يؤكد مبدأ المسئولية الجماعية ، فلا يكفى صلاح الفرد أو خلوص نيته ، لان «المصلح من يشمل صلاحه الرعية فان صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط والثانى أكثر نفعا ··» ·

* أقلقت أخبار هذه المناقشة منو · ولعله ــ كما يقول الرافعى(٢) ــ «ارتاب فى نية أعضاء الديوان» ، فأصدر منشورا آخر فى عصر اليوم نفسه . وقد حرص وكيل الديوان على أن يبعث به الى الأعضاء فى بيوتهم فور صدوره (٣) .

وفى هذا المنشور الموجز ، الذى وجهه القائد العام «الى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر» ، أوضح منو انه يلقى عليهم تبعة ماقد يقوم به الاهالى من حركات ضد الحكم الفرنسى · ونبههم ــ لأول مرة ــ الى انهم « رجال دولة الجمهور الفرنساوى » ، كما كرر تذكيرهم بكل « ماوقع حين قصاص مصر الأخير » · ومن ثم فلكى يضمنوا أمنهم وسلامتهم يجب أن يعملوا على «ضبط الخلائق لأنه ان كان يصير أصغر الحركات فلا بد أثقالها تقع على رءوسكم ··» ·

ولا شك أن أعضاء الديوان اضطربوا لذلك الانذار العنيف من قائد

---

(١) سجل الجبرتى هذه المناقشة ، التى يبدو انه اشترك فيها مع زملائه من أعضاء الديوان : **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٤٨ ــ ٩ ·

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ــ ٤١ ·

(٣) يقول الجبرتى فى هذا الصدد : «فلما كان عصر ذلك اليوم ورد فرمان من سارى عسكر الى وكيل الديوان فأرسل خلف الشيخ اسماعيل الزرقانى (القاضى بالديوان) فاستدعاه وسلمه اليه وامره أن يطوف به على مشايخ الديوان فى بيوتهم فيقرءونه وهو مبنى على جواب المناقشة المذكورة» . وقد ذكر الجبرتى نص هذا « الفرمان » وان كنا لم نعثر على نسخة مطبوعة منه . ويحتمل أن الوقت لم يتسع حينئذ لطبعه فى منشور ، واكتفى بنسخ عدة صور منه · (**المرجع نفسه** ، ج ٣ ، ص ١٤٩) ·

الحملة . فقد ألقى على عاتقهم ــ كما يقول الرافعى(١) ــ تبعة رهيبة «لانهم اذا ضمنوا أنفسهم فمن أين لهم أن يضمنوا سلوك الجماهير ؟ »

على أية حال ، لقد أحدث الانذار أثره ، واحنى العلماء رءوسهم للعاصفة . ويذكر الجبرتى ــ دون ما تعليق(٢) ــ انه فى اليوم التالى «اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى (رئيس الديوان) وحضر الاغا (المحافظ) والوالى (رئيس الشرطة) والمحتسب وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الاخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم وانهم لا يغفلوا أمر عامتهم وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين وجهل الجاهلين وانهم هم المأخوذون بذلك كما ان من فوقهم مأخوذ عنهم فالعاقل يشتغل بما يعنيه .. » .

* وكان آخر منشورات الوعد والوعيد التى صدرت فى عهد منو ذلك المنشور الذى وجهه الجنرال بليار نائب القائد العام الى «كافة أهل مصر المحروسة» (شكل ٦٥)(٣) .

والغريب ان عهد الحملة الفرنسية كان فى تلك الايام يلفظ أنفاسه الاخيرة . ومع ذلك فان بليار تمسك فى صلافة بالموقف التقليدى لقواد الحملة ، الذى يقوم على التودد الى المصريين بمعسول الكلام ، وتهديدهم فى الوقت نفسه بأقسى العبارات .

ويبدأ بليار منشوره بالتعبير عن ارتياحه لحسن سلوك المصريين : «.. فأنا مسرور منكم لشغلكم بأسبابكم وعدم تداخلكم فيما لايخصكم..» ثم يمن عليهم بقوله: «وقد جربتم جميعا شفقتى عليكم وعدلى فى أغنيائكم وفقرائكم وأعيانكم وصغاركم فيجب عليكم أنكم تشكروا الله وتشكرونى على علو همتى وحسن صنيعى معكم فانه لم ينقص عليكم شئ من مونتكم ولم أتأخر عن معونتكم فى تحصيل جميع ما تحتاجون اليه من أصناف الاقوات واللوازم والمهمات .. » .

وشيئا فشيئا تتداخل مع هذه النغمة الرقيقة نغمة أخرى غليظه ، تبدأ بهمهمة خافته : « انتم تجهلون الحروب والى اليوم ما رأيتم شيئا من خرابها فأوصيكم كما يوصى الاب أولاده .. ان لا تخرجوا عن طريق

---

(١) المرجع السابق ذكره .

(٢) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٩ .

(٣) صدر فى أواخر مارس ١٨٠١ . وقد سبق أن أشرنا الى ماتضمنه هذا المنشور من عبارات تتصل بالسياسة الاسلامية فى أعلام الحملة (أنظر ص ١٠٧) .

الاستقامة وكونوا حافظين لأولادكم وحريمكم ٠٠ واعزموا عزما ثابتا على خلوص النية وطاعة حكامكم لأن فيذلك حفظ أرواحكم وأموالكم وأعراضكم ولا تهلكوا أنفسكم بالمخالفة » ٠

ثم لا تلبث نغمة التهـــديد أن تعلو لتصبح زمجرة فزئيرا هادرا :
«٠٠ وان صادف أن جيش الاعدا تقارب من أسوار البلد فان حرك أحدا (كذا) منكم الفتنة وزينت له نفسه الانقياد أو اجتمع أهل خط أو حارة على ذلك وأعلنوا بقيام الفتن وتحريك الشرور ٠٠ فلا بد من ايقاع القصاص الزايد فاعيالهم (كذا) وأولادهم وأموالهم٠٠ يكونوا للسيف والنهب والنار وجميع القلع (القلاع) الذين (كذا) بدآير البلد تمطر عليهم جللا وقنابر٠٠ على الخط الذى يخرج عن الطاعة وتظهر منه الفتنة فتفكروا المشقة والخراب الذى حصل لكم سابقا وكيف حل ببولاق والقرى الذين عادوا الجمهور(١) ويلزم أيضا أن تنيقنوا أن فتنتكم لاتربحوا بها شيا غير التعب والمشقة والخراب الذى ينزل بكم من جميع النواحى ويكون أكثر مما رأيتم ٠٠»

وتهـدأ النغمة شيئا لتعـــود زمجرة غليظة تردد انذارا فى شكل نصيحة : «فاسلكوا طريق العقـلاء وتدبروا عواقب الامور لتعيشوا تحت حماية الجمهور فى ظل الأمان وراحة السر ويكون ذلك نتيجة سكوتكم وثمرة امتثالكم ٠٠ » ٠

---

(١) يقصد الذين عادوا حكومة الحملة التى تمثل الجمهورية الفرنسية . وهو يشير بذلك الى ثورة القاهرة الثانية التى تابعتها فيها بعض الأقاليم ، والتى قمعها كليبر بكل قسوة وعنف . وكان نصيب حى بولاق بالذات من التدمير بالغا .

الفصل الرابع

المنشورات الدعائية بين الحملة وأعدائها

اتسعت دائرة النشاط الدعائي للمنشورات ، اذ تجاوز حدود العلاقة بين الحكام الفرنسيين وجماهير المصريين ، ودخلت فيه ـ بحكم الظروف ـ أطراف أخرى ٠

ولقد لمسنا من قبل طرفا من مظاهر هذا الاتساع ، عندما تحدثنا عن الكتب التي تبادلها بونابرت مع بعض الحكام المسلمين ، وأذاع نصوصها على المصريين في عدد من المنشورات ٠

وكان ذلك في المقام الاول جزءا من سياسة بونابرت الاسلامية ، التي استهدف من ورائها تثبيت دعائم الحكم الفرنسي الجديد في مصر، عن طريق استرضاء الاغلبية العظمى من أبناء البلاد ٠ وقد ابتغى بونابرت من وراء هذا النشاط كذلك تحقيق بعض أغراض اقتصادية كتبادل التجارة ٠

وغني عن القول انه لم يكن لهذا النشاط «الاسلامي» أي أثر سياسي موات يعتد به بالنسبة للحملة وتطلعات قادتها ، وبخاصة لدى السلطان العثماني ، خليفة المسلمين ، الذي كان ممن كتب اليهم بونابرت ، فضلا عن الاشارة اليه في كثير من المنشورات التي أصدرها للمصريين ٠

غير انه كان لنشاط الحملة الدعائى فى عهد بونابرت بالذات مجال آخر أوجدته ظروف مختلفة ، وان اتصلت أوثق اتصـــال بكيان الحملة وسياستها العامة •

لقد أعد بونابرت عدته لغزو ســـوريا • وتلخص أهــداف حملته السورية ــ كما بينها فى رســـالة منه الى حكومة الادارة قبيل رحيله من القاهرة (١) ، فى ثلاث نقاط هى : دعم نظامه فى مصر بتأمينها من أى غزو محتمل تقوم به جيوش الأعداء من الشرق ، وارغام الباب العالى على توضيح موقفه من الحملة فى المفـــاوضات المرتقبة بينه وبين فرنسا ، ثم حرمان الاسطول الانجليزى الذى كان يجوب البـحر المتوسط من قواعد تموينه فى سوريا •

وكان أعداء بونابرت الذين يود كسر شـــوكتهم فى ســـوريا هم المماليك الفارين من مصر بقيادة ابراهيم بك ، وقوات العثمانيين تحت امرة أحمد باشا (الجزار) والى صيدا وعكا ، فضلا عن الانجليز الذين يتحالفون مع العثمانيين ويساعدونهم من البحر •

وقد سبق نشاط بونابرت الدعائى فى سوريا نشـــاطه العسكرى بعدة شهور ، اذ انه بدأ فى أوائل عهد الحملة بمصر ، حتى قبل أن يكتب الى الشريف غالب بمكة وتبو صاحب بالهند وغيرهما من حكام المسلمين • فقد بعث الى أحمد باشا الجزار ــ ولما يمض على استقرار الحملة بالقاهرة شـــهر واحد ــ برســـالة عثرنا على نصهـــا الفرنسى مطبوعا فى منشور (شكل ٦٦) (٢) . واغلب الظن أنه كانت لهذا المنشور طبعة عربية لم نعثـــر عليهـــا .

ردد بونابرت فى هذه الرسالة ما سبق أن أعلن مثله أكثر من مرة فى منشوراته الدعائية للمصريين • فقد قال ، محاولا التودد الى الباشا ، الذى قدر له أن تتسبب مقاومته العنيفة فى هزيمة القـــائد الفرنسى أمام عكا بعد شهور : «اننى عندما قدمت الى مصر لمحاربة البكوات المماليك ، انما فعلت ما يتفق تماما ومصالحك ، لانهم كانوا يعادونك ، اننى لم أحضر لأحارب المسلمين مطلقا ، فينبغى أن تعلم اننى عندما نزلت بمالطة ، كان

---

(١) بتاريخ ١٠ فبراير ١٧٩٩ • انظر : **مراسلات نابليون** ، ج ٥ ، وثيقة ٣٩٥٢ • ٣٩٥٢ •

(٢) بتاريخ ٥ فروكتيدور سنة ٦ (يوافق ٢٢ أغسطس ١٧٩٨) • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

اهتمامى الأول موجها الى اطلاق سراح ألفين من الاتراك(١) الذين ارهقهم ذل الأسر سنوات عديدة · وعندما وصلت الى مصر أشعت الطمأنينة بين الناس، وظللت بحمايتى رجال الدين والمساجد . هذا ولم يقدر لحجاج مكة (الذين يخرجون من مصر أو يمرون بها) أن ينعمـــوا من قبل بمثل ما اتحت لهم من رعاية وحدب ، كما اننى احتفلت بمـــولد النبى احتفالا لم يسبق له نظير فى عظمته ·· »

ثم قال بونابرت للجزار انه يبعث له بهذه الرسالة مع أحد ضباطه لتعبر له «بصوت قوى» عن رغبته فى أن تقوم العلاقات بينهما على أساس من الوفاق والمودة ·· الخ ·

والراجح أن الرسالة التى تضمنها هذا المنشور هى التى أشار اليها الجبرتى فى حوادث شهر ربيع الاول ١٢١٣ بقوله : « ··· حضر القاصد الذى كان أرسله كبير الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزار بعكا وذلك عند استقرارهم بمصر وصحبته أنفار من النصارى الشوام ·· ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من سفائن أحمد باشا فلما وصلوا الى عكا وعلم بهم أحمد باشا أمر بذلك الفرنساوى فنقلوه الى بعض النقاير (السفن) ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئا وأمره بالرجوع من حيث أتى» (٢) ·

وتكشف رواية الجبرتى عن بوادر الموقف العدائى الذى اعتزم الجزار أن يقفه من قائد الحملة الفرنسية ·

وعندما بدأ بونابرت زحفه على سوريا « ·· أخذ معه المديرين (أى الموظفين الاداريين) وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع·· »(٣)· ولا شك أنه كان ضمن المعدات التى حملها معه بونابرت الى سوريا وحدة طباعية كاملة ، وان لم يرد ذكر ذلك صراحة فى المراجع · فقد أصدر فى أثناء هذه الحملة عدة منشورات أشارت اليهـــا المراجع واثبتت نصوص بعضها ، وان لم نستطع أن نعثر الا على النزر اليسير منها · هذا فضلا عن

---

(١) يقصد «المسلمين» بوجه عام ، لان هذا العدد كان يتكون من ٦٠٠ من الاتراك و ١٤٠٠ من المغاربة ·

(٢) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٥ ــ ١٦ · وقد كان مبعوث بونابرت هو الضابط بوفوازان (Beauvoisins) الذى وصل الى القاهرة عائدا من مهمته الفاشلة بعد أن رده الجزار ردا غير كريم فى ١١ ســبتمبر (يوافق ٣٠ ربيع الأول) · أنظر : محمد فؤاد شكرى ، **الحملة الفرنسية** ، ص ١٩١ ــ ١٩٢

Lacroix, *op. cit.*, pp. 166-67.

(٣) الجبرتى ، **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٤٥ ·

عشرات الاوامر اليومية التى حفلت بذكرها مصـــادر الحملة التاريخية والعسكرية على السواء (١) . والراجح أن فانتور كبير مترجمى الحملة ـ الذى صحب قائدها فى الحرب السورية ومات أمام عكا ـ كان يعمل هناك فى ترجمة المنشورات الى العربية ، بحكم خبرته الســـابقة فى مثل هذا العمل بمصر .

لقد أثبت الجبرتى نص أول منشــــور عربى أصدره الفرنسيون فى بداية الحملة السورية ، بعد احتلال العريش (٢) . وقد وجه بونابرت الخطاب فى هذا المنشور الى «حضرة المفتين والعلمـــاء وكافة أهالى نواحى غزة والرملة ويافا» . وأكد لهم انه حضر «فى هــــذا الطرف لقصــد طرد المماليك وعسكر الجزار» عنهم .

ثم صور الجزار فى صورة البادئ بالعدوان الذى يستحق الردع: « الى أى سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التى ما كانت من حكمه والى أى سبب أيضا أرسل عساكره الى قلعة العريش بذلك هجم على أراضى مصر فلاشك كان مراده اجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحـــاربه » .

وأراد أن يطمئن الأهالى ويتألف قلوبهم ، فقال : « فأما انتم يا أهالى الاطراف المشار اليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فانتم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الامان الكافى والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم وقصدنا ان القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه » .

وعاد الى الضرب على وتر المشاعر الدينية قائلا : « وعلى الخصوص ان دين الاســـلام لم يزل معتزا ومعتبرا والجوامع عامرة بالصـــلاة وزيارة المؤمنين » .

ثم ألقى اليهم بوعده ووعيده فقال : «ان كل خير يأتى من الله تعالى وهو يعطى النصر لمن يشاء ولا يخفاكم ان جميع ما تآمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولا نفع لهم به لان كل ما نضع به يدنا لا بد عن تمامه بالخير والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح والذى يتظـاهر بالغـــدر يهلك ومن كل

(١) انظر مثلا المجلد الرابع من :
La Jonquière, C. De, **L'Expédition d'Egypte**, Paris, 1899-1907.
(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٤٧ .

ما حصل تفهمون جيدا اننا نقمع أعداءنا ونعضد من يحبنا وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين » .

وبعد الاستيلاء على يافا بيومين(١) أصدر بونابرت عدة منشورات :

ـ منشور موجه الى «شيوخ وعلماء وأهالى غزة والرملة ويافا» يطلب منهم فيه أن «يلزموا بيوتهم ويخلدوا الى الهدوء والسكينة» ، ويتعهد لهم بأنه يضمن سلامة الجميع وأمنهم ، «وســـوف يكون الدين بوجه خاص موضع الحماية والاحترام .. لان جميع الطيبات من عند الله وهو الذى يمنح النصر لمن يشاء(٢) » .

ـ منشـــور موجه الى الجزار يدعوه فيه الى ترك القتـــال ومسالمة الفرنسيين والتحالف معهم ضد المماليك والانجليز . ثم يقول لهم في لهجة ذات مغزى : « مادام الله تعالى هو الذى يمنحنى النصر فانى أود أن أتبع مثاله الكريم فأكون رحيما لا بالاهالى وحدهم وانما بحكامهم أيضا»(٣) .

ـ منشور موجه الى شيوخ وعلماء ورؤساء مدينة القدس عثرنا على نسخته الفرنسية (شكل ٦٧)(٤) . وقد بدأه ، بعد البسملة ، بأن أكد لهم في ايجاز : انه قد دمر الممـــاليك وقوات الجزار واجـلاهم عن غزة والرملة ويافا ، وانه لا يعتزم مطلقـــا أن يحـارب الاهالى ، وانه صديق للمسلمين . ثم قال فى انذار حاسم ان أمام سكان القدس أن يختاروا بين السلم والحرب . فان اختاروا الاولى ، فعليهم أن يبعثوا الى معسكره فى يافا بمندوبين عنهم يتعهدون بعدم القيـــام ضده . وان كانوا من الحمق بحيث اختاروا الثانية ، فأنه سوف يذيقهم طعمها ! ويجب أن يعرفوا أنه مخيف كالنار لمن يعاديه ، ولكنه رءوف رحيم بمن يواليه .. الخ .

وفى أثناء الحصار الطويل الشـــاق لمدينة عكا اســـتخدم بونابرت سلاحه الدعائى ، مع ما استخدم من أسلحة حربية . فبعث بعدة رسائل الى زعماء بعض المناطق السورية المجاورة ، يحاول بهـــا استمالتهم اليه . وأغلب الظن انه طبع هذه الرسائل فى منشورات ، كما فعـل بمثلها من قبل . ومن هؤلاء الزعماء بشير الشهابى أمير جبل لبنان وعباس بن الشيخ ظاهر العمر فى صـــفد (٥) .

---

(١) فى ٩ مارس ١٧٩٩ (١٩ فنتوز سنة ٧) .

(٢) **مراسلات نابليون** ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٠٢٢ .

(٣) **مراسلات نابليون** ، جـ ٥ ، وثيقة ٤٠٢٦ .

(٤) من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٥) وردت الأصول الفرنسية لهذه الرسائل فى : **مراسلات نابليون** ، جـ ٥ ، الوثائق ٤٠٤٤ ، ٤٠٤٧ ، ٤٠٩٦ .

ومن نماذج المنشورات الخاصة بجنود الحملة السورية المنشور الذى أصدره بونابرت بتاريخ ١٧ مايو ١٧٩٩ ، بعد أن قرر الانسحاب من أمام عكا ، نتيجة لمقاومتها الشديدة وللخسائر الكبيرة التى منى بها جيشه من القتال والمرض (١) . لقد أشاد القائد فى هذا المنشور بجنوده منوها بأنهم عبروا «الصحراء التى تفصل افريقيا عن آسيا بسرعة تفوق سرعة أى جيش عربى» ، وبأنهم قضوا «على الجيش الذى كان يستعد للزحف على مصر» ؛ وشتتوا « الجحافل التى تجمعت .. أسفل جبل طابور (٢) .. طمعا فى سلب مصر ونهبها » .

ثم بدأ يمهد لاعلان قراره بالانسحاب ، فزعم للجنود أن السفن التركية الثلاثين التى شاهدوها راسية فى مياه عكا انما «كانت تقل جيشا لحصار الاسكندرية . ولكن بما أن هذا الجيش اضطر للتوجه الى عكا لمساعدتها فى مقاومة الحصار ، فقد انتهى أمره بها» .

وأخطرهم بونابرت بعد ذلك بأن الجيش سيعود الى مصر « بعد أن وطدنا أقدامنا فى قلب سوريا طيلة ثلاثة أشهر وغنمنا .. وأسرنا .. وهدمنا حصون غزة ويافا وحيفا وعكا .. » . وبرر قرار الانسحاب بأنه اضطر الى اتخاذه لتوقعه محاولة انزال قوات معادية الى مصر فى ذلك الوقت من العام . وأضاف انه كان من الممكن الاستيلاء على عكا وأسر الجزار باشا ، ولكنه يحتاج الى الرجال البواسل الذين من المحتمل أن يخسرهم ، ويحتاج كذلك الى الوقت الذى يمكن أن ينفق فى هذا السبيل ، حتى ولو كان أياما قليلة .

ومن الواضح ان بونابرت كان يغالط . فلم تهدم حصون عكا ، ولم يقض على الجيش التركى . وكذلك لم تكن القوات التى أقلتها السفن الثلاثون متجهة الى الاسكندرية ، وانما كانت تقصد عكا ، وقد نزلت فيها بمساعدة السير سيدنى سميث لتدعيم المقاومة ، وكانت من العوامل الحاسمة فى فشل الحصار الفرنسى للمدينة .

وبينما كان بونابرت يستخدم أمام عكا مع أسلحته الحربية سلاح دعايته ، فيصدر المنشورات التى تتضمن تارة رسائله الى زعماء سوريا ،

(١) النص الفرنسى للمنشور فى La Jonquière, op. cit., p. 530. Lacroix, op. cit., pp. 334-5.

(٢) قرب عكا . وقد دارت فى سفح هذا الجبل يوم ١٦ ابريل ١٧٩٩ معركة كبيرة بين جزء من جيش الحملة بقيادة كليبر وبين قوات تفوقه عددا بقيادة الجزار ، وكان لتدخل بونابرت بنفسه فى اللحظة المناسبة أثره الحاسم فى انتصار الفرنسيين .

وتارة أخرى بياناته الى جنود جيشه ، ويبعث فى الوقت نفسه برسائله الى القاهرة ليصدرها الديوان فى منشورات الى المصريين ، نشط أعداؤه الى محاربته بهذا السلاح نفسه .

لقد وجد السير سيدنى سميث ، وهو يرى معنوية الجنود الفرنسية تهبط بشكل محسوس ، ان الفرصة سانحة ليشن عليهم حربا نفسية . ففى الأيام الأخيرة للحصار المرير انهالت على الخنادق خارج أسوار المدينة أعداد ضخمة من منشور مطبوع بالفرنسية فى المطبعة السلطانية بالآستانة . (١) كان المنشور صادرا عن الصدر الأعظم ، وموجها الى قواد جيش الحملة وضباطها وجنودها ، ويحمل خاتم الديوان السلطانى . ولكن كاتبه – كما يرجح المؤرخون – هو السير سيدنى سميث نفسه .

استهدف المنشور ان يثير غضب الجنود على حكومتهم ، ويقنعهم بأنهم كانوا ضحية مؤامرة للتخلص منهم : « هل تشكون فى ان حكومة الادارة عندما ارسلتكم الى بلد بعيد كهذا انما كان هدفها الوحيد هو نفيكم من فرنسا .. والقاءكم الى التهلكة ؟ »

ومضى المنشور يحاول تأكيد هذا الادعاء ، فقال للجنود : « اذا كنتم قد نزلتم أرض مصر وأنتم لاتعلمون شيئا عن وجهتكم ، واذا كنتم قد استخدمتم أداة لنقض معاهدة .... افلا يكون هذا خيانة وتمردا من جانب حكامكم ؟ بلى ، ان ذلك حق لا مرية فيه » .

واتجهت عبارات المنشور بعد ذلك الى تخويف الجنود ، ودعوتهم الى التسليم اذا كانوا يؤثرون العافية ، مع اغرائهم بضمان سلامتهم وأمنهم : « أن مصر يجب أن تحرر من هذا الغزو الوحشى . وهناك فى هذه اللحظات جيش كبير وأسطول ضخم فى طريقه اليها . فعلى الذين يرغبون منكم فى اجتناب هذا الخطر الداهم الذى يتهددهم ، ايا كانت رتبهم ، أن يبادروا فورا بابداء هذه الرغبة لقواد جيش الحلفاء وقواتهم البحرية . وسوف نضمن لهم سلامة السفر الى أى مكان يريدون ..

---

(١) نص المنشور فى : La Jonquière, op. cit., pp. 527-8.

وتاريخ تحرير المنشور هو ١١ رمضان ١٢١٣ (١٥ فبراير ١٧٩٩) . أما تاريخ طبعه فهو ٣ ذو القعدة (٨ ابريل) . وقد ذيله سيدنى سميث بعبارة «أقر ، أنا الموقع على هذا بوصفى الوزير المفوض لجلالة ملك انجلترا لدى الباب العالى وقائد الاسطول المشترك حاليا أمام عكا ، بصحة هذا المنشور ، واضمن تنفيذ ما يعرضه» . وتاريخ هذا التذييل هو ٨ مايو ١٧٩٩ .

وليسارع هؤلاء بالافادة من هذا الموقف الكريم للباب العالى ، وباغتنام هذه الفرصة المواتية للنجاة من الهوة الرهيبة التى دفعوا اليها دفعا » .

وتجمع مراجع الحملة على ان منشور الصدر الأعظم لم يحدث اثره المرجو . ومع ان السير سيدنى آكد ان الجنود الفرنسيين كانوا يتخاطفون نسخ المنشور ويقرءونها باهتمام ، فانه لم يقل لنا ان واحدا منهم القى سلاحه واستسلم . (١) ولعل ذلك راجع ـ كما يقول المؤرخون ـ الى المبالغة فى عبارات المنشور ، وعدم القدرة على فهم نفسية جنود الحملة كما ينبغى . وقد يكون من أسباب ذلك أيضا قوة سيطرة بونابرت على جيشه ، واجراءاته المتشددة لقمع أية بادرة للفتنة بين قواته .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى أو الوحيدة التى استخدم فيهاأعداء الحملة هذا السلاح الدعائى ضدها . فقد حدث قبل ذلك وبعده أن تعرضت الحملة فى مصر لعدة هجمات دعائية مضادة ، كان سلاحها هو المنشورات المطبوعة ، التى وجهت الى المصريين غالبا والى غيرهم احيانا .

كان المماليك هم أول اعداء الحملة الذين اقتبسوا سلاحها الدعائى لمحاربتها به ، وكان ذلك رد فعل منطقيا ومعقولا . فقد قضت الحملة على سلطان المماليك فى مصر ، كما ان منشوراتها الى المصريين كانت لاتفتأ تهاجم المماليك وتطعن فى حكمهم ، منذ المنشور الأول المعروف الذى أصدره بونابرت وهو يتأهب لدخول مصر . وقد تحالف العثمانيون فى هذا المجال مع المماليك ، فمصر أعز أجزاء امبراطوريتهم ، وقد انتزعها الفرنسيون منهم بعد ما يقرب من ثلاثة قرون (٢) . وبالرغم من أن حكم المماليك لم يترك للعثمانيين فى مصر سوى السيادة الاسميةوبعض مظاهر السلطان . وبالرغم من ان قيادة الحملة حرصت فى منشوراتها الأولى على تجنب المساس بحقوق السيادة العثمانية على مصر ، وكذلك على تأكيد صداقة العثمانيين للباب العالى ـ كما سبق بيانه ـ ، فقد كان من الطبيعى أن يقوم ذلك التحالف بين المماليك والعثمانيين ضد الحملة الفرنسية .

ومع أننا لم نعثر على منشور واحد من منشورات حرب الدعاية المضادة التى شنتها جبهة المماليك والعثمانيين على الحكم الفرنسى بمصر ، فان منشورات الحملة نفسها تحفل بالاشارات الصريحة الى صدور تلك

---

(١) انظر : Hérold, op. cit., pp. 299-300.

(٢) كان الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ .

المنشورات المضادة . هذا فضلا عن أن معظم مراجع الحملة قدأشارت الى ذلك ، بل ان بعض المؤرخين أثبت نصوص عدد منها • وقد لاحظنا كيف ان منشورات السلطات الفرنسية كثيرا ما كانت تتضمن تكذيب ما يدعيه أعداؤها ، وتندد - ردا عليه - بمساوىء الحكم السابق على عهد الحملة ، وتنوه بجهود الفرنسيين لازالة تلك المساوىء •

والراجح ان اختفاء تلك المنشورات ، رغم ما ثبت من صدورها ، انما يعود من ناحية الى سرية تداولها ومسارعة الناس الى التخلص منها اجتنابا لعنت السلطات الفرنسية ، ومن ناحية أخرى الى تعقب هذه السلطات للمنشورات المعادية بالمصادرة والاعدام •

لقد سبق أن أشرنا ، عند الحديث عن « السياسة الوطنية » و « سياسة الترغيب والترهيب » لقواد الحملة الى ما تضمنته بعض منشوراتهم من ذكر لوجود دعاية مضادة من جانب المماليك والعثمانيين • وكذلك تعرضنا لما صحب هذا من انذارات شديدة اللهجة للمصريين ، اذا هم أصغوا لتلك الدعاية (١) •

والواقع ان عددا من منشورات الحملة التى صدرت قبل أن يزحف بونابرت على سوريا ، قد أثبت بوضوح وصول المنشورات المضادة الى أيدى المصريين ، وحدد مصادرها ، فنجد مثلا ان المنشور الثانى الذى صدر على لسان العلماء لتحذير المصريين من الفتن بعد ثورة القاهرة الأولى ، بعنوان «صورة نصيحة ..» (٢) ، يبدأ بهذه العبارة : «نخبركم ياأهل المداين والامصار من المومنين وياسكان الأرياف من العربان والفلاحين أن ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك ارسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى ساير الاقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرايه بالكذب والبهتان» ثم يعقب على ذلك بقوله : « •• ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهارا مع اغاواة (كذا) معينين •• »

وجاء فى المنشور الخطى الذى أصدره منو الى أهالى « رشيد وسكندرية والبحيرة» فى الوقت نفسه تقريبا (٣) انه ينبغى أن يكون الناس على حذر من اتباع « الذين بيفرقوا الفرمانات (أى المنشورات)

---

(١) انظر مثلا الصفحات ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٧٠ من هذا البحث •

(٢) صدر حسب ما ذكر الجبرتى - فى ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ • أنظر ص ٩٤

(٣) صدر أوائل نوفمبر ١٩٧٨ • ص ١٥٨ •

الباطلة .. وبيصنعوهم باسم حضرة محبنا مولانا السلطان دام بقاه أو باسم أحمد باشا الجزار أو باسم ابراهيم بيك وكلهم فرمانات كاذبة » .. واختتم بقوله ان « صارى عسكر الناحية قصده منع الناس من تصديقهم **الفرمانات الباطلة** الذى (كذا) بتورد وعدم خديعة أصحاب العقول الخفيفة ومنع ما يحصل لهم من العقوبة فأمر ان جميع أرباب الأحكام ومشايخ البلاد يقبضوا على كلمن (كل من) أتا (كذا) ومعه **فرمان كاذب** ويرسلوهم مع من يحتفظ بهم الى حضرة سارى عسكر برشيد » ..

وأكد الجبرتى ورود بعض المنشورات المعادية للحملة فى ذلك الوقت بالذات ، فقال (١) انه « حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات وهى صورة فرمان وعليه طرة (٢) ومكتوب من أحمد باشا الجزار وآخر من بكر باشا الى كتخدائه مصطفى بيك ومكتوب من ابراهيم بيك خطابا للمشايخ وذلك كله بالعربى ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الأفرنج والحط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة وكذبهم وتحيلهم وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك .. » .

وأثبت لاكروا من ناحية أخرى ترجمة فرنسية لأحد تلك المنشورات (٣) . وقال انه بالرغم من يقظة سلطات الحملة فقد تسربت نسخ كثيرة من هذا المطبوع الى مصر . والمنشور طويل مليء بالطعن فى سياسة الفرنسيين ومهاجمة عقائدهم . بل انه يهاجم مبادىء الثورة الفرنسية ذاتها ، مما جعل لاكروا يعلق عليه بأن كاتبه لابد أن يكون أوربيا . ويدعو المنشور المصريين الى مقاومة الفرنسيين « الكفرة » ، مؤكدا أن جيوش السلطان « ستقتلع جذورهم من مصر » .

وامتد النشاط الدعائى لأعداء الحملة فى تلك الأيام الحافلة الى خارج مصر . فعندما أصدر بونابرت منشورا الى سكان القاهرة ، بعد شهرين من ثورتها الأولى ، مهد به لاعلان اعادة تكوين ديوان القاهرة(٤)،

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٢٨ . من حوادث ٢٤ جمادى الاولى ١٢١٣ (يوافق ٤ نوفمبر سنة ١٧٩٨)

(٢) تحريف لكلمة «طغراء» أو «طغرى» ، وهى علامة ترسم على المنشورات والمسكوكات السلطانية وما اليها ، وتتضمن نعوت الحاكم والقابه . وتعنى هنا شعار السلطان العثمانى . واللفظ دخيل على العربيه .

(٣) Lacroix, op. cit., pp. 244-7.

(٤) أنظر ص ٩٨ ـ ٩ ، ١١٤ ـ ١ .

اتخذ بعض اعدائه من هذا المنشــور مادة لدعاية مضــادة فى ايطاليا • فقد التقطه الوطنيون الايطاليون الذين كانوا يكافحون الحـكم الفرنسى لاجزاء من بلادهم وقتذاك ، بطريقة ما ، وترجموه الى الايطالية ، وطبعوه ــ للتشهير ــ مع مقدمة نددوا فيها بســياسة بونابرت فى مصر . ودللوا على ذلك بما ورد فى صــدر المنشــور العربى من عبارات وصفوا مضمونها بالغش والخداع والدجل . وقالوا انها تفصح عن الطبيعة الشــيطانية الكافرة للأمة الفرنسية ولبونابرت (شكل ٦٨) (١) •

ولم يكف أعداء الحملة بعد الحرب السورية ، وبعد عودة بونابرت الى فرنسا ، عن مناوءتها ومهاجمة حكمها بوساطة المنشورات . وقــد سجل الجبرتى واقعة باذاعة منشور معاد بالفرنسية فى أيام منو (٢) . فذكر انه فى ليلة التاسع من رمضان ١٢١٥ (يوافق ٢٣ يناير ١٨٠١) «حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى دفية» وخلاصتها أن محمودا هذا كان عينا للعثمــانيين فى مصر ، « فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار سرا فلما قدموا الى مصر فى السنة الماضية وجرى ما جرى من نقض الصلح (يقصد نقض اتفاقية العريش مع كليبر) ورجوع الوزير ولم يزل سيدى محمود تأتيه المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقى أيضا .. فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفا من سطوة الفرنســاوية وتجسس عيــونهم .. فلما كان فى التاريخ (المذكور) ورد عليه رسول ومعه جواب **وأربعة أوراق مكتوبة باللغــة الفرنســـاوية وفيها الأمر بتــوزيعها ووضــعها فى أماكن معينــة** حيث سكن الفرنساوية فوزع اثنتين وقصد وضــع الثالثة فى موضــع جمعيتهم فلم يمكنه ذلك الا ليلا فأعطاها خادمه وأمره أن يشكها بمسمار فى حائط ذلك المكان •• ففعــل وتلكأ فى الذهاب فاطلــع عليــه بعض الفرنسيس من أعلى الدار فنزل اليه وأخذ الورقة وقبضوا على ذلك الخادم .. » .

وأيا ما كان من أثر هذه الدعاية المضادة فى اضعاف مركز الحملة الفرنســية فى مصر ، سواء أكانت موجهة الى المصريين أم الى جنودالحملة

---

(١) صدر هذا المنشور الفريد فى روما . وجاء فى صفحة العنوان التى سبقت النص المترجم : «منشور من الجنرال بونابرت الى سكان القاهرة الكبرى ، فى ٢١ يناير ١٧٩٩ (اى بعد صدور المنشور الاصلى بشهر) مترجم عن العربية بقلم احد المواطنين الروس» • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٢) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٤٤ ــ ٥ •

أم الى غيرهم ، فالذى يعنينا قبل غيره فى موضوع بحثنا هو تسجيل هذه الظاهرة : لقد ادخل الفرنسيون مع حملتهم الى مصر وسيلة اعلام لم تعرفها البلاد من قبل ، وكان استخدامها فى مختلف الأغراض جزءا اساسيا من سياستهم • وسرعان ما التقط اعداؤهم هذه الوسيلة وحاربوهم بها فى مجال الدعاية •

الباب الخامس

الدور الإعلامى البحت (الإخبارى) للمنشورات العربية

لم تقتصر مهمة المنشـــورات العـــربية على الدعاية ، اينا كانت دوافعها واتجاهاتها ، ومهما اختلف أسلوبها ومنهجهـــا أو موقف قائد الحملة منها • وانما ادت هـــذه المنشورات دورها الاعلامى البحت ، أى الاخبارى ، مثل أية صحيفة عامة ، أو وسيلة اتصال جماهيرى أخرى •

ولقد تفاوت نصيب المادة الأخبارية من محتوى المنشورات تفاوتا كبيرا • ففى بعض المنشورات كانت المادة الدعائية تختلط بالمادة الأخبارية اختلاطا يبرز من خلاله الخبر أحيـــانا فى وضوح ، وتطغى عليه الدعاية أحيانا فلا يكاد يبين •

ومن ناحية أخرى كانت بعض المنشورات تخصص للمادة الأخبارية ، ولكن هذه أيضا لم تكن تخلو بين حين وآخر من دعاية ظاهرة أو خفية •

وقد تعددت هذه المنشورات وتنوعت موضوعاتهـــا ، فكانت بذلك وثائق معاصرة سجلت كثيرا من وجوه الحياة والنشاط الحكومى فى مصر أيام الحملة •

ومن ابرز نماذج المنشورات التى اختلط فيها الاعلام بالدعاية ، مع تميز كل منهما ، فى عهد بونابرت ، المنشور الذى اصدره بعد شـــهرين من ثورة القاهرة الأولى ، وأعلن فيه اعادة تشكيل ديوان القـــاهرة من مجلسين ، عمومى وخصوصى •

ان الجزء الأول من هذا المنشور ــ كما رأينا ــ دعائى بحت . كان قد صدر به وحده منشور مستقل . وهو يمثل نحو ثلث حجمه . أما الجزء الثانى فاعلامى بحت يتضمن النص الكامل لأمر القائد العام بانشاء الديوان الجديد . ويتكون هذا الأمر من ثمانى مواد ، تحـــدد أولاها أسماء أعضاء الديوان العمومى الستين .

ويمكن القول هنا بوجه عام ان كل المنشورات التى تضمنت قرارات القائد العام بانشاء المنظمات التشريعية والقضائية فى القاهرة والاقاليم ،

والتى تتصل اتصالا وثيقا بسياسة بونابرت الوطنية « التمصيرية » ، هى فى حد ذاتها اعلام للجماهير بقيام تلك المنظمات ·

وقد لا يكون الفصل بين الدعاية والاعلام يسيرا فى بعض المنشورات، وانما يمتزجان وتتداخل عباراتهما · ومثال ذلك أول منشور صدر على لسان العلماء أعضاء « الديوان الخصوصى » بعد تكوينه ، ووقعه عنهم الشيخ الشرقاوى رئيس الديوان والشيخ المهدى كاتم سره ·

فبينما يتحدث أعضاء الديوان عن موقف بونابرت من « فتنة » القاهرة ، يذكرون واقعة تكوين الديوان الخصوصى « من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان » · واضاف الأعضاء « للعلم » ان هذا الديوان يجتمع « فى بيت قايد اغاه بالأزبكية ·· » ·

وبينما يتغنون بمناقب بونابرت وحسن رعايته للمصريين ، يقولون انه يريد أن « يفحت الخليج الموصل لبحر النيل الى بحر السويس الاعظم لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر ·· أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق ·· » · وهذه هى أول اشارة صريحة الى مشروع الفرنسيين بتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط عن طريق النيل ، فيما وصل الينا من مطبوعات الحملة الفرنسية ووثائقها ، وفيما تضمنته بحوث علماء الحملة ومؤرخيها (١) ·

---

(١) زار بونابرت منطقة السويس ، وشاهد آثار القناة القديمة التى كانت تربط النيل بالبحر الاحمر عن طريق البحيرات المرة . وقد أشار الجبرتى الى هذه الرحلة الاسنطلاعية للقائد الفرنسى فى حوادث ١٦ رجب ١٢١٣ = ٢٥ ديسمبر ١٧٩٨ (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٣٦ — ٨) . والراجح أن تلك القناة القديمة حفرت أيام الدولة الحديثة الفرعونية . وقد اهملت واعيد حفرها اكثر من مرة بعد ذلك عبر العصور المصرية المختلفة . ويسجل التاريخ للفرعون **نخاو الثانى** (٦٠٩ — ٥٩٤) ق٠م) من الاسرة السادسة والعشرين انه شرع فى اعادة حفر القناة ، ولكنه توقف بعد أن هلك فى هذا العمل نحو ١٢٠ ألف عامل مصرى ، وبعد أن تلقى نبوءة بأن هذه القناة ستكون وبالا على البلاد ولن يفيد منها الا الاجنبي !

ويقول بعض مؤرخى نابليون بونابرت أنه صرح عقب عودته من رحلته تلك بقوله «ان اعادة حفر القناة مشروع عظيم ، ولكنى لست بالذى يستطيع انجازه فى الوقت الحاضر» . ومع ذلك فقد أمر بونابرت بعمل الدراسات اللازمة للمشروع وبفتح ملف خاص به ، حتى يحين الوقت المناسب لتنفيذه . انظر :
Spillmann, Général Georges, Napoléon et l'Islam, Paris, 1969, p. 87.

ولايلبث الأعضاء ، وهم ينصحون مواطنيهم « بالرضى بقضا الله وحسن الاستقامة » ، ان يعلنوهم بان « من كان له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم الا من كان له دعوة (دعوى) شرعية فاليتوجه (كذا) الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية » ·

ومن هذا القبيل المنشور الذى أصدره « محفل الديوان الخصوصى » كذلك ، بمناسبة بدء شهر الصوم عام ١٢١٣ هـ · فمن الناحية الاخبارية تتضمن مادة هذا المنشور عدة أنباء هى :

١ ـ أمر القائد العام باقامة المعتاد من الشعائر الاسلامية ، وممارسة مظاهر الاحتفال التقليدية ، خلال هذا الشهر ·

٢ ـ الاحتفال بموكب الرؤية ·

٣ ـ مشاركة بونابرت فى هذا الاحتفال ، ومقابلته لكبار المشتركين فى الموكب ·

٤ ـ ثبوت رؤية هلال رمضان واعلان الصيام ·

ومع ذلك فلانكاد نعثر فى مادة المنشور على عبارة اخبارية خالصة، وانما تتخلل ألفاظ الثناء على بونابرت وامتداح عطفه وسماحته وكرمه كل عبارات المنشور . فقد أمر باقامة الشعائر .. الخ «ليطمن بذلك الفقرا والمساكين وتنسر بذلك قلوب أمه سيد المرسلين ·· » · ثم انه عندما قابل أعضاء وفد الموكب « كساهم ·· وألبسهم القفاطين وأعطاهم عوايدهم ·· وجبر قلوب الفقره (كذا) والمساكين والبس أمين الاحتساب كرك سمور فخيم ·· » ·

وتمثل المنشورات التى صدرت على لسان أعضاء الديوان فى أثناء غياب بونابرت عن مصر مع حملته السورية لونا من البلاغات الحربية التى تتضمن كثيرا من الانباء · وقد لمسنا من قبل ان الهدف من اصدار هذه المنشورات لم يكن اعلاميا خالصا ، وانما كان فى المقام الأول دعائيا يلتمس تحقيقه بمختلف الاساليب والوسائل · ومع ذلك فقد حفلت هذه المنشورات بكثير من المادة الاخبارية :

ـ فالمنشور الذى صدر بعد الاستيلاء على العريش (٢) يذكر عدة

---

(١) أنظر ص ١٢٩ ·

تفصيلات خبرية لهذا الحـــادث : لقد حوصرت قلعة المدينة « من عشرة رمضان الى سبعة عشر منه ٠٠ » ، « وكان فى القلعة نحو الف وخمسمائة نفر ٠٠ » ، « وبعض الكشاف والمماليك الذين كانوا فى القلعة نحـــو ستة وثلاثين ٠٠ طلبوا ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر ٠٠ فاحســن (سارى عسكر) اليهم وأرسلهم ٠٠ » ٠ بل ان المنشـور تضمن كذلك احصاء بالغنائم : « الفرنساوية وجدوا ٠٠ ارز وبقسماط وشعير وثلثمائة رأس من الخيـــل الجياد وحمير كثيرة وجمـــال غزيرة اكتسبته جميعة الفرنساوية ٠٠ » ٠

أى ان هذا المنشور بعبارة أخرى تضمن « قصة خبرية » مستوفية الأركان ، تجيب عن الأسئلة التقليدية « من ، ماذا ، متى ، أين ، لماذا، كيف ؟ » طبقا لما تقرره قواعد كتابة الخبر المعروفة ٠

ــ وينطبق ذلك أيضا على منشور الاستيلاء على غزة ٠ فمنه يمــكن استخلاص قصة خبرية كاملة ٠ ومضمون هذه القصة ان « العســـاكر الفرنساوية » توجهوا فجر التاسع عشر من رمضان من خان يونس الى غزة ٠ فلما تنبه « عسكر المماليك وعســـكر الجزار » الى قدومهم « فروا هاربين » ٠ وبينما كانت قوات الجنرال مورا (Murat) (١) تناوش فلول الهاربين ، « دخل حضرة سارى عسكر كليبر ٠٠ الى بنـــدر غزة وملكها من غير معارض له ٠٠ » ٠ وهناك وجد الفرنسيون « حواصـــل مشحونة بالذخائر من بقسماط وشعير وأربعمائة قنطار بارود واثنى عشر مدفعا وحاصلا كبيرا مملوءا بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات (قذائف) ٠٠»

ــ أما المنشور المطول الخاص بالاستيلاء على يافا ، فهو بلاغ حربى يحتشد بالتفصيلات التى تحكى قصة هذا الاستيلاء ٠ وهنا أيضا يمكننا ان نستخلص هيكل القصة مما يتداخل معها من عبارات دعائية كثيرة ، سبق ان تعرضنا لدلالتها .

ان القصة تحكى انتقال القوات الفرنسية من غزة الى يافا ، مرورا بالرملة واللد ، وتذكر مقـــدار ماغنمه الفرنسيون من ذخائر ومؤن ٠ وتتضمن القصة بعد ذلك وصفا لحصار يافا وحفر الخنادق واقامة المتاريس حول سور حصنها ٠ ثم تشير الى ان القائد الفرنسى عرض على قائد الحامية المحاصرة التسليم ، ولكن هذا رفض وحبس رسول الفرنسيين ٠

---

(١) ذكر اسم هذا القائد خطأ فى نص المنشور الذى نقله الجبرتى (عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٧ ــ ٨) فكتب مرة «مراوا» ومرة «مراد» ، ولعل الخطأين مطبعيان .

ونتيجة لذلك « هيج صارى عسكر واشتد غضبه » ، وأمر ببدء الضرب بالمدافع . وما لبث جزء من سور الحصن ان دمر . « وفى الحال أمر حضرة صارى عسكر بالهجوم عليهم وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والابراج ودار السيف فى المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج .. الخ » .

ولا تغفل القصة تواريخ التحرك من غزة ، والوصول الى يافا ، وسقوط المدينة . وكذلك لا تغفل أرقام الخسائر من الجانبين أو كمية ما سقط فى أيدى الفرنسيين من سلاح أعدائهم . فهى اذا قصة خبرية كاملة المقومات ، بالرغم مما قد يشوب حقائقها من مغالطات أو تمويهات .

ـ ولا يكاد يختلف المنشور الصادر على لسان العلماء ليصور للشعب موقف القوات الفرنسية المحاصرة لعكا ، بعد أن انقطعت أخبارها زمنا ، عن المنشورات التى مر ذكرها . فالى جانب ما يتضمنه هذا المنشور من مادة دعائية تمثل الهدف الأساسى من اصداره فى تلك الظروف ، فانه يحوى كذلك مادة خبرية ، وان كانت موجزة .

وتتضمن هذه المادة بيانا يؤكد وفرة الذخائر والمؤن لدى القوات الفرنسية ، ويحدد مواقع هذه القوات بالنسبة لقلعة المدينة . ويذيع المنشور بعد هذا نبأ مبالغا فيه عن بعض الانتصارات التى أحرزها الفرنسيون : « ونخبركم أيضا أن الجنرال يونوت (١) انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة فقاتلهم بثلثمائة عسكرى مشاة من عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة وأوقع منهم نحو ستمائة نفس مابين مقتول ومجروح وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره فى الحروب ...» .

ـ ولا يخلو المنشور الدعائى المطول الذى صدر على لسان العلماء أيضا ، بمناسبة عودة بونابرت الى القاهرة من سوريا ، من محتوى اخبارى . ففيه تلخيص لخط سير الحملة السورية وعرض لأهم أحداثها ، مع التركيز على انتصارات القوات الفرنسية . وفيه كذلك اشارة الى حصار عكا بعبارات موجزة توهم أن الفرنسيين دمروها ، حتى «لم يبق فيها حجر على حجر » .

---

(١) لايوجد فى ثبت جنرالات الحملة الفرنسية ، أو ضباطها بعامة ، اسم بهذا الهجاء الذى اورده الجبرتى . والارجح أنه محرف عن «بودو» أو «بودوت» (Baudot) وكان فعلا برتبة جنرال .

ـ وعندما أصدر بونابرت منشوره الى أعضاء الديوان من معسكر الرحمانية قبيل معركة أبو قير البرية، ليحقق به أغراضا دعائية معينة ، حرص على أن يضمنه بعض الأخبار التي جعلها نواة لحديثه الدعائى ٠

فقد قدم للمصريين فى هذا المنشور عرضا موجزا للموقف الحربى الذى سبق نشوب المعركة : « وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة (١) وبعد ذلك سرنا الى اقليم البحيرة ٠٠ وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا حتى ظهروا بثغر اسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنبة وجلل المدافع النازلة عليهم فرحلوا عنها وتوجهوا يرسوا بناحية أبو قير وابتدوا ينزلوا فى بر أبو قير ٠٠ »

ـ وكان اصدار منشور يتضمن رسالة الشريف غالب أمير مكة الى الجنرال بوسيلج « مدير الحدود العامة بمصر » عملا دعائيا واعلاميا معا ٠ فالى جانب ما تضمنته المقدمة التى سبقت نص رسالة الشريف غالب ، والخاتمة التي ذيلت بها ، من محتوى دعائى سبقت مناقشته ، فان اذاعة الرسالة ذاتها كان عملا اعلاميا بحتا ٠ لقد قدمت هذه الرسالة الى القارىء المصرى مادة اخبارية تحفل بكثير من الحقائق التى تتصل بالعلاقات بين شريف مكة والسلطات الفرنسية فى مصر ٠ فمنها علم المصريون :

١ ـ أن الفرنسيين رفعوا العشور (الضرائب) عن البن الوارد من الحجاز) ؛

٢ ـ وأن شريف مكة أرسل بالفعل الى مصر ، بعد انقطاع ورود هذه السلعة ، خمسة مراكب مشحونة من جدة ؛

٣ ـ وانه يطلب من الفرنسيين العمل على حراسة تجار البن وبضاعتهم ، فى انتقالهم من السويس الى القاهرة ، وفى عودتهم بعد اتمام صفقاتهم ؛

٤ ـ وان بونابرت أرسل الى شريف مكة عدة رسائل ، بعضها له ،

---

(١) تل فى مديرية التحرير حاليا ، يوجد على بعد ١٥ كيلومترا شمالى بلدة الخطاطبة ، على الطريق من محافظة البحيرة الى وادى النطرون ٠ وتقع فى سفحه قرية الطرانة أو طرنوت (Terenuthis) ٠ وبهذه المنطقة كثير من المعالم الأثرية التى تدل على أنها كانت مركزا مسيحيا مزدهرا ٠

والبعض الآخر لغيره « فما كان لنا منها فنأملناه وصار اليه الجواب ... وما كان منها معول فى ارساله علينا الى نواحى الهند وابن حيدر (١) وأمام مسكت (مسقط) ووكيلكم (أى القنصـــــل الفرنسى) الذى فى المخا (٢) فجميعا صدرناها من طرفنا مع من نعتمده الى أربابها .. » .

هذا الى أن التذييل ، الذى أضيف تعليقا على الرسالة فى ختـــام المنشور ، تضمن بدوره مادة خبرية . فمنه علم القراءة أن كتاب شريف مكة » ... وصل .. لمصر فى ١٦ شهر الحجة فيكون مدة وصوله ... ثمانية وعشرين يوما وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب البشارة بدخول احدى عشر داوا (سفينة) الى بندر السويس بسلام .. »

أما المنشورات التى صدرت أساسا للاعلام ، سواء أكانت خالصة لهذا الغرض أم خالطها بعض الدعاية ، فكثيرة مختلفة الأغراض . ويتصـــل معظمها بالقوانين التى سنها بونابرت والقرارات والاجراءات التى أراد هذا القائد أن يغير بها صورة المجتمع المصرى ، كما أن بعضها يشير الى احداث عابرة أو مواقف معينة . ويلاحظ من ناحية أخرى كذلك أن بعض هذه المنشورات كانت تصدر من ممثلى الشعب .

ـ ولعل أول هذه المنشورات المنشور الذى صدر بالاسكندرية بعـد أيام قليلة من احتلالها ، ويتضمن بيانا بتعريفة النقود المتداولة وقتذاك فى مصر ، يحدد أسعار مبادلتها بالعملة الفرنسية . (٣) وقد طبــع المنشور ، كما نص فى صدره ، بالعربية والفرنسية . ويتضح من النسخة الفرنسية التى عثرنا عليها (راجع شكل ٢١) ان هذا البيان النقـــدى

---

(١) هو تبو صاحب (Tippo Sahib) ابن حيـــدر على ، ســـلطان ميســـور بالهنـــد ، وكان ممن قاوموا امتـــداد الاستعمار البريطانى فى شـــبه القارة الهندية (١٧٥٣ — ١٧٩٩) .

(٢) المرفأ اليمنى المعروف ، الذى كان وقتئذ يشتهر بتجارة البن .

(٣) نص المنشور مؤرخ ١٨ مسيدور سنة ٦ (يوافق ٦ يوليو ١٧٩٨) . وهنـاك بالنسبة لطبعه احتمالان :

١ ـ أن يكون قد طبع على ظهر البارجة «لوريان» وهى راسية بالميناء ، اذ لم تكن مطابع الحملة قد أنزلت الى البر وأعدت للعمل قبل يول ٢١ مسيدور (٩ يوليو) . فنحن نعلم أن بونابرت أصدر أمرا يوم مغادرته الاسكندرية فى ١٩ مسيدور (٧ يوليو) بانزال المطابع واقامتها خلال ٤٨ ساعة (أنظر ص ٢٣ . ولاينقض هذا الاحتمال ماذيل به المنشور من أنه طبع بالاسكندرية «بمطابع الحملة الشرقية والفرنسية» . فقد سبق أن اختتم منشور بونابرت العربى الاول بعبارة «تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ...» ، مع أن قوات الحملة لم تكن قد نزلت بعد الى المدينة . =

اصدرته لجنة مصرية فرنسية مشتركة ، تتكون من ثلاثة من كبار تجـار الاسكندرية ، وستة من المسئولين الفرنسيين (١) ٠

ـ وفى الاسكندرية كذلك صدر منشور آخر بعد بصعة أيام ، وقعه نسعة من كبار رجال المدينة ، وقد سبق أن أشرنا اليه عند الحديث عن السياسة الوطنية (٢) ٠ والجانب الاعلامى من هذا المنشور يتنـاول الاجراءات التنظيمية التى تبعت استقرار الأمور للفرنسيين بالمدينة ، وهو يتمثل فى خطاب من موقعيه الى « حضرة حكام الاسـكندرية (أى مشايخ الاخطاط أو الحارات) انهم ينادوا على جميع أهل الثغر بأنهم يعلقوا عـلى كل أربعة ديار قنديل وعلى كل طاحونة وكل قهوة قنديل وانهم يرسلوا الى حضرة الجلنار (أى الجنرال ، قومندان المدينة) كل ليلة قبل المغرب بساعة اثنى عشر رجلا من العقلا يدوروا مع جماعته لاجل أمان جميع الناس وعدم حصول ضرر الى أحد ٠٠ »

وفى القاهرة كان طبيعيا ، بعد استقرار الأحوال للحكم الجديد فى الأشهر الأولى ، أن تقوم المنشورات فى الحقل الاعلامى بدور الصحيفـة الرسمية ، فتصدر متضمنة ما تقرره السلطات من التنظيمات لادارية ٠ وقد أشار الجبرتى الى ما رآه من هذه المنشورات التى لاشك فى أنهـا كانت اما خطية أو مطبوعة بالاسكندرية ٠ فلم نكن مطابع الحملة المزودة بمعدات الطباعة العربية ، كما أسلفنا القول ، قد وصلت الى العاصمة ٠ ولم تكن مطبعة مارك أوريل ـ من ناحية أخرى ـ تملك حروفا عربية ٠

ـ ومن نماذج هذه المنشورات المنشور الخاص بربط ضريبة الأراضى الزراعية (المال) وقد ذكره الجبرتى بقوله (٣) « قدروا فرضة من المال

= ٢ ـ أن يكون قد تأخر طبعه بضعة أيام ، أى الى مابعد اقامة المطابع بالمـدينه ٠ والراجح ـ على أية حال ـ أن هذا هو أول منشور «مطبوع» يصدر بالمدينـة بعـد احتلال الفرنسيين لها ٠

(١) التجار المصريون هم : الحـاج أبو الريش ، والحاج عبد الوهاب الحواش والحاج مبرجى (مبارك ؟) الدفاق ٠ أما المسئولون الفرنسيون فهم : سوسى مـدير التنظيم والادارة ، والعالمان برنوليه ومونج عضوا المجمع ، وبوسيلج مدير الشـئون المالية ، واستيف مدير الخزانة ، والقنصل مجانون ٠

(٢) أنظر ص ١٤١ ٠

(٣) عجـائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٦ ، من حوادث يوم ٢٠ ربيـع الأول ١٢١٣ (أول ستمبر ١٧٩٨) ٠

على القرى والبلاد ونشروا بذلك أوراقا وذكروا فيها انها تحسب من المـال وقيدوا بذلك الصيارف من القبط » .

ـ ومن أبرز المنشورات فى هذا المجال المنشور الذى يتضمن الأمر بانشاء الديوان المسمى « محكمة القضايا » ، وقد سبق ان أشرنا اليـه عند الحديث عن سياسة بونابرت الوطنية (١) . فقـد أوضح هـذا المنشور أسس تكوين تلك المحكمة وحدود مهمتها .

ونص المنشور كذلك على أنه الى جانب الاختصاصات القضـائية المدنية : فان هذه المحكمة سوف تختص بتسجيل العقارات واثبـات ملكيتها . «ومن لم تكن بيده حجة تمليك .. أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل أو مفيدة ولم يثبت ذلك التقييد فانها تضبط لديوان الجمهور (أى تصادر لصالح حكومة الجمهورية) .. »

ـ ومن هذا القبيل أيضا المنشور الخاص بتحديد الضرائب على العقارات . ويقول الجبرتى بصـدده (٢) : « عملوا (عقدوا) الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار فجعلوا على (الفئة) الأعلى ثمانية (ريالات) فرنسة والأوسط ستة والأدنى ثلاثة وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معافى وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم وألصقوها بالمفارق والطرق وأرسلوا منها نسخا للأعيان . »

ـ ومن أمثلة المنشورات التى تتصل بالاجراءات المالية كذلك المنشور الذى طبع بالعربية والفرنسية ، متضمنا نص أمر من القائد العام فى أربع مواد ، لتنظيم أداء ضريبة الأرض الزراعية (شكل ٦٩) (٣) .

ويحدد الأمر مهمة «قضاة الجمهور» (٤) والملتزمين فى هذا الشأن، كما يرتب تقسيط المستحقات وشروطه ومواعيده . وقد وقع المنشور

---

(١) راجع ص ١١٨ ـ ١٩ .

(٢) المرجع السـابق ، جـ ٣ ، ص ٢٥ ، من حوادث ١٠ جمـادى الاولى ١٢١٣ (٢٠ أكتوبر ١٧٩٨) .

(٣) بتاريخ ٢٤ فريمير سنة ٧ (١٤ ديسمبر ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٤) أى ممثلى ادارة التسجيلات والاملاك العامة .
(les administrateurs de l'enregistrement et domaines nationaux)

« قضاة الجمهور الفرنساوى بمصر » ، وهم خمسة : ثلاثة فرنسيون واثنان مصريان . واحد المصريين هو « ملطى » الذى عرفنا من قبل أنه كان على رأس « محكمة القضايا » .

ـ ومنها المنشور الذى صدر كذلك بالعربية والفرنسية (فى طبعتين منفصلتين) متضمنا نص أمر مماثل للقائد العام من ثمانى مواد ، لانذار مستأجرى الأراضى الزراعية الذين تأخروا فى سداد التزاماتهم الضريبية ، وتحديد الغرامات والجزاءات التى توقع نظير هذا التأخير . وقد وقع هذا المنشور بوسيلج « مدبر الحدود العام بمصر » (شكل ٧٠) (١) .

وأذاعت منشورات أخرى نصوص عدد من القوانين أو القرارات التى تستهدف تنظيم مختلف نواحى الحياة فى مصر على أسس حديثة . ومنها المنشور الذى يتضمن قانونا لا يختلف عن قانون تسجيل نزلاء الفنادق وما اليها ، الذى نعرفه فى مصر اليوم ، والذى لاشك فى أنه كان مطبقا وقتئذ فى فرنسا ذاتها (٢) . فهذا القانون « يلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو اقليم أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ولايتأخر عن الاخبار الا مدة أربعة (كذا) وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ... »

ويوجه المنشور تحذيرا من التراخى فى تنفيذ هذه التعليمات ، يتضح منه أن اصدار القانون كان من اجراءات الأمن التى أراد الفرنسيون بها أن يتوقوا تسلل وكلاء أعدائهم الى البلاد : « والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة واذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكره ... يكون صاحب المحل متعديا ومذنبا وخائنا وموالسا مع المماليك » .

---

(١) صدر بتاريخ ٢٨ بريريال سنة ٧ (١٦ يونيو ١٧٩٩) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) ذكره الجبرتى فى حوادث ١٧ شوال ١٢١٣ (٢٤ مارس ١٧٩٩) ، **عجائب الآثار**، جـ ٣ ، ص ٥٢ ــ ٣ . وقد قدم له بعبارة غير واضحة ، اذ قال ان مضمون هذا المنشور هو «الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دستى قائمقام (يقصد دوستان : Dustin حاكم القاهرة فى ذلك الوقت) يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر وينتبهوا لها وكل من خالفه يحصل له مزيد من الانتقام وهو أنه يتحتم ويلزم .. » . والراجح أن هذه العبارة تشير الى جزء محذوف من صدر المنشور يتضمن خطابا من الجنرال دوجا الى الديوان لاذاعة ذلك المتون . وفى هذه الحالة يكون المنشور قد صدر على لسان أعضاء الديوان .

ثم ينبه الى أن مخالفي هذا القانون سيعاقبون بغرامة « عشرين ريالا فرانسه في المرة الأولى وأما في المرة الثانية فان الغرامة تضاعف ثلاث مرات ... » . ويؤكد بعد ذلك مبدأ المساواة بين الجميع فى الخضوع لهذا القانون ، فيقول للمصريين « ان الأمر بهذه الاحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل . »

— ومن هذه المنشورات كذلك منشور يتضمن تدبيرا (قرارا) أصدره «خزندار العام استهوه» (١) ، بالعربية والفرنسية ، لتنظيم صناعة تقطير الخمور وتجارتها (شكل ٧١) (٢) .

ويلزم هذا القرار ، الذى يتكون من ست مواد وتذييل ، « كل من يخرج عرقى فى مصر أو فى الجيزة أو فى مصر القديمة أو فى بولاق انكان (ان كان) فرنساوى أو مصرى أو خلافه ملزوم يحضر ويقيد اسمه عند المتوكل على معمل العرقى (أى مفتشى المعامل) فى دفتر وفى هذا الدفتر الذى يكون كل معمل بنمره » . وكذلك يلزمه « ان يحط على باب بيته نمرة معمله وكتابه (أى ويكتب) بحروف كبار بالعربى والفرنساوى هذا معمل عرقى » .

ويحدد القرار السعر الذى يباع به العرقى ، والحد الأدنى لدرجة الكحول به ، كما يحتم «ان العرقى يكون طيب ولم يكون مخلوط ولم يكون يضر » ، ويفرض غرامة على بيع العرقى المقطر سرا ، ثم يفرض ضريبة انتاج على هذا المشروب مقدرة حسب كميات الثمار التى تقطر ، كالبلح . وقد تضمن « التعريف » الذى ذيل به القرار تفصيلات هذه الضريبة .

ومن هذا المنشور نستخلص حقيقة هامة تتصل بادارة معامل العرقى. فهو ينص على أن «كل صاحب معمل يدفع الى مستاجر قلم العرقى المال الذى عليهم (أى عليه) بموجب التعريف أدناه .. » . وينص فى

---

(١) هو استيف (Estève) مدير الخزانة .

(٢) المنشور غير مؤرخ . ولكن نستطيع القول أنه صدر فيما بين شهرى مايو ويونيو عام ١٧٩٩ ، فى أواخر عهد بونابرت . أما تحديد الشهر فنستدل عليه من صدر المنشور الذى يبدأ بعبارة «قبل شهر مسيدور القادم ...» وأما تحديد العام فيؤكده منشور لاحق صدر فى أوائل عهد منو (تاريخه ٧ سبتمبر ١٨٠٠) ، وبه اشارة الى صدور هذا المنشور قبله بعام . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . ولم يشر الجبرتى الى هذا المنشور مطلقا ، ويبدو أنه وجد فيه موضوعا لا يهمه ، أو أنه امتنع عن نشره بسبب مركزه الدينى .

موضع آخر على أن « مستأجرين أقلام العرقى يقبضوا دائما على الشيء الذى يخرج منه العرقى الميرى الذى لهم بموجب التعريف .. »

ويدل النص الفرنسى لهذه العبارات على أن المقصود بالمستأجر هو الملتزم(adjudicateur) . ومعنى ذلك ان معامل العرقى كانت تدار بواسطة ملتزمين يستأجرونها ويلتزمون قبل السلطات بتحصيل الضريبة المقررة عليها .

والواقع أن عددا من منشورات الحملة فى عهود قوادها الثلاثة ، يدل فى وضوح على أن كثيرا من مصادر الايراد الضريبى كانت تؤجر بالمزاد ، لملتزمين يتولون ادارتها أو استغلالها وتحصيل مايستحق عليها من الضرائب للحكومة (١) .

ومن ذلك منشور صدر فى الأيام الأخيرة لعهد بونابرت فى مصر ، وأشار الجبرتى الى محتواه بايجاز فقال (٢) : « .. كتبوا أوراقا .. مضمونها انقضاء سنة مؤجرات أقلام المكوس ومن أراد استئجار شيء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ مايريده بالمزاد » . والمقصود بعبارة « أقلام المكوس » هنا هو الوحدات التى تغل ايرادا تحصل عنه الحكومة ضريبة ما ، فى مختلف قطاعات الانتاج والاستغلال . وسنرى نماذج متنوعة من هذه المنشورات فى عهد كليبر ومنو .

ان مثل هذه المنشورات لتدعو الى القول بأن موضوع النظام الاقتصادى لمصر أيام الحملة جدير بأن يلتفت اليه أحد الباحثين المتخصصين . وسوف يجد هذا الباحث ولاشك فى كثير من منشورات الحملة مادة طيبة تعينه

---

(١) الالتزام من النظم التى عرفت ابان العصر العثمانى ، وكان يطبق أساسا على الأراضى الزراعية . وأصله أنه لما فسدت الادارة الحكومية انصرف كثير من الناس عن الزراعة ، فهبطت قيمة الأراضى وقل الخراج . فعمد الحكام الى طريقة الالتزام ، وهى تضمين الضرائب لأفراد يتولون جمعها عن الحكومة ، ويشاركونها فيما يجبونه من الأهالى ، وذلك بمقتضى صك يسمى « التقسيط » . وكانت حصص الالتزام توزع اما عن طريق المزايدة ، واما بالاتفاق سلفا على قيمة الحصيلة السنوية (انظر : الرافعى، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٣٩) .

(٢) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٧٩ ، من حوادث يوم ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤ (٢٩ أغسطس ١٧٩٩) . وكان بونابرت قد غادر مصر سرا قبل ذلك بستة أيام ، ولكن لم يكن خبر سفره قد أذيع ، كما لم يكن خليفته كليبر قد حضر الى القاهرة ومارس فيها سلطات القائد العام بعد .

على استكمال بحث تفتقر اليه مكتبتنا التاريخية بوجه عام ، وما يتصل منها بتاريخنا الاقتصادى بوجه خاص ٠

ويتناول كثير من هذه المنشورات الشئون الصحية التى لقيت من الفرنسيين منذ احتلالهم مصر اهتماما خاصا ، وان كانت اجراءاتهم فى هذا الصدد قد أثارت نفور المصريين ، اذ اعتبروها تدخلا من السلطـــة فى حياتهم الشخصية ٠ وقد اتفق كثير من المؤرخين على أن ذلك كان من اسباب ثورة القاهرة الأولى ضد الحكم الفرنسى (١) .

ولعل أول تلك المنشورات المنشـــور الذى أصدره الجنرال كليبر (قله بر) بالاسكندرية بعد بضعة أيام من احتلالها (شكل ٧٢) (٢) . ويتضمن هذا المنشـــور أمرا من مادتين ، يفرض حظـرا على كل أنواع المنسوجات الواردة « من بلاد العثمانية » (فى النص الفرنسى «من بلاد الشام ») ٠ والغرض من ذلك « ابعاد الطاعون المهلك للنـــاس مرحمة عليهم » ٠

ويشمل الحظر ما قد تحمله السفن الى الميناء من هذه المنسوجات ، وما قد يكون موجودا منها من قبل فى متاجر المدينة ، خصوصا اذا كانت ٠٠ مربوطة أو محشوة فى غراير ٠٠ » ٠ وينذر الأمر بأشد العقاب كل من يتراخى فى تنفيذه أو يتهاون فى ابلاغ الادارة الصحية عما قـد يوجد من تلك المنسوجات المحظور استخدامها . ويبدو أن الهدف من وراء حظر المنسوجات بالذات كان الخشية من تسرب البراغيث الناقلة لميكروب ذلك الوباء .

ومن هذا القبيل المنشور الذى تضمن اتخـــاذ بعض الاجراءات للمحافظة على الصحة العامة ، والحد من انتشار الأوبئة ٠ ويقول الجبرتى

---

(١) أنظر مثلا : الشناوى ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ٩٤ ــ ٩٥ ؛
Herold, op. cit., p. 189.
وقد ذكر الجبرتى طرفا من هذه الاجراءات ، فقال فى حوادث يوم ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ (٢٧ سبتمبر ١٧٩٨) ، **المرجع نفسه** ، جـ ٣ ، ص ٢١ : ان الفرنسيين « نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كترتبة الازبكية والرويعى ولايدفنون الموتى الا فى القرافات البعيدة .. واذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر ونادوا أيضا بنشر الثياب والامتعة والفرش بالاسطحة عدة أيام وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة ...» .

(٢) صدر بالعربية والفرنسية بتاريخ ٢٤ مسيدور سنة ٦ (يوافق ١٢ يوليو ١٧٩٨) . وهذه النسخة من محفوظات مكتبة المتحف البريطانى بلندن .

عن هذا المنشور (١) «نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوما وقيدوا على مشايخ الاخطاط ٠٠ بالفحص والتفتيش فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك فتصعد المرأة الى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ٠ وكل ذلك للذهاب بالعفونة الموجبة للطاعون وكتبوا بذلك أوراقا لصقوهـا بحيطان الأسواق على عادتهم فى ذلك » ٠

ومن ذلك أيضا منشور صدر فى الاسـكندرية بتوقيع قائدهـا (قومندانها) الجنرال مارمون (شكل ٧٣) (٢) ، يتضمن أمرا مشابها يقضى بأن يقوم موظفو الادارة الصحية بتفتيش « جميع الأماكن والمحلات ليعلمو ان كان فعلوا بموجب الأمر ونضـفوا والا باقى فيهـا شى مفسد للهوا (٣) ٠

ويلزم هذا الأمر كذلك « الحكما والجراحين والمزينين » بالابلاغ عن المرضى ، كما يحتم الابلاغ عن المتوفين فور حدوث الوفاة ٠

ثم ينص الأمر على أن « جميع الغسالين والحفارين ٠٠ ممنوعين من تغسيل الأموات ودفنهم » الا بتصريح رسمى من السلطات الصحية ٠ ويفرض الأمر بعد ذلك عقوبة الغرامة والحبس لكل من يخالفه ٠

ولم يلبث الجنرال مارمون ان أصدر أمرا صحيا آخر ، طبع فى منشور بالعربية والفرنسـية (شكل ٧٤) (٤) ٠

وأهم ما تضمنه هذا الأمر :

١ ــ انشاء محجر صحى (قرانتينه) على أحد مداخل الاسكندرية ، وهو باب رشيد ٠

٢ ــ منع السفر من الاسكندرية ، الا بتصريح من السلطات الصحية بعد قضاء عدة أشهر فى الحجر ٠

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤ من حوادث أول جمادى الأولى ١٢١٣ (١١ اكتوبر ١٧٩٨) ٠

(٢) بتاريخ ١٥ فريمبر سنة ٧ (٥ ديسمبر ١٧٩٨) ٠ وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخيه بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠

(٣) يبدو من هذه العبارة أن أمرا سابقا قد نشر من قبل ، يماثل الامر الذى ذكرناه آنفا لمدينة القاهرة ٠

(٤) بتاريخ ١٦ نيفوز سنة ٧ (٥ يناير ١٧٩٩) ٠ وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ٠

٣ ـ اقامة سياج خارج باب رشيد نحجز وراءه البضائع القادمة للمدينة · ويتسلمها أصحابها من خلال السياج ، دون أى اختلاط بمن جاءوا بها ·

٤ ـ فرض الرقابة الصحية الصارمة على السفن الواردة الى الثغر من رشيد وأبو قير ، بحيث ترسو فى مكان معين ولايسمح لبحارتها بالنزول ، وانما تتبادل البضائع دون اختلاط تحت اشراف صحى دقيق : «كل النواتية (البحارة) الذين يختلطو مع أهل البلد يوضعوا فى القرنتينه » ·

وتشير هذه الأوامر الى ما رددته بعض مصادر الحملة من تفشى وباء الطاعون الدملى وقتذاك فى مصر ، وبخاصة فى المدن الساحلية · وقد اشتد فتك الوباء بالاسكندرية فى الوقت الذى صدر فيه منشور مارمون آنف الذكر بالذات . وبعث مارمون الى منو ، حاكم الاقليم الذى كان يقيم فى رشيد ، بأكثر من رسالة يناشده فيها المعونة على مكافحة الوباء (١) ·

ومن المعروف أن الطاعون قد تفشى بصورة أكبر بين جنود جيش الحملة السورية ، وبخاصة فى أثناء حصار يافا . ويبدو أن السلطات الفرنسية فى مصر رأت وقتئذ ضرورة القيام باجراءات وقائية مشددة ، حتى لا ينتشر الوباء فى البلاد · فقد أصدر الجنرال دوجا نائب القائد العام منشورا شديد اللهجة (٢) ، وجهه « لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها » أى لسكان القاهرة الكبرى ، يحذرهم فيه من « تشويش الكبة » (٣) · ويقول منبها : « كل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك فى محل من المحلات يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة (أى تعزلوه) ويجب قفل ذلك المكان ··· » ·

ويلزم المنشور كذلك مشايخ الحارات بالابلاغ فورا عن حالات الاصابة المشتبه فيها ، كما يلزم الأطباء باخطار « قائمقام » نفسه عن الحالات التى يتحققون من اصابتها بالوباء « ليأمر بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش ··· » ·

---

(1) La Jonquière, **L'Expédition d'Egypte**, IV, pp. 38-40.

(٢) ذكره الجبرتى فى حوادث يوم ١٧ شوال ١٢١٣ (٢٤ مارس ١٧٩٩) : **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ص ٥٢ ، أى أنه صدر فى الوقت الذى كانت قوات الحملة السورية فيه قد بدأت تحاصر مدينا عكا ، بعد أن استولت على يافا .

(٣) الكبة (بضم الكاف) : الطاعون . وهو لفظ عربى مولد .

والى جانب عقوبة الجلد التى يفرضها المنشور على مشايخ الحارات الذين يقصرون فى الابلاغ ، فانه يذهب الى حد فرض عقوبة الاعدام على « من أصابه هذا التشويش أو حصل فى بيته لغيره من عائلته ٠٠ وانتقل من بيته الى آخر ٠٠٠ » . وكذلك على « كل رئيس ملة فى خط اذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه أو بمن مات بهـــا ٠٠ حالا فوريا ٠٠ » ٠ وعلى « المغسل .. اذا رأى الميت انه مات بالكبة أو شك فى موته ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة » ٠

ومن هذا القبيل المنشور الذى أصدره « محفل الديوان العمومى » الى « جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة » كذلك (١) ، ينبههم الى « عدم المخالطة مع النسـاء المشهورات ، لأنهن « الواســطة الأولى » لنقل مرضى « تشويش الطاعون » ثم يوجه انذارا الى كل فرد « فرنساويا أو مسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أى ملة كان » بأن جزاءه سيكون الموت اذا « أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النساء المشهورات » ٠ وكذلك ينذر بالموت أولئك النساء المشهورات ، اذا «دخلن من أنفسهن» ٠

وواضح أن المقصود بعبارة «تشويش الطاعون» هنا هو مرض الزهرى (Syphilis) الذى ينتقل فعلا بهذه الطريقة ، وليس وباء الطاعون الذى صدرت المنشورات التى سبق الحديث عنها من أجله ، وأشارت اليه بعبارة « تشويش الكبة » ٠

ويلفت النظر فى هذا المنشور من ناحية أخرى أنه موجه الى كل « سكان » القاهرة الكبرى ، مصريين وأجانب ، مسلمين ومسيحيين ويهود ، بل انه يمتد كذلك ليشمل الفرنسيين أنفسهم .

ويعلق الدكتور لويس عوض على هذا المنشور بقوله (٢) انه « وثيقة ذات أهميـــة عظمى لأنهـــا تثبت أن ولاية البرلمان المصرى فيما يتصل بسن القوانين المدنية كانت نافذة لا على الرعايا المصريين فحسب ، ولكن على الأجانب أيضا بما فيهم جنود جيش الاحتلال ٠ ونظيرها القانون الخـــاص بتسجيل نزلاء الفنادق . . وهى ونظائرها تثبت أن سلطة اصدار القوانين فيما لا يمس السياسة العليا كانت من اختصاص الديوان العمومى ٠ » ٠

ويمكن التعقيب على هذا التعليق بأن ما سماه الكاتب بالبرلمان المصرى ، وهو الديوان العمومى الذى صدر المنشور باسمه ، كان يتكون بالفعل من

---

(١) ذكره الجبرتى (عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٧) ضمن حوادث شهر ذى القعدة ١٢١٣ دون تحديد اليوم ٠ ويقع هذا الشهر بين ٦ أبريل و ٥ مايو ١٧٩٩ ٠

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ٨٦ ٠

ممثلين لكل سكان العاصمة بمختلف جنسياتهم وطوائفهم ، فلا غرابة في أن تمتد دائرة « اتصاله » - لا ولايته - لتشمل كل هؤلاء السكان . وغني عن القول أن « الولاية » الحقيقية انما كانت لسلطات الاحتلال الفرنسي وحدها . وأن «الديوان» في أي شكل من أشكاله كان محدود السلطة »، وكانت أهميته الرئيسة في انه واسطة لها وزنها في «الاتصال» بالجماهير لتيسير مهمة حكومة الحملة .

***

وتناولت منشورات أخرى ، ومنها ما لم يشر اليه مرجع من قبل ، موضوعات لها أهميتها التاريخية الخاصة . فهي تلقى الضوء على بعض جوانب الحياة المصرية آنذاك ، ويمكن أن نستخلص منها عدة دلالات .

ولعل من اهم هذه المنشورات منشورا مطولا صدر في الاسكندرية، لم يشر اليه أحد من مؤرخي الحملة (شكل ٧٥) (١) . ويتضمن الاتفاق على انشاء شركة مساهمة بين عدد من تجار الجملة والسلطات الفرنسية بالثغر .

ويتكون المنشور من أربعة أجزاء :

(أ) نص الكتاب الذى بعث به عشرة من التجار الى الجنرال مارمون، يعرضون فيه انشاء « شركة الأخوية » (٢) ، ويطلبون معاونته على تنفيذ مشروعهم ، « لأن في ذلك منفعة عظيمة الى جميع سكان الثغر » .

(ب) رد الجنرال مارمون على التجار . الذى رحب فيه بمشروعهم وأعرب لهم عن سروره لاجتهادهم وغيرتهم « على تحصيل الذخاير وجلبها للبلد » . ثم قال لهم مؤكدا : « ... وتقدروا تعتمدوا علينا في اعانتكم وحمايتكم ونفعل كل ما يخرج من يدى لأجل تقديم شركتكم ولخيرية عاقبتها .. » . ونوه بأن هذا المشروع جدير بأن يعلن على الناس : « ولازم ان أهل البلد يعرفوا همتكم واجتهادكم في هذا الأمر مثل ما عرفتها انا ... » .

(جـ) النص الكامل لمشروع « شركة الأخوية » المقترح . وهو يتكون من ست عشرة مادة ومقدمة ، ومضمونه :

---

(١) مؤرخ ٧ جرمينال سنة ٧ (٢٧ مارس ١٧٩٩) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس . وقد صدر المنشور بالعربية والفرنسية في طبعة واحدة من سبع صفحات .

(٢) في النص الفرنسي « Compagnie de Commerce »، اى « شركة تجارية » .

١ ـ ان تجار الاسكندرية فكروا فى هذا المشروع لما لمسوه من ركود الحالة التجارية ، وما أدى اليه ذلك من الاضرار بالاقتصاد العام « ظهر الى تجار الاسكندرية أن وقوف المتجر شى موزى (شىء مؤذ) الى جميع السكان ... » .

٢ ـ ان الشركة المزمع انشاؤها شركة مساهمة يبلغ رأسمالها ستين ألف فرنك ، تقسم على خمسين سهما .

٣ ـ ان المساهمين يتألفون من « تجـــار المسلمين والمسيحيين والافرنج » .

٤ ـ ان هذه الشركة سوف تختص بالتجارة فى المواد التموينية « مثل قمح ودقيق وفول وشعير ورز وغيره » .

ويتضمن المشروع أيضا نظام العمل بالشركة وتوزيع الاختصاصات ثم يطلب التجار الذين اقترحوه من الجنرال مارمون « كل الحماية وكل الأوراق اللازمة (١) ، وأمر لاجل أخذ النفاير (السفن) والقوارب الذى (كذا) يحتاجوها » ، ويطلبون كذلك «أن يعطى لهذه الشركة المعـاونة والحماية المخصوصة » .

(د) محضر اجتماع التجار بمنزل الجنرال مارمون لانتخاب المرتبين (المديرين) وأمين الصندوق وغيرهم من أصحاب المناصب الرئيســة فى الشركة . وقد وقع على هذا المحضر مؤسسو الشركة من التجار المصريين والمسئولين الفرنسيين ، وممثل للتجار الأجانب الذين لم يتمكنوا من حضــور الاجتمــاع .

وتوضح لنا هذه الوثيقة الخطيرة أكثر من حقيقة تاريخية بالغـة الأهمية . فهى تشير الى تأسيس أول شركة مساهمة فى مصر ، على أحدث النظم الاقتصادية والادارية ، يمثل فيها العنصر المصرى بنسبة كبيرة (٢) . ثم ان اشتراك المسئولين الفرنسيين فى هذه الشركة ظاهرة تلفت النظر حقا . فهى تجعل منها «مؤسسة» أو «هيئة» ذات طابع

---

(١) المقصود بهذه الاوراق ، كما جاء فى النص الفرنسى للمشروع ، جوازات السفر او تصريحات المرور (passeports) .

(٢) الواقع أن اســماء التجار الوطنيين الذين اسســوا هذه الشركة تدل على عنصرهم المصرى الأصــيل ، بل ان معظمهم ينتمون الى اسرات مصريـة مازالت معروفـة بالاسكندرية حتى الآن ، مثل «أبو هيف» و «أبو شادى» و «الفرنانى» و «جميعى» .

فريد يجمع بين ملامح مؤسسات القطاع العام كما نعرفها فى مجتمعنا الحاضر ، وبين شركات الاقتصاد الحر كما عرفناها من قبل .

وسواء أكانت فكرة تكوين «شركة متجر الأخوية» نابعة اصلا من التجار الوطنيين بالثغر ، أم كانت بايحاء وتشجيع من السلطات الفرنسية الحاكمة (١) ، فان ذلك لايغير من حقيقتين : الأولى أن الشركة ، بملامحها تلك ، قد سبقت فى الوجود ما عرفته مصر من الشركات التجارية الحديثة التى يسهم فيها المصريون بنصيب رئيسى ، بعشرات من السنين . والحقيقة الثانية أن الأسس التى قامت عليها الشركة تختلف تماما عن أسس النظام الاحتكارى الحكومى الذى اختطه ، بعد الحملة الفرنسية ، محمد على .

ومن المنشورات التى أذاعت على المصريين بعض أنباء الأحداث الهامة المنشور الذى تضمن أن مصطفى بك كتخدا الباشا (أى وكيل الوالى التركى بكر باشا) ، والذى كان فى الوقت نفسه أميرا للحج ، قد « رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه» (٢) . وأكد المنشور أن « أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شيء » . ثم أعلن أن « من كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر والمراكب حاضرة والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون ... » .

---

(١) لا نستبعد تدخل الفرنسيين بصورة ما فى تحريك فكرة انشاء هذه الشركة . فقد حدث قبل ذلك باربعة أشهر (فى ١٤ نوفمبر ١٧٩٨) أن أوعز بونابرت الى بوسيلج مدير الشئون المالية للحملة بأن يعمل على تاسيس شركة مساهمة من التجار الأوربيين الموجودين بالقاهرة ، برأسمال قدره ثلاثمائة الف فرنك توزع على مائة سهم . ولكن لم تضم هذه الشركة واحدا من التجار المصريين . انظر : **مراسلات نابليون** ، المجلد الرابع ، وثيقة ٣٦١٩ .

(٢) ذكر **الجبرتى** (**عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٥٤) هذا المنشور ضمن حوادث ٢٦ شوال ١٢١٣ (يوافق ٢ ابريل ١٧٩٩) . وكان الفرنسيون قد قلدوا مصطفى بك هذا المنصب فى أوائل أيام حكمهم ، وأشار الجبرتى الى ذلك فى حوادث ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ (أول سبتمبر ١٧٩٨) ، ص ١٦ ، بقوله : « قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على امارة الحاج فحضروا الى المحكمة عند القاضى ولبس هناك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان ...» . واختار بونابرت مصطفى بك فيما بعد ضمن الكبراء الذين رأى أن يصحبوه فى الحملة السورية ـ كما ذكرنا من قبل ـ ، غير أنه تخلف عن السفر وقام بتصرفات اعتبرها الفرنسيون خروجا عليهم وخيانة لهم . وقد التجأ بعد ذلك الى بعض القرى وحاول أن يسترضى السلطات الفرنسية ليسافر مع بعثة الحج وكتب الى المسئولين بذلك ، ولكنهم رفضوا ثم أصدروا هذا البيان .

وهناك منشورات أخرى تناولت بعض شئون الحياة اليومية العادية، ولا تخلو أحيانا من طرافة أو اثارة . ومنهـا المنشـور الذى أشار اليه الجبرتى فى عبارة موجزة بقوله (١) : « ... كتبوا عدة أوراق مطبوعة والصقوها بالأسواق مضمونها أن فى يوم الجمعة حادى عشرينه (٢) قصدنا أن نطير مركبا ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية » .

وكان طبيعيا ان يثير هذا الخبر الغريب اهتمام الناس . ومع أن الجبرتى قد أوجز فى نقل نص المنشور ، فقد أطال فى حكاية الحدث نفسه ، الذى كان أحد شهوده . وعبر من خلال ذلك عن مشاعره التى كانت صورة صادقة لمشاعر الناس . قال الجبرتى : « فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم فلما كان ذلك اليـوم قبل العصر تجمع النـاس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة وكنت بجملتهم » .

ثم أسهب الجبرتى فى وصف التجربة ، بما يفهم منه أنها كانت لتطيير « بالون » من القماش . وقد علق على فشلها ، بعد أن سقطت كرة البالون ، بقوله فى شماتة غير المصدق لما ادعاه الفرنسيون : « فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسـير فى الهواء بحكمة مصـنوعة ويجلس فيها أنفـار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة .. بل ظهر إنها مثل الطيارة التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح ... » ! (٣) .

وتكررت هذه التجربة المثيرة مرة أخرى ، وأعلن عنها الفرنسيون كذلك بمنشور . وتحدث الجبرتى عن المنشور والتجربة بالروح نفسها، فقال (٤) : «... كتبوا أوراقا بتطيير طيارة ببركة الازبكية مثل التى

---

(١) **المرجع نفسه** ، ص ٣٢ ، من حوادث يوم ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٣ (٢٩ نوفمبر ١٧٩٨) .

(٢) أى ٢١ جمادى الثانية (٣٠ نوفمبر) .

(٣) الطريف ان الفرنسيين استغلوا هذا البالون ـ على ماروى الجبرتى ـ فى توزيع بعض المنشورات ، اذ قال بعد ان وصف سقوط كرة القماش : « .. وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة .. » .

(٤) **المرجع نفسه** ، ص ٤١ ، من حوادث يوم ٩ شعبان ١٢١٣ (يوافق ١٦ يناير ١٧٩٩) . وقد علق الرافعى (**مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ـ ٣) على هاتين التجربتين قائـلا ان الـذى أجراها هو العـالم الفرنسى كونتـه (Conté) . وذكر عنه انه كيميائى ومكانكى ومبتكر لطائفة من المخترعات ، وان بونابرت عهد اليه بسبك حروف لمطابع الحملة ، وكان يعتمد عليه كثيرا فى استثمار موارد مصر الطبيعية لاستيفاء حاجات الجيش ، وبخاصة بعد تحطيم العمارة الفرنسية فى موقعة أبو قير البحرية .

سبق ذكرها وفسدت فاجتمعت الناس لذلك وفت الظهر وطيروها وصعدت الى الاعلا ومرت الى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة وقالوا انها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم » .

ومن نماذج هذه المنشورات كذلك منشور يعلن عن بيع خيل تملكها حكومة الحملة للأهالى ، ويحدد مكان البيع وزمانه (١) . « فلأجل هذا المشترى كل من أراد أن يقتنى خيلا فمنحنا له الاجازة انه يقتنى كما يريد ويشاء » .

***

مع قلة ما صدر من منشورات فى عهد كليبر بوجه عام ، فقد غلب على معظم هذه المنشورات الطابع الاعلامى البحت ، ومنها ما كان على قدر كبير من الأهمية فى هذا المجال .

ومن أبرز هذه المنشورات المنشور الذى أصدره كليبر فى أوائل عهده ، ليذيع به مرسوما من عشر مواد ، باعادة التقسيم الادارى للبلاد (٢) . ويقضى المرسوم بأن يقسم القطر المصرى كله ، بما فى ذلك العاصمة والمدن الساحلية ، الى ثمانى ولايات (arrondissements)

ويتضمن المرسوم ، بعد بيان التقسيم الجديد ، عدة تنظيمات تتصل بالكيان الاقليمى للولايات وهيكلها الادارى ، وتحدد مهمة ممثلى الحكومة المركزية فيها . وأهم هذه التنظيمات :

١ — ان يكون فى كل ولاية « رزنمجى فرنساوى » أى ممثل مالى للحكومة المركزية (agent) ، ومعه وكيل ومترجم ، وان هذا « الرزنمجى » أو وكيله « يلزمه أن يرافق دايما العساكر الذين يجولون فى الولاية لتحصيل الاموال الديوانية » (المادة الثانية) .

٢ — أن يكون فى كل ولاية «مباشر» أى معتمد مسئول (intendant) قبطى ، مهمته تزويد «الرزنمجى» الفرنسى أو وكيله بالمعلومات «عن كل شىء يسأله عنه فيما يخص ولايته » ، وان يرافقه أو وكيله « الى أى محل ينتقل اليه مع العسكر » .

٣ — ان الدواوين الاقليمية التى أنشأها بونابرت « لا يحصل لهم تغيير قط لا فى العدد ولا فى الوظيفة ولا فى محلات اجتماعهم » (المادة السادسة) .

---

(١) ذكره الجبرتى فى حوادث يوم ١١ رجب ١٢١٣ : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٢) راجع شكل ٢٠ .

٤ ـ ان « وجاقات الانكشارية » ، أى الفرق العسكرية التركية ، تبقى كما هى حسب تكوينها القديم . وحيثما اقتضت الضرورة فان حكام الولايات من القواد الفرنسيين يعملون على أن يكون نصف عـــدد كل « وجاق » من الخيـــالة الذين يعرفون البـــلاد وطرقها جيـــدا » لكى ينفعوهم ويكونوا دللا (أدلاء) لعساكرهم فى وقت الاحتياج » (المادة السابعة) .

وواضح ان هذا المنشور وثيقة تاريخية بالغة الأهمية ، تجلو بما تتضمنه من حقائق صفحة من صفحات حكم الحملة الفرنسية لمصر بوجه عام ، وعهد كليبر ثانى قواد هذه الحملة ، بوجه خاص .

ومن المنشورات الاعلامية ذات الأهمية التاريخية كذلك المنشـــور الذى أذاع اتفاقية العريش ، التى عقدت بين الفرنسيين والعثمانيين لجلاء القوات الفرنسية عن مصر (شكل ٧٠) (١) .

لقد نقل الجبرتى عن هذا المنشور الترجمة العربية للاتفاقية (٢) . وفضلا على ضعف هذه الترجمة وما بها من أخطاء ، فان الجبرتى ـ كعادته ـ لم يكن دقيقا فى نقل بعض عباراتها . هذا الى أن تحـــويل مخطوط الجبرتى بعد وفاته الى كتاب مطبوع قد عرض الأصل لأخطاء أخرى . ومن هنا أهمية المنشـــور المطبوع ، الذى جمـــع بين النص الفرنسى الحرفى للاتفاقية وترجمته العربية .

وأهم ما تضمنته مواد هذه الاتفاقية انها قضت بجلاء القوات الفرنسية عن مصر بكامل أسلحتها وأمتعتها ، وبأن تقلع هذه القوات من الاسكندرية

---

(١) وقعت الاتفاقية ، بعد مفاوضات طويلة بين الجانبين اشترك الانجليز فى بعض مراحلها ، فى ٢٤ يناير ١٨٠٠ ، وصدق عليها كليبر فى ٢٨ يناير . وليس بالمنشور مايدل على تاريخ طبعه ، وان ذيل بتاريخ توقيع مندوبى الجانبين وتاريخ تصـــديق كليبر . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية الفرنسية بباريس .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٣ ـ ٧ . وقد قدم لها بعبارة تدل على ارتياحه البالغ لعقد الاتفاق : « ... وجنح كل من الفريقين الى ذلك (الصلح) لما فيه من كف الحـــرب وحقن الدماء واظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقـــد الصـــلح على اثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت فى طومار كبير وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا وارسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبه بصورة الحال الى دوجـــا قائمقام فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الاعيان والصـــقوا منهـــا بالاسواق والشوارع ... » . هذا ولم يذكر الجبرتى تاريخا محـــددا لتلاوة ملخص الاتفاقية على أعضاء الديوان أو لتاريخ صدور المنشور ، وانما اشار الى ذلك بشكل عام فى حوادث شهر شعبان ١٢١٤ (٢٩ ديسمبر ١٧٩٩ ـ ٢٧ يناير ١٨٠٠) .

ورشيد على السفن الفرنسية والسفن التي تقدمها الحكومة العثمانية ، على أن يتم الجلاء في مدى ثلاثة أشهر · وتنظم مواد الاتفاقية بعد ذلك تفصيلات هذا الجلاء ومواقيته ·

ويقول مؤرخنا الرافعي عن هذه الاتفاقية (١) انها « أول وثيقة من الوثائق الدولية الحديثة اعترفت فيها الدولة المحتلة مصر في أواخر القرن الثامن عشر بفشل احتلالها وتعهدت بجلائها عن البلاد ، فهي بهذا الاعتبار خطوة في سبيل تكوين مصر المستقلة » · ثم يقول : « فمعاهدة العريش هي الوثيقة الرسمية التي تعهدت فيها فرنسا بالجلاء عن مصر، فهي اذن وثيقة من أهم الوثائق الرسمية في تاريخ مصر الحديث » ·

وهناك منشور اعلامي آخر يتضمن بدوره وثيقة تاريخية لها أهميتها الخاصة في التعرف على بعض الملامح التي تتصل بحالة الحملة الفرنسية ومركزها المالي في عهد كليبر · انه المنشور الذي صدر في ثماني صفحات ، بعنوان فرنسي يعلو عنوانه العربي ويزيد عليه تفصيلا ، ونصه : « الترجمة العربية لأمر القائد العام الصادر في ٨ فلوريال سنة ٨ ، بشأن الغاء الادارة العامة للشئون المالية بمصر » (شكل ٧٧) (٢) · أما الأمر الفرنسي نفسه فقد صدر في منشور مستقل (شكل ٧٨) (٣) ·

والأمر الذي أذاعه هذا المنشور يتألف من اثنتين وعشرين مادة يزودنا مضمونها بكثير من المعلومات التاريخية القيمة · وأهم ما تضمنته هذه المواد ، الى جانب ما أشار اليه العنوان :

١ ـ الغاء وظيفة « مدبر الحدود » ، أي مدير الشئون المالية ، ونقل اختصاصاتها الى « الخزندار العام » أي مدير الخزانة · وبذلك أصبح «استهوه » (استيف) شاغل هذه الوظيفة مسئولا عن ايرادات الحكومة كلها (٤) · وعليه أن « يضبط ويكشف حسابات المدخول

---

(١) مرجع سبق ذكره ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ـ ٤٠ ·

(٢) يوافق تاريخه ٢٨ ابريل ١٨٠٠ · وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ·

(٣) من محفوظات دار الوثائق القومية بالقلعة ·

(٤) كان بوسيلج « مدبر الحدود » قد غادر مصر مع دوجا عائدا الى فرنسا في ١٤ مارس احتجاجا على عقد معاهدة العريش ، مع أنه كان أحد المندوبين اللذين وقعاها عن الجانب الفرنسي · وقد عين كليبر بدله جلوتييه ((Gloutier)) الذي مات في ثورة القاهرة الثانية ، فألغى كليبر ذلك المنصب ·

(الدخل) من اللم (الجباية) العموى ..» . وفضلا عما يشير اليه ذلك من تغيير جذرى فى الوظائف المالية الرئيسة ، فان تاريخ المنشور يحدد الوقت الذى تم فيه هذا التغيير . وبذلك يتبين ان الرافعى مثلا كان غير دقيق عند ما ذكر عن استيف انه كان « مدير خزانة الحملة أولا ثم مدير الشئون المالية فى أواخر عهد الحملة الفرنسية » .

٢ ـ توحيد مختلف ضرائب الأرض الزراعية ، اعتبارا من عام ١٢١٤ هـ ، فى ضريبة واحدة « باسم اللم العمومى » (١) . وقيمة هذه الضريبة ليست ثابتة ، فكل عام « على موجب ما ينظر صارى عسكر العام زيادة النيل وعلوه وكثر الزرع يبين ويقدر قدر اللم العمومى المطلوب».

٣ ـ الغاء نظام الالتزام بالنسبة للأرض الزراعية . فعلى حد تعبير أمر القائد العام « لم بقى يمكن أبدا أن تستأجر البلاد » . وأصبح المباشرون الأقباط « هم متوكلين خصوصى بقبض اللم العمومى وحكام الأقاليم بأمر من صارى عسكر يعطوا لهم عسكر والقوة لأجل القبض .. » ، وذلك فى مقابل « عمولة ثمانية بالمائة وهذه العمولة خلاف اللم العمومى والقبطة يقبضوها لأنفسهم من الأقاليم ..» . وهذا فى الواقع اجراء خطير حاول كليبر بمقتضاه أن يعطل ـ بالنسبة للأراضى الزراعية ـ نظاما راسخا ارتبط بالحياة الاقتصادية والاجتماعية لمصر من الفتح العثمانى ، وان لم يقدر لمحاولته أن يدوم أثرها .

وتنظم مواد الأمر ـ عدا ذلك ـ طريقة جباية الضريبة ومواعيدها وضبط حساباتها .

واذا أخذنا فى الاعتبار الظروف الدقيقة التى تعرض لها مركز الحملة الفرنسية فى مصر وقت صدور هذا المنشور من ناحية ، ولاحظنا تضمن المنشور من ناحية أخرى لتفصيلات لم تتناولها مراجع الحملة المعروفة ، أدركنا أهميته والقيمة التاريخية لما لمضمونه من دلالات .

ففى ذلك الوقت كان كليبر قد نقض اتفاقية العريش بعد أن لمس سوء نية الانجليز تجاه الحملة واتجاههم الى الايقاع بالقوات الفرنسية عند جلائها . ونشبت معركة عين شمس بين الفرنسيين والعثمانيين

---

(١) كانت الاراضى الزراعية منذ بداية العصر العثمانى مثقلة بانواع الضرائب والاتاوات ، واهمها : ضريبة الخراج او الميرى وهى المخصصة للسلطان ، والفائض (الفايظ) وهو ما كان يستولى عليه الملتزمون بعد وفاء الميرى ، والكشوفية وهى المخصصة للكاشف أى حاكم الاقليم .

الذين كانوا قد بدءوا زحفهم تنفيذا للاتفاقية ٠ ولم تلبث القاهرة أن ثارت ثورتها الثانية ، وكانت ثورة عارمة شاركتها فيها بعض الأقاليم وبخاصة فى الوجه البحرى ٠ واضطر كليبر فى أثناء هذه الثورة الى عقد اتفاقه مع مراد بك الذى ترك له بمقتضاه حكم الصعيد الأعلى ، كما سبق أن ذكرنا (١) ٠

ولما كانت موارد الحملة المالية قد تأثرت الى حد كبير نتيجة لتتابع هذه الأحداث ولأسباب أخرى (٢) ، فقد قرر كليبر ـ كما نفهم من الأمر الذى أذاعه هذا المنشور ـ أن يضبط ضرائب الأرض الزراعيـــة وينظم جبايتها ٠ وضمانا للحصول على حصيلة هذه الضرائب كاملة ألغى وساطة الملتزمين فوفر بذلك دخلهم منها ، وكلف بجمعها « المباشرين القبطة » ، على أن يتقاضوا فى مقابل هذا العمل عمولة معينة « يقبضوها لانفسهم من الأقاليم » ٠

وكانت الادارة المالية فى عهـد كليبر قد اتخـذت قبل الغائها من المنشورات أداة اعلامية ، تعلن بهـا القرارات الخاصـة بتأجير مختلف مصادر الايراد الضريبى ـ غير الأرض الزراعية ـ للملتزمين (٣) ٠ واتبع بوسيلج فى ذلك أسلوبا غير مألوف ٠ فقد أصـــدر عددا من المنشورات بالعـربية والفرنسية تتضمن شروط صك الالتزام الثابتـة ، وتركت بالمنشور فراغات قليلة تملأ بخط اليد لاضافة البيانات الخاصة باسم الملتزم ودائرة التزامه وتاريخ الصك وما الى ذلك ٠ أى أن هذه المنشورات كانت أشبه بما نعرفه من العقود المطبوعة (الجاهزة) ، غير انهـا كانت

---

(١) انظر ص ٧٠ ٠ وقد نشبت معركة عين شمس (على مشارف القاهرة) فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ ، وبدأت ثورة القاهرة فى اليوم نفسه واستمرت شهرا كاملا ٠ ووقع اتفاق الصلح بين كليبر ومراد فى ٥ ابريل ٠ وكان صدور هذا الامر الذى تضمنه المنشور ـ كما رأينا ـ يوم ٢٨ أبريل ٠

(٢) كانت الحملة على عهد بونابرت قد استنفدت معظم موارد البلاد المالية ؛ هذا فضلا عن ان الحصار البحرى الذى فرضته السفن الانجليزية على شواطىء مصر قد عطل مواصلاتها الخارجية واصاب تجارتها بالكساد ٠ ويضاف الى ذلك ضعف فيضان النيل فى صيف ١٧٩٩، وما أدت اليه هذه الحالة من بوار كثير من الأراضى الزراعية وعجز فلاحيها عن دفع ضرائبها (انظر : الرافعى ، **المرجع السابق** ، ج ٢ ، ص ١١٩ ـ ١٢٥) ٠

(٣) يقول الجبرتى فى هذا المعنى عند سرده للاحداث فى أوائل عهد منو «حرروا دفاتر المشور واحصوا جميع الاشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها اقلاما يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر » (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٣٦) ٠

تذاع على الناس كسائر المنشورات لشهر مضمونها . ونستدل على ذلك من أسلوب صياغتها وطريقة عرضها ، ومن وجود عدة نسخ من بعضها فى الملفات الخاصة بالحملة فى محفوظات وزارة الحربية الفرنسية، وفى المكتبة القومية بباريس .

مثال ذلك المنشور الخاص بتأجير « قلم سوق الرز وقبانة القطن ووكالة الباشه برشيد» لمدة سنة (شكل ٧٩) (١) .

ومن استعراض هذه المنشورات يتضح ان نظام الالتزام امتد الى مختلف القطاعات والمجالات التى تمثل مصادر ايراد ضريبى للحكومة كالأسواق بما تحويه من أعمال البيع والشراء ، بل ووسائطها مثل القبانة والكيالة والنقل ، والمجازر والمعاصر والمطاحن ، ووحدات الانتاج الحرفى كالحدادة والنجارة . ونعرف من هذه المنشورات كذلك أن الالتزامات كانت تمنح لأفراد من مختلف الطوائف ، فكان منهم المصرى والسورى والتركى ، بل وبعض الأوروبيين المستوطنين .

ويحتمل أن تكون مثل هذه المنشورات قد سبقت بمنشورات أخرى، لم يحفظها التاريخ أو لم يصل اليها الباحثون بعد ، تعلن عن مزادات توزيع مناطق الالتزام . فمن الرسائل الاعلامية التى خصصت بعض المنشورات لاذاعتها أيام كليبر الاعلانات العامة . ومثال ذلك اعلان أو سبيه (Avis) صدر بالعربية والفرنسية ، خاص ببيع البضائع والغلال الموجودة فى مخازن الاسكندرية بالمزاد العلنى (شكل ٨٠) (٢) . وقد تضمن هذا الاعلان بيانا مفصلا بالبضائع والمنتجات التى سيجرى عليها المزاد ، وكانت أكثر من خمسين سلعة متنوعة تعطى صورة واضحة عما كانت تتعامل فيه الأسواق المصرية وقتذاك . فقد شمل ما عرض للبيع المواد التموينية المحلية كالسمن والجبن والمجلوبة كالجوز واللوز ، ومواد الصناعة كالأصباغ والراتنجات والأقمشة ، والسلع المستوردة كأدوات المائدة وغيرها .

---

(١) تاريخه ٢٥ فروكتيدور سنة ٧ (١١ سبتمبر ١٧٩٩) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) يحدد هذا الاعلان غير المؤرخ ، الذى صدر بالعربية والفرنسية ، تاريخ المزاد بيوم ٢٠ بريريال سنة ٨ (٩ يونيو ١٨٠٠) . ولابد بالطبع أن يكون قد صدر وأذيع قبل ذلك بوقت كاف . وهذه النسخة من المنشور من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

ومن ناحية أخرى فان مثل هذا الاعلان يشير الى بعض مظاهر الضائقة المالية التى كانت تعانيها حكومة الحملة فى أواخر عهد كليبر · فأغلب الظن أن هذه «البضائع والاغلال الموجودة فى مخازن اسكندرية» كانت فى الأصل مملوكة لغير الفرنسيين ، وان هؤلاء استولوا عليها وأعلنوا عن بيعها بالمزاد ابتغاء الحصول على دخل جديد يسددون به بعض مطالبهم ·

وواصلت حكومة كليبر خطة سلفه فى استخدام المنشورات لاذاعة ما يتصل بالاجراءات الصحية · وقد أشار الجبرتى الى أحد هذه المنشورات بايجاز فقال انه « نودى بنشر الحوائج وكتبوا بذلك أوراقا والصقوها بالأسواق وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ومع كل منهم **عسكرى من طرف الفرنساوية** » (١) ·

***

تميز عهد قيادة منو بكثرة ما صدر فيه من منشورات ، سواء ما كان منها دعائيا خالصا أو اعلاميا خالصا ، أو ما جمع بين الدعاية والاعلام · وكان للجانب الاعلامى بالذات نصيب وافر من مادتها · ومن حسن الحظ انه أمكن العثور ضمن وثائق الحملة الفرنسية بباريس على عدد كبير من هذه المنشورات التى لم تشر الى معظمها المراجع التاريخية من قبل · كما ان معاصرى الحملة من المؤرخين سجلوا لنا بدورهم بعض هذه المنشورات ·

وقد بدأ منو عهد قيادته ببعض المنشورات الاعلامية ذات الأهمية التاريخية الخاصة ، وهى تلك التى أذاعت على المصريين حادث مصرع الجنرال كليبر وما ترتب عليه من تحقيقات ومحاكمة ·

صحيح ان المنشورات التى تتصل بهذا الحادث كانت ــ بطريق غير مباشر ــ صورة لسياسة الترغيب والترهيب التى واصل منو السير عليها ، وهو ماسبق أن تعرضنا له من قبل ، ولكن لاشك أن هذه المنشورات المطولة كانت بما تضمنته من مادة اخبارية عملا اعلاميا فريدا . وبالرغم من طول هذه المنشورات واحتشادها بالتفصيلات ، فقد رأى الجبرتى ، نظرا لقيمتها الاعلامية والتاريخية ، أهمية نشرها كاملة .

لقد روى مؤرخنا فى ايجاز واقعة مصرع كليبر ، وماأعقبها من ردفعل

---

(١) **عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ٨٠ من حوادث ١٦ ربيع الثانى ١٢١٤ (١٧ سبتمبر ١٧٩٩) ·

بين المواطنين ، واجراءات اتخـــذها الفرنسيون حتى صـدر الحـكم في القضية (١) . ثم قال ان الفرنسيين « ألفوا في شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها .. ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة (المحاكمة) ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام..» .

وأخـذ الجبرتي بعد هذه المقدمة في اثبات نصـــوص تلك المنشورات واحدا واحدا (٢) . وقد بدأها بالمنشور الذى تضمن « شرح الاطلاع على جسم سارى عسكر العـــام كليبر » و « شرح جروحات الستوين بروتاين (أى المواطن بروتان : Protain) الذى انغدر هو أيضا في جنب سارى عسكر العام .. » وهو تقرير طبي تميز بالدقة والموضوعية ، وقد وقعه الطبيب الذى ندب للفحص وهو كازابيانكا (Casabianca) الجراح الأول بجيش الحملة ، ووقعه معه « الدفتردار سارتلون » ، مدير مهمات الجيش الذى عهد اليه في هذه القضية بمهمة « المبلغ » أى المدعى العام .

وأعقب ذلك على التوالي نصـــوص المنشورات التي تضمنت هــذه الوثائق :

١ ـ محضر « أول فحص » أى أول تحقيق مع سليمان الحلبي قاتل سارى عسكر . وفيه نفى المتهم في بادىء الأمر أية صلة له بالحادث رغم محاصرته بالأسئلة ومواجهته بالأدلة . ولذلك « أمر سارى عسكر انهم يضربونه حكم عوائد البلاد » ، فما لبث أن « طلب العفو ووعد انه يقر بالصحيح وصار يحكى من أول وجديد » . وهكذا اعترف سليمان بعد ضربه !

٢ ـ محضر « فحص الثلاثة مشايخ » (٣) وهم شركاء القاتل : عبد الله الغزى ومحمد الغزى وأحمد الوالي .

ـ قرار تأليف « ديوان قضاة » (أى هيئة محكمة) ، « لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا سارى عسكر العام .. » من تسعة أعضاء برئاسة الجنرال رينييه (Reynier) .

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) طبعت سلطات الحملة مادة هذه المنشورات مرة أخرى باللغات الثلاث في كتيب واحد سبق ان أشرنا اليه (انظر ص ٤٤) .

(٣) كان رابع هؤلاء الشركاء هارب ، وهو عبد القادر الغزى ، وقد حـــوكم غيابيا .

٣ ـ القرارات التنظيمية التى اتخذتها هيئة المحكمة وتشمل اختيار كاتم السر وتفويض الرئيس والمدعى العام سلطة « التفتيش والحبس » لكل من يشكون فى أمر اشتراكه فى الحادث ، «وهذا لكى يظهروا رفقاء القاتل» ٠

٤ ـ أقوال الشهود ، وهم المهندس بروتان الذى جرح فى الحادث ، والجنديان اللذان قبضا على القاتل ، وياور كليبر الذى شاهد القاتل قبل الحادث وهو يتتبع القائد العام فنهره وأبعده ٠

٥ ـ محضر التحقيق الثانى مع سليمان الحلبى ٠ وفيه أضاف كثيرا من التفصيلات الى اعترافه فى التحقيق الأول ، وذكر تحريض بعض العثمانيين له على قتل « سارى عسكر » ، وقصة حضوره الى مصر حتى وقوع الحادث ٠

٦ ـ محضر مواجهة المتهمين بعضهم ببعض واعترافاتهم خلالها ٠ وقد أقر فيها شركاء سليمان بأنهم كانوا يعلمون بعزمه على ارتكاب الحادث ولم يبلغوا عنه ٠

٧ ـ محضر التحقيق مع متهم آخر هو « مصطفى أفندى البروصلى » ، وهو شيخ كبير كان يعلم القاتل الكتابة ٠ وقد تبين من هذا المحضر ، الذى تمت فيه مواجهة بين المتهم والفاعل الأصلى ، انه لم يكن يعلم شيئا من التدبير للجريمة قبل وقوعها ٠

٨ ـ مرافعة المدعى العـــام « سارتلون » الذى استعرض فيها أمجاد القائد القتيل، وأشار الى الحادث مؤكدا فظاعته،ثم هاجم العثمانيين الذين حرضوا القاتل ٠ وبعد ذلك طالب سارتلون بالحكم بالاعدام على سليمان وشركائه الأزهريين الأربعة ، وبتبرئة معلمه مصطفى أفندى ٠ ولكنه طلب أن تقترن عقوبة القاتل بالتعذيب على أساس أن « عظمة الاثم تستدعى أن يصير عذابه مهيب » ٠ ومن هنا اقترح أن يعاقب سليمان الحلبى « بتحريق يده اليمنى » وبخوزقته « حتى يموت فوق خازوقه » ٠

٩ ـ وصف الجلسة الأخيرة وما دار فيها من حوار بين هيئة المحكمة والمتهمين ، وتلخيص لموقف كل منهم على حدة ، ثم منطوق الحكم (١) ٠

ولما كانت المادة الخامسة من أمر منو الصادر بتأليف المحكمة تنص على

---

(١) سبق أن أشرنا الى هـذا المنشور عنـد الحديث عن سـياسة الترغيب والترهيب (انظر ص ١٧٠ ـ ٧٢) ٠

ان القضاة «يتفقوا على العذاب اللايق الى موت القاتل ورفقايه» ، ففد استند القضاة الى هذه المادة ليتفقوا على « أن يعذبوا المذنبين بعذاب من العذابات المعتادة بالبلد لأعظم المذنبين ويكون لايق للذنب الذى صدر..» . وعلى ذلك حكموا ــ كما نعلم ــ بأن « سليمان الحلبى تحرق يده اليمنى وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رمته الطيور » . أما سائر المتهمين المذنبين فحكم عليهم بأن «تقطع روسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار . ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل أن يجرى فيه شي» .

وهكذا فنحن امام تقرير ضخم يصور ماجريات ذلك الحدث الذى كان من أبرز الأحداث الداخلية فى تاريخ الحملة الفرنسية بمصر . ولاشك أن تسجيل كل وثائق الحدث وطبعها على هذه الصورة فى منشورات بلغة الشعب ولغة الحاكمين ولغة أصحاب السيادة الاسمية على البلاد الذين اعتبر القاتل من عملائهم ، ثم جمعها بعد ذلك فى كتيب واحد ، لهو عمل اعلامى بارع .

وتمثل معاهدة الجلاء عن مصر ، التى وقعها الجنرال بليار نائب القائد العام فى القاهرة ، آخر الوثائق المهمة التى أذاعتها منشورات الحملة(١) . وكانت الأحوال قد تأزمت الى حد كبير بعد أن واصل الجيش العثمانى تقدمه من الشرق وأصبح على مشارف القاهرة ، وبعد أن واصل الجيش الانجليزى كذلك زحفه من رشيد تاركا منو محاصرا مع قواته فى الاسكندرية وأصبح يطل على القاهرة من الغرب (٢) .

وزاد من تحرج موقف الفرنسيين انتشار الطاعون وفتكه بعدد كبير من الأهالى والجنود وبخاصة فى القاهرة والصعيد ، ثم وفاة مراد بك حليفهم الأكبر بينما كان فى طريقه مع قواته لمساعدة بليار . فاجتمع مجلس حربى بالقاهرة ، وقرر عدم انتظار تعليمات منو ومفاوضة العثمانيين والانجليز فورا للتسليم على أساس الجلاء الكامل عن مصر . وهكذا وقعت

---

(١) وقعت هذه المعاهدة يوم ٨ مسيدور سنة ٩ (٢٧ يونيو ١٨٠١) .

(٢) كانت القوات العثمانية بقيادة الصدر الاعظم يوسف ضيا قد تقدمت من **العريش** حتى **بلبيس** ، فرأى بليار أن يهاجمها هناك ولكنه هزم عند قرية **الزوامل** التى تقع بين بلبيس **والخانكة** (١٦ مايو ١٨٠١) ، فارتد بجيشه سريعا الى القاهرة . وفى الوقت نفسه كان الانجليز بقيادة الجنرال **هتشنسون** (Hutchinson) ، تدعمهم قوات عثمانية ، قد هزموا الفرنسيين على مداخل الاسكندرية وفى رشيد ، ثم احتلوا **الرحمانية** ، وقطعوا بذلك الاتصال بين جناحى الجيش الفرنسى فى القاهرة والاسكندرية (٩ مايو ١٨٠١) .

الاتفاقية التى لم تختلف موادها كثيرا عن مواد اتفاقية العريش التى وقعت فى عهد كليبر من قبل تم نقضت » (١) .

نقد رأى بليار أن يذيع على « جميع أهالى محروسة مصر » من كل الطوائف ما يهمهم من مواد هذه الاتفــاقية . فأصدر منشورا بالعربية والفرنسية يتضمن نص المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة وحـدهما (شكل ٨١) (٢) .

وقدم بليار لنص مادتى الاتفاقية فى المنشور بعبارة قال فيها ان ارادة الله تعـالى قضت « بالصلح ما بين عساكر الفرنسـاوية وعساكر الانجليز وعساكر العثمانية .. » . ثم استدرك يطمئن الأهالى الى أن هذا الصلح لا يعنى المساس بأشخاصهم أو عقائدهم أو أملاكهم . وأكد لهم ان «روس عساكر الثلاثة جيوش قد أشرطوا بهذا» .

وخلاصـــة المادتين اللتين اهتم بليار باذاعتهما على الناس ان لكل فرد الحرية المطلقة فى أن يسافر مع الفرنسيين ، دون أن يصيب أسرته أو ما يملكه أى أذى ، وان من عمل مع الفرنسيين فى أثناء الاحتلال لاينبغى أن يختشى شيئا على نفسه أو ماله ، على أن يحترم قوانين البلاد .

وختم بليار منشوره بعبارة وجهها الى « أهالى مصر وأقاليمها جميع الملل » ، قال فيها ان الفرنسيين لم يكفوا حتى اللحظة الأخيرة عن العمل على راحة الأهالى وأمنهم ، وعلى ذلك « فيلزم أنتم أيضا أن تسلكوا فى الطريق المســتقيمة وتفتكروا ان الله تعالى جل جـــلاله هو الذى يفعل كل شى ..» .

وقد نقل الجبرتى نص هذا المنشور . تم ذكر فى حوادث اليــوم التالى ان الديوان دعى الى الاجتماع حيث تلا عليه الوكيل الفرنسى باقى

---

(١) لم يعلم منو بتوقيع نائبه بليار لهذه الاتفاقية الا متأخرا . وقد ثار عندما اطلع على شروطها . وحمل على بليار حملة شعواء ، ثم بعث الى بونابرت تقريرا يلقى فيه تبعة تسليم القاهرة على نائبه . ولكنه لم يلبث أن وقع هو نفسه بعد نحو شهرين (فى ٣١ أغسطس) مع العثمانيين والانجليز اتفاقية للجلاء عن الاسكندرية بشروط أسوأ من شروط اتفاقية بليار !

(٢) المنشور مؤرخ يوم ١٨ صفر ١٢١٦ (٣ يونيو ١٨٠١) وقد طبع بمطبعة الحملة الرسمية بالقلعة ، وكانت نقلت اليها فى أواخر مارس ١٨٠١ ، بعد تحرج مركز الحملة فى مصر نتيجة لهزيمة قوات منو أمام الانجليز والعثمانيين فى موقعة كانوب (بالاسكندرية) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

شروط الاتفاقية ، ولكنه لم يشر الى طبع هذه الشروط كاملة فى منشور آخر (١) ٠ والأرجح أن يكون مثل هذا المنشور قد صدر فعلا ، اذ اننا قد عثرنا على منشور فرنسى يتضمن النص الكامل للاتفاقية وأسماء من وقعوها وتاريخ التوقيع وما الى ذلك (شكل ٨٢) (٢) ٠ ومن المعقول أن تكون طبعة عربية مماثلة من المنشور قد صدرت ، وان كنا لم نعثر عليها ٠

وفى عهد منو حرر عدد كبير من المنشورات الاعلامية التى أذاعت من القرارات ما يتصل بالتنظيم الداخلى للبلاد ، ويتضمن من الحقائق ما يلقى الضوء على كثير من جوانب الحياة المصرية فى ذلك العهد ٠

وقد تنوعت موضوعات هذه المنشورات وتعددت أغراضها ٠ ومنها المنشور الذى يتضمن أمرا الى مشايخ الحارات والمسئولين عن أحيـــاء القاهرة ، بالابلاغ عن أسماء الغرباء الذين يفدون الى المدينة والجهـات التى أتوا منها (شكل ٨٣) .(٣) ٠ فعلى كل « صاحب بيت أو جامع أو وكالة » أن يبلغ شيخ الحارة فى خلال أربع وعشرين ساعة « أسما الصـنايعية وخلافه من الغربا الذى (كذا) يحضروا ٠٠ واسم البلد الذى حضر منها ذلك الشخص الغريب » ٠

ويلزم هذا الأمر من ناحية أخرى بالابلاغ عن سفر « أهل البلد والغربا الذين توجهوا من مصر وبولاق والجيزة ومصر القديمة» . وفى مقابل ما يفرضه من عقوبة السجن والغرامة لمخالفيه ، فانه يحرم دفع أية رشوة « الى مشايخ حارات أو متسايخ خطوط أو حكام أو تراجمين٠٠ أو غيرهم اسلام أو فرنساوية حين يحضروا يطلبوا حاجتهم » ٠

وهذا المنشـــور ــ الذى يذكرنا بمنشـــور مشابه صدر فى عهد بونابرت وسبق أن أشرنا اليه (٤) ــ يدل على مدى اهتمام حـكومة منو

---

(١) **المرجع السابق** ، ج ٣ ، ص ١٨٢ ــ ٣ من حوادث يوم ٢١ صـــفر ١٢١٦ (٢ يوليو ١٨٠١) ٠ وقد أخطأ **الجبرتى** فى عدد شروط الاتفاقية ، فذكر أنها ثلاثة عشر ٠ والواقع أنها واحد وعشرون شرطا ٠

(٢) طبع بمطبعة الحمله الرسمية **بالقلعة** ٠ وقد صدر بتاريخ ١١ مسيدور سنه ٩ (٣٠ يونيو ١٨٠١) أى بعد توقيع الاتفاقية بثلاثة أيام ٠ وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية **بباريس** ، وتوجد نسخة أخرى مماثله بدار الوثائق القومية بالقلعة ٠

(٣) أصدره الجنرال **بليار** قائد منطقة القاهره ، وصدق عليه منو فى ٢٥ فروكتيدور سنة ٨ (١٢ سبتمبر ١٨٠٠) ، ولم يذكره الجبرتى ٠ وهذه النسخه من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

(٤) أنظر ص ٢١٠ ٠

باتخـــاذ اجراءات أمن معينة فى العاصمة ، خشـــية تكرار ما عانى منه الفرنسيون قبلا من ثورات واضطرابات ٠

وفى منتصف عهده أصدر منو منشورا يتضمن أمرا يتعلق بتنظيم تموين جيش الحملة من مختلف الأقاليم المصرية (شكل ٨٤) (١) ٠ وقد قدم لهذا الأمر فى المنشور بقوله : « اننا نوينا على استحضار الزاد والزواد الى الجيوش الذين يمشون ويسيرون حينما هم فى وسط الولايات بحيث أن لا يقع الى أهالى الولايات شيا من الضرورات .(أى الأضرار) ٠٠٠ » ٠

ويضع الأمر عدة قواعد ثابتة لهذه العملية تستهدف القضاء على أى انحراف أو سوء قصد فى تنفيذها ، وتزيل أسباب الشكوى منها :

- فهو يحتم أولا ان على « كل جماعة أو فرقة ٠٠٠ من عسكر جيوش الفرنساوية وهى سايرة بوسط الولايات ... » أن تحمل معهامن المؤن ما يكفيها أربعة أيام ٠
- ثم يلزم هـذه الفرق بأن تتزود فى أثناء مسـيرها بما يلزمها من « مخازن الفرنساوية » التى قد توجد فى طريقها ٠
- أما فى حالة عدم وجود مثل هذه المخازن ، فيمكن التزود من الأهالى، فى مقابل «رجعات» ، أى ايصالات ، يوقع عليها قائد الفرقة وتوضح بها كل التفصيلات ٠ ويكون ذلك عن طريق « الوفيسيال » ، أى الضابط ، المعين لهذا الغرض ٠
- وقيمة المؤن التى تؤخذ بهذه الطريقة تخصم من الضرائب المستحقة على من قدموها . وتثمين هذه المؤن يكون بالاتفاق والتراضى مع أصحابها ٠

ويبدو ان منو كان يحاول بمثل هذا الاجراء ، قبل أن تحدق الأخطار بمصير الحملة ، أن يؤمن خوف المصريين ويقضى على توجسهم ونفورهم من بعض التصرفات التعسفية التى اعتادت السلطات الفرنساوية معاملتهم بها ، حتى عند تنفيذ ما رسمته من اصلاحات ٠ فبعد هذا المنشور بنحو شهر ، أصدر منشورا آخر ، يتضمن أمرا مهد له بقوله انه أراد به أن

---

(١) بتاريخ ٢٨ نيفوز سنة ٩ (١٨ يناير ١٨٠١) ٠ وقد طبع هذا المنشور كما نرى فى طبعتين ، احداهما عربية خالصة ، والثانية عربية فرنسية ٠ وهاتان النسختان من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

يقـــدم للمصريين دليلا جـــديدا على « كرم وحلاوة الحكومة الفرنساوية » (شكل ٨٥) (١) ٠

ويؤكد هذا الأمر فى مواده التسع : (٢)

١ ـ اغلاق القائمة التى تضم أسماء المصريين الذين غادروا البلاد ، ومنع مصادرة الأموال والعقارات بسبب ذلك ٠

٢ ـ تأكيد حرمة البيوت ، فلا تقتحم ولا تفتش الا لضرورات الأمن أو للبحث عن أسلحة أو بسبب تفشى الأوبئة ٠ ويكون ذلك بمقتضى تصريحات رســمية من كبار المســـئولين المختصين ، أو بأمر من المحكمة ٠

٣ ـ حظر مصادرة الاموال المنقــولة وغير المنقــولة الا بمقتضى حكم من المحكمة المختصة ، أو بناء على طلب رئيس الادارة القضائية ، أو مدير الشئون المالية أو رؤساء الادارات ٠ ويكون ذلك فى حالات الاعتقال أو بسبب حوادث السرقة أو الامتناع عن سداد الضرائب المســتحقة ٠ وفى كل هذه الأحوال يتـــولى مهمة التنفيذ القواد العسكريون للمناطق ٠

٤ ـ حق التمتع بالمسكن الخاص ، فلا يجوز ارغام فرد من أية ملة أو طائفة على التخلى عن منزلة أو جزء منه لغــيره ، الا اذا كان ذلك للضرورة القصوى ، وللمصلحة العامة وحدها ٠ وفى هذه الحالة يقرر لصاحب المكان مقدما التعويض المناسب ٠

٥ ـ منع هدم البيوت من أجل انشاء تحصينات أو شق طرق أو قنوات، الا بأمر من القائد العـــام نفسه يقوم على تنفيَذه رؤساء الأشغال العسكرية والمدنية ، ومع تقرير التعويض المناسب عينا أو نقدا ٠

ان هذين الأمرين اللذين لم يشر اليهما ، على أهميتهما الواضحة ، مؤرخ من قبل ، ليلقيان ضوءا جديدا على بعض محاولات منو فى تلك الفترة القصيرة للعمل على استقرار الأحوال فى مصر ، على أساس شعور

---

(١) بتاريخ ٣ فنتوز سنة ٩ (٢٢ فبراير ١٨٠١) ٠ وقد صــدر هــذا المنشور بالعربية والفرنسية ، وهو من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

(٢) آثرنا هنا أن نلخص مضمون المنشور عن نصه الفــرنسى ، لما اتسم به النص العربى من ركاكة شديدة ٠

الاهالى بالأمن والاطمئنان الى الحكم الفرنسى ، بعد ماعانوه من قبل من عسف وجور ·

وهذا الاتجاه الجديد فى سياسة حكومة الحملة ، بعد ان ذاق المصريون الأمرين من جور الفرنسيين وعسفهم فى فرض المغارم ومصادرة الأموال والأقوات والاعتداء على الحريات والحرمات ، انما يرتبط بسياسة منو الاستعمارية · فقد كان هذا القائد يؤمن تماما بفكرة استعمار مصر ، وكان يتخذ من الاجراءات ويضع من الخطط ما يتمشى وهذه الفكرة ، ويحقق للحكم الفرنسى فى هذه البلاد الاستقرار والاستمرار ·

فأصدر الجنرال بليار ــ نائب منو ــ منشورا الى أهالى القاهرة (شكل ٨٦ ، ٨٦ أ) (١) ، يتضمن أمرين يتصلان بالنظام العام والشئون الصحية فى العاصمة · ويقضى أولهما باغلاق المقاصف (٢) العامة الا ماكان منها تابعا للجيش ، على أن يحصل من يديرونها على تصريحات بذلك من نائب القائد العام · ويبيح الأمر لهذه المحلات بيع الأطعمة والقهوة ، « ولعب الكنك » (أى البلياردو) حتى الساعة العاشرة مساء · ولكنه يحرم تحريما قاطعا بيع الخمور فى أى منها ·

أما الأمر الثانى فهو يكرر تعليمات سبق اصدارها أيام بونابرت، اذ انه ينص على أن « كل من يموت من الآن فصاعدا من أفراد الرعية لا يباح دفنه من ذى قبل الاطلاع والكشف عليه ولا يدفن فى محل من المحلات التى داخل البلد » · ثم يحدد بعد ذلك ــ كالمعتاد ــ عقوبة مخالفته بالغرامة والحبس بالقلعة « مدة شهر زمان » ·

وتمثل المنشورات التى تضمنت مواد اعلامية تتصل بسياسة منو المالية نسبة كبيرة مما صدر فى عهده من منشورات . لقد كانت حالة مصر المالية عندما تولى منو قيادة الحملة قد انحدرت الى مستوى بالغ السوء · ولم تكن الموارد التقليدية للحكومة ، بالاضافة الى الغرامة الضخمة التى فرضها كليبر على القاهرة بسبب الثورة ، والتى واصل منو تحصيلها ، فضلا عما صودر من بضائع فى ميناء الاسكندرية ، تكفى لسد نفقات جيش الحملة · وبخاصة أن تجارة مصر الخارجية كانت قد تأثرت الى حد بعيد ، بسبب الحصار البحرى الذى فرضه الانجليز على شواطىء

---

(١) صدر ــ كما نرى ــ فى طبعتين ، عربية وفرنسية ، فى ٢٩ بلوفيوز سنة ٩ (١٨ فبراير ١٨٠١) · وهاتان النسختان من محفوظات المكتبة القومية بباريس ·

(٢) فى النص العربى « الخمامير » ، بينما هى فى النص الفرنسى « cantines »

مصر الشمالية من ناحية ، والحصار البرى الذى فرضته القوات العثمانية في سوريا من ناحية أخرى ٠

ووصف الجبرتي ما عاناه سكان القاهرة وقتئذ من العسف وترادف المظالم والفظائع في تحصيل الغرامات والاتاوات في أوائل عهد منو وصفا موجعا ، فقال (١) ان الفرنسيين « أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة في يوم واحد وختموا على جميعها ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان فاذا فتحوا حاصلا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته فان بقى لهم شيء أخذوه من حاصل جاره وان زاد له شيء أحالوه على جاره الآخر كذلك وهكذا ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم واذا فتحوا مخزنا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم بل ربما هرب أو كان غائبا » ٠ ثم قال ان الشهر التالي (٢) استهل « والأمور من أنواع ذلك تتضاعف والظلومات تتكاثف » ٠

ومن هنا لجأ منو الى البحث عن موارد جديدة مع اعادة تنظيم الموارد القديمة في الوقت نفسه ٠ وقد ساعد منو في وضع المشروعات الخاصة بذلك استيف ، الذى أصبح منذ عهد كليبر ــ كما رأينا ــ مسئولا عن الادارة المالية والخزانة العامة معا ٠ وفي أمر من منو اليه لاعداد بعض تلك المشروعات ، أصدره في أوائل عهده ، أوضح له ان الغرض من هذه المشروعات هو ضمان الحصول على ما يلزم للانفاق على جيش من ٢٥ ألف جندي ، دون مضايقة الأهالي أو تعطيل تجارتهم (٣) ٠ وسوف نستعرض فيما يلي بعض نماذج المنشورات التي تبرز معالم سياسة منو المالية وما استلزمته من اجراءات :

* لقد مهد منو لهذه المنشورات بمنشور يؤكد به أسعار تحويل العملات المختلفة المتداولة في مصر (تعريفة النقود) ، التي سبق أن

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، من حوادث شهر ربيع الثاني ١٢١٥ ، دون تحديد اليوم (توافق بداية هذا الشهر يوم ٢٢ اغسطس ١٨٠٠) .

(٢) جمادى الاولى ١٢١٥ .

(٣) في ٢٦ ترميدور سنة ٨ (١٤ أغسطس ١٨٠٠) انظر :
Rigault, op. cit., pp. 129-30.

أصدر بها بونابرت منشورا فى أول عهده (شكل ٨٧) (١) •

وحذر منو فى مقدمة هذا المنشور بان كل تعامل بأسعار تزيد على أسعار هذه التعريفة «سيكون مقاصص بدفع خمسة بكل ماية على قدر المبلغ الذى يكون دفعه أو استلمه » •

وقد أصدرت البيان النقدى الجديد ـ كسابقه ـ لجنة مصرية فرنسية مشتركة تتكون من بعض كبار تجار الاسكندرية وبعض المسئولين الفرنسيين •

ولا شك ان هذا المنشور ، بما يقدمه من معلومات رقمية ، وثيقة تاريخية قيمة لمن شاء أن يدرس الاقتصاد المصرى فى ذلك العهد الحافل •

* وكان أولا لسلسلة بعد ذلك منشورا يتضمن أمر منو بتحصيل رسم سنوى محدد من مشايخ البلاد (العمد) نظير اقرار تعيينهم فى مناصبهم (شكل ٨٨) (٢) • وبرر «سرى العسكر العام» فى مقدمة هذا الأمر اصداره بانه « جرت ••• العادة من قديم الزمان » بأن يدفع المشايخ الى الحكام هدايا « باسم تقادم فى كل سنة » ، وان « مشايخ البلاد من حين دخول الجمهور الفرنساوى بمصر ما دفعوا ما كان متوجه عليهم أن يدفعوه » • وعلى ذلك فان « خزنة الجمهور ••• قد خسرت هذه المداخيل التى كانت تورد اليها وتحق لها شرعا ودينا •••» ثم انه «من اللازم والضرورى ••• الاهتمام بنجاح الفلاح بوجه العموم وان تبطل ••• وتنتزع تلك المظالم التى قد جرت بها العادة وأغلب المشايخ المذكورين يبيحون لأنفسهم افتعالها ضد الفلاحين » •

وقسم الأمر قرى مصر الواقعة تحت الحكم الفرنسى مباشرة الى ثلاث فئات (٣) ، حدد كل منها رسما سنويا ثابتا على القرية الواحدة ، حل محل ما كان يدفع قبلا من « عوايد وتقادم وغير ذلك مما شابهه »

---

(١) انظر ص ٦٤ ، ٢٠٧ • وقد صدر هذا المنشور كذلك بالعربية والفرنسية ، وطبع فى ١٠ فروكتيدور سنة ٨ (٢٨ أغسطس ١٨٠٠) وكان البيان النقدى الذى تضمنه قد حرر يوم ٦ يوليو واعتمد رسميا يوم ١٠ أغسطس • وهاتان النسختان من قسم المحفوظات بوزاره الحربية الفرنسية بباريس •

(٢) صدر بالعربية والفرنسية فى ٥ فروكتيدور سنة ٨ (٢٣ اغسطس ١٨٠٠) • وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس •

(٣) بلغ عدد هذه القرى حسب ما جاء فى « الشرط الرابع » من هذا الأمر ٢٢٥٣ قرية •

ويلاحظ ارتفـــاع هذه الرسوم ، فقد تراوحت بين ٢٥و٢٥٠ ريالا على القرية ، يدفعها شيخها أو مشايخها مجتمعين ، اذا كان للقرية أكثر من شيخ ، كما حدث أحيانا ٠

ويقول الجبرتى فى هذا الصدد (١) انه لما شاع هذا الأمر « ضجت مشايخ البلاد، لأن منهم من لا يملك عشاءه فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان وزادت فى الخراج » ٠ غير ان الجبرتى أخطأ فى ذكر قيمة الرسوم ـ وتابعه فى ذلك الرافعى (٢) ـ اذ ضاعف أرقامها ٠ ويرجع ذلك الى ان المنشور ألزم مشايخ البلاد ، فى مادته السابقة ، بأن يدفعوا عن العام الأول ضعف الرسم السنوى المقرر ، لانهم «ما دفعوا شيا بمدة سنتين اعنى منذ حين أخذ الفرنساوية هذه البلاد من العوايد الواجبة عليهم» .

ويستوقف النظر فى هذا الأمر انه فى سبيل ضبط العمل بالنظام الجديد لمشايخ البلاد ينشىء جهازا للتفتيش عليهم ومراقبتهم ، يتألف من عدد من النظار (المفتشين) يختارهم الخزندار العام من أهالى البـلاد ، ويصدق على تعيينهم القائد العام ٠ ومهمة هؤلاء المفتشين « أن يوجهوا لكل شيخ بلد فرمانه ويستلموا قدر المعلوم الذى على كل واحد منهم أن يدفعه» . وعليهم كذلك فى أثناء مرورهم بالقرى أن يتحروا عن سلوك المشايخ مع الفلاحين ، وعن عوايدهم وأخلاقهم وعن فضلهم وعن ميلهم لجهة الفرنساوية » ، وأن يتحروا كذلك « عن سلوك الفلاحين » أنفسهم ٠ وعلى رأس هذا الجهاز التفتيشى يعين «سرى العسكر العـام» مديرين عامين أحدهما فرنسى « والآخر من أهل البلد المتقدمين » ٠

وقد صدر مع هذا المنشور ملحق يتضمن صورة من الفرمان الذى سوف يتسلمه كل من المشايخ الجدد ، بتوليته لمدة عام واحد على حصـة معينة (شكل ٨٩) (٣) . ويقرر الفرمان بالعربية والفرنسية ان للشيخ « ما جرت به العادة وطاعة فلاحين الناحية له والامتثال لأمره » ، وان عليه « الامتثال والطـاعة لأمر النظـــار المدبرين وهما الســـيتوين بريزون

(١) لم يذكر الجبرتى نص المنشور ، وانما أشار الى مضمونه اشاره موجزة فى حوادث شهر جمادى الثانية ١٢١٥ ، بدأها بقوله « فيه قرروا على مشاريخ البلدان مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة أعلى وأوسط وادنى ٠٠ » (**عجائب الآثار** ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ٠

(٢) **مرجع سبق ذكره** ، ج ٢ ، ٢٢٧ ـ ٨ ٠

(٣) هذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . وتوجد نسخة أخرى من المنشور فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن .

(Brizon) والعمــدة الفاضل سـليمان الفيـومى (عضــو ديوان القاهرة) ... » (١) .

وكشف منو فى هذا الفرمان ـ مرة أخرى ـ عن وجهه الاستعمارى البغيض . فقد وجه الخطاب فى صـدره الى « كامل مشايخ بلاد الأقاليم المصرية التى **ملكها الله تعالى دايما للدولة الفرنساوية ..»** . رجاء فى الفقرة الثالثة كذلك : « فلازم على شيخ البلد الذى يتقرر أن ينادى فى بلده بهذا الفرمان لأجل أن يسمع أهل بلده ويعلموا انه صار شيخا عليهم **مقررا** من حضرة صارى عسكر وكيل أعظم وأفخر وأكبر الدول **وهو الجمهور الفرنساوى مالك البلاد** » . وهكذا كانت سياسة منو ـ كما قال ريجو ـ أن يعامل مصر ، لا باعتبارها بلدا محتلا فقط ، وانما باعتبارها قطرا ضم بالفعل الى فرنسا (٢) .

غير ان ريجو ، من ناحية أخرى ، يبالغ فى الحكم على القانون (الأمر) الذى تضمنه هذا المنشور . فهو يناقشه على أساس ان منو قصـد من ورائه أن يكون قانونا ماليا وقانونا للحكم المحلى فى الوقت نفسه . ثم يعتبر انه فى مجموعه « محاولة مخلصة لاقامة لون من الحكم المحلى الذاتى للمصريين ، فى ظل نظام للحماية المباشرة على رأسه قواد جيش الشرق واداريوه » (٣) .

فالواقع ان استعراض الظروف والملابسات التى صدر فيها هـذا القانون ، فضلا عن استقراء مواده ، يؤكد ان الهدف الأساسى من اصداره لم يكن يختلف عن الهدف من اصدار سائر القوانين والتنظيمات المالية فى ذلك الوقت ، وهو الحصول على أكبر قدر من الأموال لخزانة الحملة الخاوية ، سواء بالبحث عن موارد جديدة أو بضبط الموارد القديمة واعادة ترتيبها .

---

(١) بريزون والفيومي هما المديران العامان اللذان تضمن أمر منو تعيينهما على راس الجهاز التفتيشي . وقد أشـار **الجبرتى** الى ذلك فى حـديثه الموجز عن هـذا المنشور الذى أسلفنا ذكره : « وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلا فى ذلك فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له بريزون » . وكرر الجبرتى اشارته عند ترجمته للشيخ الفيومى ، فى حديثه عن وفيات عام ١٢٢٤ هـ (**المرجع نفسه** جـ ٢٤ ، ص ١٠٦) وأكد ريجو (**مرجع سبق ذكره** ص ١٤٩) رواية الجبرتى بأن الفيومى كان يعمـل بالفعـل تحت اشراف بريزون (surveillé par Brizon)

(٢) **المرجع نفسه** ، ص ١٤٢ .

(٣) **المرجع نفسه** ، ص ١٤٨ ـ ٩ .

اما ما تناثر فى ثنايا هذا القانون ، والفرمان الملحق به ، من عبارات ، تشير الى حقوق المشايخ قبل الفلاحين ، أو الى صلاحيات جهاز التفتيش المزمع انشاؤه ، فليس الا من قبيل الضمانات التى تساعد على تحقيق الهدف الأصيل من المشروع ٠

واذا كان الباحث الحديث يرى فى قانون مشايخ البلاد كما أذاعه ذلك المنشور أساسا يمكن أن يقوم عليه نظام للادارة المحلية فى الأقاليم المصرية ، فان ذلك اذا ساعدت ظروف الحملة على حدوثه ، لم يكن ليحقق الا غاية ثانوية لا أساسية للمشروع ٠

* وهناك منشور طويل من ست عشرة صفحة يتضمن أمرا باعادة تنظيم « دواوين الجمرك » وبوضع أسس جديدة لما يجبى من ضرائب جمركية على كل من البضائع الداخلة الى البلاد والبضائع الخارجة منها ، وكذلك على المتاجر المتبادلة مع اقليم الصعيد الأعلى الذى كان تحت حكم مراد بك (شكل ٩٠) (١) ٠

ويشتمل هذا الأمر (أو القانون) ، الذى وقعه مع منو الخزندار العام استهوه (استيف) ، على تسع وعشرين مادة ، تقدم لنا فى مجموعها وثيقة تاريخية لها ثقلها فى دراسة بعض جوانب ذلك العهد الحافل ٠ وتتناول هذه المواد كل تفصيلات التنظيم الجديد ، فهى :

- تقرر أماكن ودواوين الجمرك فى باب النصر(٢) والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس وأسيوط (٣) ٠ وكذلك لا تغفل احتمال انه قد يلزم فى المستقبل « ترتيب ديوان للصالحية الى البضايع الواردة من بر الشام» .
- وتحدد نسب الضرائب الجمركية على كل نوع من السلع الواردة الى مصر أو المصدرة منها ، بكل تفصيل ٠ ولقد كانت أهم منافذ مصر على البحر المتوسط والبلاد السورية ــ كما أوضحنا ــ محاصرة . ولم يكن لديها منفذ للتجارة الخارجية يعتد به سوى ثغورها القليلة على خليج السويس والبحر الأحمر ٠ ولكن منو قصد ــ كما يبدو ــ أن يكون تنظيمه شاملا يصلح للتطبيق فى كل الظروف ٠

---

(١) صدر بالعربية والفرنسية فى ١٦ فروكتيدور سنة ٨ (٣ سبتمبر ١٨٠٠) وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس ٠

(٢) المدخل الشمالى للقاهرة ٠

(٣) شمالى الاقليم الذى كان يحكمه مراد بك ٠

ـ وتضع قواعد ادارية لضبط العمل الجمركى ، ولاجراءات التخليص والشحن ، بل واجراءات التفتيش الصحى كذلك ·

ـ وتقر الامتيازات والتسهيلات التى سبق منحها لشريف مكة أيام بونابرت ، بشأن ما يورده الى مصر من البن ·

ـ وتمنع ازدواج الضريبة ، كما تخفف الضرائب عن بعض الواردات ذات الأهمية الخاصة مثل العطارة (مواد طبية) وخامات الصناعة ومواد البنـاء والآلات الانتاجية وغيرها ، فضـلا عن اعفـاء القمح المستورد من اقليم الصعيد الأعلى (الذى يحكمه مراد بك) من الرسوم ·

ـ وتنص على عقوبات المخالفين ، مع تحديد حالات المخالفة تفصيلا ·

وينوه ريجو بهـذا الأمر قائلا (١) انه خفف بعض أعباء التجـار المصريين والفرنسيين ويسر التجارة مع الجزيرة العربية ، وخفض نسب بعض الضرائب عما كانت عليه فى عهد كليبر ·

ويلفت النظر فى الأمر الذى أذاعه هذا المنشور انه يتضمن عدة اشارات واضحة الدلالة تؤكد سياسة منو الاستعمارية ، وما تستند اليه أو ينبثق عنها من أفكار · فمقدمة الأمر أو « ديباجته » تقول ان « أهل أقطار مصر **الذين صاروا فرنساوية** لازم ان كامل متاجرهم تكون بالاكرام والمساعدة كمثل الفرنساوية ذاتهم ··· » · أى ان منو بهذه العبـارة العابرة يضع مبدأ استعماريا لعلاقة فرنسا بمصر فى غاية الخطورة · وهو مبدأ يمثل محورا أساسيا من محاور السـياسة الاستعمارية التقليدية لفرنسـا ·

ويؤكد منو هذا المبدأ فى « الشرط الخامس » من الأمر نفسه · فهو ينص على أن « الجمارك يكونوا فقط بالنصف للبضائع والأصناف تعلق التجار الفرنساوية والمصرية الواردة والخارجة خاصتهم ·· » ·

ويلاحظ فى هذا المنشور كذلك الحرص على تحقيق أكبر قدر من الذيوع لما يتضمنه من رسالة اعلامية · فآخر عبـارة منه تنص على ان « هذا الأمر يتترجم وينطبع بالعربى ومدبر حدود العام (يقصد مدير الشئون المالية والخزانة) ملزوم بالمنادية به وبوصفه بالفرنساوى والعربى فى جميع البنادر بالأقطار المصرية ويعرفوا به جميع التجار الفرنساوية والمصرلية والغربا » ·

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣١ ·

* بعد بضعة ايام أصدر منو واستيف منشورا آخر(شكل ٩١) (١) يتضمن أمرا بتنظيم الضرائب الداخلية المفروضة على تجارة المؤن الاستهلاكية وعلى السلع المصنوعة واستثمار موارد الرزق الطبيعية وغيرها ، لتلافى ما كان يشوبها من عيوب ومظالم ، أو على حد تعبير مقدمة المنشور «لأجل دوا فى الظلم الذى صاير فى قبض العوايد على المأونة (أى المؤن) فى قلب الديار المصرية » .

ولا يتضح من استقراء مواد هذا الأمر انه أبطل ضريبة أو ألغى رسما . وانما نلاحظ ، على العكس ، انه طبق مبدأ المساواة فى المغارم . فقد كان الهدف الأساسى من الاجراءات المالية الجديدة ـ كما ذكرنا ـ هو العمل على زيادة موارد حكومة الحملة لسد احتياجاتها الكثيرة . وهكذا وسع هذا الأمر نطاق الرسوم التى كانت تجبى من قبل ، كما أضاف رسوما جديدة .

فقد كانت الرسوم المقررة على انتاج الأقمشة وملح النوشادر وعلى ذبح المواشى فى المجازر مثلا تجبى فى مناطق دون أخرى ، فأصبحت « تنقبض فى جميع الديار المصرية » . واشار الأمر أيضا الى فرض رسوم جديدة على المراكب والملاحات وسبك الذهب والفضة وعلى صيد السمك والطيور واستخراج ملح النطرون وتقطير المشروبات الروحية وغيرها ، مقررا انه سوف يصدر بكل منها أمر مستقل .

غير ان هذا الأمر مع ذلك يؤكد مبدأ مهما ، هو منع الازدواج الضريبى . فالسلع المخصصة للتصدير أو الواردة من الخارج لا يدفع عليها أية رسوم ، اكتفاء بالرسوم الجمركية .

ويلفت النظر فى الأمر ، الى جانب هذا ، نقطتان :

١ ـ فهو يثبت قاعدة تأجير مصادر الايراد (أى الأقلام) للملتزمين يتكفلون بجباية الضرائب المقررة عليها تحت الرقابة الحكومية ، وقد رأينا سبق تطبيق هذه القاعدة قبل منو . وتوزع حصص الالتزام (الأقلام) بواسطة مزادات يعلن عنها . ويكون التوزيع اما على أساس مكانى ، أو على أساس تحديد العين التى تحصل عنها

---

(١) فى ٢٤ فروكتيدور سنة ٨ (١١ سبتمبر ١٨٠٠) ، وقد صدر فى طبعة واحده بالعربية والفرنسية من سبع صفحات . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

الضريبة • ولابد من اعتماد صكوك هذا الالتزام من المسئول الأول عن ادارة الشئون المالية (مدبر حدود العام) •

٢ ـ ثم انه ـ لاول مرة ـ يشترك العنصر المصرى فى تحمل مسـئولية الاشراف على العمل الضريبى • فينص « الشرط السابع » من الأمر على انه « يترتب أربعة نظار على العوايد وهم من أهل البلد ووظيفتهم يكونوا يناظروا (أى يشرفون على) فعل مستأجرين العوايد فى جميع الديار المصرية ويمنعوهم عن قبض الزيادة عن المرتب بهذا الأمر ولأجل دفع بالحقيقة المطلوب (أى دفع المطلوب بالضبط) الى مسـتأجرين الأقلام ••• وينتقوا المذكورين ما بين أحسن الناس المفهومين بالديار المصرية ••• » • ونظرا لأهمية هذه الوظيفة الجديدة ، فان «مدبر حدود العام» نفسه يقدم المرشحين لها « الى حضرة صارى عسكر الكبير الذى يثبتهم فى منصبهم » •

ويرى ريجو ان هذا الأمر أدى الى ارتفاع أسعار المواد الضرورية والى كساد فى التجارة الداخلية • ويستدل على ذلك بآراء بعض معاصرى الحملة ، مثل رينييه (Reynier) والكابتن تيرمان (Thurman) (١) •

وفى الوقت نفسه أصدر منو عدة أوامر (قوانين) مالية أخرى ، خاصة بوضع أسس جديدة لرسوم الانتاج فى مجال بعض الصـناعات التقليدية • وأهم هذه القوانين التى أذيعت ـ كالمعتاد ـ فى منشورات مطبوعة اثنان :

١ ـ قانون ينظم صناعة المصوغات الذهبية والفضية (شكل ٩٢) (١). وهو يقضى بتقسيم هذه المصوغات الى عدة درجات حسب نسبة خام المعدن الثمين فيها ، وبأن تميز « مشغولات » كل درجة ببصـمها بعلامة (دمغة) خاصة • والى جانب القرارات والاجراءات التنظيمية التى يشتمل عليها هذا القانون ، فانه يحرم تحريما قاطعا سبك العملات الذهبية أو الفضية لتحويلها الى مصوغات ، ويفرض عقوبة السجن عشر سنوات على من يفعل ذلك •

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ ـ ٣ •

(٢) صدر ـ كسائر المنشورات المماثلة ـ بالعربية والفرنسية ، بتاريخ ١٤ فروكتيدور سنة ٨ (١ سبتمبر ١٨٠٠) ، وهو فى سبع صفحات . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . وللمنشور طبعة أخرى ، فرنسية خالصة ، محفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة .

ان هذا القانون صدر فى الاصل التماسا لمورد مالى جديد للخزانة العامة • فهو يفرض رسم دمغة مقداره خمسة فى المائة من قيمة المصوغات ، ذهبية كانت أم فضية • ومع ذلك فلا شك ان ماتضمنته مواده من قواعد وما وضعته من حدود ، يؤدى الى القضاء على ما يفشى من غش المصوغات ، « الذى هو عيب فى حق الحاكم الذى يسكت عنه وهو ظلم الى الرعايا الذين ينغشوا » ، كما جاء فى الديباجة •

ويلاحظ كذلك ان هذا القانون ، وهو الأول من نوعه فى مصر ، لا يكاد يختلف فى تفصيلاته عن قانون دمغ المصوغات المطبق بها فى الوقت الحاضر •

٢ ـ آمر بتعديل القرار الذى سبق أن أصدره استيف نفسه فى أواخر عهد بونابرت بشأن رسوم انتاج المشروبات الروحية (شكل ٩٣) (١) . ويقضى الأمر الجديد بالغاء احتكار انتاج الخمور، الذى كان نتيجة لقصر هذا العمل على من قيدوا فى السجل الخاص بذلك فى تاريخ معين ، مما أصاب كثيرا من الناس فى أرزاقهم • ولهذا فهو يبيح انتاج الخمور بمقتضى ترخيص يمنح بدون مقابل لمن يطلبه .

ويلتفت الأمر أيضا الى الناحية الصحية من الموضوع ، فيحتم نقاء المشروبات المنتجة من الشوائب أو «الغلت» • فقد اعتاد بعض المنتجين «أن يدخلوا فيه (العرقى) شى يأسى الانسان والعافية (أى مواد تضر بالصحة) » •

ويفرض الأمر رسوم الانتاج على المشروبات ويحدد نسبها حسب الكميات المنتجة ، وليس حسب كميات المواد التى تقطر منها المشروبات كما كان يقضى القرار السابق •

ويقر هذا الأمر كذلك مبدأ « تأجير الأقلام » ، أى توزيع معامل انتاج الخمور بالايجار على متعهدين يلتزمون بتحصيل الرسوم المقررة عليها • ثم يبيح الأمر بيع الخمر بالتجزئة ، ففى « البلاد الكبار شكل

---

(١) فى ٢٠ فركتيدور سنة ٨ (٧ سبتمبر ١٨٠٠) . وهو مطبوع ـ كالمعتاد ـ بالعربية والفرنسية ، ويقع فى ست صفحات . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس . أنظر كذلك ص ١١١ .

مصر (أى مثل القاهرة) المتسببين الصغار لهم اجازة انهم يبيعوا العرقى والخمر بالتقطيع فى السكك ... » .

والطريف ان المشرع استغل هذا الأمر لايجاد عمل لجرحى الحرب من جنود الحملة . فينص «الشرط التاسع» منه على أن «مدبر حدود العام يولى ناظرين (مفتشين) للخمر ويأخذهم ما بين العسكر الذين معورين ... » . ويتضح من تفصيل مهمة هؤلاء (الناظرين) انهم سوف يعينون « مفتشى انتاج » يفحصون الترخيصات ويراقبون تنفيذ المواصفات ، ويتأكدون من نقاء المشروبات ، وما الى ذلك .

وواضح ان هذا التنظيم الجديد بما يحققه من توسيع نطاق انتاج الخمور وتسويقها ، يؤدى الى تحقيق الهدف الأساسى من قوانين منو المالية ، وهو زيادة موارد حكومة الحملة .

والتفت منو الى ثلاث مهن تقليدية ، يمارس أصحابها أعمال الوساطة الضرورية فى معاملات الجمهور نظير جعل معين ، وهم الصيارف والكيالون والقبانية ، وأصدر بشأنهم قانونا (أمرا) ماليا جديدا . وقد أذيع هذا القانون ، كسائر حلقات تلك السلسلة ، فى منشور بالعربية والفرنسية يحمل توقيع كل من منو واستيف (شكل ٩٧) (١) .

ولا يكاد هذا القانون يختلف فى صورته العامة عن قانون مشايخ البلاد ، اذ انه :

١ — يدعى فى ديباجته ان المشرع وضع فى اعتباره « ان الظلم الذى يصير من المذكورين يبطل » ، وانه نتيجة لعدم تحديد نسب العمولة على عملياتهم فان « المذكورين يقدروا أن يغالطوا ويظلموا المساكين الذين يحضرون تحت يدهم» ؛

٢ — ويحتم حصولهم على فرنامات خاصة ، ألحقت صورها بالمنشور (شكل ٩٥) (٢) ، تعطيهم الحق فى مزاولة عملهم لمدة عام واحد ، بعد دفع رسم سنوى معين ؛

---

(١) فى ١٦ فندميير سنة ٩ (٨ أكتوبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) يمثل هذا الشكل صورة الفرمان الخاص بالكيالين . وهو من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

٣ ـ ويحدد نسب ما يحصل هؤلاء من رسوم على ما يتعاملون فيه من أموال أو بضائع بما يتراوح بين واحد واثنين فى المائة ؛

٤ ـ ويضع للاشراف على عملهم نظاما رقابيا قوامه هيئة من «الناظرين» اى المفتشين، على رأسهم «مدبر عوايدالحرف» أى مدير الضرائب المهنيـة ٠

وحرصا من منو على تحقيق أكبر قدر من الذيوع والانتشار لهـذا الامر ، فقد نص فى آخر مواده على انه « يكون مترجم بالعربى وينطبع ويتنادى به وينشر باللغتين فى جميع الديار المصرية ٠٠٠ » ٠

* ومن المنشورات المتأخـرة فى هـذه المجموعة منشور ينفرد بمضمونه الذى يستوقف انتباه الباحث ، ودلالته التى تثير الاهتمام. وهو الذى اذاع أمر «صارى عسكر» بفرض نوع من الجزية على غير المسلمين من أهل مصر وسكانها (شكل ٩٦) (١) ٠ وقد قدم له بقوله انه «على موجب العدل الذى هو أساس الحكم الطيب يطلب ان العـوايد والأموال يكونوا على جميع الجنوس القاطنين بالديار المصرية لان كلهم لهم حق فى الحكم (يقصد ـ كما فى النص الفرنسى ـ ان لهم الحق فى حماية القانون) ٠٠٠» ٠

ويشمل هذا الأمر الأقباط والسوريين واليونانيين واليهود « وجميع الأنفار الذين من بعض جنوس افرنج مفهومين فى الديار المصرية بطايفة الافرنج » ٠ وهو يلزمهم بدفع هذه الجزية سنويا حسب قائمة حددت على كل طائفة مبلغا معينا ، وبلغ مجموع المبالغ التى تحصل بمقتضاها مليونا ومائتين وسبعين ألف فرنك ٠

ويحدد الأمر كذلك طريقة توزيع أنصبة الأفراد من هذه الجزية باشراف عدد من كبار كل طائفة ، وكذلك مواعيد دفع أقساطها ٠ ثم يعد صارى عسكر بأنه لن يفرض أية ضرائب أخرى على هذه الطوائف ، ويطلب الى ابنائها أن يكونوا «بغاية الاطمينان والأمان من قبل متجرهم وأملاكهم » ٠ ويعلن بعد هذا انهم يستطيعون أن يشتروا « بيوت وأطيان بالديار المصرية بدفع العوايد المرتبة » ، وانهم سوف يكونون « دايما ٠٠ تحت العـدل » ٠

ويخص منو بالذكر فى « الشرط السادس » من هذا الأمر أبنـــاء

---

(١) صدر فى ٢٠ فندميير سنة ٩ (١٣ أكتوبر ١٨٠٠) وطبع بالعربية والفرنسية . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

جنسه من الفرنسيين ، فيقول ان «مدبر حدود العام» سوف يحرر له بيانا بما يمارسه هؤلاء الفرنسيون من تجارات ، وما أقاموه من منشآت . ويطلب اليهم أن يطمئنوا الى ما يوفره لهم من حماية خاصة ، ثم يستدرك قائلا : « لكن لازم انهم يساعدوه فى المصروف العمومى اللازم للجيوش لان مكاسبهم من الجيوش المذكورة » .

وأكد « الشرط السابع » والأخير من المنشور مسئولية حكام الأقاليم فى تنفيذ هذا الأمر ، ومسئولية « مدبر حدود العام .. بترجمته بالعربى والمناداة به ولزقه على الحيطان باللغتين وانه يرسل صـــور بكثرة الى الأقاليم » .

ويعلق ريجو على هذه الضريبة الجديدة بقوله(١) انها تماثل ما كان يدفعه غير المسلمين فى كل أرجاء الامبراطورية العثمانية . ويذكر هـذا المؤرخ فى موضع آخر كذلك ان منو سبق أن اضطر الى أن يفرض على سكان القاهرة من هذه الطوائف أن يسهموا من جانبهم بدفع مبلغ اضافى مقداره نصف مليون فرنك ، زيادة على الغرامة التى فرضت على سائر سكان القاهرة بعد ثورتها الثانية . والسبب فى ذلك ان الضرائب التى فرضها فى أول العهد بتلك التنظيمات المالية الجديدة لم تكن من النوع الذى يغل عائدا سريعا (٢) ، وكان هو فى حاجة ملحة الى أموال يملأ بها الخزانة الخاوية ، ويدفع منها مستحقات جنود الحملة حتى نهاية العـــام الثامن الجمهورى . ووصف ريجو هذا الاجراء بانه كان « خطوة تعسفية تذكر بالاجراءات المماثلة التى كان يتخذها المماليك » (٣) . وقال ان منو برر ذلك بحاجة الخزانة العامة لهذا المبلغ ، وبضرورة منع أية تفرقة بين سكان القــاهرة » .

* وختم منو هذه السلسلة من المنشورات التى أذاع بها قوانينه

---

(١) **المرجع السابق** ، ص ١٣٤ .

(٢) كانت منشورات القوانين الضريبية السابق ذكرها ، اما أن تعطى مهلة لا تقل عن شهرين لسداد الرسوم المستحقة مقدما ، كما فى حالة مشايخ البلاد ، واما لا يظهر لها أثر محسوس فى دخل الحكومة الا بعد مرور عده أشهر من السنة التاسعة (بدأت فى ٢٣ سبتمبر ١٨٠٠) التى حددتها المنشورات بداية للاخذ بالتنظيمات المالية الجديدة .

(٣) **المرجع السابق** ، ص ١٣٠ . وقال ريجو أن هذا الامر تضمنه منشور صدر فى ٧ فروكتيدور سنة ٧ (فى ٢٥ أغسطس ١٨٠٠) . ولم نعثر على نسخة من هـذا المنشور ، وكذلك لم يرد له ذكر فى الجبرتى أو غيره .

(أوامره) المالية الجديدة بمنشور طويل تضمن أمرا بفرض ضريبة سنوية على التجار والحرفيين والصناع بالمدن الكبرى والبنادر (شكل ٩٧) (١) . لان « العوايد والأموال لازم أن يكونوا مفرودين على جميع أهل الديار المصرية وذلك بموجب مقدرتهم » ، وأبناء هذه الطوائف « لم دخلوا بقدر مقدرتهم فى دفع الأموال المطلوبة والمرتبة تحت المصاريف العمومية.. » . هذا مع انهم يتمتعون بحماية القانون ويمارسون أعمالهم « بكل راحة وأمان واطمينان » . ومن الضرورى أن يتحملوا مع «الفلاحين وأهالى البلاد والأرياف » نصيبا فى الالتزامات المالية قبل الدولة .

وتضمن القانون أسماء ما يقرب من ٤٠ مدينة وبلدة ، وحدد المقدار الاجمالى للأموال التى تجبى من كل منها على حدة . وقد بلغ المجموع الكلى للمبالغ المطلوبة نحو مليون وثلاثمائة الف فرنك ، تدفع سنويا على ثلاثة أقساط . وألزم القانون « مشايخ الحرف » بجمع هذه الأموال من أبناء حرفهم ، كل على حسب مقدرته ، مع اعداد قوائم مفصلة بذلك يقدمونها الى « مدبر عوايد الحرف » .

وكما حدث فى حالة مشايخ البلاد ، والصيارفة والقبانية والكيالين، فقد عين هذا القانون كذلك هيئة للمراقبة والتفتيش على انتظام جمع الأموال والتأكد من سلامته . وتتكون هذه الهيئة من « اربعة ناظرين مصرلية والمذكورين تحت طاعة مدبر الحرف ... » .

وقد نوه ريجو (٢) بما قرره منو فى مقدمة هذا المنشور من ضرورة المساواة بين سكان المدن وأبناء القرى فى الالتزامات الضريبية . وقال ان سكان المدن الذين أفلتوا بوجه عام من سلطة ملاك الأراضى الزراعية كانوا ، بفضل النظام شبه الاقطاعى للأرض فى مصر ، معفين تقريبا من أى التزام ضريبى .

أما الجبرتى فيقدم لنا صورة قاتمة لرد الفعل الذى أحدثته اذاعة الأمر بفرض هذه الضريبة على سكان القاهرة قائلا (٣) : وابرزوا اوامر أيضا بتقرير مليون (فرنك) على (أصحاب) الصنائع والحرف يقومون

---

(١) بتاريخ ٢٠ فندميير سنة ٩ (١٢ أكتوبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(٢) **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ .

(٣) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ١٣٩ ، من حوادث أول شهر رجب ١٢١٥ (١٨ نوفمبر ١٨٠٠) .

بدفعه في كل سنة ... ويكون الدفع على ثلاث مرات .. فدهى الناس وتغيرت أفكارهم واختلطت أذهانهم وزادت وساوسهم » .

ويقول أحد قواد الحملة ، وهو الجنرال رينييه ، في هذا الصدد(١) ان التجارة التى أرهقتها الضرائب والاتاوات المتعددة قد ازداد كسادها بعد الأمر الذى أصدره منو بفرض ضريبة جديدة على طوائف الحرف والتجار . ويضيف ان كثيرا من تجار القاهرة هجروا مهنتهم وأغلقوا محلاتهم ، وكذلك فعل معظم تجار دمياط والمحلة الكبرى وطنطا وغيرها .

ومهما يكن من أمر فان هذا المنشور يمكن أن يحتل مكانا فى سجل الوثائق المفيدة التى تتصل بتاريخ مصر فى عهد الحملة الفرنسية . وتنبع أهمية المنشور من أمرين : أولهما ما تقدمه قائمة المدن التى وزعت عليها الضريبة من معلومات للباحث التاريخى والجغرافى . فقد تغيرت صورة بعض ما تضمه هذه القائمة من مدن أو « بنادر » ، وأصبحت مجرد قرى ، صغيرة . هذا الى ان أرقام المبالغ المتفاوتة التى قررت على هذه المدن تساعد على دراسة مقارنة لمستوياتها الاقتصادية فى ذلك الوقت .

والأمر الثانى ان المادة السابعة من القانون الذى تضمنه هذا المنشور أجملت كل الضرائب والرسوم والمكوس المقررة « على جميع أهل المدينة وأهل البنادر والبلاد والكفور وجميع أهل الديار المصرية » ، وعددها ثمانية عشر نوعا . وبعد اثبات هذه الأنواع أكدت المادة المذكورة لسكان مصر انه « على موجب ذلك لم عليهم شى ولم ينطلب منهم خلاف ذلك لا عوايد ولا فرده ولا شى لا على حاجة ولا على الانسان ولم يصير ظلم وكل من كان يتصرف فى ملكه كما يشا ويتسبب ويتاجر ويبيع ويشترى كما يشا .. » .

ولم يفت ريجو أن يعلق على هذه المادة ، مشيدا بمنو (٢) ، فقال ان بعض الضرائب التى أجملتها يبدو شديد الوطأة ، ولكنها مع ذلك تمتاز عن الضرائب القديمة التى حلت محلها بانها محددة ثابتة (déterminés) وليست كيدية أو انتقامية (vexatoires)

* وفى أثناء اصدار هذه السلسلة الطويلة من منشورات القوانين المالية ، وبعد ذلك ، كان منو يجد من الضرورى بين حين وآخر أن يصدر

---

(1) Reynier, **De l'Egypte, après la Bataille d'Héliopolis**, Paris, 1802, pp. 128-9.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

منشورا ينبه فيه مثلا الى شيء يتعلق بتلك القوانين أو يؤكد معنى تضمنته. ومن ذلك المنشور الذى أصدره بعد ان كان قد أصدر عدة قوانين مالية ، كالقانون الخاص برسوم تعيين مشايخ البلاد ، ومنشورات وقوانين الضرائب الجمركية والتجارة الداخلية ودمغ المصوغات وغيرها (شكل ٩٨) (١) .

وقد بدأ منو هذا المنشور الموجز الذى وجهه الى « جميع أهالى مصر ودوايرها » بعبارات معسولة قال فيها «نعلمكم انه دايما ونحن مشتغلين بمنفعتكم واصطناع المعروف معكم لحتى الذى كان يوخذ منكم من العوايد قديما خففناه عنكم والآن أبطلنا العوايد القديمة وجددنا عوايد هى الذى (كذا) عليكم ... » .

ثم ينبه الأهالى الى ألا يدفعوا شيئا يزيد على الضرائب المقررة قانونا . ويضيف : « ونعلمكم أيضا ان كان سمعتم من أحدا (كذا) يقول ما زلتم تدفعوا عوايد أكثر من ذلك فلا تصدقوهم لان من الحسد والقهر يقولوا أكثر من ذلك » .

ومن ذلك أيضاالمنشور الذى أصدره « سر عسكر العام » (شكل ٩٩) (٢) ، بعد أن بلغه « ان بعض من المحصلين للتكاليف المأمورة قانونا بأرض مصر يطلبوا من مستدفعينها أكثر مما أمر بها الشرع والقانون وان هولاى (هؤلاء) الأشرة أيضا يظلموا أهالى البلدان » .

وفى هذا المنشور يحذر أولئك المحصلين من أن يأخذوا أكثر مما يستحق لهم قانونا ، وينذرهم بأن من يفعل ذلك منهم « ففى الحال هو مأخوذ وممسوك ومستقدم قدام المحاكمة لاجرا الحكم عليه كما يجرى على الأشرار » .

ويبدو أن بعض مشايخ البلاد لم يستطيعوا الوفاء بكامل ما فرض عليهم من اتاوة مقابل اقرا تعيينهم فى مناصبهم . ولذا أصدر منو منشورا

---

(١) صدر بالعربية والفرنسية فى ٦ فندمير سنة ٩ (٢٨ سبتمبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس .

(٢) صدر فى طبعتين ، كل منهما بالعربية والفرنسية ، فى ١٦ برومير سنة ٩ (٧ نوفمبر ١٨٠٠) . وهذه النسخة من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس .

(شكل ١٠٠) (١) بدأه باعلان رضائه عن المشايخ « الذين استعجلوا يدفع الرسم السنوى المرسوم عليهم » • ثم أعلن انه يمنح المتأخرين فى الدفع مهلة شهر اضافى «لتكميل أداء وتسليم دراهم الرسم المذكور».

لقد كان القانون الذى صدر من قبل بشأن مشايخ البلاد يلزمهم بدفع الرسم المقرر « فى ابتداء السنة الجديدة بمدة الشهرين الأولين » • ولما كان هذا المنشور الأخير قد صدر فى الشهر الرابع من السنة (نيفوز) ، ومد المهلة الممنوحة « للذين هم متأخرين للأداء » الى أول الشهر الخامس (بلوفيوز) ، فمعنى ذلك ان كثيرا من المشايخ قد عجزوا عن الدفع حتى بعد المهلة التى حددها الأمر ، بأكثر من شهر • وليس ذلك بمستغرب ازاء سوء الحالة الاقتصادية للبلاد ، وبخاصة ان القانون المذكور قد طبق بأثر رجعى ، أى انه ألزم المشايخ ـ كما رأينا ـ بأن يدفعوا عن ذلك العام ضعف الرسم السنوى المقرر ، لانهم « ما دفعوا شيا بمدة سنتين أعنى منذ حين أخذ الفرنساوية هذه البلاد •• » •

وبالاضافة الى ما تقدم ذكره من النماذج ، فلا شك ان بعض المنشورات التى استهدفت فى الأصل غايات دعائية كان لها جانبها الاعلامى كذلك ، مثل المنشور الذى تضمن ترتيب النظام القضائى للبلاد واعادة تكوين ديوان القاهرة فى الوقت نفسه (٢) •

ولم يخل عهد منو كذلك من منشورات أصدرها كبار المسئولين ، تعلن للناس بعض الاجراءات « الروتينية » أو تذيع عليهم أخبارا عادية، وان كانت أقل مما لمسناه فى عهد بونابرت أو كليبر • ومن ذلك المنشورات التى تعلن عن بيع الحكومة لبعض ما تملكه بالمزاد ، مثل المنشور الذى أعلن عن مزاد بيع بعض المحصولات الموجودة « فى حواصل المشيخة الفرنساوية » وذلك « بالمفرق أو بالتمام » (راجع شكل ٢٤) •

---

(١) صدر بتاريخ ٨ نيفوز سنة ٩ (٢٩ ديسمبر ١٨٠٠) • وهذه النسخة من محفوظات المكتبة القومية بباريس •

(٢) سبق ان فصلنا القول فى مضمون هذا المنشور عند الحديث عن سياسة منو الوطنية • انظر ص ١٥١ ـ ٥٢ •

الباب السادس

الخصائص الفنية للمنشورات العربية

الفصل الأول

التحرير

السمة الرئيسة فى تحرير المنشورات العربية التى أصدرتها سلطات الحملة الفرنسية فى مصر ، ان مادتها كانت تكتب أولا بالفرنسية ، ثم تترجم الى العربية · أى ان الرسائل الاعلامية التى تضمنتها هذه المنشورات كانت تعد أولا بلسان الحاكمين ، ثم تذاع بلسان ابناء الشعب ، أو باللسانين معا ·

وكان ذلك أمرا طبيعيا · فللغزاة الحاكمين لغتهم ، وللشعب المحكوم لغته · ولم يكن بين قواد الحملة أو كبار المسئولين فى حكومتها ، الذين صدرت عنهم المنشورات ، من يستطيع توجيه ماتضمنته من رسائل الى الشعب باللغة العربية · بل ان المنشورات التى صدرت على لسان القيادات الوطنية ، ووقعها الزعماء المصريون باسمائهم ، كانت ـ كما رأينا ـ بتوجيه ملزم من السلطات الفرنسية · ثم ان عددا كبيرا من الرسائل التى تضمنتها هذه المنشورات كان يراد ابلاغها ـ كما نعلم ـ الى المصريين وغيرهم من « رعايا » حكومة الحملة ، وبخاصة جنود جيش الشرق ·

ولقد عرف تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية وبعدها ظاهرة ازدواج لغة التدوين ، بسبب اختلاف لغة الحاكم عن لغة ابناء البلاد · فمنذ فتح الاسكندر لمصر حتى الفتح العربى كانت اللغة اليونانية تستخدم الى جانب اللغة المصرية القديمة ، التى تطورت الى القبطية · وظلت اليونانية

والقبطية تستخدمان فى تدوين المحررات الرسمية ، حتى تم « تعريب » الدواوين المصرية فى العهد الأموى (١) • وقد بقيت اللغة اليونانية أو القبطية تستخدم الى جانب العربية ، حتى سادت العربية ولم يعد يستخدم غيرها •

ثم عرفت مصر اللغة التركية عندما خضعت للحكم العثمانى • ومع أن استخدام هذه اللغة قد بطل أو كاد فى عهد الحملة الفرنسية ، فقد استؤنف بعدها فى المحررات الرسمية ، عندما أخذ محمد على يؤسس دولته الحديثة • وظل الأمر كذلك حتى عهد اسماعيل ، الذى انقشع فيه ظل هذه اللغة عن البلاد ، وعادت للعربية مكانتها وسيادتها •

وكان طبيعيا ان تمتد ظاهرة الازدواج اللغوى بعد الحملة الفرنسية الى حقل الاعلام المطبوع بالذات ، فيتكرر نمط منشورات الحملة فى صورة جديدة • لقد أصدر محمد على صحيفة « الوقائع المصرية » بالتركية (لغة الجهاز الحاكم) والعربية (لغة أبناء الشعب) • وظلت التركية تشارك العربية صفحات صحيفة الدولة الرسمية ، حتى بدأت تنحسر عنها فى أواخر عهد اسماعيل ، كما انحسرت عن سائر محررات الدولة الأخرى •

وعلى أية حال ، فقد كانت الترجمة الى العربية خطوة أساسية فى عملية نقل الرسائل الاعلامية التى تضمنتها منشورات الحملة الى المصريين • ومن هنا تجهزت الحملة بعدد من الرجال الذين يعرفون العربية ، لكى يقوموا أساسا بهذه المهمة الوسيطة •

وتمثل ترجمة مادة المنشورات الى العربية جزءا من حركة ترجمة كبيرة ، حرصت قيادة الحملة على أن تعد لها عدتها ، قبل ان يتأهب جيش الشرق للابحار الى مصر ، ثم رعت نشاطها الذى لم يفتر طيلة العهد القصير الذى قدر للحملة أن تبقاه فى هذه البلاد •

---

(١) بدأت حركة تعريب الدواوين فى أقطار الدولة الاسلامية فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ــ ٧٠٥ م) ، وتم تعريب الدواوين المصرية فى عهد ابنه الوليد (٧٠٥ ــ ٧١٥ م) •

(١) كانت موضوعات الوقائع فى عهد محمد على تحرر أولا بالتركية ثم تترجم الى العربية • وعندما تولى تحريرها الشيخ رفاعة الطهطاوى استطاع بشخصيته الفذة أن يفرض مبدأ تحرير الموضوعات بالعربية أولا ، ثم ترجمتها بعد ذلك الى التركية (هذا وان ظلت « الوقائع » تحت اشراف « ناظر » تركى) ، ثم عاد الأمر بعد رفاعة كما كان قبله • وفى عهد اسماعيل صدرت « الوقائع » فى طبعتين مستقلتين ، احداهما بالعربية والثانية بالتركية • ومالبثت الصحيفة أن خلصت للغة العربية وحدها ، عندما تولى تحريرها ــ عقب خلع اسماعيل وتولية ابنه توفيق ــ الشيخ محمد عبده •

فقد جهز بونابرت حملته ، مع ماجهزه بها من جيش وعلماء ومطبعة ، بفريق ممن لهم المام باللغة العربية بالذات ، ليكونوا اداة لاغنى عنهـا لتيسير مهمة سلطات الحكم ، ولتحقيق خطـة الحملة الاعلامية وانجازاتها العلمية . وجمع القائد الشاب أعضاء هذا الفريق من مصدرين رئيسيين:

١ ـ مدرسـة اللغات الشرقية الحية بباريس . وقد انضم منهـا الى ذلك الفريق عدد من الدارسين والأسـاتذة الذين اكتسب بعضهم خبرة طويلة ، لاقامتهم وعملهم فى مختلف أجزاء العالم العربى .

٢ ـ ايطاليا ، التى تزود منها بونابرت بعدد من الشرقيين وبخاصة السوريين ، الذين كانوا يدرسون فى بعض معاهدها (١) .

وفى اثناء رحلة الحملة الى مصر ضـمت الى فريق المترجمين كذلك عددا من المغاربة المسلمين الذين حررتهم من أسر فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة . وبعد ان استقرت الحملة بمصر انضم الى جماعة المترجمين أيضا بعض من كانوا يعيشون فيها أو فى الشرق العربى من الفرنسيين والشرقيين (٢) ، ويعرفون العربية والفرنسية معا .

وقد كان لهـذا الفريق بعنـاصره المختلفة جهـود ترجمية متعددة الجوانب ، تنوعت حسب تفاوت قدرات أفراده واستعداداتهم . فمنهم من اقتصر عمله على مرافقة القوات الفرنسية الزاحفة فى مصر والشام ، أو مصاحبة كبار موظفى الحملة فى القاهرة والاقاليم للترجمة عنهم ولهم . ومنهم من أختص بترجمة مادة المنشورات . ومنهم من عهد اليه بالترجمة بين المصريين والفرنسيين فى جلسات الدواوين بالقاهرة والاقاليم وتسجيل محاضرها ، وترجمة عرائض المصريين ورسائلهم الى المسئولين . ومنهم من

---

(١) تخلف عن الحروب الصليبية والامارات اللاتينية فى البلاد السورية طائفة من المسيحيين الكاثوليك تدين بالولاء للبابا فى روما . ومن هنا ظلت رحلة رجال الدين من هذه البلاد دائمة الى ايطاليا لزيارة مقر البابوية وتلقى العلم الدينى . وكثر العارفون بالايطالية والفرنسية من مسيحيى سوريا الكاثوليك . وقد انضم بعض هؤلاء للحملة الفرنسية ، للعمل فى الترجمة والطباعة العربية .

(٢) نزح الى مصر كثير من السوريين المسيحيين من أوائل القرن الثامن عشر ، بعد اضطهاد الحكام العثمانيين لهم ، وصار لهؤلاء المهاجرين نشاط اقتصادى ومالى كبير . وكان طبيعيا أن تستعين الحملة الفرنسية بعدد منهم ، وبخاصة من يعرفون الفرنسية . وبالفعل عين اثنان منهم ـ كما رأينـا ـ بالديوان العمومى للقـاهرة ، وانتخبا ـ ممثلين للجالية السورية المستوطنة ـ بالديوان الخصوصى . وكذلك اختير بعضهم للعمل فى الترجمة .

أهتم بالتراث الأدبى ، ليأخذ عنه ما يعينه على ما ينشر من بحوث فى « لاديكاد » ، أو بالدراسات اللغوية والعلمية التى كانت أساس ما نشرته مطابع الحملة من كتب وكتيبات . ومن هؤلاء كذلك من اتسع نشاطه ليشمل أكثر من مجال .

وتحفل مراجع المعاصرين للحملة ، وبخاصة تاريخ الجبرتى (عجائب الآثار) ، بالاشارات الى هؤلاء المترجمين ، والمهام التى كانوا يقومون بها فى مختلف المناسبات ، ومن هذه الاشارات نتبين مدى الأهمية الكبرى للترجمة و « الترجمان » فى كل صغيرة وكبيرة من أعمال الحملة الفرنسة ونشاطها . ولم يغفل الجبرتى فى هذا الصدد الاشارة الى « تعريب » المنشورات التى اذيعت على المصريين . وكذلك تضم وثائق الحملة المحفوظة بوزارة الحربية الفرنسية عددا كبيرا من مراسلات المصريين وبيانات المسئولين الفرنسيين فى القاهرة والأقاليم ، وكثير منها موقع عليه بأسماء من ترجموه من العربية الى الفرنسية أو بالعكس (١) .

ويمكن القول بعد هذا أن حركة الترجمة التى صحبت عهد الحملة الفرنسية بمصر كانت معلما بارزا من معالم التقاء الشرق العربى بما اتصل به من حضارات أخرى على امتداد تاريخه الطويل .

ولقد احيت هذه الحركة سابقة معروفة تركت آثارا واضحة فى حياة الأمة العربية ، وان اتخذت فى هذه المرة صورة جديدة متميزه . ففى العصر العباسى الأول ظهرت حركة ترجمة نشيطة الى اللغة العربية . وازدهرت هذه الحركة وبلغت أوجها فى عهد الخليفة المأمون ، حيث نقل المترجمون عن الفارسية واليونانية والسريانية عددا كبيرا من الكتب فى مختلف فروع المعرفة .

---

(١) يتضح من تلك الوثائق المعاصره ان الترجمة كانت من المهمات الأساسية التى أصبح الجهاز الادارى الفرنسى لا يستطيع العمل بدونها ، وهذا أمر طبيعى حتمه اختلاف اللغة بين الحاكم والمحكوم . ويبدو ـ بهذه المناسبة ـ ان بعض صغار المترجمين (أو التراجمة) الذين اقتصر عملهم على مصاحبة موظفى الحملة الفرنسية للترجمة بينهم وبين المصريين فى مجال تحصيل الالتزامات المالية ، استغلوا هذا الدور الوسيط لصالحهم ، ففرضوا على المواطنين الذين يتصلون بهم بحكم عملهم اتاوات أو رشا . ففى المنشور الذى أصدره منو الى « جملة أهالى بر مصر » بعد انشاء دبوان القاهرة الجديد (فى ٢٨ أكتوبر ١٨٠٠) ، محاولا استمالتهم الى الحكم الفرنسى ، وردت هذه الفقرة : « الى هذا الآن التراجمين كانوا يطلبوا منكم البلص (الرشا) وكانوا يدعوكم حماية معلمهم (رؤسائهم) لكن كانوا يغدروكم فاما بعد اليوم وان كان واحدا منهم طلب منكم دراهما أو هدايا فاخبرونى أو أخبروا السرى عسكر به ففى الوقت أعذب هولاى الاشرار باهول الشكل .. » .

غير انه كان لكل من الحركتين خصائصها وظروفهـــا ونتائجها ٠ وحركة الترجمـــة الأولى تركزت على الكتب من تـــراث الفرس واليونان الأقدمين ، وشجعها حكام الدولة الاسلامية الفتية الغنية وكبار رجالاتها ، وحمل عبئها عدد من مثقفي هذه الدولة الذين كانوا يعرفون ما نقلوا عنه من لغات ٠ وكان لثمار هذه الحركة آثارها البعيدة في الحقل الثقـــافي العربي ٠

اما الحركة الثانية فقد كان هدفها الأساسي تيسير عملية «الاتصال» بين سلطات احتلال اجنبي وشعب لايتكلم لغة محتليه ٠ ومن هنا تركز معظم نشاط هذه الحركة ٠ في مظهره التدويني ، على المحررات ذات الصبغة الرسمية لتلك السلطات ، من منشورات وأوامر ووثائق ٠

ان الحياة الثقافية العربية وقتئذ لم تكن في تفتح مثيلتها أيام العباسيين ، أو في تطلعها الى النمو والتقدم ، بحيث يمكن أن تنشأ فيها حركة تلقائية للنقل عن الثقافات الأخرى ٠ ولم تكن أنظمة الحكم من القوة والاستقرار ، أو في حالة من المنعة والانتصار ، بحيث يمـكن ان تتطلع الى تطعيم الثقافة المحلية بشيء من الثقافات الأخرى ، أو على الأقل الى تشجيع هذا الاتجاه ٠

ولقـد شاءت الظروف أن تقوم هـذه الحركة على يد حاكم أجنبي ، استهدف منها أن تسـاعده على تحقيق سياســة استعمارية معينة ٠ ولم تتناول هذه الحركة كسابقتها العلوم أو المعارف العقلية ، وانما انصبت في الغالب على الآراء والأفكار التي ضمنها هذا الحاكم رسائله الى ابناء الشعب ، وعلى نصوص الأوامر والقرارات والانباء التي أراد اذاعتهـــا عليهم ٠

لذلك كله لم يكن لهذه الحركة كسابقتها آثار مباشرة في التراث الثقافي العربي ٠ ولكن يمكن القول ان آثارها غير المباشرة لاتقل أهمية أو عمقا ، وهي الآثار التي يمكن اجمال أهمها في النقاط التالية :

١ ــ لقد فتحت هذه الحركة الطريق للاتصال بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وما لبثت كل منهما ان أخذت تؤثر في الأخرى ٠ فلم يكتف مترجمو الحملة بترجمة المنشورات الى العربية ، أو محاضر جلســات الدواوين وعرائض الاهالي الى الفرنسية ، وما الى ذلك من الأعمــال الرسمية ، وانما شارك عدد منهم كذلك في الترجمة العلمية التي اشتغل

بها المستشرقون من اعضاء المجمع العلمى · (١) ولقد ظهرت آثار هذه الترجمة فى بعض البحوث التى نشرت بصحيفة « لاديكاد » ، كما كان من ثمارها عدد من مطبوعات الحملة ، سبقت الاشارة اليها · ويقول بعض المؤرخين (٢) انه لو قدر للحملة أن تطول مدتها «لكان من المحتم أن يعمل كل فريق على نقل ثقافة الفريق الآخر الى لغته · وخاصة ان علماء الحملة كان من بينهم عدد من المستشرقين ، وكانت مكتبتهم تضم كتبا عربية وفرنسية كثيرة أحضروها معهم . وكانت مكتبات المساجد والخاصة فى مصر تضم بين جدرانها آلاف الكتب المخطوطة التى كانت تنتظر فى صبر نافد من يفتحها ليقرأها ويعدها للنشر أو الترجمة .. » .

وعلى أية حال فقد بدأت بفرنسا بعد الحملة حركة نشطة لدراسة التراث العربى والترجمة منه الى الفرنسية ، قادها المستشرقون والمترجمون الذين عادوا مع جيش الشرق عند جلائه عن مصر ·

٢ ــ تأثر مثقفو مصر فى ذلك العصر بما حدث من اتصال واحتكاك بين العربية والفرنسية من خلال المنشورات وغيرها ، وامتد هذا التأثر الى ما بعد عهدهم · ونستطيع أن نلمس ذلك مثلا فى كتابة عبد الرحمن الجبرتى لتاريخه ، فقد كانت بعد الحملة « أدق وأكثر نقدا لسير الحوادث ورجالها مما كانت عليه قبل الحملة» (١) «كما استخدم فيها كثيرا من الألفاظ المعربة والمبسطة . وكذلك نلاحظ أن شعر اسماعيل الخشاب أصبح «أرق حاشية وأسلس أسلوبا . أما الشيخ حسن العطار (٤)

---

(١) كان من لجان المجمع لجنة خاصة بالترجمة لتكون من ثمانية أعضاء هم : فانتور (Venture) ومجالون (Magallon) ولوماكا (L'Homaca) وجوبير (Jaubert) ودلابورت (De Laporte) وريج (Reige) وبراسفيش (Bracevich) وبلتيت (Belletéte ou Belleteste) **الرافعى ، مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ٤٣٩ ، نقلا عن ريبو :

Reybaud Lois et autres, **Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte** (10 vols),, Paris, 1830-36.

(٢) جمال الدين الشيال ، **تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية** القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٢ ــ ٣ ·

(٣) أحمد عزت عبد الكريم ، **تاريخ التعليم فى عصر محمد على** ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٤ ·

(٤) كانت للشيخ العطار عدة صداقات مع الفرنسيين ، وبخاصة المستشرقين منهم . وقد أصبح شيخا للازهر أيام **محمد على** . وهو الذى رشح **رفاعة الطهطاوى** ليكون اماما للبعثة المصرية فى باريس عام ١٨٢٦ ، حيث تحول هناك الى أبرز دارسيها . وكانت هذه نقطة تحول حاسمة فى حياة هذا الرائد العظيم الذى ترك أثرا عميقا فى الحياة الثقافية لمصر الحديثة .

فقد تجاوز الدراسات الدينية الى الدراسات الادبية ، وكان له فى هذا الميدان مدرسة جديدة كان من تلاميذها ابراهيم الدسوقى ومحمد عياد الطنطاوى ومحمد عمر التونسى ورفاعة الطهطاوى . وسيكون لهذه النخبة الطيبة جهود محمودة فى حياة الترجمة الحافلة فى عصر محمد على»(١). ونحس هذا الأثر أيضا فيما كتبه عبد الله الشرقاوى ، شيخ الازهر ورئيس ديوان القاهرة وقتئذ . فهو «يكتب لأول مرة ويقرأ المصريون لأول مرة أيضا كلمات الطبيعة والاباحية والكثلكة»، وبتحدث عن «انكار» البعث والدار الآخرة ونبوة الأنبياء ، وعن تحكيم العقل والشرائع والاحكام الوضعية » . وذلك فيما كتب عن « حقيقة حال الفرنساوية » فى كتابه «تحفة الناظرين» (٢) .

هؤلاء هم قمة مثقفى ذلك العصر . ولا شك أنه لولا ظروف مصر أيام الحملة وثورات المصريين المتلاحقة ضد الحكم الفرنسى ، ولولا الاختلاف الدينى وقصر عهد الحملة بمصر ، لكان لذلك الاتصال بين اللغتين والثقافتين آثار أبعد مدى .

٣ ــ كانت الترجمة من التركية وعن الفرنسية عملا أساسيا من أعمال التحرير فى صحيفة « الوقائع المصرية » التى انشأها محمد على ، كما كانت الترجمة بوجه عام عماد النهضة الثقافية التى أرسى دعائمها هذا الحاكم . وقد آتت حركة الترجمة فى عهد محمد على ثمارها الطيبة بعد ان تهيأ لها المناخ المناسب والتربة الصالحة . فقد كان من أقوى دعامات الدولة الحديثة التى بناها محمد على نظام تعليمى عصرى متكامل ، كما ساعد استقرار حكمه وطول مدته على تحقيق ما لم تسمح ظروف الحملة به فى هذا المجال . ومن المعروف ان محمد على ــ الذى تولى الحكم بعد جلاء الفرنسيين بأقل من أربعة أعوام ــ كان شديد الاعجاب بفرنسا والفرنسيين بوجه عام ، وبشخصية بونابرت بوجه خاص . ومن المعروف كذلك انه استعان فى بناء دولة مصر الحديثة بعديد من الخبراء والمتخصصين الفرنسيين فى مختلف المجالات ، ومن هؤلاء بعض علماء الحملة ذاتها . وهناك عدة شواهد تاريخية على ان هذا الحاكم الفذ كان شديد الاهتمام بمعرفة انجازات الحملة الفرنسية خلال عهدها القصير بمصر . ولا مراء فى انه قد عرف الكثير عن نشاط الحملة الاعلامى والثقافى .

---

(١) الشيال ، المرجع السابق .

(٢) الشرقاوى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٩١ .

ومهما يكن من أمر ، فقد غدت الترجمة عن اللغات الأوربية بعد ذلك عاملا أساسيا له خطره من عوامل النهضة الثقافية فى مصر وبعض اجزاء العالم العربى الأخرى طوال القرن التاسع عشر • واستمرت هذه الترجمة حتى الآن تؤدى دورا بارزا فى حياتنا الثقافية بوجه عام ، والاعلامية بوجه خاص •

***

اشترك فى ترجمة المنشورات الى العربية عدد من المترجمين الفرنسيين والشرقيين (١) • ومن أبرز الفرنسيين الذين قاموا بهذا العمل (٢) :

١ ــ المستشرق فانتور (Jean Michel Venture de Paradis) أكبر أعضاء المجمع العلمى سنا • وكان يجيد العربية والتركية ، وعاش سنوات طويلة بالمغرب العربى والآستانة ، حيث عمل بالترجمة • ورحل كذلك الى القاهرة قبل الحملة بثمانية أعوام ، حيث وثق علاقته ببعض المشايخ وكبار الأقباط وعدد من المماليك • عمل بالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، ووصل قبل الثورة الفرنسية الى منصب « سكرتير الملك ومترجمه للغات الشرقية » • عينه بونابرت كبيرا لمترجمى الحملة ومستشارا له فى الشئون الشرقية ، وكان شديد الاعجاب به • وقد اجمعت عدة مراجع على انه هو الذى ترجم المنشور الأول لهذا القائد الى المصريين • اصطحبه بونابرت فى حملته على سوريا • وهناك مرض بالدوسنتاريا ومات فى أثناء حصار عكا • وقد حزن عليه القائد الفرنسى كثيرا ونعاه الى ديوان القاهرة ، وأشار الجبرتى الى ذلك منوها باجادة فانتور لعدة لغات فقال (٣) : « .. وفنتوره هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية (اليونانية)

---

(١) اعتمدنا فى جمع المعلومات الخاصة بهؤلاء المترجمين على عدة مصادر ، اهمها المنشورات التى كانت تذيل بأسماء من قاموا بترجمتها عن أصولها الفرنسية ، والاشارات المتناثرة فى تاريخ الجبرتى ، وبعض المراجع الفرنسية التى تستمد مادتها من وثائق الحملة ، مثل الكتاب الضخم « التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية فى مصر » لريبو وآخرين ، الذى سبقت الاشارة اليه ، وكذلك بعض المراجع الحديثة مثل كتاب جاك تاجر « حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ » ، وكتاب الدكتور جمال الدين الشيال السابق ذكره .

(٢) لم تذكر ضمن هؤلاء المستشرق مارسيل ، بالرغم من أن بعض مراجع الحملة اشارت الى اشتراكه فى ترجمة المنشورات . وذلك لأن جهده الاكبر كان منصرفا الى العمل بالمجمع العلمى والمطبعة العربية .

(٣) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٦٨ •

والطليانى والفرنساوى » • والى جانب ترجمة المنشورات ، فقد خلف فانتور بعض الأعمـــال المترجمة عن مخطوطات عربية قديمة ، وأهمهـــا « نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الســــلاطين » للشيخ مرعى ابن يوسف الحنبلى •

٢ ــ جــــوبير (Louis-Amédée Jaubert) • وقد ضمه بونابرت الى فريق المترجمين بتوصية من فانتور ، بعد أن اعتذر المستشرق لانجليس من عدم مصاحبة الحملة • درس العربية على يد المستشرق سيلفستر دى ســـــاسى (Silvestre de Sacy) ، ثم أتقنها بالمران والاحتكاك بأعضاء الديوان وعلماء الأزهر وغيرهم • ولما توفى فانتور حل محله كبيرا لمترجمى الحملة • وكان لجوبير جهود ترجمية أخرى الى جانب المنشورات ، وأهمها ترجمة كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للجغرافى العربى أبى عبد الله الادريسى •

٣ ــ براسفيش (Damien Bracevich) كان يشـــغل قبل الحملة وظيفة المترجم الأول للقنصلية الفرنسية بطرابلس الشام • وعند مجىء الفرنسيين الى مصر كان يعمل سكرتيرا لقنصليتهم بالاسكندرية ، فألحق بالعمل مترجما مع الجنرال بوسيلج مدير الشئون المالية ، ثم عين كبيرا لمترجمى الجنرال كليبر • وقد اشترك فى ترجمة الوثائق والمنشـــورات الخاصة بقضية مصرع هذا القائد • وكان يطلق عليه فى النصوص العربية « براشويش » •

٤ ــ لوماكا (Jean-Baptiste Santi l'Homaca) • كان يعمـــل بالترجمة العربية قبل الحملة فى بعض مناطق حوض البحر المتوسط ، كما عمل سكرتيرا ببعض القنصليات الفرنسية فى الشرق العربى • انضم الى الحملة فى مصر وألحق بقيـــادة الجنرال كليبر • وقد اشترك مـــع براسفيش فى ترجمة نصوص محاكمة سليمان الحلبى وزملائه ، كما ترجم رسائل منو الى أعضاء ديوان القاهرة •

والى جانب هذا الصف الأول من المترجمين الفرنسيين عمل فى ترجمة المنشورات عدد آخر أقل جهدا وذكرا ، ممن صحبوا الحملة أو انضموا اليها فى مصر • وقد اشارت اليهم كذلك مراجع الحملة ووثائقها •

أما المترجمون الشرقيون ، أو السوريون ، فكان فى مقدمتهم :

١ ــ الأب روفائيل . واسمه الأصلى انطون زخورة راهبة (١) . ولد فى مصر من أسرة سورية مهاجرة ، وفيها تعلم ثم اكمل تعليمه الدينى فى روما ، وأجاد العربية والايطالية والفرنسية . تنقل بين مصر وايطاليا ولبنان وترجم كثيرا من الكتب والوثائق الدينية ، ثم استقر فى مصر حتى وصلت الحملة فانضم اليها ، وكان أنبه مترجميها ذكرا ، كما كان الشرقى الوحيد الذى عينه الفرنسيون عضوا بالمجمع العلمى بالقاهرة (فى لجنة الفنون والآداب) . وقد ترجم كثيرا من المراسيم ونصوص المنشورات ، وتولى مهمة الترجمة الفورية فى عديد من جلسات ديوان القاهرة ، كما أصبح كبير مترجمى هذا الديوان (ترجمان كبير) فى عهد منو . والى جانب نشاطه فى أعمال المجمع ، مساهما فى اعداد البحوث وترجمة الوثائق التى كان يجهزها علماء الحملة ليصنعوا منها كتاب « وصف مصر » وليضعوا على ضوئها مقترحاتهم فيما يتعلق بالنظم الجديدة لادارة البلاد ، فقد ترجم بعض مطبوعات الحملة العربية ، مثل كتيب ديجنت عن مرض الجدرى « وحولية السنة التامنة الجمهورية » التى اشترك فى كتابة مادتها كذلك (٢) . ارتحل روفائيل بعد الحملة الى فرنسا ، حيث عمل بالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس . تم عاد الى مصر بعد سقوط نابليون، وامضى بقية حياته يعمل بالترجمة فى خدمة حكومة محمد على ، فكان ابرز حلقات الوصل فى هذا المجال بين عهد الحملة الفرنسية وعهد مؤسس دولة مصر الحديثة . ومما يستحق الالتفات فى هذا الصدد كذلك انه كان ممن اشرفوا على انشاء مطبعة بولاق . وكانت لروفائيل عدة انجازات ترجمية فى هذه المرحلة ، فى مقدمتها كتاب « الأمير » لمكيافيللى ، الذى كان أول ماأخرجته مطبعة بولاق من كتب (٣) ، وقاموس ايطالى عربى .

٢ ــ الياس فخر . وهو من أسرة سورية استوطنت مدينة دمياط ، وتولى كثير من أفرادها مناصب الترجمة والقنصلية للدول الاوربية فى

---

(١) كان اسمه الاوربى « Don Raphael de Monachis » . ويقول من ارخواله ان لقبه العربى « الراهبة » هو اسم أسرة قديمة مشهورة بأفراد كثيرين ذوى وجاهة وفضل نبغوا منها فى حلب وبيروت ودمشق والقاهره والاسكندرية ، انظر الشيال ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩ ــ ٧٠ ، نقلا عن بعض المراجع العربية والفرنسية .

(٢) كانت هذه الحولية ثلاثية ، تشتمل على التاريخ الفرنسى (الجمهورى) والقبطى والهجرى .. وقد اشترك مع روفائيل فى وضعها مونج (Monge) رئيس المجمع والعالمان بوشان (Bauchamps) ونويه (Nouet) ، انظر ص ٦٢ و « شكل ٢٠ » .

(٣) محمد فؤاد شكرى ، بناء دولة ، ص ١٠٩ .

مصر خلال القرن التاسع عشر . قام بترجمة كثير من منشورات الحمله، وعندما اعاد منو انشاء ديوان القاهرة عين اليـــاس مترجما به مع الآب روفائيل ٠

٣ – القس جبرائيل الطويل : وهو من أعضـــاء فريق الترجمـــة السوريين الذين انضموا الى الحملة فى مصر ٠ اشترك فى ترجمة القوانين والمنشورات ، كما عمل بالترجمة الفورية فى جلسات ديوان القاهرة ٠ وقد غادر مصر مع الحملة الى فرنسا ، وهناك عمل مع الأب روفائيل فى تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ٠

وهناك أسماء أخرى لمترجمين سوريين أقل شأنا ، انضموا الى الحملة فى ايطاليا أو مصر ٠ وقد عملوا فى ترجمة اوامر حكام الاقاليم ومراسلات الأهالى الى المسئولين ، كمـــا ترجموا بعض المنشورات ، واشتركوا فى الترجمـــة الفورية بين الفرنسيين والمصريين ٠ واقتصر جهـــد بعضهم على العمل بالمطبعة العربية ٠ ومن هؤلاء : جبران سكروج ، وعبود وميخائيل الصباغ ، والياس (ايليا) فتح الله ٠

اما المصريون فلم تكن حالتهم التعليمية فى ذلك الوقت تؤهـــل واحدا منهم للقيام بالترجمة ٠ وكذلك باعد الاختـــلاف فى العقيدة بين الفرنسيين ومسلمى المصريين ، فلم يحاول احد من هؤلاء أن يتصل بالغزاة اتصال تلمذة ليتعلم لغتهم . ومن ناحية أخرى لم يكن مثقفو المسلمين الذين اتصلوا بالفرنسيين واعجبوا بتقدمهم فى السن التى تســمح لهم ببدء تعلم لغة جديدة ٠

غير ان الاقباط بوجه عام ، اتصلوا بالفرنسيين اتصالا وثيقا (٢) ، وغادر مصر منهم عدد كبير مع الحملة الى فرنسا ٠ ومن هؤلاء مواطن واحد كانت له بعض الجهود الترجمية ، وهو « اليوس بقطر » الذى ولد فى اسيوط وكان عند مجيء الحملة فى الخامسة عشرة من عمره ٠ وقد كان من شباب الاقباط الذين اصطنعهم الفرنسيون ليتعلموا الفرنسية ، ويعملوا فى جهاز الحكم الجديد ٠ ويبدو انه كان الوحيد الذى نبغ منهم . اذ لم

---

(٢) كان على راس هؤلاء «الجنرال يعقوب» قائد فرقة الاقباط التى كونها الفرنسيون وكان قوامها نحو ألفى جندى . وقد غادر يعقوب مصر مع الحملة ومات وهو فى الطريق الى فرنسا . ولعلاقاته بالحمله الفرنسية ورجالها قصة طويلة . انظر :

محمد شفيق غربال ، **الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١** ، القاهره ، ١٩٣٢ .

تشر المراجع المعاصرة للحملة الا الى اسمه ، فذكرت انه اشتغل بالترجمة لبعض رجال جيش الشرق ٠

وفي فرنسا اتقن اليوس الفرنسية ، وعين مترجما بوزارة الحربية، حيث عهد اليه بترجمة بعض الوثائق العربية للحملة الى الفرنسية ٠ وكذلك شارك العلماء الذين صنفوا كتاب « وصف مصر » في تحقيق الاسماء العربية بخرائطة ٠ وعمل اليوس فى آخر حياته مدرسا للعربية العامية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ٠ وكان قد ألف قاموسا عربيا فرنسيا ،عنى بنشره بعد وفاته المستشرق دى برسفال (De Perceval) بعد ان راجعه واضاف اليه ، كما طبع هذا القاموس بعد ذلك عدة مرات بعضها فى مصر بتحقيق عدد من خريجى مدرسة الألسن فى عهد اسماعيل ٠ وهكذا كان هذا المصرى ــ بقاموسه ــ حلقة أخرى من حلقات الوصل فى حقل الترجمة بين عهد الحملة الفرنسية وعهد النهضة المصرية الحديثة ٠

***

كيف كانت لغة المنشورات العربية التى اصدرتها الحملة ؟ والى أى مدى نجح أولئك المترجمون فى تقديم مادة عربية مقروءة على صفحات تلك المنشورات ؟ .

ان النثر العربى فى ذلك الوقت لم يكن يعرف فن مخاطبة الجماهير ٠ فلم تكن فنونه تتعدى فى المجال « العلمى » كتابة الشروح والحواشى على متون كتب اللغة والدين ، أو التاريخ بطريقة السرد التسجيلى للاحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمنى ٠ اما فى المجال « الأدبى » فلم تخرج ضروبه عن دائرة المقامات والرسائل الاخوانية والاوراد والتسابيح الصوفية وما اليها ٠ واتسمت أساليب النثر على العموم بالركاكة والضعف والاغراق فى التلاعب بالألفاظ .

ومن هنا فان فن مخاطبة الجماهير لم يكن له مكان بين فنون النثر العربى المعروفة حينئذ من ناحية ، ولم تكن أساليب هذا النثر تصلح لاستخدامها فى هذا الفن عند نشأته على يد الفرنسيين من ناحية أخرى ٠

ولا يمكن اعتبار الخطب المنبرية وقتئذ ، أو ترديدات « المنادى » فى الطرقات لما يلقن من اوامر السلطات وبياناتها ، داخلة فى دائرة فن مخاطبة الجماهير الذى نقصده ٠ فقد كانت خطب المساجد محصورة فى نطاق دينى شديد الضيق ٠ وكانت اذاعات المنادى توجز مضمون التنبيهات التركية الأصل ، مستخدمة لغة الحديث الدارجة ٠ ولم تكن هذه ولا تلك مما يدون ليقرأه الناس ٠

وعلى ذلك فان الرسائل الاعلامية التى حملتها المنشورات تمثل نمطا غير مألوف من النثر العربى ، سواء بما تضمنته أو بطريقة التعبير عنه • وكانت مواد هذه المنشورات تكتب بلغة اتسعت لما لم نتسع له اللغة العربية وقتئذ من فنون وأساليب ، ثم تعرب لكى تطبع ويقراها الناس.

كانت الموضوعات التى تناولتها المنشورات ـ كما رأينا ـ جديدة على لغة الكتابة العربية . لقد قرأ الناس فيها ، واستمع من لم يكن يقرأ ، بيانات من الحاكم وبيانات من ممثلى الشعب • وكانت هذه وتلك تحفل بمضمونات دعائية جديدة على العيون والآذان • وأحاط الأهالى من خلالها علما بالقوانين والمراسيم الجديدة ، وبأوامر الحكام وتنبيهاتهم • وتلقت الجماهير منها أنباء الدولة وأنشطتها العسكرية والمدنية • وقد صيغ كل ذلك بلغة لم يكن من اليسير تطويعها له • ولم تكن خصائصها وقتئذ لتسمح باحتوائه •

ومعنى هذا ان محررى المنشورات كانوا يقومون بعملية تنشيط للغة العربية ، يحاولون فيه ان ينطقوها بذلك الجديد غير المألوف ، وان يدفعوها الى اقتحام مجال حديث تضيف به الى فنونها فنا لم تعرفه من قبل •

فاذا لاحظنا انه الى جانب هبوط مستوى هذه اللغة وضعف امكاناتها فى ذلك الوقت ، فان المحررين أنفسهم ـ بحكم بيئاتهم وما اتيح لهم تعلمه ـ لم يكونوا على علم وافر بالعربية أو على ادراك عميق لخواصها ودقائقها ، كان من المنطقى أن ينتج عن ذلك حركة يعوقها تعثر وأداء يشوبه قصور •

لقد نددت بعض المراجع بركاكة أسلوب المنشورات العربية وضعف لغتها وكثرة اخطائها • فالجبرتى ، الذى يمثل النخبة المثقفة فى ذلك العصر ، قال مثلا عند عرضه لمضمون المنشور الخاص بانشاء « محكمة القضايا » (١) : « •• وشرطوا فى ضمنه شروطا وفى ضمن تلك الشروط شروطا أخرى **بتعبيرات سخيفه يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ••»** • وقال فى تقديمه لنصوص المنشورات الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبى (٢) : « •• وطبعوا منها نسخا كثيرة •• وقد كنت أعرضت عن ذكرها **لطولها وركاكة تركيبها**

---

(١) عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ١٩ ـ ٢٠ •

(٢) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٦ •

لقصورهم فى اللغة ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطـــلاع عليها ٠٠ » ٠

واشار احمد حافظ عوض اكثر من مرة(١) **الى تكرار اللحن والخطأ** فى هذه المنشورات . وكذلك ابرز الرافعى فى عدة مواضع (٢) ما فى المنشورات من « **اغلاط وعبارات ركيكة غير مفهومة** » ٠

والحق ان مقارنة نصوص ما بين ايدينا من منشورات بأصولهـــا الفرنسية لتثبت عدم توفيق المترجمين أحيانا فى اختيار الكلمة أو العبارة العربية التى تؤدى المعنى المقصـــود من اصلها فى دقة ووضوح ٠ وقد اضطررنا عند مناقشة مضمون بعض المنشورات ، فيما سبق من فصول هذا البحث ، الى الاعتماد على الأصل الفــرنسى دون النص العربى ، لغموض عبارات هذا النص وركاكتها ، وكذلك كان لابد أحيانا من شرح المعنى المقصود بين قوسين . وينبغى أن نشير فى هذا الصدد الى أن هناك مواضع كان تحريف المعنى فيها عند الترجمة مقصودا لذاته ، تحقيقـــا لاغرض دعائية معينة ، كما لاحظنا فى بعض عبارات أول منشور اصـــدره بونابرت مثلا (٣) . وهناك مواضع أخرى تصرف فيها المترجمون بشكل مقبول فى الأصل الفرنسى ، سواء بالحذف أو الاضافة أو التغيير ، محاولين بذلك ـ فيما يبدو ـ « تعريب » مادة المنشورات وتقديمها فى صورة تلائم ذوق قارئها ٠

وفيما يلى نماذج قليلة من الخطأ الواضح أو عدم التوفيق فى اختيار المقابل الصحيح لبعض الألفاظ والعبارات ، أو استخدام لفظ عامى دارج بدلا من العربى الفصيح ٠ وهذا مع غض النظر عما قد يوجد بهذه النماذج كذلك من اخطاء النحو والهجاء ، التى سنخصص لها حديثا مستقلا فيمـــا بعد :

* « ٠٠ القرى الواقعة فى دايرة قريبة **بثلثة ساعات** عن المواضـــع التى يمر بها الجيش الفرنساوى ٠٠ » بدلا من « ثلاثة فراسخ » ، ترجمة للأصل الفرنسى « trois lieues » : منشور بونابرت الأول ٠

* « ٠٠ الأمراض المفسودة التى تعدى » بدلا من « الأمراض المعدية »،

---

(١) مرجع سبق ذكره ، ص ٣٠٤ ، ٣٢٩ ـ ٣٢ ٠

(٢) مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ـ ٧ ، جـ ٢ ، ص ٩٣٠ ٠

(٣) أنظر ص ٩٣ ـ ٤ ٠

ترجمة للأصل « maladics contagieuses » : منشور الجنرال مارمون قائد منطقة الاسكندرية فى ٥ ديسمبر ١٧٩٨ .

* «منزل الأمر» بدلا من «القيادة العامة» ، ترجمة للأصل « quartier général » : كثير من منشورات عهد بونابرت .

* « شركة الاخوية » أو « شركة منجر الاخوية » ، بدلا من « شركة تجارية » ، ترجمة لعبارة « compagnie de commerce » : منشور انشاء الشركة المساهمة لتجارة الجملة بالاسكندرية ، ٧ مارس ١٧٩٩ .

* « جنرال متفرقة » ، بدلا من «قائد فرقة» أو «قائد لواء» ، ترجمة للقب العسكرى « Général de Division » : عدد كبير من منشورات الحملة .

* « مملكة موسكويه » ، بدلا من « روسيا (أو « الروسيا (، ترجمة لكلمة « La Russie » .

* « عسكر الاسلام » ، بدلا من « القوات التركية » ، أو « القوات العثمانية » ، ترجمة لعبارة « les troupes turques » : منشور انشاء العريش في عهد كليبر ، ٢٨ يناير ١٨٠٠ .

* « ولاية تيبايس وقنى » ، بدلا من « ولاية طيبة أوقنا » ، ترجمة للأصل الفرنسى Thèbes ou Kenneh : منشور كليبر بالتقسيم الادارى لمصر فى ١٤ سبتمبر ١٧٩٩ .

* بوسيلج .. مدبر الحدود العام بمصر » بدلا من « مدير الشئون المالية » ، ترجمة لعبارة
« ... Administrateur Général des Finances de l'Egypte »
فى كل المنشورات التى ورد فيها اسم بوسيلج (وكان اسمه يكتب « بوسيلغ » أو « بوسيهلغ » أو « بوسيلك ») .

* « وغير مطارح » ، بدلا من « وأماكن أخرى » ترجمة لعبارة « et autres lieux » . « الشطارة » ، بدلا من « الصناعة » ، ترجمة لكلمة « industrie » . « المتسببين » ، بدلا من « التجار » ، ترجمة لكلمة « marchands » . « العصور » ، بدلا من « القرون » ترجمة لكلمة « les siècles » : عدة منشورات من عهد بونابرت ومنو .

* « أهالى ووجقلى الذين خرجوا واخذوا ورقة اجازة لاجل يلموا

دراهمهم من بلادهم لم هم من هذه الوصايا » . وكان يمكن أن تصاغ هذه العبارة على الوجه الآتى مثلا : «لاينطبق هذا الأمر على الأهالى ورجال الاوجاقات الذين اعطوا تصريحات بالذهاب الى قراهم لتحصيل الاموال المستحقة عليها » ، وذلك ترجمة للأصل الفرنسى :

« Les habitants ou odjaqlys qui ont reçu des autorizations pour aller chercher les impositions de leurs villages, ne sont pas compris dans le présent ordre »

: منشور بليار (قائمقام منو) بانذار من يغادر القاهرة بدون اذن ، ٧ أغسطس ١٨٠٠ .

* بعد النص على تجريم من يحول النقود الذهبية والفضية الى سبائك فى قانون دمغ المصوغات الذى اصدره منو فى ١ ستمبر ١٨٠٠ ، وردت العبارة التالية التى عجز كاتبها عن ان ينقل بها الى ذهن قارئها المعنى الواضح الذى قصده أصلها الفرنسى : « والذين فقط مفكرين فى أنفسهم يكسروا المعاملة ذهب أو فضة لاجل يعملوه سبايك ايش ذنبهم لأن بعض اوقات يكون هذا من غير وجوه الحلال » . لقد كان الاصوب ان يقال مثلا : « فأية جريمة ضد المجتمع يرتكبها بعض أولئك الذين لا يفكرون الا فى أنفسهم ، عندما يحولون الى سبائك نقودا ذهبية وفضية حصلوا عليها غالبا بطريق غير مشروع » ، فالأصل الفرنسى يقول :

« Quel crime contre la société ne commette donc pas quelques égoïstes qui changent en lingots les monnaies d'or et argent que souvent ils ont acquises injustement ».

* «اختيار» بمعنى «عجوز» أو «شيخ» . وهذا لفظ عامى يسود استخدامه فى سوريا وبعض البلاد العربية الاخرى ، وقد ورد هو وكثير من أمثاله كلفظ «بده» بدلا من «يريد» فى عدد من منشورات الحملة التى حررها المترجمون السوريون ، متل منشورات قضية مصرع كليبر .

* « ولأجل دفع بالحقيقة المطلوب الى مستأجرين الاقلام» ، بدلا من «ولأجل ان يدفعوا المطلوب منهم بالضبط الى مستأجرى الحصص الزراعية» ، ترجمة للعبارة الفرنسية .

« à faire payer exactement aux fermiers ce qui peut leur être dû »

: منشور منو بتنظيم الضرائب ، ١١ سبتمبر ١٨٠٠ .

*« والقدر والكبر بتاع البنادر يبين كام صراف يعتاز فيه » . هذه

العبارة العامية الركيكة كانت ترجمة للأصل الفرنسى البسيط الواضح :

« La grandeur et l'importance des villas détermineront la quantité des sarraf qu'on y placera ».

منشور منو بتنظيم مهن الصرافة **والكيالة** والقبانة ، ٨ أكتوبر ١٨٠٠ :

* « فما دام انتم مؤديين الرسم الموضوع قانونا من الشريعة بعينه فانتم مأذونين بمحاظظة مع صفاء خاطركم كلما لكم مقتنى بلا أن أى من يصير يقتدر يمنعكم من هذه المحاظظة أو يطلب منكم محاسبة مالكم » . هذه العبارة المعقدة التركيب التى تضم ألفاظا غريبة النحت كانت ترجمة للعبارة الفرنسية :

« en payant exactement l'impôt fixé par la loi, vous serez libre de jouir de tout ce qui vous appartient, sans que personne puisse vous en empêcher, ou vous demander compte de vos richesses ».

* «ان سر عسكر العام **مسترضيا بزيادة عن تمشيات** كافة مشايخ البلاد من كل جوانب بر مصر الذين استعجلوا بدفع الرسم السنوى المرسوم عليهم .. » هذا الاستهلال الركيك لمنشور منو ، الصادر فى ٢٩ ديسمبر ١٨٠٠ ، الذى يعطى مهلة شهر لمشايخ البلاد المتأخرين فى سداد الرسوم المقررة عليهم ، يمكن تصحيحه — مع المحافظة على أسلوب المنشور ولغة العصر — الى : « ان سر عسكر العام الذى **سره كثيرا سلوك** مشايخ البلاد من كل أنحاء بر مصر الذين يتعجلون دفع الرسم السنوى المقرر عليهم ..» فالاصل الفرنسى يقول :

« Le Général en chef, très satisfait de la conduite des cheykh el-beled de toutes les parties de l'Egypte, qui s'empressent de payer le droit annuel qui leur a été imposé... ».

* « فتحت ذلك السبب المذكور (أى مغادرة البلاد) لابقى يجوز ولا زيارات مستفشة فى البيوت بل لما هى مأذونة تحت سبب التدبير البلاد وتفتيش الأسلحة والأمراض ذى السراير » . هذه العبارة الملتوية التركيب الغامضة المدلول كان المقصود بها ما معناه « لم يعد يجوز تحت هذه الحجة نفسها دخول (أحد من رجال الحكومة) بيوت الناس ، غير انه سوف يسمح بذلك بسبب اجراءات الشرطة أو للبحث عن أسلحة أو بسبب حالات الامراض المعدية » ، لان الاصل الفرنسى يقول :

« Aucunes visites domiciliaires ne pourront être faites sous le même prétexte, mais elles seront permises pour cause de police, de recherche d'armes et de maladies contagieuses »

: من منشور منو بتخفيف الاجراءات التى فرضت على من غادروا البلاد ، فى ٢٢ فبراير ١٨٠١ .

* ومن أمثلة التعبيرات العامية التى تكثر – دون مبرر – فى لغة المنشورات ، وقد لاحظنا طرفا منها فى بعض النماذج السابقة : « دفعتم الطاق طاقين » ، «يخلوا فى بالهم» «البضايع .. يدخلوهم أو يخرجوهم من ورا الجمرك » « البيوت والاملاك بتوع المماليك » ، « المصاروة » .

* استخدم محررو المنشورات ما كان مألوفا فى ذلك العصر من المصطلحات الديوانية التى تتصل بالامور المالية والضريبية، على ركاكتها، مثل : غلاق ، المعلوم ، حصص ، تمسكات ، رجعات ، ميرى ، كشوفية . وذلك حتى يكون ما يذاع على الناس فى هذا الصدد واضحا مفهوما . ولكنهم الى جانب ذلك استخدموا عدة ألفاظ تركية وفرنسية ، كما هى أو مع بعض التحوير ، دون أن يحاولوا ترجمتها أو تعريب صيغتها ، مثل «صارى عسكر» أو «سارى عسكر»(١) جامكيه (مرتب – ماهية ، وجمعها جوامك) ، جبخانة (ذخيرة) ، وجاق ، مصرلى ، عثمانلى ، وجاقلى . ومثل : وفسيال (من officier) ، كومسارى (من commissaire) ، نمرة (من numéro) .

أما أخطاء النحو فكثيرة ، وأبرز أنواعها :

* نصب المرفوع والمجرور ، مثل : «ان الفرنساوية هم أيضا **مسلمين مخلصين**» ، «يكون فى كل ولاية .. رزنمجى فرنساوى أو **وكيلا** له» ، «فان حرك **أحدا** منكم الفتنة» ، «وهم **سببا** لقتل ثمانية آلاف» ، « وردنا **خبرا صحيحا** » ، « سمعتم من **أحدا** يقول » .

---

(١) مصطلح تاريخى يتكون من كلمتين : احداهما فارسية الاصل انتقلت الى التركية، والثانية عربية ، ومعناه «رئيس الجند» أو «القائد العام» . وقد استخدمت هذه اللفظة المركبة فى كل منشورات الحملة العربية التى ورد بها اسم أى من قواد الحملة الثلاثة . وكانت تكتب أحيانا بصيغتين أخريين ، هما «سر عسكر» ، «سرى العسكر» . ويلاحظ كذلك انها كانت اما ان تجرد من أداة التعريف ، أو تلحق بها هذه الأداة باحدى صورتين «السارى عسكر» ، «سارى العسكر» : وقد نحت الجبرتى من اللفظة اسما عاما هو «السر عسكرية» ، بمعنى القيادة العامة للحملة . وتطور استخدام هذا المصطلح ، فأصبح فى منشورات منو يقوم مقام الرتبة العسكرية «جنرال» ، وتلحق به عبارة تحدد مدلوله : «من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهورية الفرنساوية بالشرق ...» . انظر : الشناوى : **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٤ – ١٥ .

✻ رفع المنصوب (أو تسكينه) ، مثـل : «وجدوا ·· **مقدار كبير** وأخذوا ذخاير كثيرة وأموال » ، « **وجدوا أكثر من ثمانين مدفع** » ، « كتبنا **عرضحال**» · ومثل هذا رفع المجرور ، مثل «**بثلاثون يوما**» ·

✻ عدم اعمال الناصب أو الجازم مع الفعل المضارع ، مثل: «صاحب **محل العرقي الذى لم يكون** قيد اسمه ..» ، «فعلى حكام الولايات ان **يفحصون** ·· »

✻ حذف النون من صيغ الافعال الخمسة ، دون ما ناصب أو جازم، مثل : «السناجق الذين **يتسلطوا** فى البلاد المصرية» ، «**سيدبروا** الامور»، **ستلاقوا** فى كل وقت » ، « كما **تروه** فى الشرط الثـانى » ، « اذا كان الفريقان لا **يريدا** أن ··· ولا **يتفقا** » ·

✻ استعمال حرف الجزم « لم » مع غير الفعل المضارع ، أو بدلا من حروف نفي أخرى ، مثل : «**لم بقى** مدبر الحدود كمثل الاول» ، « **لم لهم** شيء » ، «**لم عليه** الا عوايد واحدة» ، «**لم عندهم** طمع» ، «**لم بلغ** على ذلك»، «**لم مرادنا** نحكم فيكم بطريق التخويف» ·

✻ استخدام أداة التعريف مع المضـاف ، مثل : «وتميل عقولكم لتصديق **الكلام** اتباع الظلمة السابقين» ، «**والاملاك والاموال** كل الهاربين من مصر قبل ذلك التـاريخ» ، «**الامبراطور** النمسا» ، «··· تسلكوا فى **الطريق** الخائفين الله » .

✻ عدم حذف النون من جمع المذكر السالم عند الاضافة ، مثل : «نعلمكم أن بعض الناس **ضالين** العقول ··» ، «الى **ملتزمين** البلاد ··» ، «مع **محصلين** التكاليف» ، «كونوا **مستريحين** البال **ومترفهين** الحال··»·

✻ استخدام فاعلين ظاهرين للفعل الواحد ، أو كما يقـول النحاة استخدام لغة «أكلوني البراغيث»(١) ، مثـل : «··· ويكونوا **الحكام** مسئولين» ، «مثلما فعلوا **أهل** مصر ..» ، «بعد أن يتكاملوا **الجميع** فى البر ··» ، «بعض مراكب اعـدوهم **عسكر** الجزار» ، «فهجمـوا عليهم **الفرنسيس** » ·

✻ تأنيث ما يجب تذكيره ، وتذكير ما يجب تأنيثه عند تمييز العدد

---

(١) يعتبر بعض النحاة أن هذا ليس خطأ بقدر ماهو استعمال ضعيف . وهم يستدلون على ذلك بمثال من لغة الحديث النبوى : « يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ملائكة ..» . ولكن هذه قضية تحتمل كثيرا من الجدل ، وليس هنا موضعه .

مثل «**أربع مشايخ**» ، «**ثلاثة مرات**» ، «**سبع شروط**» ، «**عشرة سنوات**» ، «ابن **اربعة** وعشرين سنة» ، «**خمسة** عشر فضة» ، «على **اثنى عشر دفعة**» ، «**ثمانية ولايات**» .

* الخطأ فى استخدام الاسم الموصول، مثل: «كل النقاير (السفن) والقــوارب **الذى**» ، «الشروط **الذى** انتخبناها» ، «القرى **الذين** عــادوا الجمهورية الفرنساوى» ، «الاصناف **الذين** يخرج منهم العرقى» .

* الخلط بين التذكير والتأنيث ، وبين الافراد والتثنية والجمع ، فى الاسماء والضمائر وصيغ الافعال ، مثل: «بعض العوايد **الموجودين** بالديار المصرية» ، كل الاموال **والاملاك المأخوذين** الى هذا اليــوم» ، «فى مراكبهم **الخاص** بهم» ، «كل صاحب معمل يدفع.. المال الذى **عليهم**» ، «كل قوائم أسماء البلاد .. يلزم **طبعهم**» ، «وكنا عملنــا التعريفه **وطبعناه**» ، «كثرة التكاليف **كان يخطف** منــكم ..» ، « فان دماء آبائكم .. وأولادكم قد **جرى ..**» ، «المراكب المذكورة **وصلوا ..**» ، «كل المحاكم .. **يقضون** بالعدل» .

وتحتوى لغة المنشورات العربية كذلك على أخطاء صرفية كثيرة ، فى اشتقاق المصادر والصفات وصيغ الجمع وغيرها ، مثل اشــهار (شهر) ، أنشر ـ انشار (نشر) ، افراز (فرز) ، مداعاة (ادعاء) ، ترسيم (رسم) ، اصراف (صرف) ، تلاف (تلف) ، يرفع **دعوته** (دعواه) ، فتــوة (فتوى) ، أهل الشرع الاسلام (المسلمون) ، المتشرعون (المشرعون) ، اغلال (غــلال ـ غلات) ، أبغــال (بغال) ، أعيــال (عيال) ، طروف (أطراف) ، امرار (مرات) ، أشره (أشرار) ، متهــوم (متهــم) ، ملزوم (ملزم) ، مستفتشه (متفتشية) ـ عصــاوة (عصيان) ، عذاب **عقيب ـ أعقب** العذاب (اشتقاق خاطىء من **عاقب**) .

ولا تقل اغلاط الهجاء شيوعا عن أخطاء النحو والصرف ، ومنها :

* استخدام التاء المفتوحة بدل المربوطة ، أو العكس ، مثــل : «عليه افضل **الصلات** والسلام» ، «كل من **ماة** عنده ..» «**حيات** الدنيا» ، «**انخمدة** الشرور» ، «**ستة** دواوين» .

* وصل كلمتين معا ، مثــل : كلمن (كل من) ، كلما (كل ما) ، أيمن (أى من) ، انكان (ان كان) .

* اضافة ألف بعد الواو فى الفعل المضارع المعتل بالواو ، مثل : نرجوا ، يدعوا .

* استعمال الالف المنطوقة بدل الياء المرسـومة فى بعض الكلمات المقصورة ، مثل : النصارا (النصارى) · الكبرا (الكبرى) ، أدنا (أدنى) ، يتعـاطا (يتعاطى) ، يتبقا (يتبقى) ، يرا (يرى) ، انطوا (انطوى) ، أتا (أتى) ·

* استعمال الياء بدل الالف فى الافعـال المقصورة ، مثل : عفى (عفا) ، دعى (دعا) ·

* كتابة السين بدلا من الثاء والزاى بدلا من الذال ، مثل : سغر (ثغر) ، سلاسة (ثلاثة) ، موزى (مؤذ) ، زخاير (ذخائر) ، مازون (مأذون) ، مزكور (مذكور) ·

* زيادة ألف على هجـاء الكلمة ، مثـل : فاليتوجه (فليتوجه) ، خاروف (خروف) ، ذالك (ذلك) ، المرجوا (المرجو) ·

* أخطاء أخرى متنـوعة (١) : مثل : المأونة ـ المأونة (المئونة ـ المؤونة) ، اطمأنان (اطمئنان) هولاى (هؤلاء) ، قيرات ـ قراريت (قيراط ـ قراريط) ، ابتدى (ابتداء) ، المومى اليه (المومأ اليه) ، أوله (أولى) ·

ولكننا ، بعد كل ما عرضنا من أنواع الاخطاء ونماذجها ، ينبغى لكى ننصف محررى المنشـورات العربية ، أو بالاحرى مترجميها عن أصولها الفرنسية ، أن ندخل فى حسابنا الاعتبارات التالية :

أولا : ضرورة النظر الى تلك الاخطـاء فى ضوء ما اسلفنا ذكره من عوامل وملابسات تتصل بحالة اللغة العربية وطبيعة الحيـاة الثقافية للبلاد فى ذلك العصر ، فضـلا عن مستوى التحصيل اللغوى للمترجمين أنفسهم ·

ثانيا : ان الاخطاء بأنواعها لم تكن ، رغم شيوعها ، مطردة فى كـل المنشورات أو فى سوادها · فقد تفاوتت هذه الأخطاء كما وكيفا ، واختلف نصيب المنشورات منها باختلاف المترجمين من ناحية ، وباختلاف الغرض الذى صدر من أجله المنشور من ناحية أخرى · وهناك منشورات جيـدة التحرير واضحة التعبير ، لا نكاد نلمح عبر سطورها الا هنات قليلة ، مثل المنشورات التى تتضمن نصوص اتفاقيات الجلاء عن مصر فى عهدى كليبر ومنو ، ومثل منشور انشاء ديوان القاهرة فى صورته الجـديدة أيام منو (١) ·

(١) أنظر الاشكال ٧٦ ، ٨١ ، ٤٩ ·

ثالثا : ان الترجمة من الفرنسية الى العربية فى ذلك الوقت كانت تجربة غير مسبوقة ، ومن ثم فهى مهمة ثقيلة تؤود من قد يتصدى لها من المتمكنين من لغة الضاد ، وتكاد بالتالى تعجز من لم يتمكن من هذه اللغة • هذا الى ان ترجمة المنشورات ، من حيث هى وسيلة اعلام ، تختلف عن ترجمة النصوص العلمية أو الأدبية فى انها عمل يتطلب عادة انجازا سريعا ، ولا يترك مجالا كافيا ـ وبخاصة لغير المتمرسين به ـ للاجادة والتأنق •

رابعا : ان المادة المحررة كانت وافدا جديدا على فنون الكتابة العربية فى ذلك الوقت ، سواء من حيث نوعيتها أو قوالبها • فقد تضمنت موضوعاتها ـ كما رأينا ـ الرسائل الدعائية ، وبيانات ممثلى الشعب ، والبلاغات الحربية ، ونصوص القوانين والتنظيمات ، والماجريات القضائية ، والاتفاقيات الدولية ، والموضوعات الاخبارية ، وغيرها مما لم يكن للعربية عهد به من قبل • واقتضى عرض هذه الموضوعات استخدام أساليب جديدة فى التعبير عرفتها اللغة الفرنسية ، وبخاصة فى مجال الاعلام • ولكن لم تكن أقلام كتاب العربية قد جرت بمثلها بعد • ويضاعف ذلك ولا شك من صعوبة المهمة •

خامسا : ان كتابات مثقفى المصريين فى ذلك العصر لم تكن تخلو من كثير مما أخذناه على منشورات الحملة من ركاكة وأخطاء ، بالرغم من ضيق دائرتها وقلة ما طرقته من موضوعات • فكتابات الجبرتى مثلا ، وهى انموذج فذ للغة العصر ، وصاحبها ـ ولا شك ـ فى طليعة مثقفيه ، تشيع فيها كمنشورات الحملة أخطاء النحو واللغة ، فضلا عن ضعف أسلوبها واقترابها من لغة العامة فى كثير من الأحيان • هذا بالرغم من ان الجبرتى كان يتخلى فى بعض المواقف عن أسلوب السرد التقريرى الذى ألف اتباعه فى كتاباته التاريخية ، ليترسل متأنقا فى وصف أو مدح أو رثاء ، مستخدما ـ على سنة عصره ـ مختلف المحسنات اللفظية • ويتضح ذلك بوجه خاص فى كتابات الجبرتى المخطوطة • أما تاريخه المطبوع «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» ، وكذلك كتابه «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» ، فقد تلافى من قاموا باعدادهما ونشرهما (بعد وفاة صاحبهما) معظم تلك الأخطاء • وهذا مثال من أحد الأصول الخطية لما كتب الجبرتى :

« •• ومن الحوادث ان فى يوم الاحد عاشر المحرم (عام ١٢١٣) وردت مكاتبات •• ان فى يوم الخميس ثامنه حضر الى ثغر سكندرية عشر

مراكب من مراكب الفرنج ووقفوا على البعد بحيث يرونهم أهل الثغر وبعد قليل حضر أيضا خمسة عشر مركبا .. فانتظروا أهل الثغر فاصدهم واذا بقايق (أى مركب) واصل منه (؟) عندهم به عشرة أنفار فوصلوا الى البر فكلموهم أهل البلد واستخبروهم عن أنفسهم فأخبروا أنهم انكليز حضروا للسؤال عن الفرنسيس فقالوا لهم لم يكن عندنا الا المستوطنين بالثغر .. ثم فى ثالث يوم حضرت أيضا مكاتبات بان المراكب غابوا عن أعينهم فاطمأنت الناس وبطلت القالة .. فلما كان يوم الاربعاء عشرين المحرم وردت الاخبار والمكاتبات من ثغر الاسكندرية ورشيد ودمنهور بان فى يوم الاثنين ثامن عشره لم يشعروا أهل الثغر الا والفرنج ومراكبهم عند العجمى وزاحفين على البلد .. » (شكل ١٠١) (١) .

وتضم وثائق الحملة ومحفوظاتها كذلك كثيرا من رسائل المصريين ، وبخاصة كبارهم ، الى الحكام . وهى تقدم لنا صورة دقيقة لمستوى الكتابة العربية فى ذلك الوقت ، وما كانت تتسم به من هبوط وتخلف .

وهذا مثال من تلك المراسلات ، وهو كتاب مرسل من « الديوان الخصوصى » الى الجنرال دوجا نائب القائد العام (كليبر) بالقاهرة . وقد وقع عليه الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدى والسيد خليل البكرى . ونص هذا الكتاب ، بأخطائه التى لا تخفى ، فضلا عن أسلوبه الركيك الفج ، هو :

«من محفل الديوان الخصوصى بمصر خطابا الى حضرة سارى عسكر دجا قايمقام مصر حالا ، أجرى الله على يديه الخير آمين . أما بعد الدعا لكم بخير ان المرحوم مصطفى أغات الشراكسة ابن المرحوم مصطفى أغات الشراكسة مات قبل دخول الجمهور بمدة وعليه ديون كثيرة ومخلفاته شيى يسير لم يكفى فى الديون وله من جملة مخلفاته بيت بحارة عابدين مراد الورثة يبيعوا البيت المذكور لأجل يحطوا حقه فى الديون والآن سكنوا فى البيت جماعة من عسكركم فلما سكنوا فيه لم بقى أحدا يتجسر على شراية البيت القصدمن حضرتكم سكنت العسكر فىبيت آخر لأجل بيع

---

(١) من مخطوطة بعنوان «تاريخ مدة الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣ الى سنة ١٢١٦» محفوظة بمكتبة ليدن بهولندا ، وهى بخط الجبرتى نفسه . ويتضح من فحص مضمونها أنها استخدمت فى اعداد مادة كل من كتابى الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار» ، و «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» . وهذه الصورة مهداة من الزميل الدكتور مارسدن جونز أستاذ الدراسات العربية بالجامعة الامريكيه بالقاهرة ، الذى يقطع بأن تلك المخطوطة أقدم مخطوطات تاريخ الجبرتى على الاطلاق .

البيت وخلاص ديون الميت وأنتم تحبوا السعى فى الخير ودمتم بخير (شكل ١٠٢) (١) ٠

وهذا مثال آخر يضم مقتطفات من كتاب أرسله مراد بك حاكم الصعيد الأعلى الى منو عقب مصرع سلفه كليبر ٠ وقد حرره له بالطبع بعض مستشاريه ممن كانوا يجيدون مثل هذا العمل ٠ لأن مراد بك ، مثل سائر المماليك ، لم يكن يحسن العربية ٠

« ان سألتم عننا فاننا طيبين بخير ولم نسأل الا عنكم ٠٠ وعرفتونا بما حصل الى حضرة محبنا العزيز صارى عسكر كليبر وهذا أمر الله تعالى لم أحدا بيده حيلة ٠٠ والذى سلط على قتل مثل واحد كبير زى ده ٠٠ يبقا خاين وقليل المروه ٠٠ وكل أحدا جزائه على الله تعالى وذكرتوا لنا فى جوابكم ان الجمهور سلموا لكم كامل الأمر والحكم وحصل لنا غايت الفرح والسرور لأن سابق تلقينا منكم الأخبار الطيبة ٠٠ الناس جميعا يمدحوكم بكل خير واحنا الآخرين حصل لنا فرح بذلك وزاد حبنا لطرفكم ٠٠ واننا على المحبة والشروط على ما هو عليه حكم الاول وانشاء الله تعالى تزيد المحبة والتوفيق ٠٠ وحضرتكم تتحملونا وتقبلوا عذرنا فى سنة تاريخه لأن حاصل لنا تعب من قبل المعايش والأمر الى الله تعالى والى حضرتكم السعيدة » (٢) ٠

سادسا : ان بعض ما عرضنا له من أخطاء فى المنشورات ما زال ــ ويا للأسف ! ــ ملحوظا اليوم فى وسائل الاعلام العربية عندنا ، بعد أكثر من مائة وسبعين عاما تفصل بيننا وبين عهد الحملة الفرنسية ، وبعد الشوط الطويل الذى قطعناه فى تطورنا الثقافى واللغوى ٠

سابعا : أن مترجمى المنشورات وفقوا الى استخدام عدة مصطلحات ومسميات عربية ، اشتقوا بعضها من أصول قديمة ليختص بمعان مستحدثة ، ونحتوا بعضها الآخر ، أو أنشأوه انشاء ٠ وبعض هذه المسميات انحدر الينا منهم فاستخدمناه كما هو أو طورناه ، وبعضها

---

(١) من قسم المحفوظات التاريخية بوزارة الحربية الفرنسية بباريس ، وهو بتاريخ ١٣ رجب ١٢١٤ (يوافق ١٧ ديسمبر ١٧٩٩) ٠ وقد وقع مع الزعماء المصريين على هذا الكتاب ــ تضامنا وتأييدا ــ الاعضاء الاجانب الثلاثة ، مع أنهم بالطبع لم يشتركوا فى صياغته ٠ وتتضح من صورة الكتاب أنه ترجم الى الفرنسية لعرضه على الجنرال دوجا ٠

(٢) راجع ص ٧٠ وشكل ٢٧ ٠

الآخر وصلنا اليه باجتهادنا بعد ان كانوا سبقونا اليه · وفي الحالتين فان لمحرري المنشورات فضل بدء الخطوات الأولى لاثراء اللغة العربية بتلك الألفاظ والعبارات · ولا شك ان جهود الرائد العظيم رفاعة الطهطاوي ومدرسته في الترجمة ، وجهود من ساروا بعدهم على هذا الدرب على امتداد أكثر من قرن ، بل جهود المحدثين من حملة لواء الترجمة في وسائل الاعلام المعاصرة بالذات ، وما أثمرته كل تلك الجهود من نتائج أضافت الى العربية الكثير ، لم تكن سوى استمرار لتلك البداية الخافتة لمحرري منشورات الحملة · ومن أمثلة ما حققه أولئك المترجمون في هذا الصدد :

ــ جمهور (ترجمة لكلمة (république) ، وقد اضيفت اليها ياء النسب وانثت فيما بعد) ــ حرية ، تسوية (شعارا الثورة الفرنسية. وقد طور ثاني اللفظين فيما بعد الى «مساواة») ــ كاتم السر (ترجمة لكلمة (secrétaire) ــ أمين الصندوق (ترجمة لكلمة caissier) ــ قائمة (بمعنى ورقة تقيد بها الأسماء والأشياء في صف قائم) ــ محكمة ــ محاكمة ــ مبادىء (بمعنى القواعد الأساسية) ــ الدعاوي المدنية ــ مداولة ــ وكيل الجمهور (التي طورت فيما بعد الى « ممثل الادعاء ») ــ اقتراع ــ انتخاب (في مجال الممارسة الديموقراطية) ــ النشر (بمعنى الطبع أو الاستنساخ، والاذاعةبين الناس، ترجمة للمصدر publier ») ــ مادة (article) ــ شركة (compagnie) بالجملة والتقطيع (هذا المصطلح التجاري أقرب الى الصواب بصيغته هذه من الصيغة التي طور اليها والتي تستخدم الآن « بالجملة والقطاعي » ــ مزاد ــ مليون (ألف ألف) ــ صلب (بمعنى الفولاذ) ــ قزدير (عدلت فيما بعد الى « قصدير ») ــ فلين ــ أم (ترجمة لكلمة matrice بمعنى القالب الذي يسبك عليه حرف طباعة أو خاتم دمغة المصوغات مثلا) ·

ومحصلة هذا كله ان محرري المنشورات العربية ، بالرغم مما وقعوا فيه من أخطاء ، قد قاموا بانجاز كبير وضعوا به في أرض اللغة العربية حجر الأساس لمجال جديد متعدد الجوانب في التعبير ، وفتحوا به طاقة أضاءت لهذه اللغة معالم طريق طويل انتهجته بعد ذلك وتطورت فيه عبر عدة مراحل ، حتى غدت تناظر غيرها من اللغات الحية ·

ولم تقتصر عملية تحرير المنشورات العربية على مجرد ترجمة أصولها الفرنسية بألفاظها ومعانيها وعباراتها وقوالبها كما هي الى

العربية • وانما كانت هذه المنشورات تمر أحيانا بمرحلة أخرى ، يعهد فيها الى بعض المتمكنين من اللغة العربية بصياغة عباراتها من جديد ، لتكون أقرب الى الاسلوب الأدبى المتأنق الذى يرضى أذواق قراء ذلك العهـــد •

وعملية اعادة الصياغة (re-writing) من العمليات التحريرية الأساسية فى الحقل الاعلامى الحديث • وهى تمتد الى كثير من مواد الصحف بالذات ، مع تفاوت فى مدى التدخل الصياغى ، تطبيقا لقواعد معينة تختلف باختلاف المادة المحررة (١) •

غير انه يلاحظ انه لم يخضع لهذه العملية الا بعض منشورات الحملة وبخاصة فى عهد بونابرت • ومعظمها من المنشورات التى صدرت على لسان زعماء الشعب ، أو كانت تذيع رسائل من قادة الحملة اليهم •

وتدل بعض المراجع على ان بونابرت نفســه هو الذى كان يشــير باعادة صياغة تلك المنشورات • ولعله كان يعتقد ان ذلك أنسب لطبيعة مضموناتها « الساخنة » من ناحية ، ولصدورها على لسان ممثلى الشعب أو توجيهها اليهم من ناحية أخرى • فقد جاء فى رسالة منه الى الجنرال بوسيلج مدير الشئون المالية لحكومة الحملة ، بعث بها اليه من يافا فى أثناء حصاره لها (٢) : « عليكم أن تأمروا بطبع كل المنشوارت التى يبعث بها فانتور (المستشرق المترجم المصاحب لحملة سوريا) الى الديوان ، وأن تضيفوا اليها المحسنات والتنميقات التى يرى الشيخ المهدى ادخالها عليها ، وأن تنشروها فى أنحاء البلاد » (٣) • والواقع أن القائد الشاب كان شديد الأعجاب بالشيخ المهدى ، وقد أمتدحه كثيرا فقــال عنه فى

---

(١) اعادة الصياغة من أهم أعمال قسم المراجعة أو «المطبخ الصحفى» كما يطلق عليه أحيانا ، وهو من أبرز أقسام الصحيفة . وقد اتسع مفهومه فلم يعد اختصاصه مقصورا على الجانب اللغوى وحده ، وانما أصبح يتعدى ذلك الى طريقة بناء الموضوع واختيار عنوانه والتحقق من صحة مايتضمنه من معلومات . وتتغير صورة هذا القسم من صحيفة لاخرى ، حسب نظام توزيع العمل التحريرى بها ، غير أنه يضم عادة فى الصحف المتقدمة نخبة من كبار المحررين ذوى الخبرة والثقافة .

(٢) بتاريخ ٢٠ فنتوز سنة ٧ (١٠ مارس ١٧٩٩) • انظر : **مراسـلات نابليون** ، جـ ٥ وثيقة ٤٠٢٨ .

(٣) كان المنشور الذى أذيع على لسان العلماء بنبأ الاستيلاء على يافا أحد هـذه المنشورات التى تناولتها عملية اعادة الصياغة ، كما سنرى .

مذكراته (١) « انه أذكى علماء الأزهر وأفصحهم لسانا وأكثرهم علما وأصغرهم سنا » ٠

وقد أشار الجبرتى فى أكثر من موضع الى أن بعض المنشورات كانت تعاد صياغتها دون أن يحدد من قاموا بهذا العمل ٠ فقال فى تقديمه لنص المنشور الذى صدر على لسان الديوان ليذيع نبأ استيلاء الفرنسيين على يافا (٢) : « حضر عدة من الفرنسيس .. واخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من سارى عسكرهم بالاخبار عما وقع فلما كان يوم الخميس واجتمع أرباب الديوان فقرأ عليهم المراسلة **بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية** وهى على لسان رؤساء الديوان الى الكافة ٠٠ » ٠

وقال الجبرتى كذلك عن المنشور الذى أصدره « محفل الديوان الخصوصى » ، بعد عودة بونابرت على رأس حملته السورية الى مصر : « كتبوا أوراقا وطبعوها وألصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا **وهى من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء** وصورتها ..» .

وهذه نماذج من تلك المنشورات « المنمقة » ، ويلاحظ فيها استخدام السجع وغيره من المحسنات اللفظية ، والاسراف فى ذلك أحيانا الى حد التضحية بقواعد النحو (٣) : من منشور علماء الأزهر ، الذى اذيع عقب ثورة القاهرة الأولى على أقاليم مصر كافة : « ٠٠ وقد قبل (بونابرت) شفاعتنا لأنه رجل كامل العقل عنده شفقة ورحمة للمسلمين ، وحب للفقراء والمساكين ، ولولاه لهلكت أهل مصر أجمعين ، فأنتم لا تحرثوا الفتن لتكونوا فى أوطانكم مطمئنين، ولا تطيعوا أمر المفسدين، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تكونوا مع الخاسرين ٠٠ » ٠

* من منشور علماء الأزهر أيضا ، الذى أصدر بعد ذلك بأيام لتحذير المصريين من الاستماع الى دعاية المماليك : « ٠٠ فننصحكم أيها الأقاليم المصرية ، انكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ،

---

(١) الرافعى ، **مرجع سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ٣٢١ ـ ٣ ، نقلا عن مذكرات نابليون التى أملاها على الجنرال برتران (Bertrand) فى منفاه الاخير بجزيرة سانت هيلانه .

(٢) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٤٩ ، وقد سبق الحديث عن هذا المنشور ٠ أنظر صفحه ١٣١ .

(٣) استخدمنا فى عبارات هذه النماذج بعض علامات الترقيم ، دون أن تكون موجودة فى الاصل ، وذلك لكى يكون السجع وغيره فيها أكثر وضوحا .

ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية ، بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية . ولا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .. لأن حضرة صارى عسكر الكبير اتفق معنا على انه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم . ولا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد ، وارجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد .. » .

✻ من منشور الديوان الخصوصى الى الشعب بمناسبة اعادة الديوان فى صورته الجديدة أيام بونابرت : « .. حضرة صارى عسكر .. أمير الجيوش الفرنساوية ، وفقه الله لكل خير فى البكرة والعشية ، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية ، بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية ، من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، .. وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قايد أغا بالأزبكية . ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة واتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل حصول الراحة لأهل مصر ... وتنظيمها على أكمل نظام واتقان .. » ويختم المنشور بهذه العبارات : « رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ، ومن كان له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم . الا من كان له دعوة (دعوى) شرعية ، فليتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية ، بخط السكرية ، والسلام على أفضل رسل الدوام » .

✻ من منشور العلماء الذى يتضمن بلاغ الاستيلاء على يافا : « .. وصلت مقدمات الفرنساوية ، الى بندر يافا من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية . وأرسلوا الى حاكمها وكيل الجزار ، أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل بهم وبعسكرهم الدمار . فمن خشانة رأيه وسوء تدبيره ، سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب .. وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس . وفى وقت الظهر من هذا اليوم ، انخرق صور (سور) يافا وارتج له القوم ، ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع ، من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مدافع .. » ..

✻ من منشور العلماء الذى صوروا به موقف القوات الفرنسية

المحاصرة لعكا : « .. الجلل عندنا كثيرة ، والذخائر والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة .. عند وصول كتابنا ، وقبل اتمام قراءته عليكم ، نكون ظافرين ، بملك قلعة عكا أجمعين .. فانهم لنا طائعون ، وبالاعتناء ومزيد المحبة راغبون ، يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم ، من القلب السليم .. » .

* من المنشور الذى يتضمن رسالة بونابرت الى أعضاء الديوان من معسكر الرحمانية : « .. ان الله الواحد ، هو الرحمن الرحيم المساعد، المعين المقوى للعادلين الموحدين ، المبدد الماحق رؤى الفاسدين المشركين . وقد سبق فى علمه القديم "" وقضـــاءه (قضـــائه) العظيم ، وتقـــديره المستقيم ، انه أعطانى هذا الاقليم العظيم .. ونحن المعتقدون وحدانية الله ونعرف انه العزيز القادر ، القوى القاهر ، المدبر الكائنات ، والمحيط علمه بالأرضين والسموات ، والقائم بأمر المخلوقات . هذا ما فى الآيات ، وفى الكتب المنزلات .. » .

* من منشور كليبر الى ممثلى الشعب من أعضاء ديوان القاهرة ودواوين الأقاليم : « .. فى مدتنا لم تعرفوا لنا مظلمة قهرية ، فأنتم الذين توكلتم بالخصوص فى أمور الرعية ، القاطنين بالديار المصرية ، توسطتم بين الفرنساوية والرعية ، لأجل تمشية القوانين القديمة المصرية، فى ساير بلادكم ، من غير تغيير عوايدكم ونظامكم .. » .

* من منشور الجنرال بليار نائب منو الى أهالى القاهرة فى أواخر أيام الحملة : « .. لم ينقص عليكم شيء من مئونتكم ، ولم أتأخر عن معونتكم ، فى تحصيل ما تحتاجون اليه من أصناف الأقوات ، واللوازم والمهمات ، على قدر جهدى فى هذه الأوقات .. » .

غير اننا نلاحظ ان منشورات قليلة من عهد منو بالذات كانت محكمة البناء جيدة الصياغة ، قليلة الأخطاء الى حد كبير ، بعيدة عن ذلك البهرج اللفظى ، وان كانت لا تخلو أحيانا من سجع مقبول . ومعنى هذا ان تلك المنشورات قد خضعت لعملية « تحرير » متأنية لتعديل أسلوب التعبير عن مضمونها ، حتى لا يكون مجرد ترجمة لفظية فجة ، وحتى يغدو أيسر فهما واستيعابا . وربما كان ذلك قد حدث فى أثناء عملية الترجمـة ذاتها ، بمعنى ان مترجم تلك المنشورات حرص عنـد نقله لنصوصها الى العربية على أن يوجه عنايته فى الوقت نفسه الى « القالب » الذى يصوغ فيه المضمون . وهذه هى الصورة المثلى للترجمة كما نعرفها

فى صحافتنا المعاصرة • غير ان الأرجح أن تكون عملية « التحرير » هذه قد تمت على أيدى بعض مثقفى المصريين ، ممن استعان بهم الجهاز الفرنسى الحاكم ، اذ أن مترجمى الحملة ـ كما نعلم ـ لم يكونوا على قدر كبير من التمكن من اللغة العربية •

ومن المحتمل كثيرا أن يكون من قام بهذا العمل هو الشيخ اسماعيل الخشاب ، الذى نعرف عنه اجادته لصناعة الانشاء ، ونعرف أيضا انه تولى بديوان القاهرة فى عهد منو بعض الأعمال التحريرية • وكان هو الذى رشحه هذا القائد لرياسة تحرير صحيفة « التنبيه » العربية التى لم يقدر لها الظهور (١) •

وهذه بعض نماذج من تلك المنشورات :

* من المنشور الذى أذاع المرسوم الخاص بتكوين ديوان القاهرة ، وتفصيلات النظام القضائى الجديد للبلاد • ويلاحظ ان الخشاب كان أحد « المصادقين » على هذا المرسوم ، باعتباره « كاتب الخزانة السرية » ، مع كل من فورييه وكيل الديوان والقس رافاييل (روفائيل) «باش ترجمان الديوان » :

« الشرط الرابع عشر : وكل واحد من أهالى مصر اذا شاع عنه الخبر انه ارتكب اثم القتل أو ضر أحدا أو سرق شيئا من السكان فيقبض حالا عليه من الحاكم المتصرف بالأحكام العمومية والحكم عليه يبرز (يصدر) على موجب نص الأحكام الشرعيـة فى مثل هـذه الذنوب وذلك بشرع البلد •• » •

الشرط الثامن عشر : فاذا حدث ان أحد الفريقين المتخاصمين يريد أن يستغيث (يستأنف) ضد حكم برز (صـدر) من أحـد القضـاة أن كان ذلك فيما يلاحظ المدنى أم ما يلاحظ الجرائم ، فالمستغيث وقتئذ يقدم عرض حاله للديوان ، والمذكور له فى ذلك فسحة ستة أيام •• » •

* من المنشور الذى صدر فى عهد منو ، متضمنا صورة الفرمان الخاص بتولية مشايخ البلاد الجدد لمدة عام : « •• وله (لشيخ البلد) ما جرت به العادة وطاعة فلاحين الناحية له والامتثال لأمره وعليه الامتثال والطاعة لأمر النظار المدبرين •• فانهما يأمران بأمرنا على يد الوكيل المقيد بالأقاليم • ومن خالف أمرهما وتدبيرهما وخرج عن طاعتهما فلا يرى منا

---

(١) راجع ص ٨١ ــ ٨٢ •

الا ما يليق به من شديد العقاب • فلازم على شيخ البلد الذى يتقرر ان ينادى فى بلده بهذا الفرمان لأجل أن يسمع أهل بلده ويعلموا أنه صار شيخا عليهم مقررا من حضرة صارى عسكر ، وانه لا شيخ عليهم الا الذى بيده هذا الفرمان » •

❋ ومن هذا القبيل ، وبالأسلوب نفسه تقريبا ، كانت عبارات المنشورات المماثلة التى تتضمن صور الفرمانات الخاصة بتعيين الصيارف والكيالين والقبانية ، التى سبقت الاشارة اليها •

❋ من منشور الجنرال بليار الى أهالى العاصمة فى أواخر أيام الحملة :
« ••• وأنتم تجهلون الحروب والى الآن ما رأيتم شيئا من خرابها • فأوصيكم كما يوصى الأب أولاده المحبوبين عنده الا تخرجوا عن طريق الاستقامة وكونوا حافظين لأولادكم وحريمكم ••• بملازمة الطاعة والمحبة واعزموا عزما ثابتا على خلوص النية وطاعة حكامكم لأن فى ذلك حفظ أرواحكم وأموالكم وأعراضكم • ولا تهلكوا أنفسكم بالمخالفة ونحن نحقق لكم اننا نكون دائما منتبهين لكم وأننا نعمل غاية جهدنا فى راحتكم وسروركم مادمتم منقادين الى جمهور الفرنساوية ••• » « ••• فاسلكوا طريق العقلاء وتدبروا عواقب الأمور لتعيشوا تحت حماية الجمهور فى ظل الأمان وراحة السر • ويكون ذلك نتيجة سكوتكم وثمرة امتثالكم • وقد بذلت لكم النصيحة والله تعالى يرشدكم بما فيه صلاح أحوالكم فكونوا صابرين لحكمه منتظرين أمره معتمدين عليه جلال جلاله ••»

ويلاحظ من ناحية أخرى ان استخدام التعبيرات والألفاظ العامية كان أمرا مألوفا فى المنشورات التى تتناول شئون الحياة العادية • فهذه المنشورات كانت تخاطب المواطن المصرى العادى فيما يتصل بقوت يومه، أو بما تفرضه عليه السلطات من تكاليف أو تلزمه به من اجراءات ، أو تنبهه الى عدم الوقوع فيه من محظورات ، أو ما الى ذلك • ولذا كان من المناسب ، بالنظر الى ظروف تلك الأيام ، أن يلجأ محررو هذا النوع من المنشورات الى عرض مادتها بأسلوب يسهل على سواد الشعب استيعابه •

وفى هذا مجال للمقارنة بين منشورات الحملة وصحيفة « الوقائع المصرية» • فبالرغم مما عرضنا له من أخطاء المنشورات ، فقد كانت من حيث أسلوب الخطاب ، فضلا عن طريقة عرضها وتوزيعها ، أقرب الى ما ينبغى لوسيلة أعلام عامة • انها ، بتنوع هذا الأسلوب تبعا لتنوع

الموضوع ، وبتفاوته بين الخطابى المنمق والتقريرى الجامد والبسيط الدارج ، استطاعت أن تنقل مضمونها الى مختلف طوائف الشعب من قادة وعامة ، من متعلمين وأميين ، من قارئين ومستمعين .

هذا بينما كانت « الوقائع » فى سنواتها الاولى ، من حيث لغتها « الرسمية » وأسلوب تحريرها « الديوانى » ، فضلا عن ضيق دائرة توزيعها ، لا تخاطب الا القلة الممتازة من القارئين المتعلمين .

أى ان المنشورات ، مع ما تمثله من مرحلة صحفية بدائية ، حققت لرسالتها الاعلامية من الشيوع والشمول ما لم تحققه « الوقائع » ، أولى الصحف المصرية الكاملة المقومات ، بعد أكثر من ربع قرن من الزمان .

الفصل الثانى

التيبوغرافيا(١) والإخراج

استخدمت الحملة الفرنسية فى طبع ما اصدرته للمصريين من منشورات عربية ، وما اصدرته للفرنسيين وغيرهم من منشورات فرنسية ، بل وما طبعته من كتب وتقارير سبقت الاشارة اليها ورقا خشنا غليظا ، ولكنه فى الحقيقة لا يكاد يختلف عن ورق الصحف الاوربية التى كانت تصدر فى ذلك الوقت ، والتى مازالت مجموعاتها محفوظة بالمكتبات العامة . ويلاحظ من ناحية اخرى ان الورق الذى استخدمته المطابع الرسمية للحملة هو نفسه الذى كانت تستخدمه مطبعة مارك اوريل الخاصة .

---

(١) اختار الكاتب ـ منذ سنوات ـ هذا التعريف لمصطلح « Typography » فى الانجليزية ، ومايقابله من صيغ مماثلة فى اللغات الاوربية الاخرى . وهو يعنى فن الهيئات المطبوعة ، اى كل مايتصل بالحروف والخطوط والصور وما اليها ، مما تبصمه المطبعة على صفحات الورق . والاصل مشتق من كلمة « Type » التى تطلق على حرف الطباعة ، من حيث هو جسم معدنى او خشبى ، يعلوه شكل حرف او اكثر او جزء من حرف أو علامة ترقيم أو ما الى ذلك ، كما تطلق الكلمة نفسها على مجموع هذه الحروف والاشكال . ويمكن الاشتقاق من المصطلح المعرب ـ تماما كمثيله الانجليزى أو الفرنسى ـ فيقال «التيبوغرافيون» و «العناصر التيبوغرافية» ، وهكذا ، ومن الواضح أن صيغة التعريب هنا مألوفة فى العربية ، التى تضم مصطلحات معربة مشابهة مثل : الجغرافيا ، والطبوغرافيا ، والاوقيانوغرافيا [illegible]

ويقول بعض الباحثين ، دون أن يؤيد قوله بدليل واضح (١) ، ان بعض العلماء الفرنسيين الذين كانوا يصاحبون الحملة ، استطاعوا ان يصنعوا الورق فى مصر بكميات كبيرة ، مستعينين بالقطن ولب بعض الاشجار . وقد يكون ذلك صحيحا ، غير انه من العسير ان يلاحظ الباحث أية فروق بين الورق الذى بدأت مطابع الحملة تستخدمه فى اول عهدها ، وبين الورق الذى استخدم فى طبع ما صدر من منشورات وغيرها بعد استقرار الحملة او فى اوخر أيامها . فاذا كان علماء الحملة قد نجحوا حقا فى صنع الورق بمصر ، وهو ما لم يتأيد بدليل او شاهد قوى ، فمن المحتمل ان الورق الناتج عن هذه التجارب قد استخدم فى افراض اخرى غير الطباعة .

اما الحبر فالارجح ان يكون الفرنسيون قد صنعوه بالفعل فى مصر ، كما يقول« تايفير » الذى ارخ لمارسيل مستشرق الحملة وطابعها المعروف (٢) . فقد أكد هذا الباحث أن مارسيل استطاع أن يستعيض عن المواد التى كانت تستخدم حينذاك فى صناعة الحبر بمواد محلية عولجت بمهارة .

وواضح ان الحبر ايسر صنعا من الورق ، فضلا عن ان انتاجه فى مصر قديم قدم الكتابة نفسها . ولا شك ان تطوير صناعة حبر الكتابة فى مصر ، الذى يعتمد انتاجه اساسا على مادة السناج ، بحيث يصلح لتحقيق اغراض الطباعة المسطحة البسيطة وقتئذ ، لم يكن بالأمر العسير على رجل له مثل خبرة مارسيل ومن كانوا يعاونونه فى العمل بمطابع الحملة .

وكان الورق الذى استخدمته مطابع الحملة أفرخا تبلغ مساحتها ٣٠ × ٤٢ سنتيمترا تقريبا (٣) . ويفحص ما عثر عليه من مختلف مطبوعات الحملة يتبين ان هذه الأفرخ استخدمت بعدة أشكال أنتجت عدة أحجام من المطبوعات :

---

(١) Wassef, op. cit., p. 87.

(٢) Taillefer, op. cit., pp. 6-7.

انظر كذلك : صابات ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٣٧ .

(٣) هذا القاس قريب جدا من مقاس «ربع الجاير» المعروف حاليا بمطابعنا ، والذى يبلغ بالضبط ٢٩٫٥ × ٤١ سنتيمترا . وهو قريب كذلك من مقاس «ربع الاورنيك» الذى تستخدمه المطابع الاميرية بالذات ، والذى يبلغ ٣١٫٥ × ٤٣ سنتيمترا .

١ ـ فالفرخ الكامل كان يستخدم فى طبع معظم منشـــورات الحملة .

٢ ـ ومضاعفات هذا الفرخ ، التى كان يحصـــل عليها بلصق اطراف الأفرخ بعضها الى بعض ، كانت تستخدم كذلك فى طبع بعض المنشورات التى تطلبت مادبها الطويله ذلك (١) .

٣ ـ ونصف الفرخ (٢١ × ٣٠ سم) أو ربعه (١٥ × ٢١ سم) كانا يستخدمان أيضا فى طبع بعض المنشورات ، كما استخدم ثانى هذين الحجمين بالذات فى طبع الكتب والكتيبات ونصوص التقارير التى كانت تصدرها مطابع الحملة من وقت لآخر ، مثل كتيب ديجنت عن مرض الجدرى ، والكتاب الذى يضم المستندات الخاصة بقضية مصرع كليبر ، وتقرير كليبر المطول الى حكومة الادارة .

ومن الظواهر التى يلحظها فاحص هذه المنشورات تكرر وجود طبعتين من منشور واحد أحداهما بالحجم الكامل أو مضاعفاته والثانية بحجم أصـــغر · وهـــذا يؤيد ما ذكره بعض مؤرخي الحملة ، من أن المنشورات كانت تصدر عادة فى طبعتين ، احداهما للصق على الجدران فى أركان الطرقات وعلى أبواب المساجد وغيرها ، والثانية للتوزيع على الصفوة القارئة من مشـــايخ الأزهر ومن اليهم . وهكذا تقوم هذه الظاهرة دليلا تيبوغرافيا ماديا على سياسة معينة انتهجتها ســلطات الحملة لكى يصل مضمون أعلامها الى أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب .

وكانت حروف المتن التى استخدمتها مطابع الحملة فى جمع مادة المنشورات العربية ، وهى التى حصل عليها بونابرت من المطبعة القومية بباريس ومطبعة جمعية نشر الدعوة الدينية (البروباجندا) بالفاتيكان، مصممة على قاعدة لا بأس بها من خط النسخ .

ولم يزد ما استطاعت الحملة أن تحصل عليه من مجموعات هذه الحروف على حجم واحد ، هو « بنط ١٦ » (٢) . وقـد اســتخدم

(١) طبعت «نسخ الحائط» من المنشور الذى أصدره منو متضمنا مرسومه الخاص بترتيب النظام القضائى للبلاد مثلا (شكل ٤٨) على أربعة أفرخ لصقت اطراف بعضها الى بعض . فكانت مساحته ٤٢×١١٦ سنتيمترا .

(٢) البنط (Point) هو وحدة قياس حجم الحرف الطباعى ، ويعادل $\frac{١}{٧٢}$ من البوصة . ويقدر الحجم على أساس طول السطح الذى يرتكز عليه وجه الحرف ؛ وتتراوح احجام حروف الطباعة عادة بين ٥ أبناط و ١٤٤ بنطا. وقد بدأ تقنين مقياس =

هذا الحجم في طبع مادة المنشورات وغيرها من مطبوعات الحملة على السواء . ولجأ مخرج المنشورات ، لتعويض نقص أحجام الحروف ، الى استخدام « الكشايد » (١) لاطالة بعض الحروف ، والجداول والفواصل لابراز بعض الكلمات أو العبارات .

أما حروف العناوين ، وقد صممت على قاعدة غير جميلة من خط «الاجازة» الذى يجمع بين النسخ والثلث (٢) ، فلم تكن بدورها تضم سوى حجم واحد ، هو « بنط ٤٨ » . ولذا استعان المخرج بالخط اليدوى (الثلث) فى كتابة العناوين أحيانا لتحقيق مايريد من ابراز وتنوع .

ويقابل هذا النقص الكبير فى الحروف العربية تعدد وتنوع واضحان فى الحروف الفرنسية التى استخدمت فى طبع المنشورات والأوامر اليومية وصحيفتى « لوكوربيه » و « لاديكاد » وتقارير قواد الحملة . فقد تراوحت احجام هذه الحروف بين « بنط ١٢ » و « بنط ٧٢ » . وكذلك ضمت أطقما من الحروف الرومانية (Roman) والحروف المائلة (Italic) على السواء .

والجدير بالذكر ان اطقم الحروف العربية التى جمعت بها مواد المنشورات وغيرها تضمنت حرفين تغفل أمرهما بعض المطابع العربية فى الوقت الحاضر ، وبخاصة فى مصر ، وهما :

١ ــ الياء الأخيرة ــ المتصلة أو المفردة ــ ذات النقطتين « ي » التى تستخدم متحركة أو فى الكلمات المنقوصة مثل « يمشي » متميزة عن الياء غير المنقوطة «ى» التى تستخدم فى الكلمات المقصورة مثل « عيسى » .

٢ ــ الباء ذات النقط الثلاث « پ » التى تقابل حرف «p» فى الأبجديات الأوربية ، لاستخدامها فى جمع كلمات مثل « بوناپرته » ، و « الباپا » .

وكذلك تضمنت الأطقم العربية عددا من الحروف المركبة ، مثل

= الحروف الطباعية فى فرنسا عام ١٧٣٧ بعد أن أدى اختلاف المسابك فى مقاييس الحروف التى تصنعها الى صعوبات طباعية كثيرة . انظر للمؤلف : **طباعة الصحف واخراجها** ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩ ــ ٢١ .

(١) جمع « كشيده » وهى كلمة فارسية دخيلة تطلق على الزائدة التى تلحق بنهاية الحرف لاطالته . واصلها اسم مفعول من الفعل «كشيدن» بمعنى «يسحب» أو «يجر».

(٢) هو من أنواع الخط العربى التى ظهرت فى العهد العثمانى . ويكاد لايستخدم الآن .

« لل » ، « فى » « لى » ، « لله » ، « على » ، وعددا آخر من علامات الشكل التى كانت تستخدم أحيانا فى بعض الكلمات ، وبخاصة علامة التضعيف (الشدة) وفتحتى التنوين . هذا عدا ما أضيف الى الحروف العربية فى صناديق (١) الجمع التركى والفارسى من حروف وعلامات خاصة بهاتين اللغتين مثل « گ » ، « ژ »

غير انه يلاحظ من ناحية أخرى ان مجموعات هذه الحروف كانت تفتقر بشكل واضح الى الهمزات ، وبخاصة المفردة منها . ومن هنا فكثيرا ما ظهرت فى المنشورات كلمات مثل « العلماء » ، « الدعاء » ، « الشىء » بدون همزات على الاطلاق . وكذلك جمعت كلمـــات مثـل « دائما » ، « الائمة » هكذا : « دايما » ، « الأيمة » .

ويلاحظ أيضا ان هذه المجموعات خلت من علامة المد (~) ، وان حرف القاف الأخير ، المتصل أو المفرد ، فى هذه المجموعات كان مسطحا كحرف الفاء ، فلم تكن له تلك «الكاسة» العميقة المعروفة ، اى «ڧ» بدلا من « ق » .

وكانت الأرقام العربية من حروف الطباعة التى استخدمت فى كل منشورات الحملة وفى غيرها من المطبوعات كذلك . ولكن هذه الأرقام كانت بدائية التصميم غير جذابة الشـــكل . وهى أقرب الى الأرقام التى شاع استخدامها فى المخطوطات العربية القديمة ، وكذلك فى الكتب العربية التى نشرها مستشرقو أوربا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وتختلف هذه الأرقام اختلافا واضحا ــ كما يرى فى النماذج المصورة من المنشورات ــ عن الأرقام التى نألفها اليوم فى مطبوعاتنا ، والتى يعود الفضل فى تطويرها الى مطبعة بولاق فى عهد محمد على .

هذا وتحفل المنشورات العربية للحملة ، الى جانب الأخطاء الطباعية العادية ، بأخطاء أخرى يمكن ارجاعها الى سبب واحد ، هو عدم تمكن عمال الجمع العربى من مهمتهم ، وقلة دربتهم على استخدام ما يضمه صـــندوق الجمع من مختلف أشكال الحروف . وأبرز هذه الأخطاء « الفنية » :

١ ــ استعمال حرف طباعى يضم لامين بدلا من لام واحدة ، كما فى كلمة « اللحرية » ، أو بدلا من أداة التعريف « ال » ، كما فى كلمة « للجيوش » .

---

(١) انظر تعريف مصطلح « الصندوق » ، ص ٢٦ ، هامش ٣ .

٢ – استعمال الباء الوسطى « ٮـ » بدلا من الباء الاستهلالية « بـ » ، ومثلها التاء والثاء والياء والجاء والحاء والخاء ، كما حدث فى جمع كلمات مثل « صريح » ، «تأخذ» ، «طرببى» .

« لا » المتصلة ، و « لا » المنفصله ، كل منهما مكان الآخر كما فى كلمتى « الا » ، « العقـلا » .

٣ – الاضطراب فى استخدام حرف « اللام ألف » بشكليه المختلفين

٤ – تقسيم الكلمة الواحدة بين نهاية سطر وبداية السطر التـالى له ، كما فى كلمة « المما / ليك » . ولا شك أن هذا يرجع الى التأثر بما هو متبع فى جمع الكلمات الفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية . وقد شاعت مثل هذه الأخطاء فى المنشورات الأولى للحملة ، ولكن كثيرا منها اختفى بعد عهد بونابرت .

واستخدم فى اعداد صفحات المنشورات عدد من الجداول (١) المتعددة الأشكال ، فمنها المفرد والمزدوج والمزخرف ، وذلك للفصل بين رأس الصفحة وجسمها ، وبين الأنهر (الأعمدة) بعضها وبعض ، وفى قاع الصفحة ، وأحيانا لاحاطة مادة الصفحة كلها باطار كامل أو مفتوح من أحد جوانبه (راجع مثلا الأشكال ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٩٥) . وكذلك استخدم عدد من الفواصل المستقيمة والزخرفية فى رءوس المنشـــورات وبين فقراتها . واستخدمت فواصـــل النجوم الصغيرة أحيانا حول العناوين الفرعية ، وفى بدايات الفقرات أو نهايتها ، لابرازها (راجع الأشكال ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٦) .

***

وكان اخراج المنشورات بسيطا يناسب خصائصها الى حد بعيد . فلم تكن هذه المنشورات تتضمن عادة أكثر من موضوع واحد ، وكذلك لم يتجاوز صفحة واحدة . ومن ناحية أخرى فان الطبعة الرئيسة من هذه المنشورات كانت – بطريقة عرضها – تمثل نوعا من صحف الحائط التى تتطلب أكبر قدر من الوضوح والبساطة .

اعتمد هذا الاخراج أساسا على تحقيق أبسط صـــور التوازن الشكلى الذى تنقسم فيه الصفحة الى قسمين متماثلين . فقد قســـمت

---

(١) هى الخطوط التى تفصل بين مواد الصفحة فصلا كاملا ، وقد تكون طولية أو عرضية .

الصفحة فى معظم المنشورات الى نهرين يفصل بينهما جدول قد يكون خطا مفردا أو مزدوجا أو مكونا من وحـــدات زخرفية كالنجوم • واذا كانت مادة المنشور عربية خالصة تتابعت سطورها من بداية النهر الأيمن الى نهايته ، ثم من بداية النهر الثانى الى قاع الصفحة (راجع الشكلين ٣٣ ، ٣٧) •

أما اذا كان المنشور مزدوج اللغة ، أى بالعربية والفرنسية ، فان النص العربى كان يحتل عادة النهر الأيمن ، فى حين كان النص الفرنسى يطبع فى النهر الأيسر (راجع الاشكال ٢٤ ، ٤٨ ، ٥٢) • غير أن هذا الاجراء الذى يتفق وطبيعة كل من اللغتين لم يكن مطردا . فأحيانا كان ينعكس وضع النصين على الصفحة (راجع الأشكال ٢٢ • ٧٩ • ٨١) .

وقسمت صفحات بعض المنشورات الى ثلاثة أنهر . تتابعت فيهــا المادة من بداية النهر الأيمن الى نهاية النهر الأيسر (راجع الأشكال ٢١، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٩) . وحققت هذه الصفحات أيضا فكرة التوازن الشكلى .اذ انها كانت تنقسم الى نصفين متماثلين ، يفصل بينهما خط وهمى يمر بمنتصف النهر الأوسط •

وهناك منشورات أخرى قليلة ، مزدوجة اللغة ، قسمت صفحاتها الى أربعة أنهر رتبت حسب طبيعة اللغة الفرنسية ، فخصص النهران الأول والثالث من اليسار للنص الفرنسى . فى حين ظهرت ترجمتــه العربية متتابعة ــ من اليسار الى اليمين كذلك ــ فى العمودين الثــانى والرابع (راجع الشكلين ٧٦ • ٨٠) • ولم يكن اتســاع كل من النهرين الفرنسيين فى هذه الحالة مساويا لنظيره العربى ، غير أن الصفحة مع ذلك احتفظت بتوازنها ، اذ أن كل نهرين متجاورين احتلا نصف الصفحة تماما •

ويلاحظ أن أكثر المنشورات الخطية التى أصدرها منو ، وهو بعد حاكم لاقليم رشيد ، كان ينقسم الى نهرين تفصل بينهما مسافة بيضاء • وكان الحبر الأحمر يستخدم بدلا من الأسود فى كتــابة بعض الكلمات لابرازها أو للفت النظر الى موضعها ، كمــا فى بداية الفقرات (راجع الشكلين ٥٠ ، ٥١) •

واهتم المخرج اهتماما واضحا برأس صفحة المنشور ، أو الصفحة الأولى منه اذا تعددت صفحاته • وكان العنصر الأساسى فى بناء الرأس

هو العنوان ، أو شعارا يجمع بين الرسم والكتابة ، أو هما معا • وفى حالة بناء الرأس من العنوان وحده اتخذ ذلك صورا مختلفة :

١ ـ عنوان عربى فقط ، يتكون من كلمات جمعت حروفها ، أو كتبت بخط اليد ، أو يضم النوعين معا (راجع الأشكال ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٨) . ويلاحظ فى هذا الصدد ان المنشورات العربية للحملة سبقت الصحف المصرية باستخدام الخط اليدوى فى العناوين بأكثر من مائة وثلاثين عاما (١) •

٢ ـ عنوان مزدوج ، عربى وفرنسى (راجع الأشكال ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٧) •

٣ ـ عنوان فرنسى فقط ، قد تظهر ترجمته العربية فى بداية المتن العربى (راجع الشكلين ٣٥ ، ٨٠) • وقد لا تكون له ترجمة ، مثل عبارة « الجمهورية الفرنسية » • (REPUBLIQUE FRANÇAISE) التى كونت رأس أحد المنشورات (راجع شكل ٥٥) ،

وتكرر استخدام عدد من الشعارات المرسومة ، التى تمثل الجمهورية الفرنسية ، فى رأس كثير من المنشورات العربية • وكان أحد هذه الشعارات يرمز لفرنسا بفتاة تمسك باحدى يديها صولجانا ، وبالأخرى حزمة من العصى ومعا « بلطة » (راجع شكل ٣١) •

وتغيرت صورة الفتاة ـ رمز فرنسا ـ فى شعارات مماثلة ، فظهرت فى أحدها محاطة باطار من نبات الغار ، وفى يديها الصولجان وحزمة العصى والبلطة ، وعلى جانبيها عبارة « الجمهورية الفرنسية » • وكان هذا أكثر الشعارات شيوعا (راجع الأشكال ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣) •

وفى شعار رابع ظهرت الفتاة بالصولجان ومعها لوحة عليها شعار الثورة الفرنسية (٢) (راجع الشكلين ٥٦ ، ٨٧) .

---

(١) كانت مجلة «آخر ساعة» وجريدة «المصرى» ،فى الثلاثينيات ، هما أول الصحف المصرية التى استخدمت الخط اليدوى فى كتابة العناوين . هذا وقد استخدمت مطابع الحملة الخط اليدوى ، فى غير المنشورات ، لكتابة بعض عناوين مطبوعاتها الاخرى ، مثل الكتاب الذى تضمن مجموعة المستندات الخاصة بمحاكمة **سليمان الحلبى** وشركائه .

(٢) كلمتا : الحرية ، المساواة •

وقد ظهر هذا الشعار بصوره المختلفة كذلك على الصفحات الأولى من مطبوعات الحملة الأخرى مثل الدورية العلمية « لاديكاد اجبسيين» والحوليات والكتيبات . (راجع الأشغال ١٤ ، ١٧ ، ٢٠) .

وهناك شعار آخر لم يظهر في رأس المنشورات ، الا قليلا جدا . وهو لا يحتوى على أكثر من حزمة العصى محاطة بغصنين من الغار ،وفوقها قبعة الفتاة رمز فرنسا (راجع شكل ٨٦) .

وجدير بالملاحظة ان المنشورات التى طبعت بمطبعة مارك أوريل ، كان يعلوها عادة شعار ثابت يتكون من القلنسوة الفرنسية التقليدية يحيط بها اكليل من الغار وريشتان (راجع شكل ٢٥) .

على أن أكثر تلك الشعارات المرسومة لفتا للنظر ، هو الشعار الذى ظهر على رأس ملحق لأحد منشورات منو ، تضمن صورة «الفرمان» الذى يعين بمقتضاه كل من مشايخ البلاد الجدد لمدة عام واحد على حصة معينة (راجع شكل ٨٩) . وأهم مايتميز به هذا الشعار الفريد هو بروز الشخصية المصرية فيه لأول مرة بشكل قوى . وهو يتكون من لوحة عليها عبارة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، يحيط بها الهرم الأكبر ونخلة وبعض ما يمثل الآثار المصرية القديمة .

غير ان مصمم هذا الشعار لم ينس من ناحية أخرى أن يشير الى السيادة الفرنسية برمز حزمة العصى والبلطة الذى ظهر جزؤه العلوى من خلف اللوحة التى تحمل عبارة التوحيد (شكل ١٠٣) . وجدير بالذكر ان الهرم والنخلة كانا العنصرين الرئيسيين اللذين كونا شعار صحيفة « الوقائع المصرية » بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما . وهو الشعار الذى استمرت الصحيفة تستخدمه لعدة سنوات .

واتخذ استخدام الشعار المرسوم ـ بدوره ـ أكثر من صورة . فقد استخدم مع العنوان العربى المفرد (راجع الأشكال ٣٦ ، ٥٤ ، ٥٦) أو الفرنسى المفرد (راجع شكل ٧٣) ، أو العنوان المزدوج (راجع شكل ٣١) ، وكان لذلك أيضا عدة « تنويعات » . وأحيانا كان يحيط بالشعار المرسوم عبارة (REPUBLIQUE FRANÇAISE) أو ترجمتها «المشيخة الفرنساوية» ـ الجمهور الفرنساوى» ، وأحيانا أخرى كلمتا « Liberté, Egalité » أو ترجمتهما العربية « الحرية ، التسوية » وأحيانا ثالثة عبارة الجمهورية وشعار الثورة الفرنسية معا .

وأيا ما كان شكل الرأس ، وأيا ما كانت العناصر التيبوغرافية التى

استخدمت فى بنائه ، فقد حرص المخرج على أن يوفر لهذا الجزء البارز من الصفحة أكبر قدر من الوضوح وجذب الانتباه ، وذلك باستخدام حروف العنوان الكبيرة واحاطة الشعار والعنوان بمساحات بيضاء كافية، حتى أن بعض سطور العنوان كانت لا تزيد على كلمة واحدة أو كلمتين.

ومن ناحية أخرى فقد روعى فى ترتيب عناصر الرأس أن يحقق مع سائر جسم الصفحة — ذات النصفين المتماثلين — توازنا شكليا متكاملا • كان الشعار يتوسط الرأس تماما • وكانت سطور العنوان ، مهما تعددت أو اختلفت أطوالها ، تتوسط عرض الصفحة تماما •

ويفهم مما أشارت اليه قلة من المؤرخين ان المنشــورات العربية وغيرها من مطبوعات الحملة الفرنسية كانت تتضمن أحيانا بعض الصور والرسوم • فقد ذكر الجبرتى عند تقديمه لنص منشور يعلن عن بيع خيل مملوكه للحكومة (١) : « ••• وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوهــا بالأسواق والأزقة وهى مطبوعة **وعليها الصورة** ونصها •• » . وقال الدكتور ابراهيم عبده كذلك (٢) : « •• ان من الأمور الواضحة انهناك ضــعفا بينا فى **طبع الصــور والرســوم** التى أخرجتهــا المطبعتان المصريتان (٣) ••• »

اننا لم نعثر على منشور واحد يتضمن ، مع النص المكتوب ، رسما أو صورة ، وكذلك خلت مجموعتا «لوكوربيه» و « لاديكاد » من أى موضوع تصحبه رسوم • ومع هذا فلا يستبعد أن تكون بعض المنشورات النادرة قد تضمنت بالفعل ذلك العنصر ، كالمنشور الذى أشار اليــه الجبرتى ، اذ ان مطابع الحملة كانت مجهزة بما يسمح بمثل هــذا الاجراء • لقد رأينا كيف تضمن الرأس فى معظم المنشورات شعــارا مرسوما ، ورأينا كذلك استخدام العناوين الخطية فى المنشورات وغيرها. ومن الواضح ان هذه وتلك كانت تطبع من قوالب خشبية محفورة ، وهى الطريقة التى كانت معروفة فى مطابع ذلك الوقت لطبع الرسوم وما اليها ، أى قبل اختراع طريقة اعداد اللوحات المعدنية التى تحفر بالحمض (الزنكوغراف) ، والتى مازلنا نستخدمها الى اليوم •

---

(١) **عجائب الآثار** ، جـ ٣ ، ص ٣٦ • وقد سبقت الاشارة الى هــذا المنشــور (ص ٢٢١) •

(٢) **تاريخ الطباعة والصحافة** ••• ، ص ٤٧ •

(٣) يشير الى مطبعة الحملة الرسميه ومطبعة مارك أوريل •

وهناك احتمال آخر لا ينبغي اغفاله في هذا الصدد ، وهـــو أن يكون المؤرخان المذكوران قد قصدا باشارتيهما رسوم الشــعارات في رءوس المنشورات ، لا غيرها من الرسوم التي يمكن أن تكون مصاحبـة للمادة التحريرية . وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نوافق على ملاحظة الدكتور ابراهيم عبده بشأن « الضعف البين » في طبع تلك الرسوم ، اذ يتضح من نماذج المنشورات التي عرضنا لها في هذا البحث أن رسوم الشــعارات كانت متقنة الطبع بارزة المعــــالم دقيقة التفصيلات الى حد بعيد .

الأشكال

Pour copie conforme,

Le Commissaire ordonnateur en chef, signé, SUCY.

Pour copie conforme,

L'Adjudant général GRAZIEN.

A ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

[illegible]

في اسكندرية من مطبعة الشرقية والفرنساوية

طبق اصله حضرة الكمسا للجنرال [illegible] | SORNET.

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANCAISE D'ALEXANDRIE.

شكل رقم (١)

24 Thermidor, an 5 de la Républiq. Fr. (No. 15.) 13 Août 1797. (v. st.)

LE COURRIER DE L'ARMÉE D'ITALIE,

PAR UNE SOCIÉTÉ DE FRANÇAIS RÉPUBLICAINS.

Couverte de fanatiques et de meurtriers, la République ressemblait à un malade, qui, tombé dans le délire, s'ouvre les veines, et perd dans sa fureur son sang avec ses forces. (Raynal.)

ITALIE.

Lettre écrite de Venise, le 7 thermidor, an 5 de la République Française, par Vincent Bartholetti Zulatti, au citoyen Lallemant, ministre de la République Française à Venise.

Échappé aux horribles malheurs qui ont accablé ma famille, je m'empresse, citoyen ministre, de vous faire part de l'assassinat commis sur la personne de mon malheureux père, consul de la République Française à *Sebenico*.

Après le renversement du gouvernement aristocratique dans Venise, les Esclavons qui étaient en garnison dans cette capitale, se répandirent dans la Dalmatie pleins de haine et de prévention contre tout ce qui portait le nom Français. La ville de *Sebenico* reçut dans son sein, en un seul jour, environ 400 de ces soldats fuyards. Dans ces entrefaites, on imprima à *Raguse* un manifeste incendiaire, adressé au peuple de la *Dalmatie*, pour l'exciter à prendre les armes contre *les partisans de la démocratie* : les Français étaient peints dans ce manifeste comme les fléaux de l'ordre social et de *la religion de leurs pères*. Quelques moines de l'ordre des *Zoccolanti* le firent circuler avec profusion dans les [illegible] les Dalmates, et ce fut le signal d'une révolte générale du peuple.

Le 15 du mois de juin (v. st.) environ un millier de personnes armées forcèrent les portes de *Sebenico*. On ouvrit les prisons. Les rebelles s'emparèrent de la place, de la forteresse qui la commande et de celle qui défend l'entrée du port. Après ces différentes expéditions, on vint sommer mon père de mettre bas les armes de la République Française. Son refus ne fit qu'irriter les séditieux. Leur fureur augmente, ils se tournent contre mon malheureux père et son épouse septuagénaire. Ces barbares firent souffrir à l'un et à l'autre la mort la plus cruelle et la plus lente. Ils les dépouillent de leurs vêtemens, les couvrent en échange des *Bulletins des lois* de la République et exercent sur leurs cadavres des indignités qui font rougir la pudeur et frémir la nature. Mon épouse, avec quatre enfans couverts du sang des auteurs de mes jours, tremblans au milieu de ces forcenés, auraient infailliblement subi le même sort dont on les menaçait, si un certain *Dujan Suppur*, qui portait à leur tête la bannière de *St.-Marc*, n'eût été touché de compassion et ne les eût conduit par la main à la maison de mon beau-père. Il se fit suivre cependant par un nommé *Jacques Barauviel*, qui obligea ce respectable vieillard à racheter, pour la somme de 140 sequins de Venise, la vie de sa fille et de ses petits fils. La somme fut comptée à l'instant. Cette troupe de cannibales, après avoir ruiné de fond en comble ma maison, se porte au palais du gouverneur de la ville *Jean Cokner*, qu'ils obligent de marcher à leur tête.

Ils firent ainsi plusieurs tournées dans la ville, mettant en pièces et jetant dans les égoûts les armes de la République et les drapeaux tricolores. Ils détruisirent aussi, à coups de couteau, les mêmes armes à la marine, et en mirent en lambeaux les bannières dans le faubourg de Terre-ferme, aux cris redoublés de *vive St.-Marc*.

Les séditieux m'avaient heureusement obligé dans cette journée de me joindre à la garde civique; ce fut là mon salut. L'exigence du service

شكل رقم (٢)

[117]

offre de plus vil & de plus méprisable ; On ne peut pas craindre sur le sort de la patrie, & l'on attend sans inquiétude les périls passagers qu'elle pourra courir, & qui ne feront que mieux assurer son triomphe.

Le prix de l'abonnement est de 27 liv. 4 s. pour un an, & 6 liv. 12 s. pour 6 mois, franc de port. Chez Smith, Imprimeur libraire, rue de Tournon, numéro 1133, F. G., à Paris.

AVIS

Il s'imprime déjà un Journal Français à Milan. Celui-ci est d'un format différent. Il ne paraîtra pas aux mêmes jours, mais seulement 2 fois par décade. Son objet sera de faire connaître la vérité sur ce qui se passe en Italie, sur la manière dont on y envisage la situation de la France, enfin de défendre la liberté & ses amis contre les partisans de la tyrannie ou de la terreur.

Ce Journal aura une feuille d'impression ; quelquefois les deux feuilles de chaque décade pourront paraître ensemble.

Il coûtera 16 liv. franc de port argent de Milan pour l'Italie, & argent de France pour l'intérieur de la République et pour les autres pays pour un an, 8 liv. pour 6 mois, 4 liv. pour 3 mois, & 1 liv. 10 s. pour un mois.

On s'abonne à Milan chez les frères Reycends libraires place du Dome. A Paris chez Brigitte Mathey au Défense du palais Egalité. A Lyon chez Perisse libraire, & chez les principaux libraires de France.

MILAN. De l'Imprimerie de S. Mathieu à la Monnaie, près Saint-Sépulcre.

LA FRANCE

VUE DE L'ARMÉE D'ITALIE

JOURNAL DE POLITIQUE, D'ADMINISTRATION ET DE LITTÉRATURE FRANÇAISE ET ÉTRANGÈRE.

N.° IX.

Du 26 Fructidor.

POLITIQUE.

NOUVELLES ÉTRANGÈRES.

Extrait d'une lettre de Gênes, du 9 Septembre 1797. v. s.

Vous savez déjà le résultat de nos derniers événemens, je veux cependant vous en donner un léger détail. Vous vous souvenez de l'incarcération que l'on avait faite depuis quelques jours, d'*Onora*, d'*Aicelli* & de 26 autres habitans de *Portoria* (l'un des quatre quartiers de Gênes); ces gens avaient formé une contre-révolution qui devait éclater le 14 du courant à Gênes, en même temps que dans les vallées de Bisagno

شکل رقم (۳)

REPUBBLICA FRANCESE

ARMATA D'ITALIA

LIBERTA' EGUALGIANZA

B O N A P A R T E

Generale in Capo dell' Armata Francese.

M A N I F E S T O.

NEL mentre che l'Armata Francese trovasi fra le gole della Stiria, ed ha lasciato lungi dietro di se l'Italia, e i principali stabilimenti dell'Armata, dove non resta che un picciol numero di battaglioni, ecco la condotta che tiene il Governo di Vene ia.

1. Esso s'approfitta della Settimana Santa per armare quaranta mille paesani, v'aggiunge dieci Reggimenti di Schiavoni, gli organizza in differenti corpi d'Armata, e li fa passare in differenti punti, affine d'intercettare ogni sorta di comunicazione fra l'armata, e i varii corpi che si lasciò addietro.

2. Commissarj, e fucili, munizioni d'ogni spezie, una grande quantità di cannoni escono in oltre da Venezia, onde com-

شكل رقم (١٤)

REPUBLIQUE FRANÇAISE

ARMÉE D'ITALIE

LIBERTÉ EGALITÉ.

BONAPARTE

Général en Chef de l'Armée d'Italie.

MANIFESTE.

PENDANT que l'Armée Française est engagée dans les gorges de la Styrie, & a laissè loin derriere elle l'Italie & les principaux établissemens de l'Armée, où il ne reste qu' un petit nombre de bataillons, voici la conduite que tient le Gouvernement de Venise.

1. Il profite de la Semaine Sainte pour armer quarante mille paysans; y joint dix Régimens d'Esclavons, les organise en différens corps d'armée, & les porte aux différens points pour intercepter toute espece de communication entre l'armée & ses derrieres.

2. Des Commissaires extraordinaires, des fusils, des munitions de toute espece, une grande quantité de canons sortent de Venise même pour

شكل رقم (٤ب)

هذا تنبيه

فيما يخص دا الجدري المتسلط الان

وذلك بشرح موجه

الي ارباب الديوان

بمصر القاهرة

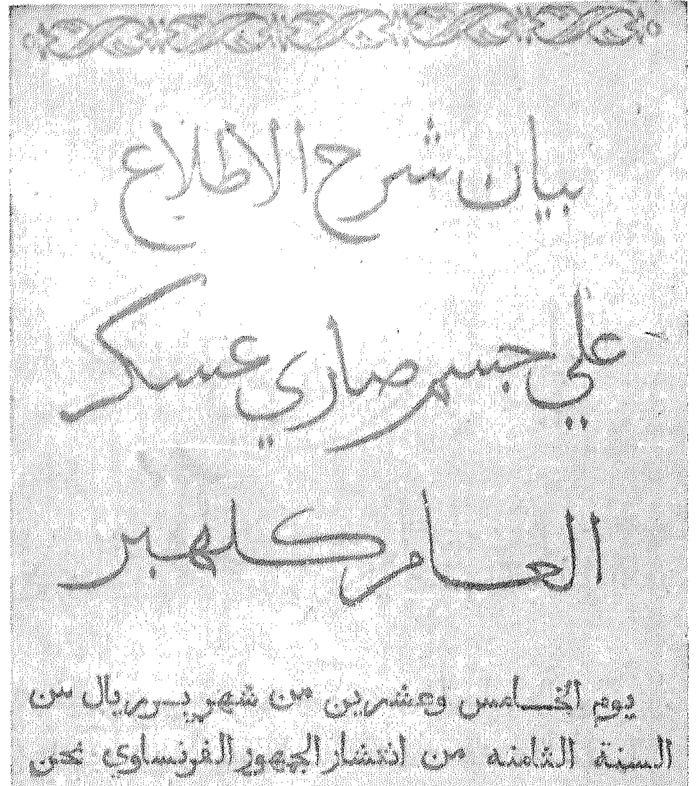
من قبل السيتوين دجنط رئيس الاطبا في
الجيش الفرنساوي بجهة الشرق في ٢٠
من شهر شعبان سنة ١٢١٤ هجريه

بمصر القاهرة

طبع ثانيا بدار مطبعة الجمهور الفرنساوي

في ٩ من شهر شعبان سنة ١٢١٥ هجريه

شكل رقم (٥)



بيان شرح الاطلاع

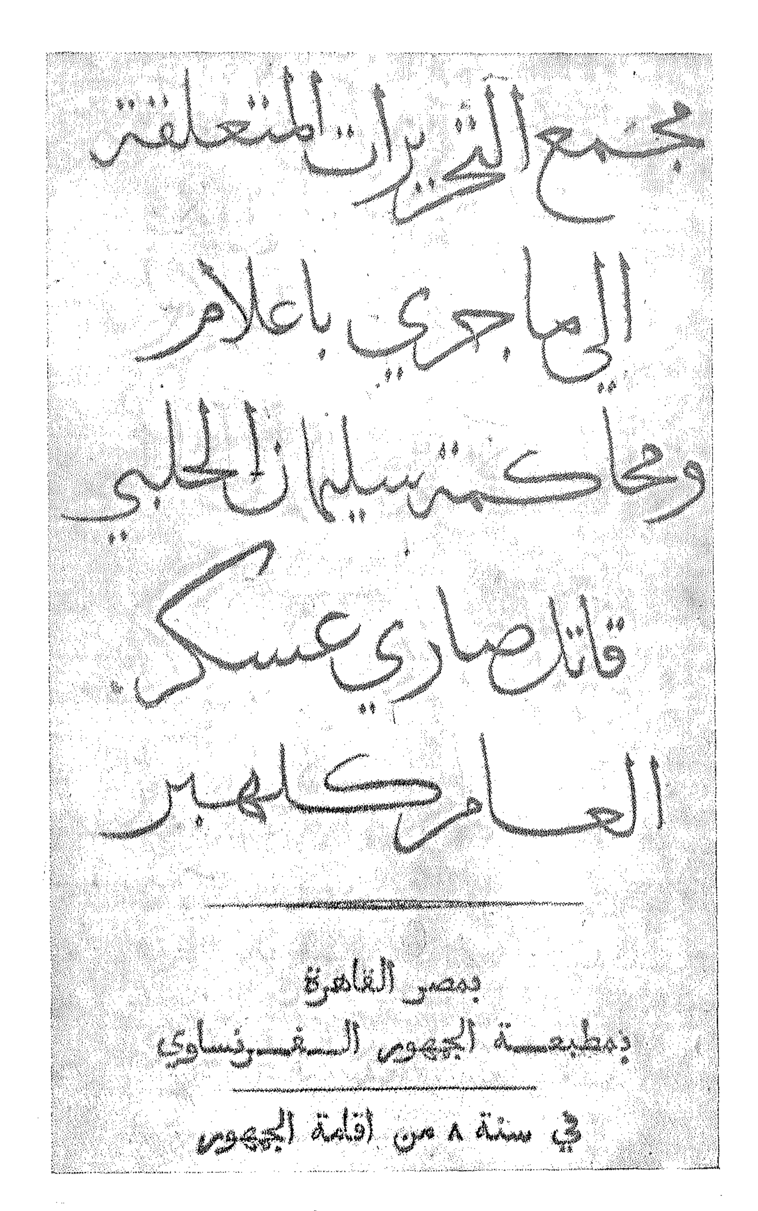
علي جسم صاري عسكر

العام كلهبر

يوم الخامس وعشرين من شهر بريريال من
السنة الثامنه من انتشار الجمهور الفرنساوي نحن
الواضعين اسمائنا وخطنا فيه باش حكيم والجراحي
من اول مرتبه الذي سادد مرتبة باش جراحي في
غيبته انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر الي بيت
صاري عسكر العام في الازبكيه بمدينة مصر وكان

A

شكل رقم (٦)



مجمع التحريرات المتعلقة
الى ما جرى باعلام
ومحاكمة سليمان الحلبي
قاتل صاري عسكر
العام كلهبر

بمصر القاهرة
بمطبعة الجمهور الفرنساوي

في سنة ٨ من اقامة الجمهور

شكل رقم (٦ أ)

COURIER DE L'EGYPTE.

 N.° 1.er

LE 12 FRUCTIDOR, VI.e ANNÉE DE LA RÉPUBLIQUE.

NOUVELLES.

Corfou, 27 messidor an 6. Le vaisseau de guerre *le Stengel* est arrivé d'Ancône dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La prise de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départemens d'Ithaque, de Corcyre et de la mer Egée sont dans la situation la plus satisfaisante; il y règne le plus grand enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Janina, le 15 messidor. Notre Pâchâ est toujours sous les murs de Widdin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitan-pâchâ, qui est destinée à faire la guerre à Passewan Oglou qui reprend toujours de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, et a été obligée d'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle s'est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'adjudant général Rose qui a eu une audience de cérémonie du fils du pâchâ, à l'issue de laquelle il a été expédié un courier sur un dromadaire, portant au pâchâ une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 messid. La fête du 14 juillet s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font sentir dans toutes les classes; il n'est pas un seul Maltais qui ne bénisse l'heureux changement qui a eu lieu.

Trois frégates anglaises bloquaient notre port. Le vaisseau de guerre *le Dego* et la frégate *la Carthaginoise* sont sortis pour leur donner chasse.

Le vice roi de Sicile avait refusé de nous donner des vivres; mais sur les instances de notre ambassadeur à Naples, il vient de permettre l'exportation de la Sicile. Au reste nous avons du bled pour la garnison et les habitans pour dix huit mois.

Tripoli, 28 messidor. Le pâchâ de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turks) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de bleds et de fruits, et quatre superbes chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, provenant de l'escadre. Tous les prisonniers ont été rendus.

شكل رقم (٧)



BONAPARTE,

GENERAL EN CHEF

A L'ARMÉE.

Les nouvelles d'Europe m'ont décidé à partir pour France. Je laisse le commandement de l'armée au général *Kleber*. L'armée aura bientôt de mes nouvelles; je ne puis en dire davantage. Il me coûte de quitter les soldats auxquels je suis le plus attaché; mais ce ne sera que momentanément, et le Général que je leur laisse a la confiance du Gouvernement et la mienne.

Signé BONAPARTE.

Par ordre du Général en Chef.

Le Général de Division, Chef de l'Etat-major général, signé *Alex.* BERTHIER.

Quartier Général à Alexandrie le 5 fructidor an 7

Pour copie conforme :

L'Adjudant général,

شكل رقم (٨)

Du Quartier-Général du Kaire, le 14 Brumaire an 8.

LE GÉNÉRAL EN CHEF

KLEBER

A LA 2.me D'INFANTERIE LÉGÈRE.

SOLDATS:

Vous avez à pleurer un Chef qui sut mériter en même temps et votre amour et votre estime; je viens confondre mes regrets aux vôtres: il vous est connu combien il m'était cher.

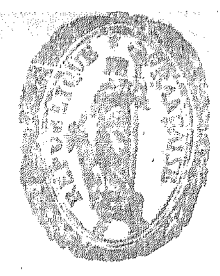
Mais, lorsqu'un héros tombe, que reste-t-il à faire à ceux qui demeurent encore?........ à le venger.

SOLDATS, que l'image de ce jeune guerrier soit sans cesse devant vos yeux, que le souvenir de sa brillante valeur ne cesse d'enflammer votre courage, et la victoire, le croyant encore à votre tête, continuera à vous préparer des succès, des triomphes.

SOLDATS, avec la couronne que je pose sur la tombe du brave *DÉNOYER*, recevez les témoignages de ma satisfaction, de la manière distinguée dont vous vous êtes conduits à la journée du 10 de ce mois.

شكل رقم (٩)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 3 vendémiaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour du 5.me jour complémentaire an 8. Rien de nouveau.

Ordre du jour du 1.er vendémiaire an 9. Rien de nouveau.

Ordre du jour du 2 vendémiaire an 9. Rien de nouveau.

Ordre du jour, du 3 vendémiaire an 9.

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

A L'ARMÉE D'ORIENT.

GÉNÉRAUX, officiers, sous-officiers, soldats, et vous tous Français, qui êtes ici rassemblés, c'est aujourd'hui que commence la neuvième année à dater de l'époque mémorable où la France, indignée du joug sous lequel elle gémissait depuis tant de siècles, brisa ses fers, détruisit la royauté, et fonda la République.

C'est aussi à dater de la même époque, que se forma cette orgueilleuse coalition qui voulut tout à la fois, et détruire la France, et étouffer la liberté dans son berceau. Etouffer la liberté ! non, la liberté semblable à ces torrens qui se précipitant du haut des montagnes renversent tout ce qui s'oppose à leur cours; la liberté a pénétré par-tout; sa voix a retenti dans tout l'univers : j'en atteste un million de Français qui ont combattu pour elle; j'en atteste les braves soldats qui m'entourent. Vous tous qui avez rempli l'Europe entière de votre nom et de votre gloire, ne faites-vous pas flotter dans l'Orient l'étendard de la liberté? Ces couleurs sacrées que je vois au milieu de vos bataillons, ne sont-elles pas le signal de la civilisation pour une partie du monde, jadis si célèbre, depuis anéantie et consumée par le despotisme, mais que vous allez faire renaître de ses cendres ?

شكل رقم (١٠)



Au Quartier-général du Caire, le 6 Thermidor, an 6 de la Rép.

BONAPARTE, membre de l'Institut national, Général en Chef;

Au Directoire Exécutif.

113)

LE 19 messidor, l'Armée partit d'Alexandrie. Elle arriva à Damenhour, le 20, souffrant beaucoup à travers ce désert de l'excessive chaleur et du manque d'eau.

Combat de Rahmanié.

Le 22 nous rencontrâmes le Nil à Rahmanié et nous nous rejoignîmes avec la division du Général Dugua, qui était venue par Rosette en faisant plusieurs marches forcées.

La division du Général Desaix, fut attaquée par un corps de 7 à 800 Mamelouks, qui après une canonnade assez vive et la perte de quelques hommes se retirèrent.

Bataille de Chebreïsse.

Cependant j'appris que Mourad Bey, à la tête de son Armée, composée d'une grande quantité de cavalerie, ayant 8 ou 10 grosses chaloupes canonnières et plusieurs batteries sur le Nil, nous attendait au village de Chebreïsse. Le 24 au soir nous nous mîmes en marche pour nous en approcher. Le 25 à la pointe du jour nous nous trouvâmes en présence.

Nous n'avions que deux cents hommes de cavalerie éclopés et harassés encore de la traversée, les Mameloukz

شكل رقم (١١)

RECUEIL DES PIÈCES

RELATIVES

A LA PROCÉDURE ET AU JUGEMENT

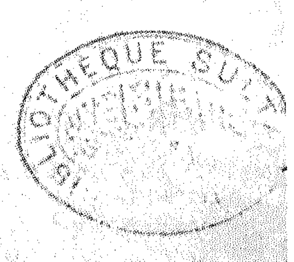
DE

SOLEYMAN EL-HHALEBY,

ASSASSIN

DU GÉNÉRAL EN CHEF

KLEBER.



AU KAIRE,

DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VIII DE LA REPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (١٢)

EXERCICES

DE LECTURE

D'ARABE LITTÉRAL,

A L'USAGE DE CEUX QUI COMMENCENT

L'ÉTUDE DE CETTE LANGUE.

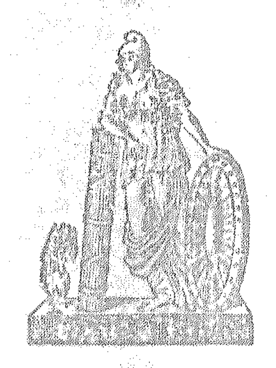
AN VI.

شكل رقم (١٣)

LA DÉCADE ÉGYPTIENNE,

JOURNAL LITTÉRAIRE ET D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

PREMIER VOLUME.



AU KAIRE,
DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (١٤)

retrouve facilement dans l'ancienne langue qobte, dans laquelle le mot de *Chopnat* ou *Tchopnat* ϢⲞⲠⲚⲀⲦ signifie une chose cachée, un mystère ; et celui de *Panikha* ⲠⲀⲚⲒⲬⲀ, ou *Fanikha* ⲪⲀⲚⲒⲬⲀ, indicateur : d'où s'est naturellement formé le surnom composé de *Tchopnat-fanikha* ϢⲞⲠⲚⲀⲦⲪⲀⲚⲒⲬⲀ [indicateur des choses cachées].

La version grecque, en donnant au surnom de *Joseph* la même signification que lui attribuent toutes les versions orientales, l'écrit cependant d'une manière un peu différente [Ψονθομφανήχ, *Psonthomfanêkh* ou Ψοντομφανήχ *Psontomfanêh*]; mais, quoique présenté sous cette nouvelle forme, ce mot retrouve encore son étymologie.

Kirkher (*) assure que le mot même de ΨⲞⲚⲐⲞⲚⲪⲀⲚⲎⲔ *Psonthonfanêk*, ou ΨⲞⲚⲐⲞⲘⲪⲀⲚⲎⲬ *Psonthomfanêkh*, signifiait autrefois dans la langue qobte, un homme qui prédit l'avenir [*futurorum augur*]; mais comme il n'appuie son assertion d'aucunes preuves, et qu'il semble même ne la donner que comme une conjecture, on est obligé de chercher dans d'autres sources la dérivation de ce mot qu'on peut rappeler à deux étymologies différentes dans le qobte moderne.

On trouve la première dans le mot ⲠⲒⲤⲦⲞⲚⲠⲀⲚⲒⲬⲀ *Pistonpanikha*, qui est donné comme signifiant un augure ou un devin [منظر *Manzer*], dans le vocabulaire Qobte-arabe d'*Abou Ishhaq Ebn el-A'sel* ابو اسحق ابن العسل. Ce mot, quoique différent

(*) Ath. Kirkh. *Prodrom. Copt.* Cap. V.

شكل رقم (١١٥)

creuser, et qui construisit en même temps les levées hautes et épaisses que l'on voit aussi dans cette contrée, ainsi que

---

dont il est parlé dans le Qoran, et qui sont devenus pour les poëtes de l'Orient une espèce de lieu commun, dont le récit fait le sujet d'un grand nombre de poëmes chez les Arabes, les Persans et les Turks. Le plus célèbre de tous est celui qui a été composé par *A'bd ér-rahhman*, *ébn Ahhmed* عبد الرحمن ابن احمد, surnommé *Giamy* جامي, l'un des plus illustres poëtes de la Perse : ce poëme pour lequel les Orientaux ont la plus grande estime, est intitulé *Yousouf ou Zouleykhâ* يوسف وزليخا [Joseph et Zouleykhâ].

Suivant *Abou-l-Farag*, « *Joseph* fut vendu à l'âge de dix-sept » ans; il resta dix ans dans la servitude, et trois ans dans les fers : il » fut trente ans intendant [*Amyn a'lä dâr* امين علي دار] de la » maison de *Pharaon*, et quatre vingts-ans grand Visir du royaume; de » sorte que sa vie entière a été de cent quarante ans ».

On lit dans la Genese (*) que *Joseph*, après avoir expliqué les songes de *Pharaon* fut surnommé par ce prince *Tzafnat-fanékh* ou *Tsopnat-panékh* צפנת פענח, et les deux mots qui composent ce surnom sont reconnus pour égyptiens par tous les anciens interprètes. *Philon* les a traduits par ceux de Κρύπτων εὑρετής, ἢ Ὀνειροκρίτης [celui qui connait les secrets, ou qui explique les songes]. Les anciennes versions orientales, telles que la samaritaine, la syriaque et l'arabe, ainsi que les paraphrases chaldaïques d'*Onkelos* et de *Jonathan*, s'accordent toutes à lui donner le même sens.

D'après la signification bien fixée de ce surnom, son étymologie se

(*) : ויקרא פרעה שם יוסף צפנת פענח : *Et vocavit Faraoh nomen Yousef Tzafnat-fanekh*. GEN. CAP. XLI. v. 45.

شكل رقم (١٥ب)

ALPHABET

ARABE,

TURK ET PERSAN,

A L'USAGE

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

AN VI

LIGATURES

CHIFFRES

J. J. M.

FIN.

A ALEXANDRIE, de l'Imprimerie Orientale et Française.

شكل رقم (١٦)



(16)

sugo di limone, e di seguir lo stesso metodo qualora l'organo è stato irritato dalla polvere, dal fumo, dallo stropicciamento, o da lieve percossa; e quando è stato affievolito da soverchia luce, o da grande umidità, si deve spruzzare con liquori spiritosi o tonici: finalmente fa d'uopo di astenersi con somma diligenza dal far uso di cibi salati, e nel medesimo tempo di promuovere la traspirazione convenevolmente, di conservar la capellatura un po lunga, di schivar il fresco essendo riscaldato, e di favorire l'evacuazioni intestinali.

Questi semplici preservativi son confermati dall'osservazione e dalla sperienza; adoperati opportunamente prevengono la malattia, e conservano la vista.

IL FINE.

DESCRIZIONE

DELL'

OFTALMIA DI EGITTO

COL METODO CURATIVO DELLA MEDESIMA

DI ANTONIO SAVARESI

MEDICO DELL'ESERCITO FRANCESE

IN CAIRO

NELLA STAMPERIA NAZIONALE

شكل رقم (١٧)

» *sans déguisement, à quelque danger qu'elle puisse t'exposer;*
» *gardes inviolablement les promesses que tu auras faites;*
» *et ne te mêle jamais de ce qui ne te regarde point.* »

L'auteur du *Tarykh mountekheb* تاريخ منتخب assure que de son temps le tombeau de *Loqman* se voyait encore à *Ramléh* رملة, petite ville de Syrie peu distante de Jérusalem.

Abou-Leyth donne à *Loqman* le surnom *d'Abou Ana'm* أبو أنعم, c'est-à-dire *pere d'Ana'm*: cependant quelques écrivains prétendent, contre l'opinion commune, que son fils portait le nom de *Mathan* مثان.

Mais le surnom sous lequel *Loqman* est le plus connu parmi les Orientaux, et par lequel ils le désignent le plus généralement, c'est celui de *El-hhakym* الحكيم (le Sage): ce mot renferme en même-temps les deux qualifications de sagesse et de science, et le proverbe *vouloir enseigner quelque chose à Loqman* est employé ordinairement dans l'Orient, pour exprimer une chose absolument impossible.

Au surplus, la sagesse de *Loqman* est regardée par les musulmans comme un point de croyance d'autant plus incontestable qu'il est fondé sur le témoignage du livre même de leur religion. Le chapitre XXXI du Koran est intitulé *Sourat Loqman* سورة لقمان (chapitre de *Loqman*), et dans le onzième verset de ce chapitre, *Mahomet* y fait parler *Dieu* en ces termes:

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ

Oua-leqad âteynâ Loqmâna 'l-hhikmeta.

Et certes nous avons donné la sagesse à Loqman.

شكل رقم (١٨)

من محفل الديوان العاليّ

بمصر المحروسة

خطابًا إلي حضرة السيتوين الخواجه دجنط

رئيس الاطبا الفرنساوية

جعل الله الخير علي يديه

امّا بعد الدعا لكم بخير فانه سابقًا وصلنا من بينتكم وهي الرسالة التي عمَّ نفعها بين الخاص والعام من اهالي مصر من جهة الرسالة والكتاب الذي الفتوه في علاج الجدري واسبابه واصلاح غدايه وتدبير ادويته وقطع ضرره

وقد شكر الناس جميعًا كمال عقلكم وحسن صنيعكم وعلموا مزيد اتقانكم في علم الحكمة والطب وفرح الناس جميعًا بهذا الكتاب وادخروه عندهم

C c

شكل رقم (١٩)

ANNUAIRE

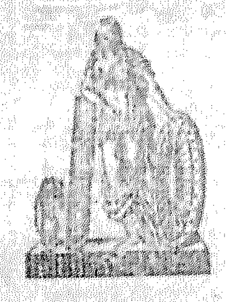
DE LA

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE,

CALCULÉ

POUR LE MÉRIDIEN DU KAIRE,

L'AN VIII DE L'ÈRE FRANÇAISE.



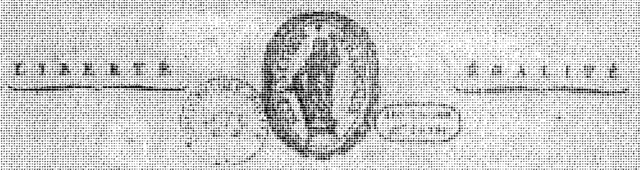
AU KAIRE,

DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VIII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (٢٠)

LIBERTÉ — ÉGALITÉ



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

TARIF DES MONNOIES.

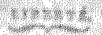
SAVOIR:

EN OR.

EN ARGENT.

A ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

شكل رقم (٢١)


LIBERTÉ


ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

تحريراً بمصر في ٢٠ فركتيدور سنة ٧

الجنرال كليبر
سر عسكر العام
يأمر

أولاً

ان الاقليم المصري من الآن ينقسم الى ثمانية ولايات وكل ولاية منتظم من الاقاليم الآتي بيانها

ولاية اولية:
ولاية ثيبايس وقنى
جرجا
واسيوط وهذه
تكون راس هذه الولاية

ثاني ولاية:
ولاية المنيا
بني سويف وهذه تكون راس هذه
الولاية
فيوم

ثالث ولاية:
ولاية مصر المنضمة في ولايتها
اقليم الجيزة كما هو الآن واقليم
القليوبية كلها مع التي
انضافت لمصر واقليم
الاطفيحية التي تكون بدايتها
من البلد التي شمال اطفيح
واطفيح ذاتها منضمة معها
وراس هذه الولاية مصر

Au quartier-général du Kaire, le 28 fructidor an 7 de la République française.

KLEBER,
GÉNÉRAL EN CHEF,
ORDONNE:

ARTICLE PREMIER.

L'Égypte sera divisée en huit arrondissemens; chaque arrondissement sera composé des provinces ci-après:

1.er PROVINCE: Thèbes ou Kenéh, Girgéh, Syouth (*chef-lieu.*)

2.e: Minyéh, Benysoueb (*chef-lieu.*), Fayoum.

3.e: Le Kaire, comprenant la province de Gyzeh, telle qu'elle existe aujourd'hui; la province de Qel'youbéh, tant pour la partie conservée sous ce nom, que pour celle qui avait déjà été réunie au Kaire, et la province d'Attfyéhhly pour la partie de la province qui est au nord d'Attfyéhhly, y compris cette ville.
Le Kaire (*chef-lieu.*)

شكل رقم (٢٢)

عوايد على الميراث وفى بيت المال

عوايد على البضايع المتوجهة لبلد غريبه والمتوجهه منها الى الديــار المصريــه وذلك الدواوين

عوايد على حـرف المتسببين والصنايعيه

عوايد على القبط واهل بـر الشام وعلى الاروام واليهود والافرنج

وعلى موجب ذلك لم عليهم شى ولم ينطلب منهم خلاف ذلك لا عوايد ولا فرده ولا شى لا على الحاجه ولا على الانسان ولم يصير ظلم وكل من كان يتصرف فى ملكه كما يشاء ويتسبب ويتاجر ويبيع ويشترى كما يشا

Sur les successions mobilières et immobilières ;

Sur les marchandises allant à l'étranger, ou venant de l'étranger en Egypte (ce droit connu sous le nom de douane) ;

Sur les corporations de marchands, artisans et ouvriers ;

Sur les nations copte, syrienne et damasquine, grecque et juive ;

il ne sera plus perçu aucune imposition, aucune contribution directe ou indirecte, sur les choses ou sur les personnes ; il ne sera faite aucune avanie : chacun pourra jouir en paix de ses propriétés, faire son commerce, vaquer à ses affaires, acheter ou ven-

شكل رقم (٢٣)

LIBERTÉ



ÉGALITÉ

VENTE.

IL sera vendu, à la chaleur des enchères, par lots ou en totalité, les articles suivans, provenans des magasins de la République.

SAVOIR:

1242 Ardebs de ris.

221 Ardebs de graine de fénu-grec.

63 Ardebs, graine de lupin.

La vente aura lieu dans les bureaux du directeur des revenus en nature, et du mobilier national, le 25 de vendémiaire, à dix heures et demie du matin.

Le Directeur des Revenus en nature, et du Mobilier national;

Signé REYNIER.

بيان المبيع

سيكون مباع بالمزاد كامل ما سيذكر ادناه ان كان بالفرق او بالتمام وذلك موجود في حواصل المشيخة الفرنساوية

يعني

١٢٤٢ اردب ارز ابيض

٢٢١ اردب حلبه

٦٣ اردب ترمس

وذلك البيع سيكون في بيت المدبرين في ٢٨ يوم خلت من شهر جمادي اول نهار الجمعه قبل الظهر بساعتين يبتدي المبيع

ممضي المدبر ريينيه

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٢٤)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

LIBERTÉ.  ÉGALITÉ.

Au Quartier-général du CAIRE, *le 7 Brumaire, an 7 de la République française.*

ORDRE DU JOUR, du 7 Brumaire, an 7.

BONAPARTE, Général en chef, ordonne :

ART. 1.er Il sera nommé trois compagnies Grecques, de cent hommes chacune, une au Caire, une à Damiette, une à Rosette.

II. Ces compagnies seront exclusivement chargées des escortes des diligences.

III. Les généraux commandans au Caire, à Rosette et à Damiette, sont chargés de la formation de ces compagnies; ils nommeront pour les commander, des hommes connus par leur attachement pour les Français.

Signé, BONAPARTE.

Signé, Alexandre BERTHIER, *Général de Division, Chef de l'État-major-général.*

Pour copie conforme au registre d'ordres, l'Adjudant-Général, sous-chef de l'État-major.

AU CAIRE, de l'Imprimerie de MARC AUREL, Imprimeur de l'Armée.

شكل رقم (٢٥)

فرانجه سرکرده‌لری

قله‌بر

اسمیله مشهور سرکرده‌نك

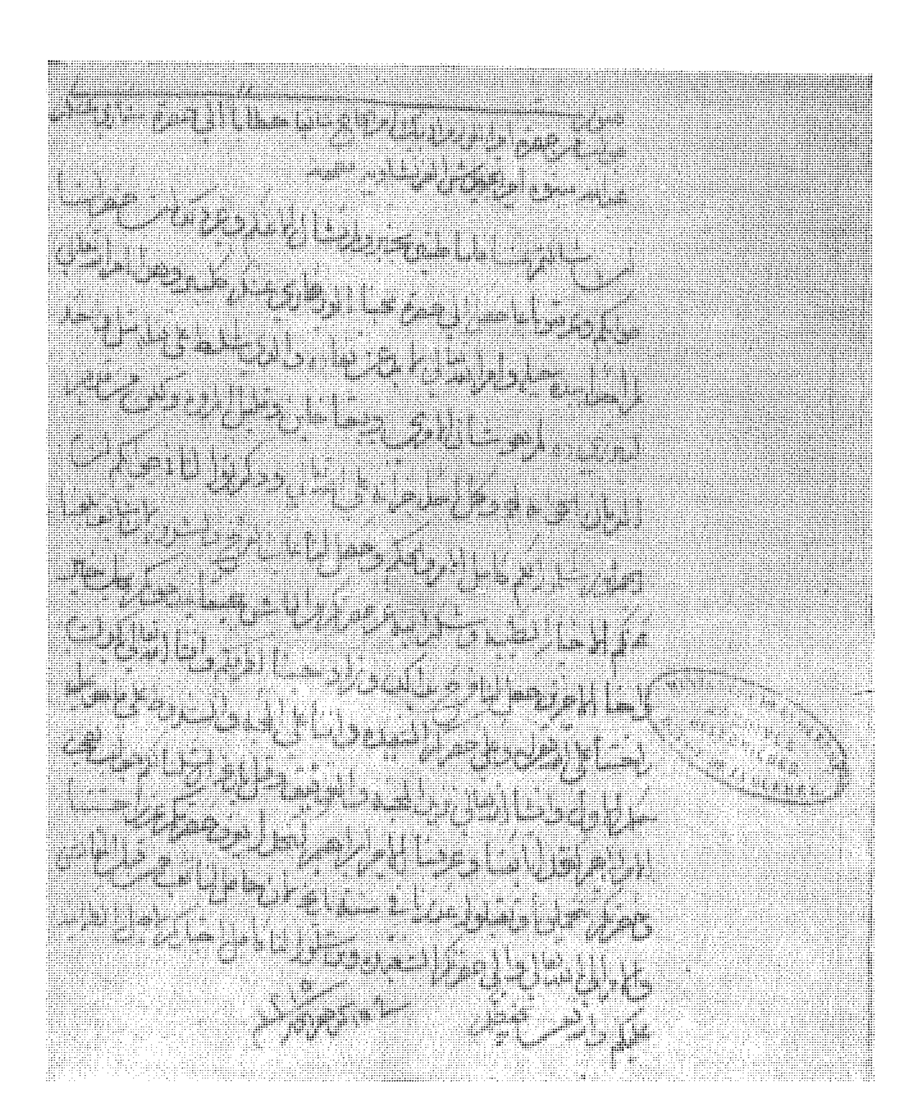
قاتلی اولان سلیمان نام حلبی حقنده
وقوع بولان فحص وتفتیش وحکم شرعی
حاوی اوراقك مجموعه‌سیدر ✿

✿ مصر قاهره‌ده ✿

✿ فرانجه جمهورنك باصمه‌سنده‌در ✿

✿ فرانجه جمهوریه‌نك سکز سنه‌سنده‌در ✿

شكل رقم (٢٦)



شكل رقم (٢٧)

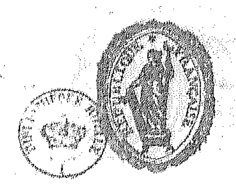
التنبيه

[illegible]

أول دفعة التي يدفعها الطالب وهذا اسم أن الطالب لا يمكنه أن يدفع أقل من هذا الرقم المقدار	أسماء الأقسام	عدد	أول دفعة التي يدفعها الطالب وهذا اسم أن الطالب لا يمكنه أن يدفع أقل من هذا الرقم المقدار	أسماء الأقسام	عدد
[illegible]	وكالة [illegible]	[illegible]	[illegible]	أمر المرور على مراكب الغلال ببولاق	[illegible]
[illegible]	وكالة الصابون و[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible] الغربية	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible] المحلة	[illegible]
[illegible]	دمغة المصوغ حساب المحروسة	[illegible]	[illegible]	وكالة الأرز و[illegible] بالمحلة	[illegible]
[illegible]	حلقة السمك ببولاق ومصر والاسكندرية	[illegible]	[illegible]	حلقة السوق بالمحلة	[illegible]
[illegible]	[illegible] عن القمح الوارد بمصر القديمة وبولاق	[illegible]	[illegible]	وكالة الملح ببولاق	[illegible]
[illegible]	ديوان مصر القديمة و[illegible] الانكشارية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible] الأرز بمصر ودمياط	[illegible]	[illegible]	[illegible] ببولاق	[illegible]
[illegible]	وكالة الترسيم و[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	وكالة السكر	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	وكالة الأبزار ببولاق	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible] ببولاق و[illegible] والمحلة والمنصورة	[illegible]	[illegible]	[illegible] ببولاق	[illegible]
[illegible]	[illegible] الموصلية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	المدابغ والمعصارة	[illegible]	[illegible]	[illegible] ببولاق	[illegible]
[illegible]	السواحل ببولاق ومصر القديمة	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	وكالة الأرز ببولاق	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible] النشادر [illegible] ببولاق	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

تطبع بمطبعة [illegible] بمصر المحروسة

شكل رقم (٢٨)



بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك فى ملكه

من طرف الجمهور الفرانساوى المبنى على اساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير بونابارته امير الجيوش الفرانساويه يعرّف اهالى مصر جميعهم ان من زمان مديد السناجق الذين يتسلطنوا فى البلاد المصرية يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرانساوية ويظلموا تجارها بانواع البلص والتعدى فحضر الآن ساعة عقوبتهم

وحسرتاه من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الابازا والكرجستان يفسدوا فى الاقليم الاحسن الذى يوجد فى كرة الارض كلها فاما رب العالمين القادر على كل شئ فانه قد حتم على انقضاء دولتهم

يا ايها المصريين قد يقولوا لكم اننى ما نزلت فى هذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا لاخلص حقكم من يد الظالمين واننى اكثر من المماليك اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه محمد والقرآن العظيم

وقولوا ايضا لهم ان جميع الناس متساويين عند الله وان الشئ الذى يفرقهم من بعضهم بعضا هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضائل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين وتستوجب انهم يتملكوا وحدهم كلما يحلو به حياة الدنيا

حيثما يوجد ارض مخصبة فهى مختصة للمماليك والجوارى الاجمل والخيل الاحسن والمساكن الاشهى فهذا كله لهم خاصا

ان كانت الارض المصرية التزام للمماليك فليبرزوا الحجة التى كتبها لهم الله فلكن رب العالمين هو رؤوف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى احد من اهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبروا الامور وبذلك يصلح حال الامة كلها

سابقا فى الاراضى المصرية كانت المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما ازال ذلك كله الا الطمع وظلم المماليك

ايها القضاة والمشايخ والائمة ويا ايها الشوربجية واعيان البلد قولوا لامتكم ان الفرنساوية هم ايضا مسلمين خالصين واثباتا لذلك قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالليرية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا المحبين المخلصين لحضرة السلطان العثمانى واعداء اعدائه ادام الله ملكه ومع ذلك ان المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان غير ممتثلين لامره فما اطاعوا اصلا الا لطمع انفسهم

طوبى ثم طوبى لاهالى مصر الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلى مراتبهم طوبى ايضا للذين يقعدوا فى مساكنهم غير مايلين لاحد من الفريقين المحاربين فاذا يعرفونا بالاكثر يتسارعوا الينا بكل قلب

لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدوا مع المماليك ويساعدوهم فى الحرب علينا فما يجدوا طريقا للخلاص ولا يبقى منهم اثر

المادة الاولى

جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاثة ساعات عن المواضع التى يمر بها العسكر الفرانساوى فواجب عليها ان ترسل للسر عسكر بعض وكلاء من عندها لكيما يعرفوا المشار اليه انهم اطاعوا وانهم نصبوا السنجاق الفرانساوى الذى هو ابيض وكحلى واحمر

المادة الثانية

كل قرية التى تقوم على العسكر الفرانساوى تنحرق بالنار

المادة الثالثة

كل قرية التى تطيع العسكر الفرانساوى الواجب عليها نصب السنجاق الفرانساوى وايضا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاه

المادة الرابعة

المشايخ فى كل بلد ليختموا حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك تابع المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكيلا يضيع ادنى شئ منها

المادة الخامسة

الواجب على المشايخ والقضاة والائمة انهم يلازموا وظائفهم وعلى كل واحد من اهالى البلد انه يبقى فى مسكنه مطمئنا وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة والمصريين باجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى من انقراض دولة المماليك قائلين بصوت عالى ادام الله اجلال السلطان العثمانى ادام الله اجلال العسكر الفرانساوى لعن الله المماليك واصلح حال الامة المصرية

تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ١٣ من شهر مسيدور

سنة ٦ من اقامة الجمهور الفرانساوى يعنى فى اواخر شهر محرم ١٢١٣ سنة الهجرية

شكل رقم (٢٩)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

LIBERTÉ — ÉGALITÉ

ARMÉE.

ÉTAT-MAJOR GÉNÉRAL.

ORDRE DU GÉNÉRAL EN CHEF

BONAPARTE.

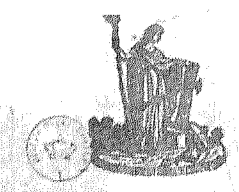
Au Quartier-général, à bord de l'Orient, le 7 Messidor, an 6 de la République Française, une et indivisible.

Signé, le Général en chef,
BONAPARTE.

Par ordre du Général en chef,
Le Général de division, chef de l'État-major Général de l'armée,
ALEXANDRE BERTHIER.

De l'Imprimerie de l'Armée navale, à bord de l'Orient.

شكل رقم (٣٠)



PROCLAMATION DES CHEIKHS DE LA VILLE DU CAIRE, AU PEUPLE D'EGYPTE.

صورة نصيحة من علما الاسلام بمصر المحروسة

نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين أن ابراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظا شديدا من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم في الخروج معهم ويتركوا عيالهم وأوطانهم فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعساكر الفرنساوية لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهارا مع أغوات معينين ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص من بين الطوائف الافرنجية دائما يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم أحباب لمولانا السلطان قائمون بنصرته وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه ولذلك بين الفرنساوية وبين الموسقو غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة الموسقو للإسلام وأهل الوحدانية يعني أن الموسقو يشتهي أخذ اسلامبول المحروسة ويعمل أنواع الحيل والدسائس المكروهة في أخذ سائر المملكة العثمانية الاسلامية لأنه لا يحصل ذلك بسبب اتحاد الفرنساوية ومعاونتهم ومحبتهم الى الدولة العلية ويريدون أن يستولوا على أيا صوفية وغيرها من المساجد الاسلامية يقلبوها معابد للعبادة الفاسدة وديانة الموسقو الخبيثة الرومية والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله ولا يبقون منهم بقية فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين الرعية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وانما عليكم دفع الخراج المطلوبة منكم لكامل الملتزمين لتكونوا في أوطانكم سالمين وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمئنين لأن حضرة ساري عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا في دين الإسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتصر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثته الظلمة من المغارم فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم عليه أفضل الصلاة والسلام

تم

الداعي لكم الفقير السيد خليل البكري نقيب السادة الأشراف

الداعي لكم الفقير عبد الله الشرقاوي عفي عنه

الداعي لكم الفقير مصطفى الصاوي عفي عنه

الداعي لكم الفقير محمد الأمير مفتي المالكي عفي عنه

الداعي لكم الفقير محمد المهدي الحفناوي

الداعي لكم الفقير سليمان الفيومي المالكي عفي عنه

الداعي لكم الفقير أحمد العريشي عفي عنه

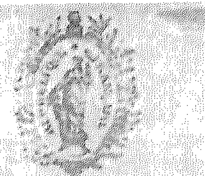
الداعي لكم الفقير موسى السرسي الشافعي عفي عنه

الداعي لكم الفقير الى الله محمد الدواخلي الشافعي عفي عنه

الداعي لكم الفقير السيد مصطفى الدمنهوري عفي عنه

مطبع مصر المحروسة

شكل رقم (٣١)

LIBERTÉ  ÉGALITÉ

PROCLAMATION

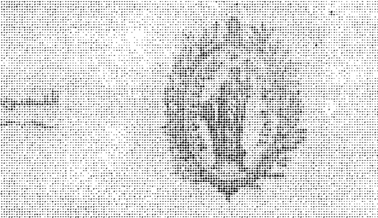
DU DIVAN DE LA VILLE DU KAIRE,

LA BIEN GARDÉE,

Aux Provinces de l'Égypte, Charqyeh, Gharbyeh, Menoufyeh, Qelyoubeh, Gyzeh et Béhhyreh.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٣٢)



شكل رقم (٣٣)

AUX HABITANS DU KAIRE.

بسم الله الرحمن الرحيم

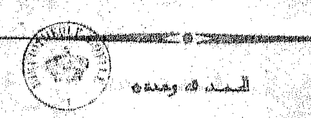
شكل رقم (٣٤)

PROCLAMATION

DU

DIVAN PARTICULIER

DU KAIRE.



خطاب من ديوان مصر الى جميع اقاليمها

الحمد لله وحده

هذا خطاب الى جميع اهل مصر من خاص وعام من
محفل الديوان الخصوصي من عقلاء الانام علماء الاسلام
والوجاقات والتجار الفخام نعلمكم معاشر اهل مصر ان
حضرة صاري عسكر الكبير بونابارته امير الجيوش
الفرنساوية وفقه الله احضر في الفكرة والمشورة مع
العسكر الكبير عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل
من ارذال اهل البلد والجهادية من الفتنة والشر مع
العساكر الفرنساوية وعفى عفوا شاملا واعاد الديوان
الخصوصي في بيت قايد اغاه بالازبكية وزاد من ارباب
عشر شخصا اصحاب معرفة واتقان خرجوا بالقرعة من
ستين رجلا كان انتخبهم [illegible] وذلك
لاجل حصول الراحة لاهل مصر من خاص وعام وتنظيمها
على احسن نظام واتقان واحكام كل ذلك من كمال عقله
وحسن تدبيره ومزيد [illegible] وشفقته على ساكنيها من
صغير القوم قبل كبيره [illegible] بالمنزل المذكور كل يوم لاجل
قضاء مصالح الرعايا [illegible] من ظلم القديم وقد
اقتص من عسكره الذين اساوا وظلموا بحارة الاستاذ الشيخ
الجوهري شيخ الاسلام وقتل منهم اثنين بقرا ميدان
ونزل طايفتهم من مقامهم العالي الى ادنى مقام لان
الخيانة ليست من عادة الفرنسيس خصوصا مع النسا
الارامل فان ذلك قبيح عندهم لا يفعله الا كل خسيس

ووضع القبض بالقلعة على رجلا نصراني مكاس لانه بلغه
انه زاد المظالم في الجمرك بمصر القديمة على ساير الناس
فقتل ذلك بحسن تدبيره ليمنع غيره من الظلام ومراده
رفع الظلم عن كامل الخلق وساير الانام ويشتغل بالخليج
الموصل لبحر النيل الى بحر السويس الاعظم لتخف اجرة
الحمل من مصر الى قطر الحجاز الافخم ويحفظ البضايع من
اللصوص وقطاع الطريق وتكثر عليكم اسباب التجارة من
الهند واليمن وكل فج عميق فاشتغلوا بامر دينكم واسباب
دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شياطينكم
وهواكم وعليكم بالرضى بقضا الله وحسن الاستقامة
لاجل خلاصكم من اسباب العطب والوقوع في الندامة
رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم ومن كان له حاجة
فليات الى الديوان بقلب سليم الا من كان له دعوة شرعية
فليتوجه الى قاضي العسكر افندي بمصر المحمية [illegible]
الشكرية والسلام على افضل رسل الدوام

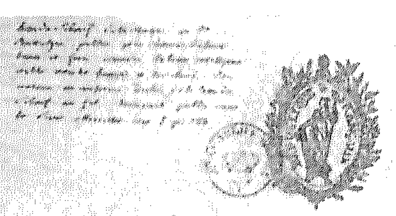
في ١٠ شهر شعبان سنة ١٢١٣

الفقير عبد الله الشرقاوي
رئيس الديوان الخصوصي.

الفقير محمد المهدي كاتم السر وباش
كاتب الديوان الخصوصي.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٣٥)



شكل رقم (٣٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

من امر ساري العسكر الكبير كلهبر امير الجيوش الفرنساوي

دام بقاه حسب اهل الله المحمدية خطابا الى جميع المسلمين في مصر وجهاتها اعلموا يا اهل الاسلام ويا ارباب الايمان المقيمين في مصر ان لم يحصل منا خطاب لكم الآن في هذا الوقت وفي هذا الوقت عموكم اننا ما كنا نعرفكم سابقا والآن عرفنا حالكم لاننا وقت ما سرنا ودرنا في بلدكم الكبير عرفنا انكم مرتاحين وماليين للخير والنظام والراحة التامة ورايناكم امنين ومبسوطين ومحبين للجمهور الفرنساوي وراضين بحكمهم كما ظهر لنا ذلك من وجوهكم وعلمنا ان ذلك بسبب العدل والتدبير الواقعين من سلفنا حبيبكم حضرة ساري العسكر بونابارته في ايام حكمه وبسبب ذلك نلتم مجده وعزه وحصلت الراحة التامة للرعية في مصر فاعلموا يا اهل الاسلام وارباب الايمان ان الفرنساويه لم يحصل لهم الفرح التام والسرور الكامل الا وقت ما تكونوا مبسوطين ومطمئنين في كامل احوالكم

وعلمنا ان غاية مرادكم ونهاية راحتكم اقامة دينكم دين الاسلام الدين القويم والمحافظة على احكام الشريعة المحمدية واكرام الملة الاسلامية فاعلموا ان الدين المحمدي هو الدين المكرم المعتبر الاكرام المعظم عندنا باحسن الاكرام والتعظيم واعلموا اننا نحب تعظيم دينكم ونريد اكرامه اكثر مما كان في زمن المماليك واعلموا ان ايام حكمنا نكرم الناس الطيبين ونعاملهم بغاية المحبة والاكرام ويحصل لهم منا الخير والمعروف وان الناس المفسدين يحصل لهم الدمار والادب الشديد وهذا ما في نفوسنا من تعظيم دينكم واحترام ملتكم التي امرت بكل خير ونهت عن كل شر والسلام ختام

الامضا كلهبر

تحريرا في ٣٠ شهر فروكتيدور سنة ٧ من اقامة الجمهور الفرنساوي الموافق الى ٥ ربيع الاخر سنة ١٢١٤

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة

شكل رقم (٣٧)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au nom de DIEU clément et miséricordieux.

Il n'y a pas d'autre Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète: les prières et les saluts lui soient accordés.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 8 brumaire an 9
de la République française, une et indivisible.

PROCLAMATION

AUX

HABITANS DE L'EGYPTE.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

شكل رقم (٣٨)



PROCLAMATION
AUX
HABITANS DE L'EGYPTE

بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله محمد رسول الله

شكل رقم (٣٩)

شكل رقم (٤٠)

شكل رقم (٤١)

RELATION
DE LA CÉRÉMONIE

Qui a eu lieu au Kaire la veille du Ramadhan 16 pluviôse an 7.

من محفل الديوان الخصوصي بمصر المحروسة

نعلمكم انه لما اقبل شهر رمضان المعظم كتبنا
عرضحال لحضرت ساري عسكر امير الجيوش
الفرنساوية نطلب منه فرمان بالاذن في ان مصر تفتح
اسواقها في ليالي شهر رمضان حكم عادتها السابقة
فاجابنا بالقبول والموافقة وامر باقامة شعاير الاسلام
في مساجدها العظام وعمارتها بالاذكار والمصابيح
والقناديل والشموع وامرنا ان لا ننقص شيئاً من
شعايرها ونظامها وان يدور في الليل امراها وحكامها
ليطمئن بذلك الفقرا والمساكين وتنسر بذلك قلوب امة
سيد المرسلين وحضر الى منزله المنيف وقصره
الشريف امين الاحتساب وصحبته ساير مشايخ
الحرف وبعض العلما والنواب بموكب عظيم لم
يسبق مثاله ولم يتقدم في الزمن السابق نظيره
ومنواله بكمال الطبول والملازمين والعساكر العثمانية
وقابلتهم [illegible] صاحب الهمة العلية
فصعد الحكام اليه وتلاقوه في مقامه الافخم وكساهم
ليلة الروية والبسهم القفاطين واعطاهم عوايدهم
بالتمام وجبر قلوب الفقرا والمساكين والبس
امين الاحتساب فروة سمور وقدم له اعطا جوخي
الاحتساب ساعة فضة عظيمة غالية الثمن لما راه
لحضر الحاضرين منا اسدقه الشفقة والرحمة به
وحضروا من ليلتهم راجعين من قصره الى بيت
مولانا الافندي قاضي الاسلام ولما ثبت روية الهلال
امر القاضي بالمناداة بالصيام الصيام يا امة خير الانام
عليه افضل الصلاة والسلام

الداعي لكم الفقير عبد الله الشرقاوي رئيس
الديوان

الداعي لكم الفقير محمد المهدي الحفناوي
كاتم سر الديوان عفي عنه

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٤٢)

شكل رقم (٤٣)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 15 ventôse, an 7 de la République française, une et indivisible.

DUGUA,

GÉNÉRAL DE DIVISION,

AUX MEMBRES

COMPOSANT LE DIVAN DU KAIRE.

LE Général en Chef, après avoir cerné les troupes d'Ibrahim-bey et de Djezzar devant el-A'rich, après avoir ouvert la brèche au fort dans lequel quatre cents de leurs gens étaient réfugiés, pouvant les faire massacrer jusqu'au dernier, leur a accordé la vie et la liberté; il a permis à ceux qui le lui ont demandé, de revenir au Kaire, sur le serment qu'ils lui ont fait de ne conserver aucune relation avec les ennemis des Français, et d'être soumis à ses ordres. Ces hommes sont arrivés aujourd'hui dans vos murs, ils sont rentrés dans leurs propriétés, et sont la preuve vivante de la générosité des Français.

Le Général en Chef m'a envoyé treize drapeaux pris sur les mamloucks; il ordonne qu'ils soient placés dans le *Djamé'el-azhar*, comme un trophée de la victoire remportée sur Djezzar et les ennemis des Égyptiens.

Le Général BONAPARTE, toujours occupé du bonheur des habitans du Kaire et des villes de l'Égypte, me charge de leur annoncer qu'ils peuvent envoyer en toute sûreté leurs caravanes en Syrie, que leurs propriétés seront respectées, et qu'ils y vendront bien leurs marchandises.

Je joins ici les détails qui m'ont été donnés par le Général en Chef lui-même et par le chef de l'État-major; vous les ferez imprimer à la suite de ma lettre, et vous annoncerez au peuple que le jour de la clôture du Ramadhan [illegible] celui de la fête prescrite par le Général en Chef.

Dieu vous garde.

C. F. J. DUGUA.

EXTRAIT de la lettre du GÉNÉRAL EN CHEF, au Général de division DUGUA. El-A'rich, le [illegible] ventôse.

VOUS recevrez treize drapeaux, [illegible] Kachefs et [illegible] mamloucks; mon intention est qu'ils soient bien traités; on leur restituera leurs maisons, mais on exercera sur eux une surveillance particulière. Vous leur réitérerez la promesse que je leur ai faite de leur faire du bien, si à mon retour vous êtes content de leur conduite.

Les drapeaux seront placés dans le *Djamé'el-Azhar*, comme un trophée de la victoire remportée par l'armée d'Égypte sur Djezzar et les ennemis des Égyptiens.

Faites connaître aux habitans du Kaire et de Damiette qu'ils peuvent envoyer des caravanes en Syrie, qu'ils y vendront bien leurs marchandises, et que leurs propriétés seront respectées.

J'ai enrôlé trois ou quatre cents Mogrebins qui marchent avec nous.

Signé BONAPARTE.

Le citoyen ALEXANDRE BERTHIER, Général de division, Chef de l'État-major général de l'Armée, au général DUGUA.

JE vous annonce, citoyen général, que le fort d'el-A'rich s'est rendu hier dans l'après-midi; la garnison était de quatre cens hommes; la brèche était déjà praticable, et ce n'a été que par humanité, et pour épargner le sang de ces malheureux, que le Général en Chef a admis la garnison à capituler.

Les troupes sorties du fort se rendent à Baghdad, en prenant la route du désert. Quelques-unes retournent en Égypte pour leurs affaires.

Nous avons trouvé dans le fort, des magasins considérables de biscuit, de riz et d'orge, des chameaux, des dromadaires et trois cens beaux chevaux.

Pour le Général Berthier, le Général de Brigade
ANDRÉOSSI.

Pour copie conforme:
C. F. J. DUGUA.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٤٤)

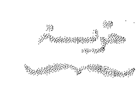
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذو الجلال
هذه صورة كتابة الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لتخبر يافا من الاخبار

نخبركم اهل مصر واقاليمها من سائر البرية ان العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة ثالث عشرين شهر رمضان ووصلوا الى الرملة في خامس عشرين منه في امن واطمانان فشاهدوا عسكر احمد باشا الجزار هاربين بسرعة قبالهم الفرار الفرار الى الفرنساوية وجدوا في الرملة وبعيده لد مقدار كثير من خازن البقسماط والشعير ورأوا فيها الف وخمسماية قربة مجهزين جهزها الجزار بمقصوده الى اقليم مصر مسكن الفقرا والمساكين ومراده يتوجه اليها باقرار العربان من سفح الجبل ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل فاستخفت به الناس مثل عوايده الشامية وغزة والمسلمة مشهور لانه تربية المماليك الظلمة المصرية ولم يعلم من خسارة عقله وسوء تدبيره ان الامر لله كل شي بقضايه وتقديره وفي سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية الى بندر يافا من الاراضي الشامية واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وارسلوا الى حاكمها وكبار الجزار ان يسلموا القلعة قبل ان يحل بهم وبعساكرهم الدمار فمن خفافة رايه وسوء تدبيره سعى في هلاكه وتدميره ولم يرد لهم جواب وخالف قانون الحرب والصواب وفي اخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وساروا اليهم مجتمعين وانقسموا على ثلاثة طوابير الطابور الاول توجه على طريق عكة بعيد عن يافا باربعة ساعات وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور امر حضرة ساري عسكر الكبير بفتح خنادق حول السور لاجل ان يعملوا متاريس امينة وبطاريات متقنة حصينة لانه وجد سور يافا مشحون بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار العزيزة وفي تاسع عشرين الشهر لما قربت الخنادق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة امر حضرة ساري عسكر المشار اليه ان ينصب المدافع على المتاريس وان يضعوا الوان القنبر باحكام وتاسيس وامر بنصب مدافع مقابلة لعساكره الصاعدين المتعلقين فوق السور وامر بنصب مدافع لطرف الجسر لمنع الخارجين اليهم من مراكب الانجليز لانه وجد في المينا بعض مراكب اعدوهم عسكر الجزار الى الهروب ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب ولما رات عساكر الجزار الكاذبين بالقلعة الحاضرين ان عسكر الفرنساوية قلايل في راي العين الناظرين لمدارات الفرنساوية في الخنادق وخلف المتاريس غرهم الطمع فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا انهم يقاسوا الفرنساوية فهجموا عليهم الفرنساوية وقتلوا منهم جملة كثيرة في تلك الوقعة والزموهم والجوهم الدخول ثانيا في القلعة وفي يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند ساري عسكر شفقة قلبية على رعاياه والراعين برحمة الرحمن وخاف على اهل يافا من عسكره اذا دخلوها بالقهر والاقتدار فارسل اليهم مكتوبا مع رسول مضمونه لا اله الا الله وحده لا شريك له بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة ساري عسكر [illegible] العسكر الفرنساوي الى حضرة حاكم يافا نخبرك ان حضرة ساري عسكر الكبير بونابارته امرنا نعرفك في هذا المكتوب ان سبب حضوره الى هذا الطرف لاخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلد لانه تعدى بارسال عسكره الى العريش وحرابشه تعديا والحال انها من اقليم مصر التي انعم الله بها علينا فلا يناسب اقامته بالعريش لانها ليست من ارضه فقد تعدى على ملك غيره ويحرككم يا اهل يافا ان تحذركم حاضر جميع الاطراف وجهاته وعلمه بانواع الحرب والاسلحة المدافع الكثيرة والقنابل والقنابر يريد في مقدار ساعتين ينقلب سوركم ويبطل الاتكم وحربكم ويحرككم ان حضرة ساري عسكر المشار اليه بونابارته لمزيد رحمته وفرط شفقته خصوصا بالضعفا من الرعية خايف عليكم من سطوة عسكره الحاربين اذا دخلوا عليكم بالقهر اهلكوكم اجمعين فالزمنا ان نرسل اليكم هذا الخطاب امانا كاملا لاهل البلد والاغراب ولاجل ذلك امهل ضرب المدافع والقنابر الصاعقة عليكم ساعة واحدة وانتظر واني لكم لمن الناصحين وهذا اخر جواب الخطاب فحبسوا جوابنا حبس الرسول مخالفين للقوانين الحربية والعرفية المشاهدة الصحيحة وحالا في الوقت والساعة امر ساري عسكر واشتد غضبه على الماسكه وامر باشتداد ضرب المدافع والقنابر المرتب المسمروين مثل رمان بسمر فتحت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار في وبال ونكس وفي وقت الظهر من هذا اليوم انفرق سور يافا وارتج له القوم وهجم من الجهة التي ضرب فيها المدافع من هذه النار ولا بقضاء الله ولا مزاحم وفي الحال امر حضرة ساري عسكر بالهجوم عليهم وفي اقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع المدن والابراج ودار السيف في الحاربين واشتعل نار الحرب وصاح وحصل النهب فيها تلك الليلة وفي يوم السبت غرة شوال وقع السمح العفو الشامل من حضرة ساري عسكر الكبير ورق قلبه على اهل مصر من هم وهو الذين كانوا في يافا واعطاهم الامان وامرهم برجوعهم الى بلادهم مكرمين وكذلك امر اهل دمشق وحلب برجوعهم الى اوطانهم سالمين لاجل ما يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رافته ورحمته بعفو عند المقدرة وصفحه وقت المقدرة مع مكنته ومزيد اعتنائه وصفحه وفي هذه الوقعة قتل اكثر من اربعة الاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق لما وقع منهم من العناد واما الفرنساوية لم يقتل منهم الا القليل والمجروحين منهم ليسوا بكثير وسبب ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق امينة خافية عن العيون واخذوا ذخاير كثيرة واموال عزيزة ومسكوا المراكب التي في المينا واحضروا امتعة غالية جديدة ووجدوا في القلعة اكثر من ثلاثين مدفع ولم يعلموا مع مقادير الله ان الة الحرب لا تنفع فاستغفروا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا ان الملك لله يؤتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله

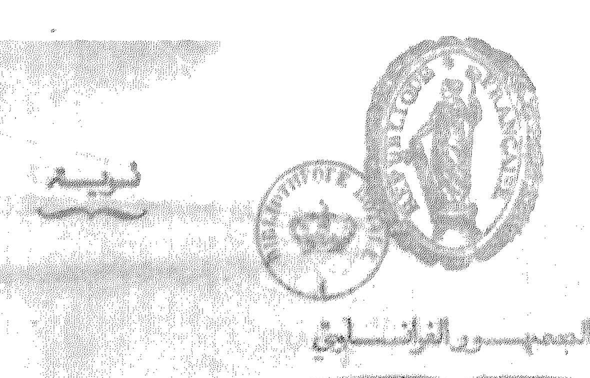
* السيد خليل البكري نقيب السادة الاشراف بمصر حالا *
* الفقير عبد الله الشرقاوي رئيس الديوان بمصر حالا *
* الفقير محمد المهدي كاتم سر الديوان بمصر حالا *

* طبع في مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة *

شكل رقم (٤٥)



حريـــة



تسويـــة

الجمهـــور الفرانســـاوي

بســـم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله
لا ولد له ولا شـــريك في ملكه

المـــطلوب من حضرة حكام اسكندرية
انهم ينادوا على جميع اهل الثغر بانهم يعلقوا
على كل اربعة دكاكين قنديل وعلى كل
خمسة دكاكين قنديلين وعلى كل
وكالـــة قنديل وعلى [illegible] طاحونة وكل
قهوة قنديل وانهم يرشوا الى حضرة
البلد وكل ليلة قبل الغروب بـــساعة
اثني عشر رجل من العقلاء يدوروا مع جماعته
لاجل امان جميع الناس وعدم حصول
ضرر الى احد ومن حصل منه ضـــرر
الى غيره لا يلوم الا نفسه وتكون جميع
الناس [illegible] على انفســـهم
ومتاجرهم [illegible] [illegible] ويفتحوا
الدكاكين [illegible] ولا ضرر ولا [illegible]

حصل الطلب ان تفتح الجوامع وان تســـلم
الصلاة حسب الشريعة وتفتح الحمامات
ولا يخشوا من شي والسلام
يحرر في يوم الجمعة [illegible] شهر صفر
١٢١٣
ســـنة

الحاج مصطفى | موذن ابو علي | الفقير
الرنكلامة | الحاج احمد | قاضي
عبد الوهاب | احمد | مصطفى
الحوش | تركي | السعران
كاتب | | ابراهيم
القناي | | البرجي
محمد السبري

في اسكندرية من مطبعة الشرقية والفرانســـاوية

شكل رقم (٤٦)

شكل رقم (٤٧)

Au Quartier-général de Sçalehhyéh, le 12 Pluviôse an 8 de la République Française

K L E B E R,

GÉNÉRAL EN CHEF,

Au Divan du Kaire et à ceux des différentes Provinces de l'Egypte.

تحريراً من معسكر الصالحية في ١٢ شهر بلوبوز سنة ٨ للمشيخة
الفرنساويه الموافق لخامس رمضان سنة ١٢١٤ هجريه

من حضرة ساري العسكر

العام

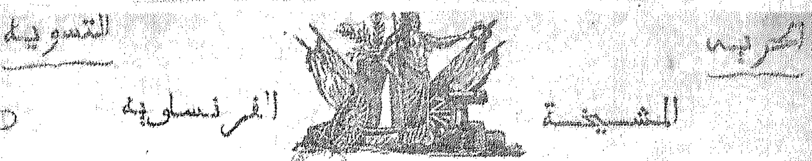
كلهبر

خطابا الي جميع ارباب الديوان بمصر المحروسه والي كافة دواوين الاقاليم المصريه اعزهم الله

VOUS connaissez depuis long-temps l'intention constante où est la Nation Française de conserver ses anciennes relations avec l'empire Ottoman. Mon illustre prédécesseur, le Général BONAPARTE, vous l'a plusieurs fois déclaré, depuis que les circonstances de la guerre nous ont conduits dans ce pays. Il ne négligea rien pour dissiper les préventions que l'on avait inspirées à la Porte, et qui l'avaient entraînée dans une alliance également contraire à ses intérêts et aux nôtres. Les explications qu'il envoya à la cour de Constantinople ne purent rétablir cette union si desirable; et la marche du grand VISIR sur Damas lui ayant offert

نعرفكم انكم تحققتوا قديما ان طايفة الفرنساويه علي الدوام بينها
وبين دولة العثمانلي الاخذ والعطا والمخالطه العامه ولم يزل في قلوبنا ان
هذا الحال يستمر علي الدوام وان سلفنا السابق علينا امير الجيوش
ساري العسكر العام بونابارته الجليل الاوحد بعد وقوع الحروب المتعدده
الموجبه لحلولنا بمصر عرفكم المذكور مراراً عديده بان المحبه بيننا وبين
الدولة العثمانلي لم كان غصب انقطاعها وقد بذل جهده في دفع الوسواس
الفتنه التي ادخلوها علي الباب العالي بريدون الارتباط الذي لم يكن
به خير لهم ولا خير لنا وان المراسلات التي ارسلها لمحروسة اسلامبول

شكل رقم (٤٨)



صدر من سراية العسكر العام بمصر القاهرة في ١٠ ونديمير سنة ٩ المشيخة الفرنساوية الواحدة الغير المنقسمة

هذا هو ترتيب الاوامر اليومية الواقعة في اليوم العاشر من شهر ونديمير سنة تاسعة من اقامة الجمهور

شكل رقم (٤٩)

شكل رقم (٥٠)

شكل رقم (٥١)

١٢٦ حريه تساويه

جمهور الفرنساويه

صاري عسكر منو حاكم ولايه رشيد ولايه
البحيره وولايه اسكندريه الى كامل
اهل البلاد والعربان من ولايه رشيد
يا اهل الولايه ناس من اهل الغش
والخديعه يجمعوكم في تصديقكم
كلامهم الكذب بنصر الفرنساويه
واما مراد بيك وابراهيم بيك والانجليز
لم قصدهم الا هلاككم وهم سببا
لقتل ثمانية الاف نفس في المدينه مصر
الذين سلموا صدقوا قول الانجليز صاري
عسكر الكبير بونابرته الذي هو دايما
محب للناس الطيبين كان مقصوده
عدم موت من قتل من اهل المدينه
وتعب في شغلهم وهم بحال معروفين
ومن مشتكى من هولا الطايفه التعبه
من تسليط الغز عليهم بحكم النصيحه
فانتم تعرفون اخرهم هجمه الفرنساويه
عليهم كالرعد القاصف فانهما فعل
صاري عسكر الكبير افعال معكم كما هو
دكان نصيحكم لا وكمحسن لطايفته لكن
الي يسلك في الافعال القبيحه الذين
له ضدوا انفعل معهم كما افعل المذكوره
فاسمعوا مني لاني انا محب لكم وكلمتي فاهم
الفرنساويه بقتال والذي يقول لكم
خلاف ذلك هو عدو لكم ومراده
هلاككم وقد نصحنا لكم والسلام

شكل رقم (٥٢)

ABD-ALLAH JACQUES

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE D'ORIENT,

Aux Cheykhs et U'lemas composant le grand Divan du Kaire; que Dieu leur accorde toujours les lumières et la sagacité nécessaire pour remplir leurs fonctions.

من عبد الله جاك منو سر عسكر امير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالمشرق وعظيم حكومة بممالك مصر حالا *

الى كافة المشايخ والعلما الكرام في محفل الديوان ... بمحروسة مصر ... الله تعالى عليهم دائماً الفضايل [illegible] الواجبة الى ... *

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

Cheykhs et U'lemas, ce que Dieu veut arrive nécessairement; c'est lui qui fait tout, qui dirige tout. Il a voulu que les Français fussent victorieux. Les Français sont victorieux par-tout où ils portent leurs armes. Il a voulu que le célèbre Bonaparte, aujourd'hui chef du Gouvernement de la République française, réussît dans toutes ses entreprises. Bonaparte n'a qu'à paraître, tous les évènemens se dirigent selon sa volonté.

L'empereur d'Allemagne, séduit par les perfides insinuations des Anglais, se refusait à faire la paix que la République française, quoique victorieuse, lui offrait par principe de modération. Les armées françaises ont marché contre lui; vaincu de toutes parts, il a été forcé à accepter les conditions que Bonaparte lui proposait. Un armistice a été signé, et actuellement on travaille à une paix définitive.

Des vaisseaux de guerre français, entrés dans le port d'Alexandrie le 14 de ce mois, ont fait connaître ces heureuses nouvelles. Ils étaient chargés de soldats qu'envoie Bonaparte, et d'une grande quantité de munitions de guerre. Dieu, qui veut bien abaisser ses regards sur les Français, et les protéger, a permis que ces vaisseaux ne missent que dix jours à venir de France à Alexandrie.

Je vous ai fait connaître ces heureux évènemens, cheykhs et u'lemas, afin que vous vous réjouissiez avec nous, et que vous soyez bien convaincus que Bonaparte ne perd jamais de vue l'Égypte, dont il aime et protège les habitans, ainsi qu'il vous en a souvent donné des preuves. Il me recommande toujours de travailler au bonheur du pays dont le gouvernement m'est confié. Je ne cesserai pas un seul instant de faire tout ce qui sera nécessaire pour exécuter ses ordres. Je vous souhaite, cheykhs et u'lemas, de longs jours et une multitude de prospérités. Que l'esprit de Dieu soit toujours avec vous.

Au Kaire, le 19 pluviôse an 9, correspondant au [illegible] de la lune de ramadân de l'an 1215 de l'hégire.

Signé ABD-ALLAH MENOU.

بسم الله الرحمن الرحيم *

لا اله الا الله محمد رسول الله *

يا ايها المشايخ والعلما الكرام ان كلما اراد الله لابد يصير وهو هو الذي يسير ويهدي كل شي وانما اراد ان الفرنساوية يكونوا دايما ظافرين بالفرنساوية ... اعداهم ... وجعلهم ... القنصل بونابارته الشهير الذي هو اليوم رئيس ... دولة جمهور الفرنساوية يظفر في كل ما [illegible] كيفما اراد [illegible] بالوجود

والامبراطور النمسا ... من اشارات الفاجرة ... الانكليز ... الصلح ... دولة الجمهور الفرنساوية ... العساكر الفرنساوية ... في كل جانب ... الشروط ... من بونابارته ... ذلك ... وتكميل المصالحة [illegible]

... حربية فرنساوية ... اسكندرية في اربعة عشر ... بالاخبار ... المراكب المذكورة ... عساكر ... من مهمات حربية ... من بونابرته ان الله ... كرم الفرنساوية ... المراكب المذكورة ... بمدة عشرة ايام من بلاد فرنسا الى اسكندرية ... اراد الله [illegible]

ويا مشايخ ويا علما الكرام ... بهذه الاخبار ... بونابارته ... مصر ... اهاليها ... الديار ... في كل حين ... ان الله تعالى ... وعلما الكرام ... الصواب والرشاد *

حرر في ١٩ شهر بلوفيوز سنة ٩ الموافق في ٢٣ شهر رمضان سنة ١٢١٥

* [illegible] *

* عبد الله جاك منو *

شكل رقم (٥٣)



شكل رقم (٥٤)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Le Général de Division Belliard,
commandant la Place du Kaire,

Instruit que plusieurs habitans quittent le Kaire, que des cheykhs et principaux négocians envoient leurs familles hors de la ville en contravention aux ordres donnés;

Considérant qu'une pareille émigration ne peut qu'alarmer le peuple, et nuire à ses intérêts;

Considérant que dans le moment où la ville acquitte sa contribution, tous les habitans doivent s'y trouver, que les cheykhs et principaux du pays doivent rester chez eux, pour veiller à ce que la répartition des sommes qu'on exige, se fasse justement et également sur tous ceux qui doivent payer, et en raison de leurs moyens;

Ordonne ce qui suit:

Art. I.er Il est défendu à tout habitant du Kaire de sortir de la ville sans avoir obtenu un passeport du Commandant de la place.

II. Tous les habitans qui quitteront le Kaire sans une autorisation légale, pour aller demeurer dans les villages, seront regardés comme émigrés, et leurs biens confisqués au profit de la République.

III. Tous les habitans qui sont sortis du Kaire depuis le départ des Osmanlis, et qui ne seront pas rentrés dans un mois, seront regardés comme émigrés, et traités comme tels.

IV. Tous les cheykhs, négocians, principaux habitans ou autres qui ont envoyé leurs familles hors de la ville, devront les faire rentrer dans quinze jours; et faute par eux de se conformer au présent article, ils payeront une moitié en sus de leur contribution.

V. Les postes arrêteront tous ceux qui voudraient sortir du Kaire sans passeport.

VI. Les habitans ou odjaqlys qui ont reçu des autorisations pour aller chercher les impositions de leurs villages, ne sont pas compris dans le présent ordre.

VII. Le présent ordre sera remis aux cheykhs du Kaire, pour être envoyé dans les villages où les habitans du Kaire ont pu se retirer.

Au Kaire, le 19 thermidor an 8.

Signé BELLIARD.

Vu bon à publier en arabe et en français.

Le Général en Chef,

Signé MENOU.

من حضرة ساري عسكر بليار
قيمقام مصر حالا

نعلم ان بعض من اهالي مصر رحلوا عيالهم والاكابر من المشايخ والتجار ارسلوا حريمهم برا من المدينة ضد الوصية .

الهروب من المدينة شي لم يسبب غير اذية لهم ويعطلوا مصالحهم .

نعلم ان في حال وقت المدينة تدفع الفردة جميع اهالي البلد لازم يحضروا بمحلاتهم والمشايخ والعلما الذين هم الاكابر لازم يقعدوا في منازلهم لاجل يقسموا ويضبطوا الفردة المطلوبة بوجه الحق كل واحدا على قدر مقدرته .

حكم الشروط .

الشرط الاول . لا احدا من اهالي المدينة يقدر يخرج خارجا من البلد من غير ورقة اجازة من حضرة قيمقام مصر حالا .

الشرط الثاني . كامل اهالي المدينة الذين يخرجوا بغير اجازة لاجل يقيموا في البلاد يكونوا مثل المهاجرين ويضبط مالهم لطرف الجمهور الفرنساوي .

الشرط الثالث . جميع اهل المدينة الذين خرجوا من بعد الحرب الذي حصل مع العثمانلي ان كان لم يحضروا من بعد شهر من تاريخه يكونوا مثل المهاجرين ويضبط مالهم لطرف الجمهور الفرنساوي .

الشرط الرابع . جميع المشايخ والتجار والمتسببين وغيرهم الذين ارسلوا حريمهم خارجا عن البلد لازم من بعد مدة خمسة عشر يوم من تاريخه يرجعوا الى محلاتهم وان كان لم يمتثلوا الوصية يدفعوا زيادة النصف فوق الفردة التي عليهم .

الشرط الخامس . يلزم الامر على كامل الخفر الذين حول البلد يمسكوا كامل الذين يخرجوا من غير ورقة اجازة من حضرة قيمقام مصر حالا .

الشرط السادس . اهالي ووجاقلي الذين خرجوا واخذوا ورقة اجازة لاجل يلموا فردتهم من بلادهم لم هم من هذه الوصايا .

الشرط السابع . وهذه الوصايا تعطى الى المشايخ والعلما لاجل يرسلوهم الى البلاد التي اهالي مصر راحوا فيها .

تحريرا في ١٩ ترميدور سنة ٨ من اقامة الجمهور الفرنساوي .
الموافق ١٦ ربيع اول سنة ١٢١٥ اسلامية .

ممضي بليار .

نظرنا ساري عسكر الجيوش الفرنساوية منو انه ان هذا الامر يكون مطبوع بالفرنساوي والعربي .

امضا ساري عسكر الكبير منو .

شكل رقم (٥٥)



الحرية — التسوية

من طرف الجمهور الفرنساوي

تحريرا في محل صارى عسكر العام بمصر في اليوم ... بعد عشرين من شهر
ونتميدور سنة ... من اقامة الجمهور الفرنساوي ❊

صدر هذا الامر اليوم من حضرة صارى عسكر العام منو

امير الجيوش الفرنساوي في مصر

الصارى عسكر العام مايلا الى شمرة العفو والكرم
لمعطى الى كل الولاة والحكام المكرمين من الفصل الاول
من الجمهور الفرنساوى

وكذلك على للنصوص ترحما على جهالة اكثر اهالى
مصر من عادتنا وشريعتنا ومن النسك الذى يملك الى
كل فعاله تواليت الفرنساويه امر على كل ماياتى بيانه

المادة الاولى ❊

جملة الاشخاص المصريه الذين خرجوا من مصر خوفا
من اسلحتنا وهربوا لعدم اعطاء الفرده المامورين بدفعها
فى تلك المدينه فالان هم ماذونين بالرجوع الى بيوتهم
نحينئذ يكونوا امنين ومطمينين تحت حماية المدبرين
والحكام وساير روساء عسكر الفرنساويه باملاكهم وارزاقهم
واهاهم واموالهم وارزاقهم فى امان الله وامان الجمهور
الفرنساويه

المادة الثانيه ❊

هذا اللطف الذى كرمناهم به مايحسب الا الى اليوم
الاول من شهر بروميير الاتى فهذه المدة لاتتغير وبعد مرور
هذه المدة كل من اهالى مصر ما يرجع الى موضعه فيكون
ماله وارزاقه كلها ميريا الى جمهور الفرنساويه

المادة الثالثة ❊

كل الاموال والاملاك المنشيين الى هذا اليوم وردوا
ويرجعوا الى اصحابهم الذين يلحقوا فى احوال المسطورة
فى المادة الاولى بشرط ان يكملوا بواقى الفردة الذى عليهم

المادة الرابعه ❊

وهذا الانعام الذى كرمناهم به هو لكل اهالي مصر
الموجودين فى الاحوال المذكورين اعلاه

واياهم ان صارى عسكر الكبير فى هذا الامر ما عنى الا على
الذين هربوا من مصر فى وقت الدخول الاخرانى الفرنساويه الى
مصر والاملاك والاموال كل الهاربين من مصر قبل ذلك
التاريخ يبقوا لانه مكتسبين بحال ميرية الجمهور الفرنساويه

المادة الخامسه ❊

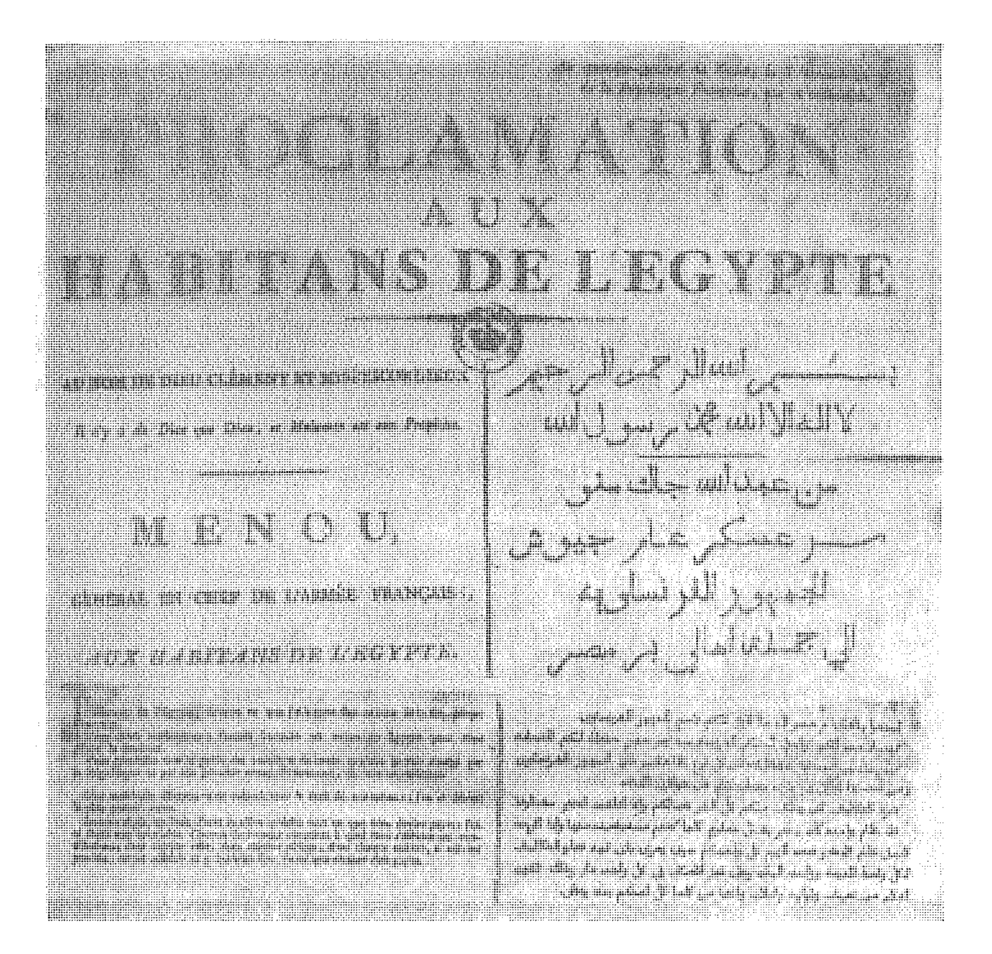
والصوارى العساكر والاة ولاية مصر والمدبر العام ويحتسب
الفردة العامرة فعليهم وعلى تدبيرهم اجراء واظهار هذا الامر
الذى تصير ترجمته بالعربي وتطبع وتعلق وتشاع بالمساجين
فى كل اقاليم وسواحل مصر ❊

مضى

عبد الله جاك منو ❊

❊ طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر القاهرة ❊

شكل رقم (٥٦)



PROCLAMATION
AUX
HABITANS DE LEGYPTE

بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله محمد رسول الله

من عبد الله جاك منو
سر عسكر عام جيوش
الجمهور الفرنساويه
الى جملة اهالى بر مصر

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE FRANÇAISE,

AUX HABITANS DE L'EGYPTE.

شكل رقم (١٥٧)



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 8 brumaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

PROCLAMATION

AUX

HABITANS DE L'EGYPTE.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE FRANÇAISE,

AUX HABITANS DE L'EGYPTE.

HABITANS de l'Egypte, écoutez ce que j'ai à vous dire au nom de la République Française.

Vous étiez malheureux ; l'armée française est venue en Egypte pour vous porter le bonheur.

Vous gémissiez sous le poids des vexations de toute espèce ; je suis chargé par la République et par son premier consul BONAPARTE, de vous en délivrer.

Une multitude d'impôts vous enlevait tout le fruit de vos travaux ; j'en ai détruit la plus grande partie.

شكل رقم (٥٧ب)

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

A TOUS LES HABITANS DE L'EGYPTE,

Les Riches, les Pauvres, les Femmes, les Enfans, les Vieillards, à tous ceux enfin qui craignent Dieu.

من عبد الله جاك منو سر عسكر وامير عام [illegible] دولة الجمهور الفرنساوي بالشرق حالا بمصر

AU NOM DE DIEU CLEMENT ET MISERICORDIEUX,

Il n'y a de Dieu que Dieu, Mahomet est son Prophète.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

HABITANS de l'Egypte, le Koran qui est le livre de justice par excellence, ordonnait le vol dans les points les plus sévères. [illegible] hommes craignant Dieu, les voleurs sont punis par les châtimens les plus terribles.

Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête aux nommés Aly, Mohhammed, Aly-Ahhmed et Ibrahym, voleurs de profession. Depuis long-temps, ces hommes troublaient le repos public; ils attendaient les voyageurs sur les chemins, ils les dépouillaient, et souvent les massacraient. J'ai donc dû leur ôter la puissance de nuire. Ils étaient indignes de vivre; ils ont subi la peine de mort. Tous ceux qui se conduiraient ainsi, seront punis de la même manière. La République Française, et son premier Consul, le Général BONAPARTE, que les grands d'Egypte nomment l'épée de Dieu, m'ont ordonné de veiller sans cesse à votre repos et à votre tranquillité. Je veux, pour obéir à leur ordre, que tous les habitans de l'Egypte puissent voyager de jour et de nuit sans redouter les voleurs, vaquer à leurs travaux et à leur commerce, sans craindre d'être dépouillés, battus et souvent assassinés. Habitans de l'Egypte, dénoncez-moi tous ceux qui voudront porter atteinte aux lois et à votre repos; je les ferai rentrer dans la poussière.

Signé MENOU.

Habitans de l'Egypte, rappelez-vous ce qui est arrivé lors du dernier siége du Kaire. Des hommes pervers vous avaient donné de mauvais conseils, et vous avaient entraînés dans la révolte; votre sang a coulé. Je veux vous éviter de semblables malheurs. Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête au nommé Yousouf, marchand de beurre. Il a voulu exciter le trouble parmi les habitans du Kaire, en publiant à haute voix qu'il ne fallait rien vendre aux Français, parce que les Osmanlis allaient arriver. Les hommes qui veulent exciter du mouvement sont vos ennemis; ils cherchent à vous entraîner à la révolte, parce qu'ils savent bien que la vengeance des Français serait terrible, et que des milliers d'entre vous perdraient la vie. Croyez aux avertissemens que je vous donne; je suis votre meilleur ami. Vaquez à vos affaires, cultivez vos terres, et repoussez tous les mauvais conseils. Tous ceux qui se conduiront comme le méchant Yousouf, seront punis de mort.

Au quartier général du Kaire, le 29 brumaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

Signé MENOU.

[illegible]

امس تاريخه صدر منا امر بتقطيع رأس على ومحمد وعلى احمد وابراهيم الذين كانوا من رجال [illegible] في السرقة [illegible]

[illegible]

عبد الله جاك منو

يا اهالي مصر [illegible] مصر القاهرة [illegible]

[illegible]

تحريرا في [illegible]

[illegible]

عبد الله جاك منو

سر عسكر وامير عام

[illegible] دولة الجمهور الفرنساوي بالشرق حالا بمصر

MENOU, GENERAL EN CHEF,

A tous les Habitans de l'Egypte, les Riches, les Pauvres, les Femmes, les Enfans, les Vieillards, à tous ceux enfin qui craignent Dieu.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, Mahomet est son Prophète.

HABITANS de l'Egypte, le koran qui est le livre de justice par excellence, a défendu le vol sous les peines les plus sévères. Dans tous les pays où il existe de bons gouvernemens et des hommes craignant Dieu, les voleurs sont punis par les châtimens les plus terribles.

Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête aux nommés A'ly, Mohhammed, A'ly-Ahhmed et Ibrahym, voleurs de profession. Depuis long-temps, ces hommes troublaient le repos public; ils attendaient les voyageurs sur les chemins, ils les dépouillaient, et souvent les massacraient. J'ai donc dû leur ôter la puissance de nuire. Ils étaient indignes de vivre; ils ont subi la peine de mort. Tous ceux qui se conduiront ainsi, seront punis de la même manière. La République Française, et son premier consul, le Général BONAPARTE, que les grands d'egypte nomment l'épée de Dieu, m'ont ordonné de veiller sans cesse à votre repos et à votre tranquillité. Je veux, pour obéir à leur ordre, que tous les habitans de l'Egypte puissent voyager de jour et de nuit sans redouter les voleurs, vaquer à leurs travaux et à leur commerce sans craindre d'être dépouillés, battus et souvent assassinés. Habitans de l'Egypte, dénoncez-moi tous ceux qui veulent porter atteinte aux loix et à votre repos; je les ferai rentrer dans la poussière.

Signé MENOU.

Habitans de l'Egypte, rappelez-vous ce qui est arrivé lors du dernier siége du Kaire. Des hommes pervers vous avaient donné de mauvais conseils, et vous avaient entraînés dans la révolte; votre sang a coulé. Je veux vous éviter de semblables malheurs. Hier, j'ai ordonné qu'on tranchât la tête au nommé Youssouf, marchand de beurre. Il a voulu exciter le trouble parmi les habitans du Kaire, en publiant à haute voix qu'il ne fallait rien vendre aux Français, parce que les Osmanlis allaient arriver. Les hommes qui veulent exciter du mouvement sont vos ennemis; ils cherchent à vous entraîner à la révolte, parce qu'ils savent bien que la vengeance des Français serait terrible, et que des milliers d'entre vous perdraient la vie. Croyez aux avertissemens que je vous donne; je suis votre meilleur ami. Vaquez à vos affaires, cultivez vos terres, et repoussez tous les mauvais conseils. Tous ceux qui se conduiront comme le méchant Youssouf, seront punis de mort.

Signé MENOU.

Les nommés Antoine Latouche, François Difraix, Jean Orphelin, chasseurs à la 4.e demi-brigade légère, désertés le 27 brumaire, seront arrêtés par-tout où on les trouvera, et renvoyés à leur corps en garnison au Kaire.

Le Général de Division, Chef de l'Etat-major général, Signé LAGRANGE.

L'Adjudant général, Sous-Chef de l'Etat-major général,

8 IA 63

René

شكل رقم (٥٩)

الجمهورية الفرنساوية

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

AUX HABITANS DU KAIRE ET DE TOUTE L'EGYPTE.

من عبد الله جاك منو سر عسكر الجيوش الفرنساوية بمصر

Au Quartier-général du Kaire, le 15 frimaire an 9 de la République Française.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

Habitans du Kaire et de toute l'Egypte, je vous ai déjà dit plusieurs fois que je ne punissais que les méchans et les hommes qui ne craignaient pas Dieu et son prophète; je vous ai dit que je punissais de mort les assassins et les voleurs, parce que je voulais qu'en Egypte chacun pût vaquer à ses affaires et à son commerce, sans craindre d'être volé ou assassiné.

Je vous le répète encore, la République Française et le premier consul, le célèbre guerrier BONAPARTE, m'ont ordonné de vous gouverner avec douceur, justice et humanité. Ayez donc confiance en mes paroles et en mes promesses. Que ceux qui se conduisent avec un cœur droit et vertueux, vivent dans la paix et la tranquillité; que les méchans, les voleurs et les perturbateurs du repos public tremblent; je les vois, je suis leurs pas, je connais leur démarche.

Habitans du Kaire et de toute l'Egypte, je vous invite à cultiver vos terres et vos jardins. Je vois journellement des terreins incultes et abandonnés. Rebâtissez vos murs, raccommodez vos citernes et les machines qui portent de l'eau dans vos propriétés. Fertilisez tous les champs de l'Egypte; n'ayez aucune crainte; par-tout vous trouverez sûreté et protection: je le jure, au nom du Dieu vivant, et de Mahomet son prophète.

Tous les généraux et commandans militaires, ainsi que le directeur général et comptable, et le chef de l'administration de la justice, feront distribuer cette proclamation dans toutes les villes et villages de l'Egypte. Elle sera imprimée à deux colonnes en français et en arabe.

Signé MENOU.

تحريرا في معسكر العام بمصر في ١٥ شهر فريمير سنة ٩ من اقامة جمهور الفرنساوية الموافق في ١٩ شهر رجب سنة ١٢١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

يا اهالي مصر القاهرة وجميع بر مصر قلت لكم مرات عديدة انا انا لا اعاقب الا الاشرار والذين لا خوف لهم من الله ورسوله قلت لكم ايضا انا اعدم بالموت القاتلين والحرامية بما ان مقصودي هو ان كل واحد منكم يقدر على الاقامة باشغاله ومتجره في مصر بلا خوف من القتل والسرقة

فاقول لكم مرة ثانية ان الجمهور الفرنساوي وقنصلها الاول ... امروني ... سياسة هذه المملكة واهاليها وذلك بالانصاف والعدل والرأفة فاعتمدوا في اقوالي ومواعيدي ... الذين يمشوا ... بالتقوى والقلب السليم ولا ... المفسدين والاشرار والسراق انا ... ناظرين ...

فيا اهالي بر مصر ومصر القاهرة اني انبهكم ... اراضيكم وبساتينكم ... في كل يوم اراضي ... متروكة عمروا جدرانها ... والسواقي ... الماء في املاككم ... جميع اطيان بر مصر ... في كل وقت في جميع المواضع الامانة والحماية فاقسمت باسم الله الحي القيوم وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم

انا اوصينا وامرنا الى جميع السر عسكرية ورؤساء العسكر والى مدبر العام ... والى رئيس الشرعية باقرار واشهار هذا ... في البلاد والمداين في اقاليم بر مصر وطبعها ... جهة بلسان الفرنساوي وجهة بلسان العربي والسلام

صحي عبد الله جاك منو

شكل رقم (٦٠)

MENOU,

Général en Chef de l'Armée d'Orient, et y représentant le Gouvernement de la République Française;

Aux Habitans du Kaire et de toute l'Egypte.

من عبدالله جاك منو

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

SOLEYMAN Mohhammed, cheykh el-beled du village et canton de Sonbour en Bahhyreh, s'étant rendu coupable depuis long-temps des crimes les plus atroces, commettant par-tout des vols et des [illegible]. Il avoit rempli d'effroi les provinces de Bahhyreh, de Rosette et de Gharbyeh; [illegible] ment à la révolte de la ville de Damanhour contre les Français, il y a environ deux ans. Là, il se rendit coupable de plus noirs crimes, et [illegible] grande quantité de Français qui le regardoient leur ami. Cet homme réprouvé par Dieu et par son Prophète, méritoit la mort; j'ai ordonné qu'on lui tranchât la tête. Il en arrivera autant à tous ceux qui se conduiront comme lui.

Oh! habitans d'Egypte! que cette punition du coupable Soleyman Mohhammed, vous serve d'exemple! Je suis profondément affligé, quand je suis obligé de punir; mais la justice, qui vient de Dieu, et mes devoirs, l'exigent.

Cette proclamation sera imprimée en français et en arabe, publiée et affichée dans toute l'Egypte. Les généraux et officiers commandant les provinces et les places, la feront répandre dans toute l'étendue de leur commandement.

Au Quartier-général du Kaire, le 20 frimaire an 9 de la République Française.

Signé MENOU.

شكل رقم (٦١)

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

Aux Cheykhs du village el-Qaouet el-Qouddamy, Province d'Attfyèhhly, ABOUKET et BARAKET.

من عبد الله جاك منو سر عسكر
امير عام جيوش دولة جمهور الفرنساويه بالشرق
وبنظام حكومتها ببر مصر
الى المشايخ ابركت وبركت مشايخ بلد قوة القدامي
بولاية اطفيحيه

اما الرجال المكرمين والموجودين لابد لهم دائما اجر افعال خيرهم

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

LES hommes généreux et bienfaisans reçoivent toujours la récompense de leurs bonnes actions. J'ai appris que vous aviez sauvé trois Français qui avaient fait naufrage près du village où vous habitez; que vous leur aviez donné des vêtemens, ainsi que tout ce qui était nécessaire pour leur subsistance. J'ai également appris que vous aviez empêché qu'ils ne tombassent entre les mains de quarante brigands qui voulaient les enlever; que même vous et les habitans de votre village aviez pris les armes pour les défendre, et qu'ensuite vous les aviez conduits à Béni-Souef. Le Gouvernement français est toujours empressé de témoigner sa reconnaissance à ceux qui se conduisent bien. J'envoie à chacun de vous une pelisse, comme gage de mon amitié, et je remets à vous et à votre village le quart des impositions que vous auriez dû payer pour l'année courante. Que Dieu et son Prophète vous donnent de longs jours, et vous fassent jouir de tout le bonheur que vous méritez.

Au Kaire, le 13 nivôse an 9 de la République Française.

Signé MENOU.

بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله محمد رسول الله

ورد لنا خبراً صحيحاً بانكما خلصتما ثلاثة فرنساويه الذي انكسرت مركبهم قريباً لبلدكما وكذلك اعطيتما لهم كسوات وكلما لزم لمعيشتهم وعرفنا ايضاً من غير ذلك انكما منعتما ان لا يخطفوا المذكورين من ايادي اربعين اشرار وقطاع الطريق الذين كانوا طالبين يأخذوهم وانتما واهالي بلدكما سلحتم لحماية الفرنساويه المذكورين من هولاي الاشرار وبعد ذلك ارسلتموهم الى بني سويف امناً وسالماً. انما حكومة دولة جمهور الفرنساويه دائماً تستعجل لمجازاة عاملينها الى كامل من يهتدي بالاستقامة لخدمتها فبناء على ذلك ارسلنا الى كل منكما فروة لانصافكم محبتنا لكما واسقطنا عليكما وعلى بلدكما ربع الرسوم الذي عليكما اداها بسنة تاريخه الله تعالى ورسوله يطولوا ايامكما ويعطوكما وانعم لكما الفرح الذي تستحقانه والسلام

في ١٣ نيفوز سنة ٩ الموافق في ٢٠ شعبان سنة ١٢١٥
[illegible]
عبد الله جاك منو

شكل رقم (٦٣)

A'BD-ALLAH-JACQUES MENOU,

Général en Chef de l'Armée d'Orient, et représentant le Gouvernement de la République Française.

A tous les Habitans, Grands et Petits, Riches et Pauvres, de la ville du Kaire et de l'Egypte.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

DES hommes pleins de méchanceté et d'imposture, et qui ne songent qu'à faire du mal au peuple, répandent dans la ville du Kaire des bruits alarmans: nous vous avertissons que tout individu, de quelque nation et religion qu'il soit, qui sera convaincu d'avoir répandu ou fait répandre des bruits alarmans, sera arrêté sur-le-champ, et aura la tête tranchée au milieu d'une des places du Kaire.

Habitans du Kaire et de l'Egypte, restez tranquilles dans vos maisons, vaquez à vos affaires, et rappellez-vous de mes paroles. Le gouvernement français veille à votre sécurité, comptez sur sa protection; mais il a l'oeil sans cesse ouvert sur tous ceux qui voudraient exciter des mouvemens ou la rébellion. Salut à qui marche dans la bonne voie.

Au Kaire, le 9 ventôse an 9, répondant au 11 chawal an 1215.

Signé MENOU.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٦٣)

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

A tous les Grands et Petits, Riches et Pauvres, à tous les Cheykhs et U'lémas, à tous ceux qui suivent la vraie Religion, à tous les Habitans de l'Egypte enfin, salut.

[illegible]

Au quartier-général du Kaire, le [illegible] ventôse an [illegible] de la République Française, une et indivisible.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

C'EST Dieu qui dirige les armées; il donne la victoire à qui il lui plaît; l'épée flamboyante de son ange précède toujours les Français, et anéantit leurs ennemis. Les Anglais qui par-tout sont les oppresseurs du genre humain, viennent de paraître sur les côtes; s'ils mettent pied à terre, ils seront culbutés dans la mer. Les Osmanlis, poussés par ces mêmes Anglais, font aussi des mouvemens; s'ils s'avancent, ils rentreront dans la poussière des déserts, qui les engloutira.

Vous, habitans de l'Egypte et du Kaire, je vous préviens que si vous vous conduisez, ainsi que le doivent faire des hommes craignant Dieu; si vous restez tranquilles dans vos maisons; si vous vaquez à vos affaires comme de coutume, vous n'avez rien à craindre: mais je vous préviens aussi que s'il arrivait à quelqu'un d'entre vous de vouloir exciter des mouvemens, et de se révolter contre le Gouvernement français, je le jure au nom de Dieu et de son Prophète, sa tête tombera à l'instant. Rappelez-vous ce qui est arrivé lors du dernier siége du Kaire. Le sang de vos pères, de vos enfans, de vos femmes, a coulé dans toute l'Egypte, et principalement dans la ville du Kaire; vos propriétés ont été pillées et ravagées; vous avez été taxés à de très-fortes contributions extraordinaires. Mettez bien dans votre esprit tout ce que je viens de vous dire. Salut à qui est dans la bonne voie, malheur à qui s'en écarte.

Signé MENOU.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

[illegible]

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٦٤)

الحرية التسوية



* الحمد لله وحده *

من صاري عسكر الجنرال بليار قايمقام مصر حالا وحاكم العرضي وعساكرة المنصورة

خطابا الي كافة اهل مصر المحروسة *

طبع بمطبعة الجمهور الفرنساوية بقلعة مصر المحروسة

شكل رقم (٦٥)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 5 Fructidor an 6.

BONAPARTE, GÉNÉRAL EN CHEF,

A AHHMED, PACHA, GOUVERNEUR DE SEID.

En venant en Egypte faire la guerre aux beys, j'ai fait une chose juste et conforme à tes intérêts, puisqu'ils étaient tes ennemis. Je ne suis point venu faire la guerre aux Musulmans : tu dois savoir que mon premier soin, en entrant à Malte, a été de mettre en liberté deux mille Turks qui depuis plusieurs années gémissaient dans l'esclavage; en arrivant en Egypte, j'ai rassuré le peuple, protégé les muphtis, les imans, et les mosquées. Les pelerins de la Mekke n'ont jamais été accueillis avec plus de soin et d'amitié que je ne l'ai fait, et la fête du prophète vient d'être célébrée avec plus de splendeur que jamais.

Je t'envoye cette lettre par un officier qui te fera connaître de vive voix mon intention de vivre en bonne intelligence avec toi, en nous rendant récipro-

شكل رقم (٦٦)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général de Jaffa, le 19 ventôse an 7.

BONAPARTE, GÉNÉRAL EN CHEF,

Aux Cheikhs, U'lemas et Commandans de Jérusalem.

Dieu est clément et miséricordieux.

JE vous fais connaître par la présente, que j'ai chassé les Mamloucks et les troupes de Djezzar pacha, des provinces de Gaza, Ramléh et Jaffa; que mon intention n'est pas de faire la guerre au peuple; que je suis ami du Musulman; que les habitans de Jérusalem peuvent choisir la paix ou la guerre: s'ils choisissent la première, qu'ils envoient au camp de Jaffa des députés pour promettre de ne jamais rien faire contre moi; s'ils étaient assez insensés pour préférer la guerre, je la leur porterai moi-même. Ils doivent savoir que je suis terrible comme le feu

شكل رقم (٦٧)

PROCLAMA

DEL GENERAL BONAPARTE

AGLI ABITANTI DEL GRAN CAIRO

Li 21. Gennaro 1799.

Tradotto dalla Lingua Araba da un Moſcovita.

Queſt' Empio Proclama ſerve, per far vedere maggiormente ai Popoli dell' Italia, fin dove arrivi l'enorme inganno, e l' infame impoſtura della diabolica Nazion Franceſe; e ſerve ancora, per vieppiù aumentare la ſerie delle impoſture, e dell' empie ſcelleraggini di queſto Generale.



IN ROMA; Per il Caſaletti

Con Licenza de' Superiori.

Si vende nella Libreria, che fa cantone nella Strada de' Sediari.

شكل رقم (٦٨)

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANCAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 24 frimaire an 7.

…PARTE, GÉNÉRAL EN CHEF, ORDONNE:

ART. PREMIER.

…inistration de l'enregistrement et des …s délivrera aux propriétaires le titre …antie de leurs propriétés, aussitôt que …tres auront été vérifiés, trouvés en … enregistrés.

II.

…s propriétaires paieront sur-le-champ au … le tiers du droit d'enregistrement, et …nt pour le paiement du surplus, …obligations par moitié, payables à … jours de date l'une de l'autre, en sorte … totalité du droit soit acquitté dans le … Ces obligations seront versées dans la … du payeur, et recouvrées par lui.

III.

…ministrateurs de l'enregistrement …ont, en outre du titre de garantie, …n arabe, signés de deux d'entr'eux,

من منزل الامير في ٢٤ شهر فريمير سنة ٧ للجمهور

بامر حضرة صاري عسكر الكبير

الشرط الاول

ان قضاة الجمهور ملزومين انهم يسلموا فرامانات غلاق صحة الالتزام والاملاك بعد الكشف عن سنادتهم وصحتهم لاصحابهم

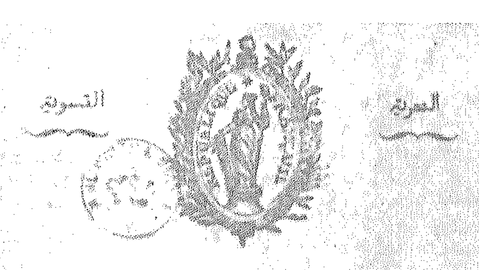
الشرط الثاني

واصحاب الالتزام يدفعوا الي قضاة الجمهور من المعلوم الذي يطلع عليهم اقل مايكون الثلث والذي يتبقا الثلثاين يكتب بـه تمسك يدفعوا نصفه بعد مضي خمسة عشر يوم والنصف الثاني بعد خمسة عشر يوم ثانيين يكون جميع المال للغلاق شهر ثلاثين يوم والتمسكات يوضعوا تحت يد الخازندار والمذكور يطالب بهم

الشرط الثالث

وقضاة الجمهور يعطوا الي الملتزمين اوراق الافراج والتصرف بختمهم لاجل

شكل رقم (٦٩)



الشرط الفرنساويه

تقريرات بمنزل الحكم العام بمصر في ٥ شهر بريريال سنة ٧

بونابرته ساري عسكر

الشرط الاول

ان مستاجرين البلاد بالولاية المصريه يقلقسوا مال الايجارس ابتدا بيوم تاريخه الي ٥ شهر سيدور

الشرط الثاني

ان كل المستاجرين الذين لم يكونوا غلقوا في ثلاثين شهر جرمينال الماضي الثلثين من مال ايجارهم فيدفعون زيادة خمسة في الماية عن المال المتبقي عليهم

الشرط الثالث

ان الذين لم يكونوا غلقوا كامل ما عليهم من مال الايجار في ٥ شهر سيدور يدفعون زيادة عن مال ايجارهم عشرة في الماية عن المبلغ المتبقي عليهم في هذا الميعاد واذا فات هذا الميعاد امضي ٥ في شهر سيدور فيضاف عليهم زيادة علي المبلغ المتاخر عليهم واحد في الماية كل يوم يتاخروا فيه عن الدفع

الشرط الرابع

ان الوزير مدبر الصدود يبتدي من اول يوم من الشهر الذي يصير علم بيان كامل ما يتبقي من المال علي كل مستاجر من الزياده التي تناصص بها نظير التاخره في غلاق المال حكم ما شرح في الشروط السابقة

الشرط الخامس

ان كامل مال البلاد المستاجره التي لم تغلق مالها من المستاجرين في ٥ شهر سيدور تنظبط وتحصل مالها الي ديوان الجمهور كباقي البلاد

الشرط السادس

ان كل المستاجرين الذين لم يكونوا دفعوا المال في مواعيده المقرره في ايجارهم ويثبت انهم قبضوا مال البلاد التي استاجروها سيمسوا وتوزع كامل تعلقاتهم الي ان يكونوا دفعوا كامل ما عليهم

الشرط السابع

ان قضاة الجمهور يرسلون في اول يوم من ترميدور الي وكلائهم المقيمين بالولايات توابعه باسما المستاجرين الذين تناصصوا علي موجب الشرط الخامس المشروح اعلاه

الشرط الثامن

ان هذا الامر سيطبع في المطبعة الفرنساوي باللغة الفرنساوية والعربيه والوزير مدبر الصدود ملتزم بتنفيذ هذا الامر

سطره بونابارته

وهذه نسخة مطابقة الي الامر المبلوز من سري العسكر العام

بيبيلك مدبر الصدود العام بمصر حالا

طبع بمطبعة مصر المحروسة

شكل رقم (٧٠)

REGLEMENT

TARIF.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٧١)

LIBERTÉ  ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

LE GÉNÉRAL DE DIVISION

KLEBER,

COMMANDANT LES TROUPES D'ALEXANDRIE ET DE SON ARRONDISSEMENT,

Considérant que l'humanité réclame, pour éloigner la peste, l'emploi des moyens qu'une longue expérience a fait regarder comme les seuls propres à prévenir ce fléau,

Ordonne ce qui suit :

Article Premier.

Tout Capitaine de navire ancré dans le port, ayant encore des marchandises venant du Levant, et sur-tout des toileries, laines, cotons et autres objets de fabrique, est tenu d'en faire la déclaration dans les vingt-quatre heures pardevant l'Administration sanitaire, et ne pourra en faire le débarquement sans le permis de cette Administration.

II.

Sont assujétis à la même déclaration les marchands ou fripiers qui auraient acheté des marchandises venant du Levant, sur-tout pour celles restées en balles, sous peine d'être lesdits marchands ou fripiers poursuivis rigoureusement, s'il se manifestait dans leur maison quelqu'accident de peste, et s'ils négligeaient de faire la déclaration ci-dessus ordonnée,

Fait à Alexandrie, le 24 Messidor, an 6 de la République Française.

KLEBER.

صدر هذا الأمر من طرف حضرة الجنرال قليبر امير الجيوش الفرانساويه الموجودين في اسكندريه وحاكم البلد المزبوره ۞

وذلك بسبب ابعاد الطاعون المهلك للناس موجبة عليهم باعمال الاطوار القويه وبالاحتراس المحض لاجل منع البليه المذكوره عن اسكندريه والامر المزبور على المادتين ۞

المادة الاولى

جميع قباطين المراكب الموجودين في المينه ان كان عندهم ارزاق واشيا منقوله من بلاد العثمانيه وخصوصا المتاع بتاع الصوف والقماش والقطن وخلافه فواجب على القباطين المزبورين ان يعلموا بها المحافظين على منع الطاعون في ظرف اربعه وعشرين ساعه وما احدا منهم يخرج المتاع المزبوره شيا الا باذن المحافظين المزبورين ۞

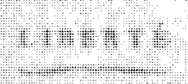
المادة الثانيه

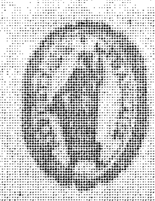
ان جميع التجار اصحاب الدكاكين وغيرهم اذا كانوا اشتروا من الارزاق المذكوره المنقوله من بلاد العثمانيه خصوصا اذا كانت الارزاق المذكوره مربوطه او محشوه في غرايز يحتاج انهم يعلموا بذلك المحافظين المذكورين بحكم القباطين في المادة الاولى واذا لم يمتثلوا للامر وظهر الطاعون في بيتهم يحصل لهم التعذير الصعب ۞

تحريرا بمعسكر اسكندريه في اليوم رابع وعشرين من شهر ماسيدور لسنة سادس من اقامة الجمهور الفرانساوي يعني في اواخر المحرم سنة ١٢١٣ ۞

A ALEXANDRIE, DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

شكل رقم (٧٢)





ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

PLACE D'ALEXANDRIE.

ARTICLE PREMIER.

ART. II.

ART. III.

ART. IV.

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE D'ALEXANDRIE.

شكل رقم (٧٣)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

ARTICLE PREMIER.

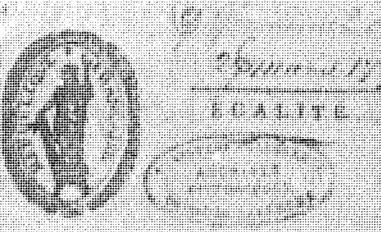
[illegible]

MARMONT.

BORNET.

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE D'ALEXANDRIE.

شكل رقم (٧٤)

LIBERTÉ   ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

شكل رقم (٧٥)

CONVENTION

POUR

L'EVACUATION DE L'EGYPTE,

PASSÉE entre les citoyens DESAIX, *Général de Division, et* POUSSIELGUE, *Administrateur général des Finances, Plénipotentiaires du Général en Chef* KLEBER ;

Et leurs Excellences MOUSSTAFA RACHYD, EFENDY *Defterdar, et* MOUSSTAFA RASYCHIE, *Efendy Reys el-Kouttab, Ministres plénipotentiaires de son Altesse le suprême* VISIR.

هذه صورة

ARTICLE PREMIER.

الشرط الأول

الشرط الثاني

ART. XV.

ART. XVI.

الشرط الخامس عشر

الشرط السادس عشر

شكل رقم (٧٦)

TRADUCTION

ARABE

De l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, du 8 floréal an 8, relatif à la suppression de l'Administration générale des Finances de l'Egypte.

امر من حضرة صاري عسكر العام كليبر
امير الجيوش الفرنساويه *

الشرط الاول

لم يبقى مدبر الحدود كمثل الاول بالاقاليم المصريه

الشرط الثاني

الخزندار العام هو [illegible] متعلقة

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.



REPUBLIQUE FRANCAISE.

Au Quartier-général au Kaire, le 8 Floréal an 8 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour, du 1.er floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 2 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 3 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 4 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 5 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 6 floréal an 8. Rien de nouveau.
Ordre du jour, du 7 floréal an 8. Rien de nouveau.

Ordre du jour, du 8 floreal an 8.

KLEBER, GÉNÉRAL EN CHEF, ORDONNE:

ART. I.er Il n'y aura plus d'administration des finances en Egypte.

II. Le payeur général (*le citoyen Estève*) demeure spécialement chargé de la direction des revenus publics. Il réglera et vérifiera les comptes des recettes de la *contribution générale* dont il sera parlé à l'art. IV ci-après, et de celles des *douanes*, du *myry des propriétaires*, du *droit de l'enregistrement*, des *domaines nationaux*, de la *monnaie du Kaire*, et des différens droits connus sous le nom d'*adjudications*.

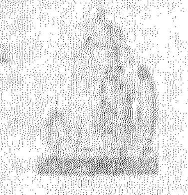
III. Les agens français sont supprimés. Le payeur général pourra néanmoins les employer, soit comme *payeurs*, soit comme *douaniers*, selon qu'il le jugera convenable. Ils lui rendront tous, dans le plus court délai possible, le compte général et détaillé de leurs opérations, depuis leur entrée en fonctions.

IV. Les contributions et droits quelconques en argent, tels que le *myry*, le *fays*, le *barany*, le *mabarre*, le *kouchoufié*, etc., des provinces de l'Egypte non concédées, ne seront plus connus, à partir de l'an 1214 de l'hégire, que sous la dénomination générique de *contributions générales en argent*.

V. LE GÉNÉRAL EN CHEF déterminera, chaque année, en raison de la crue du Nil, de son inondation, et du produit des terres, la somme à laquelle la contribution générale en argent devra être portée.

VI. Immédiatement après la fixation de la contribution générale en argent, l'intendant général copte présentera à l'approbation du Général en Chef, la répartition qu'il conviendra d'adopter dans les provinces, afin qu'elle soit perçue sans aucune espèce de déduction, et en raison de la fertilité de chacune d'elles et des différens droits qu'elles payaient antérieurement.

شكل رقم (٧٨)



الموسيو بوسيلك مدير [illegible]

[illegible]

الباب الاول

ان قلم [illegible] الاقلام المتعلقة به التي بيانها [illegible] الى المعلم [illegible] بمبلغ [illegible] مدة سنة كاملة

الباب الثاني

انما نحتم على المستاجرين تحت قصاص
يوازى ذنبهم ان لا يقبضوا عن الاقلام
الماجرة لهم بموجب هذا الايجار زيادة عن
قبض السنة الماضية وحواليها ولما فرض انه
قد تقرر في هذا الايجار بعض عوايد لم لها

E. POUSSIELGUE,
Contrôleur des dépenses de l'Armée et Administrateur général des Finances de l'Egypte.

ADJUDICATION

Du droit [illegible] *et autres droits y réunis.*

ARTICLE PREMIER.

Le droit d[illegible] et les autres droits réunis, tels qu'ils sont détaillés ci-après, sont affermés à [illegible], pour la somme de [illegible] pour un an.

Les adjudicataires, sous peine d'une amende proportionnée au délit, ne pourront percevoir les droits affermés par la présente adjudication, que de la même manière et en même quotité qu'ils étaient perçus l'année précédente; et dans les cas où la présente adjudication comprendrait des droits qui ne faisaient pas partie de

شكل رقم (٧٩)

AVIS.

Conformément à l'Ordre du Général en Chef, inséré dans l'Ordre du jour du 29 floréal courant, qui prescrit la vente des marchandises et denrées existant dans les magasins de la douane à Alexandrie, le Comité administratif prévient l'Armée et les habitans de l'Égypte, que le 20 du mois de prairial prochain il sera procédé à la vente à l'encan des objets ci-après désignés, dans la ville d'Alexandrie ;

SAVOIR :

Amandes,
Alizary (racine pour la teinture),
Amadou,
Beurre,
Bottes et Babouches neuves et vieilles,
Bouquins de pipe,
Bonnets de laine,
Bonnets de fil,
Caviary (oeufs salés de poisson),
Crin,
Cochenille,
Châle anglais,
Cuivreries,
Confitures,
Camardine (fruit travaillé),
Draps,
Eau-de-vie,
Figues sèches,
Fromages,
Fernambouc (bois de teinture),
Flanelle grossière,
Girofle,
Halaouah (confiture),
Haricots,
Huile d'olive,
Habillemens turks,
Harnois turks de chevaux,
Indigo,
Mousselines peintes,
Miel,
Moût de raisin,
Matériaux pour faire des bandes,
Noisettes,
Noix,
Noix de pipes,
Olives,
Oignons,
Peignes et cuillers,
Poissons salés,
Pipes (tuyaux),
Plats de terre,
Peaux de chagrin,
Quincailleries,
Raisins secs,
Résine colofane,
Soie,
Tabacs,
Toiles de soie,
Tasses à café,
Tapis,
Toiles de coton,
Vin.

La vente sera présidée par le citoyen Baude, membre du Comité administratif; elle se fera au comptant ou en bons de caisse du payeur général : il ne sera reçu aucune pièce de dépense en paiement.

Les acquéreurs pourront transporter dans quelque lieu de l'Égypte que ce soit les marchandises qu'ils auront achetées.

Signés DAURE, LE ROY, ESTEVE, BAUDE et REYNIER.

شكل رقم (٨٠)

LE GÉNÉRAL DE DIVISION

BELLIARD,

Commandant le Kaire et les Troupes de l'Arrondissement,

Aux Habitans du Kaire, de toutes les Religions.

Par la volonté de Dieu tout puissant, la paix vient de se conclure entre les armées françaises, anglaise et ottomanes ; mais par cet arrangement vos personnes, vos religions, et vos propriétés ne cesseront d'être respectées : les trois puissances en prennent l'engagement formel, comme vous pouvez en juger par les deux articles du traité de paix transcrits ci-après :

ART. XII.

« Tout habitant de l'Égypte, de quelque nation qu'il soit, qui voudra suivre l'armée française, sera libre de le faire, sans qu'après son départ sa famille soit inquiétée, ni ses biens confisqués. »

ART. XIII.

« Aucun habitant de l'Égypte, de quelque religion qu'il soit, ne pourra être inquiété ni dans sa personne, ni dans ses biens, pour les liaisons qu'il aurait eues avec les Français pendant leur occupation de l'Égypte, pourvu qu'ils se conforment aux lois du pays. »

Habitans du Kaire et de l'Égypte, de toutes les religions, vous voyez que jusqu'au dernier moment les Français n'ont cessé de veiller à votre repos et à votre sûreté : montrez-vous dignes de tout ce que nous avons fait pour vous, en ne vous écartant pas de la bonne voie ; songez toujours que Dieu est puissant, que c'est lui qui dirige toutes choses.

Le Général de Division,

Signé BELLIARD.

À LA CITADELLE DU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٨١)

CONVENTION

POUR

L'ÉVACUATION DE L'ÉGYPTE

PAR LE CORPS DE TROUPES

DE L'ARMÉE FRANÇAISE ET AUXILIAIRES

AUX ORDRES

DU GÉNÉRAL DE DIVISION BELLIARD,

Conclue entre les Citoyens DONZELOT, *Général de Brigade;* MORAND, *Général de Brigade;* TAREYRE, *Chef de Brigade, de la part du Général de Division* BELLIARD;

Et Monsieur le Général de Brigade HOPE, *de la part de son Excellence le Général en Chef de l'armée anglaise;* OSMAN *Bey, de la part de son Altesse le suprême Visir; et* ISAAQ *Bey, de la part de son Altesse le Capitan* PACHA.

LES commissaires ci-dessus nommés s'étant réunis dans un lieu de conférence entre les deux armées, après l'échange de leurs pouvoirs respectifs, sont convenus des articles suivans :

ART. I.er Les corps de l'armée française de terre et de mer, les troupes auxiliaires, aux ordres du général de division Belliard, évacueront la ville du Kaire, la citadelle, les forts, Boulaq et Gyzéh, et toute la partie de l'Egypte qu'ils occupent dans ce moment.

II. Les corps de l'armée française et les troupes auxiliaires se retireront par terre à Rosette, en suivant la rive gauche du Nil, avec armes, bagages, artillerie de campagne, caissons et munitions, pour y être embarqués et de là être transportés dans les ports français de la méditerranée, avec leurs armes, artillerie, caissons, munitions, bagages, effets, aux frais des puissances alliées. L'embarquement desdits corps de troupes françaises et auxiliaires devra se faire aussitôt qu'il sera possible de l'effectuer, mais au plus tard dans cinquante jours, à dater de la ratification de la présente Convention. Il est d'ailleurs convenu que lesdits corps seront transportés dans lesdits ports du continent français par la voie la plus prompte et la plus directe.

شكل رقم (٨٢)

BELLIARD,

GÉNÉRAL DE DIVISION,

COMMANDANT LA PLACE DU KAIRE.

INSTRUCTION

AUX COMMANDANS DE SECTION.

شكل رقم (٨٣)

الحريه   التسويه

في مقام المصر معسكر العام بمصر القاهرة في [illegible] من السنة التاسعة من قيام دولة جمهور الفرنساويه واحد ولا ينقسم

صدر هذا الامر اليومي
من حضرة عبد الله جاك منو سر عسكر عام
وامير جيوش
الجمهور الفرنساوي بالشرق

وهو انما نويها على استمرار الزاد والزواد الى الجيوش الذين يكونون ويسيرون معهما هم في وسط الولايات بحيث ان لا [illegible] الى اهالي الولايات شيئا من الضرورات وقد امرنا بما يلي بيانه

المادة الاولى • كل جماعة او فرقة من اي جنس كانت من عسكر جيوش الفرنساويه وهي سايرة في وسط الولايات المصريه فلتحمل دايما معها زادا وزوادا يكفيها اربعة ايام ان كان مسيرها ازيد من هذه المدة

المادة الثانية • ان كان تسيير العسكر ووصولهم في اليوم الرابع الى مدينة او موضع غيره من اي ناحية كانت ويوجد بها مخازن للفرنساويه فليأخذ العسكر المذكور ما يلزمه من تلك المخازن زادا وزوادا يكفيهم لمدة [illegible] حسب المأمور

المادة الثالثة • ان كان العسكر المشاة لم يمر على المخازن او غير مواضع يكون بهم مخازن للفرنساويه [illegible] زادهم الملزوم بشكل الآتي بيانه

المادة الرابعة • حكام العسكر المشاة [illegible] واحد وكيسيال يأمر منه لرؤية تحصيل الاشيا فالوكيسيال المذكور يكون [illegible] له في [illegible] بصحبة وكيسيال ثاني او اكثر حسب امره

المادة الخامسة • ذلك الوكيسيال المذكور [illegible] على الاهالي [illegible] جميع الاشياء اللازمة للعسكر فتلك الرجعات تكون منظورة [illegible] كومندانات الجنرال العسكر المشاة ومعطاة الى المشايخ [illegible] في الوقت [illegible] الى مدير العام المخصوص [illegible] من [illegible] الذين حضروا المطلوبة منه

المادة السادسة • والرجعات المذكورة [illegible] وعلى [illegible] يلزم [illegible] المذكور الناظر [illegible] الكومندانات المذكورين [illegible] ان يرسلها الى مدير العام المخصوص وذلك [illegible]

[illegible] مع الرجعات [illegible] من اهالي البلاد [illegible] مواجبهم

المادة السابعة • ان كان كومساريه الحروب [illegible] الجيوش [illegible] الوكيسيال المذكور [illegible] الذي [illegible] تكون مع [illegible] الجنرال الجيوش اما في كل المواقع الرجعات المذكورة [illegible] كما ذكر وترسل الى مدير العام المخصوص [illegible] في كل رجعة من عدد العسكرية [illegible] الزاد والزواد وغير ذلك اسم البلد وولايتها [illegible] المتعلقة

المادة الثامنة • [illegible] البلاد يردوا الرجعات [illegible] الاشيا المأخوذة منهم [illegible] مدير العام المخصوص

المادة التاسعة • كل [illegible] المذكورة اعلاه [illegible] للعسكر المشاة والركاب وكذلك للاشياء [illegible] لهم وكذلك لما يؤخذ لهم الزاد والزواد من مخازن الجمهور [illegible] لرقابهم [illegible] بعض المواقع [illegible] ان تلك الاشيا [illegible] لهم تحت اوامر الجنرال والوكيسيال امير العسكر [illegible]

المادة العاشرة • الوكيسيال [illegible] كومندانات الولايات والفرق [illegible] روساء [illegible] وكذلك [illegible] والمدير العام المخصوص عليهم وعلى كل واحد منهم على [illegible] اجراء هذا الامر الذي يصير مطبوعا [illegible] الى الوكيسياليه كومندانات عسكر المشاة

المادة الحادية عشر • للمدير العام المخصوص [illegible] في الحال باللسان العربي هذا الامر الذي يرسل [illegible] الى كل الولايات [illegible] لسكانها من [illegible]

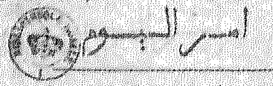
[illegible]

عبد الله جاك منو

شكل رقم (٨٤)

ORDRE DU JOUR

DU 3 VENTOSE AN IX.



أمر اليوم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله ﴾

MENOU, GÉNÉRAL EN CHEF, voulant donner aux peuples de l'Égypte un nouveau témoignage de la générosité et de la douceur du Gouvernement Français, ordonne ce qui suit:

ART. I.er A dater du 1.er ventôse an 9 de la République, qui répond au 6 du mois de chaoual an 1215 de l'hégyre, la liste des émigrés égyptiens est et demeurera fermée.

II. Aucune saisie mobiliaire ou immobiliaire ne pourra avoir lieu pour cause d'émigration.

III. Aucunes visites domiciliaires ne pourront être faites sous le moindre prétexte, mais elles seront permises pour cause de police, de recherche d'armes et de maladies contagieuses.

IV. Pour cause de police, elles seront faites par ordre des généraux et commandans militaires des provinces et des places, et sur la réquisition des tribunaux légalement établis, ou sur celle du chef de l'administration de la justice.

Pour recherche d'armes, elles seront faites par ordre des généraux et commandans militaires des provinces et des places.

Pour cause de maladie contagieuse, elles seront faites à la réquisition des officiers de santé de l'armée, ou à celle des commissions de salubrité publique. Ils s'adresseront à cet effet aux généraux et commandans militaires des provinces et des places, qui ne pourront en refuser l'ordre d'après les réquisitions faites en forme.

V. Des saisies mobiliaires et immobiliaires pourront être faites par sentence des tribunaux légalement établis, ou à la réquisition en forme du chef de l'administration de la justice, qui s'adressera à cet effet aux généraux ou commandans militaires des provinces et places, qui ne pourront en refuser l'ordre.

VI. Des saisies mobiliaires et immobiliaires pourront être faites à la réquisition du directeur général et comptable des revenus publics, et à celle des différens chefs de chaque partie de l'administration des finances, pour cause de détention, de vol, ou de non paiement des deniers publics; ils s'adresseront à cet effet aux généraux et commandans militaires des provinces et places, qui ne pourront en refuser l'ordre.

VII. Aucun individu, de quelque nation ou quelque religion qu'il soit, ne pourra être forcé à abandonner sa maison ou partie de sa maison, pour la céder à un autre individu, sans une nécessité indispensable, qui ne pourra avoir d'autre motif que celui de l'intérêt public; et dans ce cas, une indemnité préalable sera toujours déterminée.

VIII. Aucune démolition de maison ne pourra avoir lieu, soit pour construire des fortifications, soit pour ouvrir des communications, chemins, rues et canaux, sans un ordre du GÉNÉRAL EN CHEF qui autorisera à cet effet les chefs des travaux militaires et civils, et qui ordonnera des indemnités convenables, soit en nature, soit en argent.

IX. Les généraux et commandans militaires des provinces et places, les chefs de l'administration de la justice, et le directeur général et comptable des revenus publics, sont chargés, chacun dans ce qui le concerne, de l'exécution stricte du présent ordre, qui sera traduit en arabe, imprimé, publié et affiché dans les deux langues, et envoyé dans toutes les parties de l'Égypte.

Signé MENOU.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٨٥)

ORDRE DU JOUR DE LA PLACE,

DU 29 PLUVIOSE AN IX.

A compter d'aujourd'hui toutes les Cantines, autres que celles des corps, seront fermées ; les chefs de corps muniront leurs cantiniers d'un certificat qui sera présenté au Général commandant la place, pour obtenir le visa ; ces cantiniers pourront vendre des comestibles et du café, mais ne débiteront sous aucun prétexte de l'eau-de-vie. Les billardiers et maîtres cafetiers, environnant la place d'Ezbékyéh, continueront, comme par le passé, à avoir leurs billards et cafés ouverts jusqu'à dix heures du soir ; ceux situés dans l'intérieur de la ville ne pourront jouir de ces prérogatives sans avoir obtenu de nouveau une autorisation du Commandant de la place ; et il est défendu aux uns et aux autres, jusqu'à ce qu'il en soit autrement ordonné, de débiter de l'eau-de-vie.

Aucun individu mort subitement ou accidentellement ne peut être enterré sans avoir été préalablement visité, et le lieu de sa sépulture n'aura jamais lieu dans l'intérieur de la ville. Tout contrevenant à l'exécution du présent Ordre, sera arrêté, payera une amende de cinquante livres, et sera envoyé pour un mois aux prisons de la citadelle.

Les généraux, les commandans de sections, commandans de Gyzeh, du vieux Kaire et de Boulaq, ainsi que les chefs des corps seront chargés de l'exécution stricte du présent Ordre.

Le Général de Division commandant la place et arrondissement ;

Signé BELLIARD.

Pour copie conforme au registre d'ordre ;

L'Adjudant commandant, chef de l'état major ;

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (١٨٦)



نسخة ورقة

هذه ورقة ترتيب الاوامر اليومية

للسلطنة الاحكام المدنيه

حررًا بمصر القاهرة فى ٢٠ شهر بلوبوز سنة ٩

انه من حين يوم تاريخه كامل المعاصر
عدا خاصين بجمهور العسكر لابد من قفلها
فسوارى الارط يلاحظون اصحاب المعاصر
المختصه بهم بحيث يقتضى ان يعرض على
قيمقام البلد ليمضى عليه واصحاب هذه
المعاصر مباح لهم ان يبيعوا كما هو الماكل
والقهوه ايضا ولكن بابها استدار كان يعتذرون
به لا يباح لهم ان يبيعوا عرق ثم ان
اصحاب الدكاكين التى يلعبون فيها
بالكنك وكذلك القهاوى التى حول
بركة الازبكيه يسهرون كما فعلوا فيما سبق
على انهم يتعاطون بلعب الكنك وبافتتاح
القهاوى حتى الى الساعة عشرة من الليل
واما محل الملاهى الموجودة داخل البلد
لا يباح لهم بهذا الانعام ما لم يخرج لهم
من جديد الاذن بذلك من قيمقام البلد
وقد وقع التصريح على الفريقين المذكورين
بالا يبيعوا عرق ما لم يباح لهم بالاذن
جديدا

وكل من يوجد من الان فصاعدا من
افراد الرعية لا يباح بحقه من ذى قبل
الاطلاع والكشف عليه ولا ينبغى فى محل
من الملاهى التى داخل البلد وكل من
يعاند ام يعارض اجراء هذه الاوامر يقع
عليه القبض ويدفع جريمة خمسين فرنك
عنها نقضه ... ويرفع الى حبس القلعه
مدة شهر زمان

فالجنراليه وحكام الخطوط والحكام الذين بمصر
الجيزة ومصر القديمة وبولاق وروس اورطة
العسكر يهتمون باجراء هذه الاوامر على
التدقيق ۞

ممضى الجنرال بليسار جنرال متفرقة ثم
قيمقام البلد وما يلى القاهرة ۞

على موجب صحة النسخة الاصلية
المحررة بسجل الاوامر ۞

ممضى الحاكم المساعد قيمقامية شيخ
البلد دوشوم ۞

۞ طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة ۞

شكل رقم (٨٦ب)

شكل رقم (١٨٧أ)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.



TARIF DES MONNAIES.

Le Comité Administratif considérant combien il est important de maintenir les monnaies au cours fixé, lors de l'arrivée de l'Armée en Egypte, par le tarif arrêté à Alexandrie le 17 messidor an 6, ci-de[illegible] transcrit;

[illegible] ant encore qu'il est instant [illegible] nuisible au Commerce, ARRÊTE que tout [illegible] convaincu d'avoir donné ou reçu en paiement une monnaie quelconque au dessus de la valeur qu'elle doit avoir, d'après le tarif ci-dessus, sera condamné à [illegible] cinq pour cent du paiement [illegible].

Le présent Arrêté sera imprimé en arabe et en français, publié et affiché dans toutes les villes principales de l'Egypte.

Au Kaire, le 22 thermidor an 8.

Signés, les Membres du Comité Administratif,

DAURE, ESTEVE, LE ROY, REYNIER, BELLIARD, CONTÉ.

APPROUVÉ par le Général en Chef,

Signé MENOU.

COPIE DU TARIF

Arrêté à Alexandrie le 17 messidor an 6.

« Il a été convenu entre les Citoyens SUCY, Commissaire Ordonnateur en Chef; BERTHOLLET et MONGE, Membres de l'Institut national de France; POUSSIELGUE, Contrôleur des dépenses de l'Armée; ESTEVE, Payeur général; MAGALON, Consul général à Alexandrie, Commissaires nommés par le GÉNÉRAL EN CHEF; et EL-HHAGY HHAMYD ABOU-L-RYCH, Marchand; HHAGY ABD EL-OUAHAB EL-HHOUCH Cheykh; et A'LY TCHOURBAGY EL-DAQAQ, Marchand, tous trois établis à Alexandrie, et convoqués exprès; que les monnaies françaises, les monnaies turkes et autres monnaies étrangères, auront cours suivant le tarif ci-après, qui sera en conséquence imprimé tant en arabe qu'en français, et qu'elles devront être données et reçues pour la valeur dudit tarif.

SAVOIR:

EN OR.

	Monnaies du Pays: Parats ou Médins		Monnaies de France: ₶	s.	d.
La Quadruple d'Espagne pour	2352	ou	84	»	»
La demi-Quadruple	1176	ou	42	»	»
Le quart de Quadruple	588	ou	21	»	»
Le huitième de Quadruple	294	ou	10	10	»
Le seizième de Quadruple	147	ou	5	5	»
Le double Louis de France	1344	ou	48	»	»
Le Louis simple	672	ou	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le Sequin de Venise	340	ou	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le Sequin zermahboub du Kaire	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le demi-Sequin	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le Sequin de Constantinople	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Le Sequin de Hongrie et de Hollande	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

EN ARGENT.

	Parats ou Médins		₶	s.	d.
L'Écu de six livres de France	168	ou	6	»	»
L'Écu de cinq livres	140	ou	5	»	»
L'Écu de trois livres	84	ou	3	»	»
La pièce de trente sous	42	ou	1	10	»
La pièce de quinze sous	21	ou	»	15	»
L'Écu de Rome	140	ou	5	»	»
L'Écu simple de Malte	97	ou	3	[illegible]	[illegible]
L'Écu et quart de Malte	84	ou	3	»	»
La double Écu de Malte	134	ou	4	15	8 4/7
Le double et demi-Écu de Malte	168	ou	6	»	»
La Piastre d'Espagne	150	ou	5	7	1 4/7
Le Talary	150	ou	5	7	1 4/7
L'Écu de huit livres de Gênes	186	ou	6	12	10 4/7
L'Écu de six livres de Milan	130	ou	4	12	10 4/7

IL EXISTE QUATRE ESPÈCES DE PIASTRES TURKES.

	Parats ou Médins		₶	s.	d.
La première vaut	120	ou	[illegible]	[illegible]	[illegible]
La seconde	80	ou	2	17	[illegible]
La troisième	60	ou	2	2	10 2/7
La quatrième	40	ou	1	8	6 6/7

PAR CE CALCUL,

	Parats ou Médins		₶	s.	d.
La Livre tournois de compte vaut	28	ou	1	»	»
Le Parat	1	ou	»	»	8 4/7

Nota. Les recettes et dépenses de l'Armée seront comptées en Francs.

A Alexandrie, le 17 messidor an 6 de la République française [illegible], le [illegible] de Mohharram.

Signés SUCY, MAGALON, POUSSIELGUE, ESTEVE, BERTHOLLET, MONGE, EL-HHAGY HHAMYD ABOU-L-RYCH, HHAGY ABD EL-OUAHAB EL-HHOUCH, A'LY TCHOURBAGY EL-DAQAQ.

Pour copie conforme:

Le Commissaire ordonnateur en chef, signé SUCY.

Pour copie conforme:

L'Adjudant général GREZIEU.

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٨٧ب)



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

COPIE DE L'ORDRE

DU GÉNÉRAL EN CHEF

INSÉRÉ DANS L'ORDRE DU JOUR DU 5 FRUCTIDOR AN 8.

31 Août 1800.

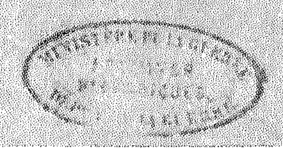
Le Général en Chef, après avoir été instruit par le payeur général, que depuis l'arrivée des Français en Égypte les cheykhs el-beled ne se sont pas acquittés de la contribution personnelle que, sous le nom de présens, ils étaient depuis un temps immémorial en usage de payer annuellement au gouvernement, pour en obtenir la confirmation de leurs charges;

Considérant que le trésor de l'armée a été frustré d'un droit qui lui était légitimement dû; et que ces cheykhs n'ayant pas obtenu le firman qui leur était nécessaire de la part des Français,

﴾ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

ان حضرة السرى العسكر العام من بعد ان عرف من الخزندار العام واخبره بان مشايخ البلاد من حين دخول الجمهور الفرنساوي بمصر ما دفعوا ما كان مفروضه عليهم يدفعوه الشي الذي كل شخص منهم على ما جرت به العادة من قديم الزمان يلزمه ان يدفعه باسم تقادم في كل سنة للحكام وذلك حتى ان يلبسوهم ويقروهم بوظيفتهم

واعتبر ايضا سرى العسكر العام المذكور ان خزينة الجمهور السلطانية قد خسرت هذه المداخيل التي كانت تورد اليها وحق لها شرعا ودينا وان المشايخ



شكل رقم (٨٨)

REPUBLIQUE FRANÇAISE

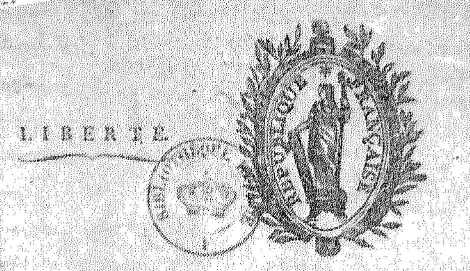
FIRMAN

بسم الله الرحمن الرحيم

صدر هذا الفرمان

الجنرال عبد الله جاك منو

شكل رقم (٨٩)



LIBERTÉ — EGALITÉ

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, *inséré dans l'Ordre du jour du 16 fructidor an 8.*

۞ امر لترتيب دواوين الكمرك تحريرًا في ١٦ شهر فروكتيدور سنة ٨ للمشيخة الفرنساويه ۞

Le Général en Chef, considérant combien il est important d'établir d'une manière uniforme et invariable les droits que doivent payer au trésor public les productions et marchandises importées en Egypte, ou exportées de ce pays à l'étranger;

Considérant aussi q'ils ne peut être trop pris de mesures pour raviver le commerce, et donner toute sûreté et protection aux négocians de tous les pays;

Considérant encore que les Egyptiens, devenus Francais, doivent trouver dans leurs relations commerciales la même bienveillance, les mêmes encouragemens que les Français eux-mêmes, ordonne ce qui suit:

Ordre sur les douanes, du 16 fructidor.

حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه نظرًا الى الامور الضروريه واللازمه ان العوايد المطلوبه الى الخزنه على البضايع الداخله فى اقطار مصر وعلى البضايع الخارجه من الاقطار المصريه المتوجهه الى غير بلاد يكونوا مترتبين ترتيب واحد فقط من غير تغيير دايمًا

ايضًا نظرًا الى التدبير اللازم لاجل قوام المتجر ولاجل الامان والاطمان الى التجار من جميع الجنوس ۞

وايضا نظرًا ان اهل اقطار مصر الذين صاروا فرنساويه لازم ان كامل متاجرهم تكون بالاكرام والمساعده كمثل الفرنساويه ذاتهم يامر كما هو مشروح ادناه ۞

A

شكل رقم (٩٠)



COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 24 fructidor an 8.

* امر من حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٢٤ شهر فركتيدور *
سنة ٨ من المشيخة الفرنساويه *

Le Général en Chef, voulant remédier aux abus qui se commettent dans le recouvrement de plusieurs droits sur les consommations intérieures de l'Egypte ;

Considérant qu'il ne peut être trop pris de mesures, soit pour réprimer tout ce qui, sans bénéfice pour la République, accable le peuple, soit pour imprimer une marche régulière à l'administration des revenus publics en Egypte, ordonne ce qui suit :

ART. I.er Une partie des droits existant en Egypte sur la consommation ou l'industrie, et perçus jusqu'à aujourd'hui, sera abolie à dater du 1.er vendémiaire an 9.

La forme de perception des *hhamleh*, ou droits sur les marchés des villes ou

حضرة سارى عسكر الكبير لاجل دوا فى
الظلم الذى صاير فى قبض العوايد على
الماكولة فى قلب الديار المصرية
ونظرا ان من اللوازم قوى التدبير لاجل
منع جميع الذى من غير نفع الى الجمهور
ويثقل على الرعايا ولاجل ترتيب مساوى فى
مدخول الاموال فى الديار المصرية يامر كما هو
ادناه
الشرط الاول ان بعض من العوايد
الموجودين بالديار المصرية على الماكولة ومن
الشطارة المقبوضين على حد تاريخه من ابتدى
اول شهر وندميير سنة ٩ يكونوا بطالين
وقبض الدمل فى الارياف والبنادر يتغيروا
من ابتدى التاريخ المذكور

Ordre du jour du 24 fructidor, sur l'Octroi.

شكل رقم (٩١)



LIBERTÉ ÉGALITÉ

شكل رقم (٩٢)



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Copie de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, *inséré dans l'Ordre du jour du 20 fructidor an 8.*

أمر من حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٢٠ شهر فروكتيدور ٨ سنة من المشيخه الفرنساويه

Le Général en Chef, voulant établir la plus grande liberté dans le commerce, et laisser un libre cours à l'industrie des habitans ;

Considérant aussi que plusieurs familles ont été ruinées par le privilège exclusif qui avait été accordé l'année dernière, pour la fabrication des eaux-de-vie ;

Voulant aussi empêcher qu'il ne se commette des abus dans cette fabrication, en y employant des matières nuisibles à la santé, ordonne ce qui suit :

ART. Ier Les droits existant actuellement en Egypte sur l'eau-de-vie, ou sur les matières servant à sa fabrication, cesseront tous d'être perçus à

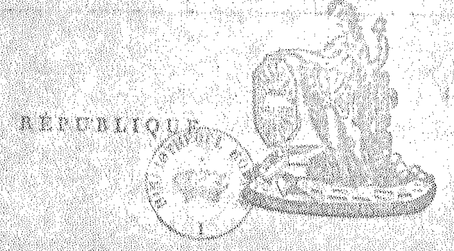
حضرة سارى عسكر الكبير طالب يرتب
الحريه فى المتجر وطالب ان جميع اهل الديار
المصرية يكونوا خالصين فى شغلانهم
ونظرا ان بعض عيال انكسروا بسبب الكلام
الذى كان ترتب عام اول على خرج العرق

وطالب ايضا ان يمنع الغلط الذى يصير
فى خرج العرق بسبب انهم يدخلوا فيه
ما يضر الانسان والعافيه ولاجل ذلك
يامر كما هو مشروح ادناه
الشرط الاول ٠ العوايد الموجوده الان
فى الديار المصريه على العرق وعلى الاصناف
الذى يخرج منهم العرق يكونوا من ابتدى

Ordre du jour du 20 fructidor an 8, sur les fabrications des eaux-de-vie.

شكل رقم (٩٣)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE



COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 16 vendémiaire an 9.

٭ امر من حضرة صاري عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر في ١٦ شهر وندميير
٭ سنة ٩ من المشيخة الفرنساوية ٭

MENOU, Général en Chef, voulant régulariser dans toute l'Egypte les fonctions que remplissent aujourd'hui les individus connus sous le nom de sserafs, peseurs et mesureurs;

Considérant qu'il est instant de faire cesser les vexations que font éprouver aux peuples les hommes dénommés ci-dessus, dont le salaire et les droits qu'ils perçoivent n'ont pas été fixés jusqu'à présent d'une manière invariable, ce qui leur a donné les moyens de toujours abuser de la confiance et de la crédulité des habitans; ordonne ce qui suit:

ART. I.er Tous les sserafs, mesureurs et peseurs, actuellement existant en Egypte, sont, à dater du jour de la publication du présent ordre, entièrement supprimés.

حضرة مـــنـــو صاري عسكر امير الجيوش الفرنساويه طالب يدبر في الديار المصريـــه ويرتب قانون الصنايع من صيارف وقبانيه وكيالين

ونظرًا ان الامور اللازمه ان الظلم الذي يصير من المذكورين يبطل وان العوايـــد والجعوله الذين ياخذوهم لوقت تـاريخه لم تتقرر وبسبب ذلك المذكورين يقدروا انهم يغالطوا ويظلموا المساكين الـسـذج يحضروا يقف يدهم فلاجل منع ذلك يامر كما يقتضي ادناه

الشرط الاول ٭ تنمنع الصيارف والكيالين والقبانيه الذين موجودين الآن في الديـــار المصريه يكونوا بطالين بالمره من ابتدى يوم المناداه واشراح هذا الامر

Ordre du jour du 16 vendémiaire an 9, sur les Sserafs, etc. A

شكل رقم (٩٤)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

FIRMAN

Émané du Général en Chef, visiteurs, administrateurs publics, le Général Abdallah Jacques Menou, adressé à tous les Mesurateurs de l'Égypte, par lequel aucun Mesurateur ne peut être reconnu en cette qualité, ni en exercer les fonctions, sans en être légalement muni.

Le Général en Chef,

Par le Général en Chef,

Le Directeur général et comptable des Revenus publics de l'Égypte,

Le Directeur des Corporations de l'Égypte,

بسم الله الرحمن الرحيم

شكل رقم (٩٥)

LIBERTÉ EGALITÉ



COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 20 vendémiaire an 9.

• امر من حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساويه المحرر فى ٢٠ شهر وندميير سنه ٩ من المشيخة الفرنساويه •

MENOU, général en chef, voulant, d'après les principes de justice distributive, qui doivent faire la base de tout bon gouvernement, que l'imposition soit supportée en partie, par toutes les nations qui établies en Egypte ont droit à la protection des lois, ordonne ce qui suit :

ART. I.er Les nations copte, syrienne et damasquine, grecque, juive, et tous les individus qui, quoique de différentes nations européennes, forment en Egypte un corps connu sous le nom de *francs*, seront annuellement soumises, à dater du 1.er vendémiaire an 9, à une imposition personnelle, dans la proportion suivante ; SAVOIR :

La nation copte, comprenant tous

حضرة سارى عسكر امير الجيوش
على موجب العدل الذى هو اساس الحكم
الطيب يطلب ان العوايد والاموال يكونوا
على جميع الجنوس القاطنين بالديار المصريه
لان كلهم لهم حق فى الحكم وبسبب ذلك
يامر كما هو مشروح ادناه

الشرط الاول • طايفة الاقباط واهل بر
الشام والشوام والاروام واليهود وجميع الانفار
الذين من بعض جنوس افرنج مفهومين فى
الديار المصريه بطايفة الافرنج يكونوا سوى
ملزومين من ابتدا اول شهر وندميير سنه ٩
بدفع اموال خصوصيه وذلك بقدر المبين
ادناه

طايفة الاقباط ومن داخل هذه الطايفه

Ordre du jour sur les Impositions des nations Copte, etc. A

شكل رقم (٩٦)

LIBERTÉ  EGALITÉ

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 20 vendémiaire an 9.

• 12 Octobre 1800.

أمر من حضرة صاري عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساويه المحرر في ٢٠ شهر وندميير سنة ٩ من المشيخة الفرنساويه

MENOU, GENERAL EN CHEF,

considérant que l'impôt doit être, autant que possible, réparti entre tous les habitans de l'Egypte, conformément à leurs facultés;

Que jusqu'à présent les artisans, ouvriers et marchands des principales villes de l'Egypte n'ont pas encore contribué selon leurs moyens au paiement des impositions établies pour subvenir aux dépenses publiques; que cependant ces artisans, ouvriers et marchands jouissent de toute la protection des lois qui les mettent à même de faire leurs affaires et commerce, avec toute sûreté et liberté;

Considérant qu'il est instant de ne plus accabler les cultivateurs et habi-

حضرة منو صاري عسكر الكبير

نظرًا ان العوايد والاموال لازم ان يكونوا مفروضين على جميع اهل الديار المصريه وذلك بموجب مقدرتهم

ونظرًا ايضًا ان الى وقت تاريخه الصنايعيه والمتسببين من البلاد الكبار والبنادر بالديار المصريه لم دخلوا بقدر مقدرتهم في دفع الاموال المطلوبه والمرتبة تحت المصاريف العموميه وهولاء الصنايعيه والمتسببين تحت منفعة الحكم والى وقت تاريخه عملوا شغلهم وبيعهم وشراهم بكل راحه وامان واطمان

ونظرًا ايضًا ان من الامور اللازمه ان الفلاحين واهالي البلاد والارياف يكونوا

Ordre sur les droits des corporations, du 20 vendémiaire. A

شكل رقم (٩٧)

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au nom de DIEU clément et miséricordieux.

Il n'y a pas d'autre Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète : les prières et les saluts lui soient adressés.

PROCLAMATION

Du GÉNÉRAL EN CHEF MENOU, Commandant actuel de l'Egypte, adressée à tous les Habitans du Kaire et des provinces.

Nous vous faisons savoir que nous nous occupons continuellement de votre bien, et de vous donner des preuves de notre amour. Pour cela nous avions diminué bien d'anciens droits que vous payiez ; maintenant nous les avons tous abolis. Nous en avons établi de nouveaux que vous devrez payer. Nous vous avisons que vous n'aurez plus rien à payer aux Aghas ni aux autres Commandans qui avaient des droits, et nous vous ordonnons expressément de ne plus rien leur payer. Vous acquitterez seulement les nouveaux droits aux Français ou autres qui seront porteurs de nos ordres. Nous vous avisons encore que si vous entendez quelqu'un dire que vous payerez plus que vous ne payiez, de ne pas les croire, parce que c'est l'envie et la rage qui les porteront à parler ainsi, et à dire même davantage.

Au Kaire, le sixième jour du mois de vendémiaire an 9 de la République Française.

LE GÉNÉRAL EN CHEF,
Signé MENOU.

Pour copie conforme :

Le Directeur général et comptable des revenus publics,

Signé ESTEVE.

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

من عبد الله جاك منو الحاكم الكبير بمصر
حالا مطلقا وأمنى الى جميع أهالى مصر ودواليها

نعلمكم أنه دايما ونحن مشتغلين بمنفعتكم واصطناع المعروف
معكم على الذى كان يطلب منكم من العوايد قديما فخففناه
عنكم والآن أبطلنا العوايد القديمة وجددنا عوايد هي التي
عليكم فنعلمكم بأنكم لم تدفعوا للأغا ولا لسائر الحكام أرباب
العوايد الذى كنتم معتادين تدفعوا لهم عوايد فقد صدر أمرنا
إليكم أن لا تدفعوا لهم شيئا وتدفعوا العوايد الجديدة الى
الفرنساوية وغيرهم الذى بيدهم فرماناتنا ونعلمكم أيضا أن
كان سمعتم من أحد يقول ما زلتم تدفعوا عوايد أكثر من
ذلك لا تصدقوهم لأنه من الحسد والقهر يقولوا أكثر من ذلك

حرر فى اليوم السادس من شهر وندميار السنة التاسعة من
اقامة جمهور الفرنساوية الموافق فى اليوم التاسع من شهر جمادى
الأول سنة ١٢١٥ الإسلامية

سارى عسكر الكبير حالا
عبد الله جاك منو
صورة مصححة باللغة الواضحة

استيفو خازندار ومدبر حدود العام حالا

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

شكل رقم (٩٨)

7 Nov^r 1800

Au Kaire, le 16 brumaire an 9.

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF.

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله

من عبد الله جاك منو

سر عسكر عام امير الجيوش دولة الجمهور الفرنساوية بر مصر والشرق

Le Général en Chef apprend que plusieurs fermiers des droits établis en Egypte se permettent d'exiger des contribuables au delà de ce que la loi a fixé, et qu'ils exercent des vexations sur les habitans.

Le Général en Chef déclare que ces [illegible] seront protégés dans toutes leurs réclamations justes; mais que ceux qui se permettront d'exiger au delà de ce qui leur est dû, seront arrêtés et traduits devant les tribunaux, pour y être jugés comme malfaiteurs.

Les généraux commandant les provinces et les places, et le directeur général et comptable des revenus publics, sont chargés, chacun en ce qui le concerne, de l'exécution du présent ordre qui sera imprimé, publié et affiché dans les deux langues.

Signé MENOU.

Pour copie conforme :

Le Directeur général et comptable des revenus publics,

Signé ESTEVE.

ان سر عسكر العام بلغه خبر ان بعض من الملتزمين للتكاليف المامورة قانوناً بارض مصر يطلبوا من مستحقيها اكثر ما امر بها الشرع والقانون وان هولاى الاشرة ايضاً يظلموا اهالي البلدان

فلذلك ابين لهم جملاً ان حيثما هم طالبين شيئاً بموجب الشرع والقانون هم هم محميين بكل وجه [illegible] اليوم كل من من الملتزمين يتعدى في اقل ما يكون اكثر من ما يستحق لهم من المستحقين به قانوناً ففي الحال هو ماخوذ ومسوك ومستقدم قدام المحاكمة لاجراء الحكم عليه كما يجري على الاشرار

وسر عسكريه وبالجملة الحكام والامرا بالولايات وبمداين بر مصر وكذلك مدبر العام المستحب عوايد الجمهور فهم بالجملة مامورين منا باجراء هذا الامر الذي يكون مطبوعاً ولاعلانه مشاعاً باللسانين *

امضة سر عسكر العام

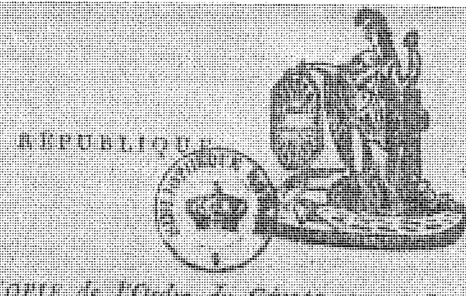
عبد الله جاك منو *

صورة مترجمة صحيحة *

الاسترتدار العام مدبر المدخول

مسيو استيوه *

شكل رقم (٩٩)



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

COPIE de l'Ordre du GÉNÉRAL EN CHEF, inséré dans l'Ordre du jour du 8 nivôse an 9.

امر من حضرة سارى عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساوية المحرر في شهر نيوز
سنة ٩ من المشيخة الفرنساوية

LE GÉNÉRAL EN CHEF, très-satisfait de la conduite des cheykhs el-beled de toutes les parties de l'Égypte, qui s'empressent de payer le [illegible] qui leur a été imposé, et voulant d'ailleurs leur donner un nouveau témoignage de la générosité française, leur accorde un mois de plus pour l'entier paiement du droit; de manière que les amendes, pour ceux qui seront en retard, ne commenceront qu'à dater du 1.er pluviôse prochain, ce qui répond au 6 ramadan 1215 de l'hégire.

ان سر عسكر العام مسرورًا زيادة عن نهايات كافة مشايخ البلاد من كل جوانب بر مصر الذين استعجلوا بدفع الرسم المفروض المرسوم عليهم ولاجل بما ان حضرة السر عسكر يطلب ايضا ليعطيهم شهادة جديدة من مكرمات الفرنساوية فتكرم وانعم اليهم بمهلة شهر زيادة لتكميل اداء وتسليم براقهم الرسم المذكور وبناءً على ذلك ان كل الغرامات للذين هم متاخرين للاداء المذكور لم يبتدوا الا من اول شهر بلوبيوز الاتي بهذه السنة التاسعة الموافق الى سادس شهر رمضان الشريف سنة خمسة عشر ومايتين والف من الهجرة النبوية

Ordre du jour du 8 nivôse an 9, sur les Cheykhs el-Beled.

شكل رقم (١٠٠)

شكل رقم (١٠١)

[illegible]

اما بعد ... نخبركم بخبر ان المرحوم مصطفى اغاة الشراكسة ابن المرحوم مصطفى

اغاة الشراكسة مات قبل دخول الجمهور علينا وعليه ديون كثيرة ومخلفاته

شيء يسير لم يكفي في الديون وله من جملة مخلفاته بيت بحارة عابدين

واراد الورثة ان يبيعوا البيت المذكور لاجل ان يحطوا حقه في الديون والاثاث

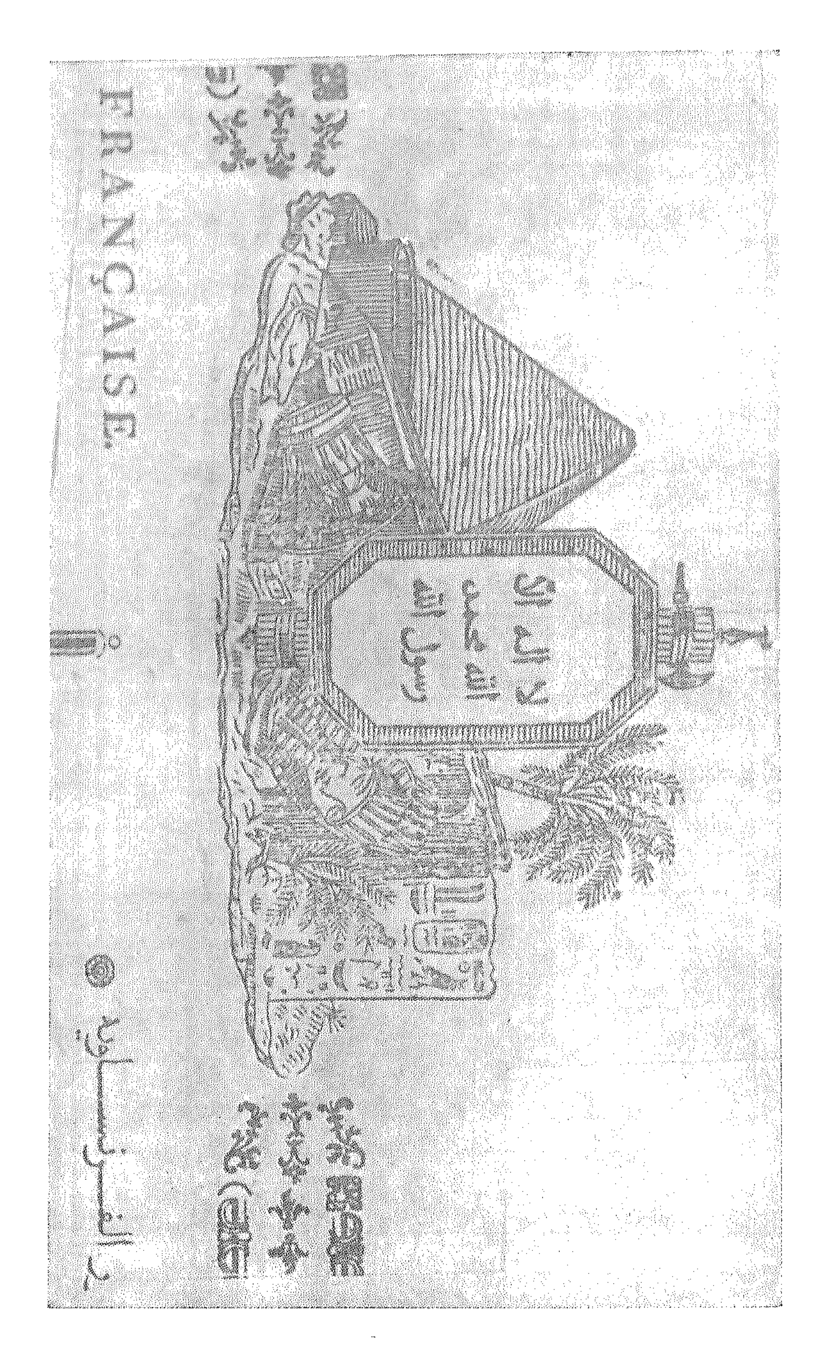
سكنوا في البيت جماعة من عسكر فلما سكنوا [illegible]

على شوائنه البيت [illegible] سكنت العسكر في بيت اخر لاجل

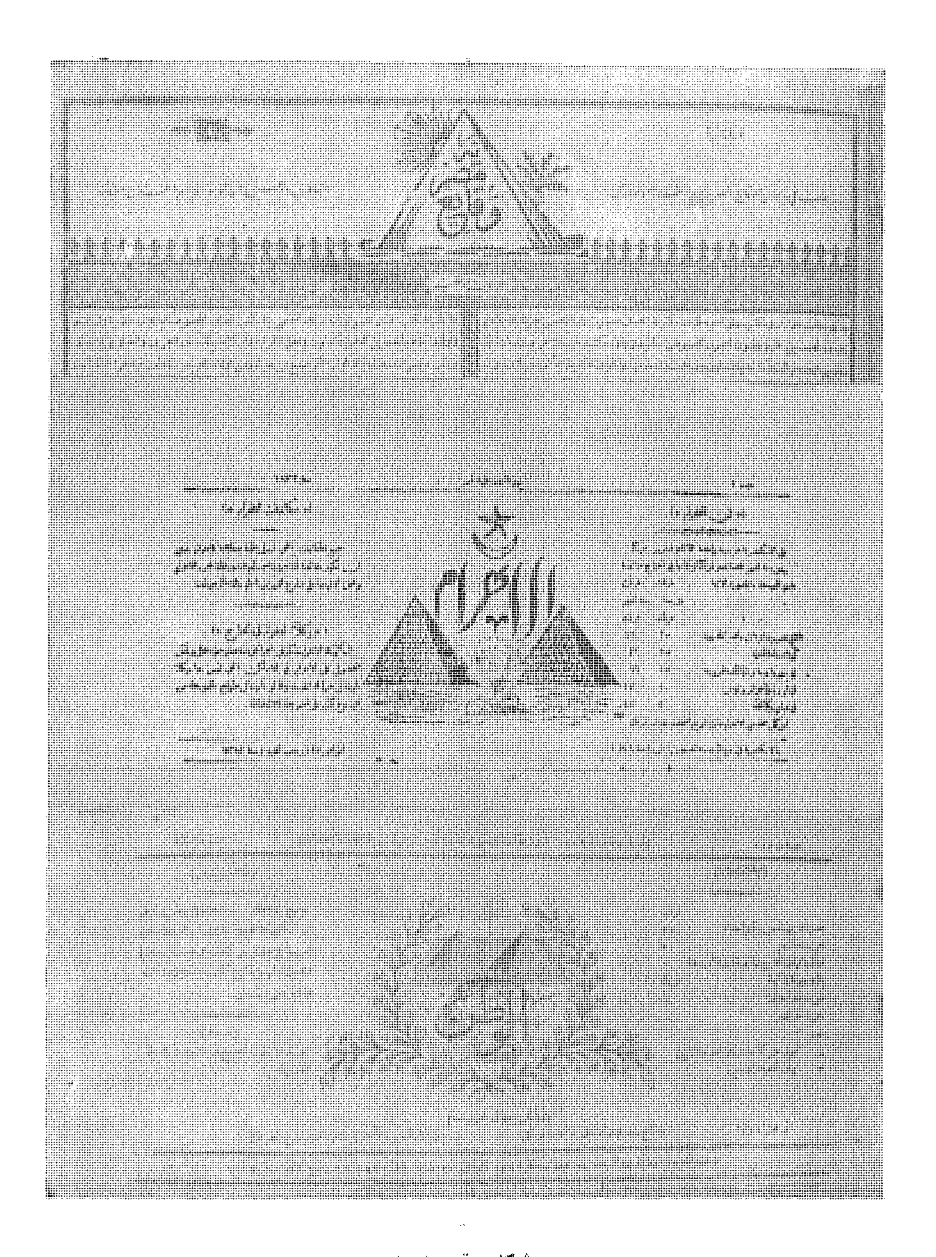
بيع البيت وخلاص ديون الميت [illegible]

١٢١٤

شكل رقم (١٠٢)



شكل رقم (١٠٣)



شكل رقم (١٠٤)



أهم مصادر البحث

● أولا : مراجع أصيلة من عهد الحملة الفرنسية

(١) المنشـــورات العربية والفرنسية ومزدوجة اللغة ، المطبوعة ، التى أصدرتهـا سلطات الحملة للمصريين وغيرهم ٠

(٢) المنشورات العربية الخطية التى أصدرتها سلطات الحملة للمصريين ٠

(٣) الاصول الخطيه لعدد كبير من المنشورات العربيه والفرنسية .

(٤) القرارات والاوامر اليومية المطبوعة التىأصدرتها سلطات الحمـلة بالفرنسية لجنودها .

(٥) التقارير والتقاويم السنوية التى أخرجتها مطابع الحملة بالفرنســة والعربية ٠

(٦) الكتب والكتيبات التى أخرجتها مطابع الحملة بالعربيه والتركية والفرنسية والايطالية .

(٧) مكاتبات ورسائل مختلفة موجهة من المصريين الى سلطا تالحملة .

وهذه المراجع التى كانت المادة الاساسة للبحث، والتى ألحـق عـــدد كبـــير من من صورها بالكتاب ، محفوظة بالجهات الآتية :

١ ـ دار الكتب المصرية ـ القاهـره

٢ ـ دار الوثائق القومية ـ القاهرة ٠

٣ ـ دار الوثائق القومية ـ باريس

٤ ـ قسم الوثائق التاريخية بادارة المحفوظات التابعة لوزارة الحربية الفرنسية ـ باريس ٠

٥ ـ متحف الجيش ـ باريس

٦ ـ المكتبة القومية ـ باريس

٧ ـ مكتبة المتحف البريطانى ـ لندن

● ثانيا : المراجع العربية

١ ـ كتب عربية ومعربة

ـ ابراهيم عبده (الدكتور) : **تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر ، خلال الحملة الفرنسية** ، القاهرة ، ١٩٤٩ ٠

ـــــــ **تاريخ الوقائع المصرية** (١٨٢٨ ـ ١٨٤٢)، القاهرة ، ١٩٤٦ ٠

ـــــــ **تطور الصحافة المصرية** ، القاهرة ، ١٩٤٤ ٠

– أحمد حافظ عوض : **فتح مصر الحديث أونابليون بونابرت فى مصر** ، القاهرة، ١٩٢٥ .

– أحمد حسين الصاوى (الدكتور) : **طباعة الصحف واخراجها** ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

– أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور) : **تاريخ التعليم فى عصر محمد على** ، القاهرة، ١٩٣٨ .

– أحمد مختار عمر (الدكتور) : **تاريخ اللغة العربية فى مصر** ، القاهرة ، ١٩٧٠

– اميل بوافان : **تاريخ الصحافة** ، ترجمة محمد اسماعيل محمد ، سلسلة « الألف كتاب » رقم ١١٨ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

– جاك تاجر : **حركة الترجمة بمصر ، خلال القرن التاسع عشر** ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

– جمال الدين الشيال (الدكتور) : **تاريخ الترجمة فى مصر ، فى عهد الحملة الفرنسية** ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

– جرجى زيدان : **تاريخ آداب اللغة العربية** ، مراجعة وتعليق الدكتور شوقى ضيف ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

– حسن ابراهيم (الدكتور) : **تاريخ الاسلام السياسى ، والدينى والثقافى والاجتماعى** ، الجزء الثانى : **العصر العباسى الاول** ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

– حسين مؤنس (الدكتور) : **الشرق الاسلامى فى العصر الحديث** ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

– خليل شيبوب : **عبد الرحمن الجبرتى** ، سلسلة «اقرأ» رقم ٧٠ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

– خليل صابات (الدكتور) : **تاريخ الطباعة فى الشرق العربى** ، القاهرة ، ١٩٥٨

– عبد الرحمن الجبرتى : **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ .

ـــــــ **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** ، جزءان ، بتحقيق : أحمد زكى عطية – عبدالمنعم عامر – محمد فهمى عبداللطيف – حنفى عامر ، القاهرة ، ١٩٦١ .

– عبد الرحمن الرافعى : **تاريخ الحركة القومية ، وتطور نظام الحكم فى مصر** : الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٢٩ – الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

– عبد العزيز محمد الشناوى (الدكتور) : **دور الازهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر ، ابان الحكم العثمانى** ، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (١٩٦٩) ، القاهرة ، ١٩٧١ .

ـــــــ **صور من دور الازهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى لمصر ، فى أواخر القرن الثامن عشر** ، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧١ .

——— **عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية** ، سلسلة « أعلام العرب » رقم ٦٧ . القاهرة ، ١٩٦٧ .

— فيليب دى طرازى (الفيكونت) : **تاريخ الصحافة العربية** ، ٤ **أجزاء** ، طبعة مصورة ، بغداد ، ١٩٧١ (صدر الجزءان الاول والثانى عام ١٩١٣ ، والثالث عام ١٩١٤ ، والرابع ١٩٣٣) .

— لويس عوض (الدكتور) : **تاريخ الفكر المصرى الحديث** ، جزءان ، سلسلة « كتاب الهلال » ، العددان ٢١٥ ، ٢١٧ ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

— محمد شفيق غربال : **الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ، ومشروع استقلال مصر ١٨٠١** ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

— محمد فؤاد شكرى (الدكتور) : **الحملة الفرنسية وظهور محمد على** . القاهرة ، بدون تاريخ .

——— **بناء دولة ، مصر محمد على** (بالاشتراك مع : عبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل) ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

——— **عبد الله جاك منو ، وخروج الفرنسيين من مصر** ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

— محمود الشرقاوى : **مصر فى القرن الثامن عشر** : الجزء الاول ، **عبد الرحمن الجبرتى ـ الحياة الفكرية والاجتماعية** ، الجزء الثانى **أيام المماليك ـ الأزهر والعلماء** الجزء الثالث ، **شعب مصر وكفاحه ـ صفحات من سيرة محمد على** ، القاهرة ، ١٩٥٧

— نقولا الترك : **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية** (نشره وترجمه الى الفرنسية اينيه ديجرانج) ، باريس ، ١٨٣٩ .

— **مذكرات نقولا الترك** (نشره وترجمه الى الفرنسية جاستون فييت) ، القاهرة ١٩٥٠ .

— هيرولد ، ج . كريستوفر : **بونابرت فى مصر** ، ترجمه عن الانجليزية فؤاد اندراوس ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

٢ ـ مخطوطات

— اسماعيل الخشاب : **تاريخ حوادث وقعت فى مصر منذ سنة ١١٢٠ (هـ) الى دخول الفرنسيس** ، المكتبة التيمورية ، دار الكتب المصرية .

— محمد بن يوسف جوربجى جمليان هاشم : **منشورات قائد الفرنساويين فى مصر أثناء الحملة الفرنساوية** ، دار الكتب المصرية .

٣ ـ مقالات

توفيق اسكاروس : « تاريخ الطباعة فى وادى النيل » ، **مجلة الهلال** ، السنة الثانية والعشرون ، نوفمبر وديسمبر ١٩١٣ ومارس ١٩١٤ .

سطنطين الباشا ، الخورى : «ترجمة الأب روفائيل زخوره» ، **المجلة البطريركية** السنان السابعه والثامنة ، ١٩٣٢ .

٤ ـ دوريات

الوقائع المصرية ، من عام ١٨٢٨ الى عام ١٨٤٢ .

● ثالثا : المراجع غير العربية

١ ـ كتب

— Bainville, M. Jacques : **Bonaparte en Egypte,** Paris, 1936.
———, **L'Expédition Française en Egypte** (Précis de l'Histoire d'Egypte, t. III), Le Caire, 1933.

— Bertrand (Général) : Campagne d'Egypte et de Syrie (1798-99). Mémoires pour servir à l'Histoire de Napoléon dictés par lui-même à Sainte-Hélène, Paris, 1847.

— Bourrienne, L.A., Fauvelet de : **Mémoires sur Napoléon** (1795-1814), t. II, Paris, 1828-30.

— Charles-Roux, François : **Bonaparte Gouverneur d'Egypte,** Paris, 1936.
———, **Les Origines de l'Expédition d Egypte,** Paris, 1910.

— Chauvin, Victor : **La Légende Egyptienne de Bonaparte,** Mons, 1902.

— Cherfils, Christian : **Bonaparte et l'Islam,** d'après les Documents Français et Arabes, Paris, 1914.

— Desgenettes, R. : **Histoire Médicale de l'Armée d'Orient,** Paris, 1902.
———, **Souvenir d'un Médecin de l'Expédition d'Egypte,** Paris, 1893.

— Elgood, P.G. (Lt. Colonel) : **Bonaparte's Adventure in Egypt,** London, 1936.

— Estève, le Comte : Mémoires sur les Finances de l'Egypte... (Dans : Description de l'Egypte, t. XII, pp. 4-248).

— Fleury, Le Comte : **Bonaparte en Egypte,** Souvenirs du Capitaine Thurman, publiés avec préface et appendices par le Comte Fleury, Paris, 1902.

— Galland, Antoine : **Tableau de l'Egypte pendant le séjour de l'Armée Française,** Paris, 1804.

— Guemard, G. : **Les Orientalistes de l'Armée d'Orient,** Paris, 1928.

— Herold, J. Christopher : **Bonaparte in Egypt,** New York, 1963.

— Homsy, Gaston : **Un Egyptien Colonel dans les Armées de Napoléon I,** Le Caire, 1929.
———, **Le Général Jacob et l'Expédition de Bonaparte en Egypte,** Marseille, 1921.

— Ivray, Jehan d' (Mme Fahmy Bey) : **Bonaparte et l'Egypte**, Paris, 1914.

— Lacroix, Désiré : **Bonaparte en Egypte**, Paris, 1899.

— La Jonquière, C. De : **L'Expédition d'Egypte (1798-1801)**, Paris, 1899-1907.

— Las Cases, Emmanuel (Comte de) : **Mémorial de Sainte-Hélène**, Paris, 1961.

— Ledré, Charles : **Histoire de la Presse**, Paris, 1958.

— Martin, P. : Histoire de l'Expédition Française en Egypte, Paris, 1815.

— Munier, J. : **La Presse en Egypte (1799-1900)**, Le Caire, 1930.

— Périvier, A. : **Napoléon Journaliste**, Paris, 1918.

— Reynier, J. : **De l'Egypte après la Bataille d'Héliopolis**, Paris, 1802.

— Rigault, Georges : **Le Général Abdallah Menou et la Dernière Phase de l Expédition d'Egypte (1799-1801)**, Paris, 1911.

— Rousseau, M.F. : **Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte**, Paris, 1900.

— Reybaud, L. et autres (Rédacteurs) : **L'Histoire Scientifique et Militaire de l'Expédition Française en Egypte** (10 volumes), Paris, 1830-36.

— Reynier, G. : **Mémoires du Comte Reynier**, Campagne d'Egypte, IIe partie, Paris, 1827.

— Sibert, Peterson and Schramm : **Four Theories of the Press**, Urbana, Illinois, 1963.

— Spillmann, Général Georges : **Napoléon et l'Islam**, Paris, 1969.

— Turc Nicolas : **Chronique d'Egypte (1798-1804)**, édité et traduit par Gaston Wiet, Le Caire, 1950.

— Turk Nakoula el- : **Histoire de l'Expédition des Français en Egypte**, publié et traduit par Aimé Desgranges, Paris, 1839.

— Weill, Georges : Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique, Paris, 1934.

— Wiet, Gaston : **Deux Mémoires Inédits sur l'Expédition d'Egypte** (Journal de Grandjean et Journal du Lieutenant Laval), préface et annotés par G. Wiet, Le Caire, 1941.

٢ ـ بحوث ومقالات

— Bachatly, Charles : « Un Manuscrit autographe de Don Raphael », **Bull. de l'Institut Egyptien**, t. XIII, 1931.

———, « Un Membre Oriental du Premier Institut d'Egypte. Don Raphael », **Bull. de l'Institut d'Egypte**, t. XVII, 1934-35.

— Belin, M. : « Notice Nécrologique et Littéraire sur M.J.J. Marcel », **Journal Asiatique**, 5e série, t. III, 1854.

— Bonola, F. : « Una Visita a Mohamed Ali nel 1822. La Stamperia et il Prima Giornale », **La Revue Internationale d'Egypte**, t. II, 1905.

— Canivet, R.G. : « L'Expédition d'Egypte. La Commission des Sciences et des Arts», **La Revue Internationale d'Egypte,** t. III, No. 1, 1906.

———, « L'Expédition d'Egypte », La Bibliothèque de l'Expédition, **La Revue Internationale d'Egypte,** t. IV, No. 4 et 5, 1906.

———, « L'Imprimerie de l'Expédition Française », **Bull. de l'Institut Egyptien,** série 5, t. III, 1909.

— Geisse, Albert : « Histoire de l'Imprimerie en Egypte », **Bull. de l'Institut Egyptien,** 5ème série, t. I, 1907.

— Sayed, Afaf Loutfi El- (Dr.) : « The Role of the 'Ulama' in Egypt during the Early 19th Century », **Political and Social Change in Modern Egypt. Historical Studies from the Ottoman Conquest to the U.A.R.,** edited by Holt, London, 1968.

— Taillefer, A. : « Notice Historique et Bibliographique sur M.J.J. Marcel », **Revue de l'Orient, de l'Algérie et des Colonies,** t. XVI, 1854.

٣ ـ وثائق منشورة

— Napoléon Bonaparte : **Allocutions et Proclamations Militaires,** par Georges Barral, Paris, 1895.

———, **Correspondance de Napoléon 1er,** publiée par ordre de l'Empereur Napoléon III (t. 3, 4, 5), Paris, 1858-1870.

———, **Correspondance inédite Officielle et Confidentielle de Napoléon Bonaparte** (t. II) Paris, 1819.

———, **Proclamations, Ordres du Jour et Bulletins de la Grande Armée,** Paris, 1964.

— Rousseau, François (publi.) : **Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte.** Documents publiés pour la Société d'Histoire Contemporaine, Paris, 1900.

٤ ـ بحوث غير منشورة

— Wassef, Amin : **L'Information et la Presse Officielle en Egypte jusqu'à la fin de l'Occupation Française.** Thèse pour le Doctorat d'Université présentée à la Faculté des Lettres de Paris, 1952.

٥ ـ دوريات

— **Le Courrier de l'Armée d'Italie, 1797.**

— **Le Courrier de l'Egypte,** 1798-1801.

— **La Décade Egyptienne,** 1798-1801.

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٧٨٨/١٩٧٥

● هذا الكتاب

نعرف أن الصحافة نشأت في مصر مع بدء قيام دولتها الحديثة على يد محمد علي ، غير انه كانت لهذه الصحافة مقدمات ظهرت قبل ذلك في عهد الحملة الفرنسية ، التي تميز عهدها القصير بأنه كان نقطة تحول فاصله ، هيأت الظروف لكي تبدأ مصر بعده تاريخها الحديث .

لقد كان الاعلام المطبوع من دعائم سياسة الحملة . ومن ثم فانها تجهزت بجهاز طباعي كبير ، كان في مقدمة أغراضه تحقيق جسر من « الاتصال » بين حكومة الحملة والشعب المصري . وكانت وسيلة ذلك تلك ((المنشورات)) العربية التي قرأ المصريون على صفحاتها ((الكلمة المطبوعة» لأول مرة . واتسع النشاط الاعلامي للحملة ، فاصدرت صحيفة لجنودها وأخرى لعلمائها ، كما أصدرت منشورات بالفرنسية ومطبوعات اخرى .

ويقدم لنا المؤلف في هـذا الكتاب دراسة قيمة لسياسـة الحملة ووسائلها الاعلامية . ولقد خص المنشورات العربية ، من حيث هي البداية الحقيقية للصحافة المصرية ، بالجانب الأكبر من هذه الدراسة ، من الناحيتين الاعلامية والتاريخية جميعا . واستطاع بذلك أن يلقى الضوء على عدة حقائق لم تكن ـ على أهميتها ـ معروفة من قبل .

وتتميز هذه الدراسة بالأصالة والجدة . فقد اعتمدت أساسا على مطبوعات الحملة نفسها ، من منشورات وغيرها . وكانت صور هذه المطبوعات ـ التي تنشر لأول مرة ـ هي المصدر الأول للبحث . وقد أنفق المؤلف الكثير من الوقت والجهد في التنقيب عن أصولها بالقاهرة وباريس ولندن ، ثم في تحليل خصائصها ، في ضوء خلفية عريضة من تاريخ الحملة .

انه لكتاب جدير حقا بان يحتل مكانا بارزا في المكتبة العربية .

الثمن ٢٤٥ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب